جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الأول

المحتوى:
من أول سورة الفاتحة - الى آخر سورة الأعراف

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

لفضيلة الدكتور/ عبدالحميد هنداوي

الأستاذ بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب والفرقان، وأصلى وأسلم على حـــامل لواء الفصاحة والبيان، محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان.

وبعد، فهذا كتاب فى التفسير قلّ أن تجد مثله، فــهو قصــد ووســط بــين المختصرات والمطولات، يوضح العبارة بأيسر إشارة، ويجمع الكثير من المعانى بقليل مــن الألفاظ الدوانى، ويلخص الأقوال، ويرجح المقال على المقال، ويشير إلى أسرار الإعجاز بشيء من الإيجاز، ويرد الأقوال الممتحلة من الفلاسفة والمعتزلة، وينافح عن كــلام رب العالمين برد كلام المبطلين والغالين.

وقد كتبه مصنفه بعد تردد وتأخر، لكنه عزمَ عليه كما يقول لما لم يجــد "في التفسير مختصرًا يغنى، وكتابًا يقرب ويدنى".

وبالحق كان كتابه سدًّا لهذه الثغرة، فكان مختصرًا يغنى، وكتابًا يقرب ويــدنى؛ فهو على اختصاره يغنى عما سواه من المطوّلات، وعلى وجازة إشارته يقــرب المعــنى البعيد ويدنيه، وكان من خير ما قدر لهذا الكتاب أنه حاز الفضل من جهتين:

من جهة مصنفه (الإيجى) -رحمه الله- فى حسن تصنيفه والعناية بتأليفه، وتحرير مسائله العقدية واللغوية والبلاغية.

ثم من جهة محشّيه (الغزنوى) -رحمه الله- الذى خدم هذا الكتاب خدمة جليلة لا تقل عن خدمة مصنفه الأصلى بل تزيد، حيث إنه قد انبرى لما فات المصنف أن ينبــه عليه مما يخالف عقيدة السلف أو ما وقع فيه المصنف نفسه من باب الخطأ والزلـــل في مخالفة عقيدة السلف الصالح (رضوان الله عليهم جميعًا) فانبرى لذلك الشيخ الغزنوى - رحمه الله- وقد كان سنيًّا سلفيًّا واضح المذهب مقتديا بالإمامين ابن تيمية وابن القيــم - رحمهم الله تعالى جميعًا- ويكثر النقل عنهما؛ فخلّص الكتاب مما قد يشوبه أو يشينه من

المخالفات فأصبح بحمد الله تعالى بارئًا، وصفاه من الكدر فصار بمنة الله تعالى عسلا مصفى ولبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، وهذا من فضل الله ورحمته للعالمين.

هذا، وقد عهدت إلى دار الكتب العلمية بتحقيق هذا السفر العظيم، غير أني قد انتابتنى الشواغل والموانع دون إتمامه فقام على إتمام تخريجه وتصحيحه ومراجعته جماعة من الأفاضل، واقتصر دورى فيه على النظر فيه ومراجعته والتعليق على بعض مواضعه والتقديم له، والله أسأل أن ينفع به، وأن يجزل المثوبة لكل من ساعد فيه أو قدم فيه جهدًا مشكورًا، وأسأله سبحانه أن يجزل لنا المثوبة عليه في الدنيا والآخرة، إنه مولى ذلك والقادر عليه.

وكتب

راجي عفو ربه الغفور

عبدالحميد بن أحمد بن يوسف هنداوى

المدرس بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو محمد بن صفى الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالسلام وقيل: عبدالله، معين الدين الحسينى الصفوى الإيجى الشيرازى الشافعى.

وذكر نفسه هو فى مقدمة كتابه فقال: "وأنا أحوج الخلق إلى رحمة ربه (معين بن صفى) أدركهما الله بلطفه الجليّ والخفيً".

مولده:

ولد الإيجى سنة ٨٣٢هـ الموافق ١٤٢٩م تقريبًا.

موطنه:

نشأ الإيجى فى بلدة "إيج" بنواحى شيراز، وإليهما ينسب.

وإيج "بالجيم": بلدة كثيرة البساتين والخيرات أقصى بلاد فارس، وأهل فارس يسموها إيك. ويبدو أها بلدة يعنى أهلها بالعلم والعلماء، فقد نسب إليها عدة من المؤلفين والعلماء، منهم عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجى، بل نسب إليها كبار المحدثين، وينسب إليها أبو محمد عبدالله بن محمد الإيجى النحوى؛ روى عن ابن دريد فأكثر.

وشيراز: بالكسر وآخره زاى: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهى قصبة بلاد فارس، وهى مما استجد عمارها واختطاطها فى الإسلام، وبها جماعة من التابعين مدفونون، وهى فى وسط بلاد فارس، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء فى كل فن.

أبوه:

هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الإيجى صفى الدين أبو الفضل الحسينى العجمى الصوفى الشافعى المتوفى بمكة سنة ٨٦٤هـ، له حاشية على شرح التبادكانى لمنازل السائرين، ولقد بدأ الأب فى كتابة تفسير سورة الأنعام، فكتب نبذًا ثم ترك، وقال لابنه: أنت مأمور بذلك.

ولما كان الأب له مشاركة فى العلوم الشرعية كان لذلك تأثير على الابن، بل كان الأب سببًا لإكمال الابن كتاب التفسير كما سبق.

اجتهاده العلمى:

لقد انشغل الإيجى بجوانب متعددة من الفروع العلمية، وبرع فى بعضها ومما يدل على ذلك الأوصاف التى وصف بها فى ترجمته فقد وصف بأنه مفسر ومحدث ونسب إلى مذهب الشافعى.

١-التفسير:

لقد انشغل الإيجى بعلم التفسير، ووقف على كتب عدة فى جمعه لمادة تفسيره، وله كتبٌ فى التفسير منها: تفسير سورة الفاتحة، جامع البيان فى تفسير القرآن وهو الذى نقدم له.

ومما يدل على براعته فى التفسير أنه يجمع فى تفسير الآية أقوالا كثيرة بأوجز عبارة وألطف إشارة، وهذا لا يستطيعه إلا من كان بالتفسير خبيرًا وبطرق المفسرين وعباراهم بصيرًا، حتى قال عن نفسه كما فى مقدمة تفسيره: "ثم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى فى هذا التفسير مع معانٍ صحيحة نفيسة لم تجد فى كثير منها".

٢-الحديث:

كان الإيجى معظمًا للحديث النبوى غير معرض عنه، وله مشاركة بالتأليف فى علم الحديث إذ له شرح الأربعين النووية.

وتجده يعيب على من لا يقدم الأخبار النبوية؛ فيقول فى مقدمة التفسير "وكثيرا تجد الزمخشرى ومن يحذو حذوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فى الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية، وإن نقلوه ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمريض، لكن المسلك فى تفسيرنا هذا الاعتماد على المعانى الثابتة عمن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم".

٣-اعتقاده:

لقد حمل الإيجى حملة شديدة على الفلسفة والفلاسفة؛ إذ كان مبغضًا لها ومحذرًا منها معظمًا للنصوص الشرعية، بل ألف كتابا سماه: "تهافت الفلاسفة".

ويقول فى تفسير سورة البقرة آية ٧٤ فى حديثه عن بعض الأمور المردودة: "نعم لمن

يتبع الفلسفة أن يتمحل التَّمَحُّلَ[1] فى أمثال ذلك والله تعالى بمحض فضله قد عصمنا منه".

وكان له موقف من الاعتزال عمومًا ومن الزمخشرى خصوصًا، فيقول فى مقدمة التفسير: "كتاب موفًّى فيه الحكمة والمعرفة، مصفًّى عن الاعتزال والفلسفة".

ويقول: "فإن قرع سمعك شيء يخالف الكشاف ومن تبعه فلا تعجل إلى الرد إنكارًا، وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم نارًا".

ومع تعظيمه للنصوص الشرعية وموقفه من الاعتزال والفلسفة ونقله الكثير عن السلف إلا أننا نجد عنده آثارًا صوفية ربما كان سببها كون أبيه صوفيًّا، ومن أمثال ذلك ما تجده فى كلامه عن النبى -صلى الله عليه وسلم- فى مقدمة التفسير، ولقد أجاد الغزنوى صاحب الحاشية فى بيان خطأ ما صنع، والتحذير مما فيه وقع، وأحيانًا يمشى فى تفسير آيات أسماء الله وصفاته على طريقة الأشاعرة، وربما ينقل فى تفسيرها قول السلف مُتْبعًا إياه بكلام الأشاعرة، فتراه فى تفسير قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾** من سورة البقرة يقول: "لا يرضيه" جاريا مجرى الأشاعرة فى تأويل الصفات إلى السبعة التى يثبتونها، فيقولون معنى الحب: الرضا مخالفين بذلك طريقة السلف، ومثال جمعه بين طريقة السلف وطريقة الأشاعرة قوله فى تفسير قوله تعالى: **﴿أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾** من سورة البقرة: "مذهب السلف الإيمان بمثل ذلك ووكول علمه إلى الله تعالى أو تقديره: يأتيهم بأسه".

وجدير بالذكر أن الغزنوى صاحب الحاشية أشار فى مواضع كثيرة إلى طريقة السلف فى فهم آيات أسماء الله وصفاته وأن هذه الطريقة هى التى يجب اتباعها إلا أنه لم يتتبع كل موضع يحتاج إلى هذا التنبيه.

مذهبه:

وصفه من ترجموا له بأنه كان شافعيًّا ونقل هو عن مذهب الشافعى فى تفسيره.

لغته:

مع كونه نشأ ببلاد فارس إلا أنه عنى بعلوم العربية واجتهد فى إتقانها، فضمن

---

(١) التمحل: المعاداة.

تفسيره كلامًا عن الإعراب وتوجيهات نحوية مما يدل على أن له فى علوم العربية باعًـــا، ولكن ليس كل ما تبغيه تجده فقد ظهر فى عباراته جانب من الضعف اللغوى والركاكة فى الأسلوب وعذره فى ذلك أنه ليس من العرب الأصلاء وإنما هو أعجمـــــى، وكفـــى بالمرء نبلا أن تعد معايبه.

وفاتـــه:

توفى الإيجى فى ٩٠٦هـ وقيل: ٩٠٥هـ الموافق تقريبًا ١٥٠٠م. ووقع على غــــلاف طبعة باكستان لكتاب التفسير (٨٣٢هـ-٨٩٤هـ) وعلى طبعة الشيخين شاكر والفقـــى (٨٣٢هـ-٩٠٥هـ).

كتبـــه:

لقد أشرنا إلى بعضها آنفًا فى طيات حديثنا ولكن ها نحن نذكر ما وقفنــــا علـــى نسبتها له:

١-تفسير سورة الفاتحة.

٢-جامع البيان فى تفسير القرآن، وبعضهم يسمّيه: جوامع التبيان فى تفسير القـــرآن (وهو ما نقدم له بهذه المقدمة).

٣-تهافت الفلاسفة.

٤-شرح الأربعين النووية.

٥-شعب الإيمان.

٦-حاشية على التلويح للتفتازانى.

٧-بيان المعاد الجسمانى والروح.

جامع البيان

اسمه وتوثيق نسبته للمؤلف:

ذكر المترجمون للإيجي أن له كتابا فى التفسير لكنهم اختلفوا فى تسمية الكتاب، فسماه فى الأعلام: جامع البيان فى تفسير القرآن، وكذا قال هو فى مقدمة التفسير كما فى الأصل الذى رجعنا إليه، بينما سماه فى الضوء اللامع جوامع التبيان فى تفسير القرآن وكذا قال فى كشف الظنون وفى هداية العارفين.

مصادره فى التفسير:

أشار المؤلف فى مقدمة تفسيره أنه رجع فى التفسير إلى الكتب الآتية:

* تفسير عماد الدين بن كثير.
* معالم التنزيل لمحيى السنة البغوى.
* الكشاف للزمخشرى.
* شروح الكشاف:
  - شرح الطيبى (وهو المسمى فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب).
  - الكشف (ولعله لعمر بن عبدالرحمن الفارسى القزوينى ٧٤٥هـ).
  - شرح المحقق التفتازانى (سعد الدين مسعود بن عمر).
* الوسيط للواحدى.
* مدارك التنزيل للنسفى.
* أنوار التنزيل للبيضاوى.

وأشار فى بعض المواطن إلى نقله عن كتب أخرى كما ترى فى نقله عن ابن جرير فى تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة.

والأحاديث المذكورة فمعظمها من الصحاح الستة.

بعض الرموز فى التفسير:

استخدم المؤلف بعض الرموز فى تفسيره بغية الاختصار فقال فى المقدمة: "وكل معنى ذكرنا فيه بصيغة "أو" فما هو إلا للسلف، وما ذكرنا بقيل فأكثره من مخترعات المتأخرين، ما ظفرنا فيه بنقل".

كما أنه استعمل الرمز "تع" إشارة إلى كلمة "تعالى" التى يثنى بها على الله سبحانه وتعالى، وقد قمنا بكتابتها "تعالى" دون رمز لعدم اللبس على القارئ.

(رح) يقصد بها رحمه الله.

ومن الرموز المتكررة فى التفسير حرف العين النسخ "ع" وكان يضعها على هامش الأصل ويشير بها إلى نهاية الركوع، ووقع هذا تبعًا للتقسيم على الركوعات، وهو تقسيم يقوم على اعتبار المعنى، وكل عدد من الآيات يسمى ركوعًا، ثم تكون السورة عشرين أو أربعين أو ثمانين ركوعًا، وكتب مع العين عدة أرقام أغلب الظن أنه يقصد بها الآتى:

١-رقم يكتب أعلى العين يعنى به ترتيب الركوع داخل السورة.

٢-رقم يكتب داخل العين وهو عدد آيات ذلك الركوع.

٣-رقم يكتب أسفل الركوع يعنى به ترتيب الركوع داخل الجزء.

حاشية التفسير:

صاحب الحاشية:

هو محمد بن عبدالله الغزنوى توفى عام ١٢٩٦هـ هكذا وجدنا ذكره على غلاف الأصل الذى رجعنا إليه، ولم نقف له على ترجمة، لكن من خلال حاشيته ندرك جانبًا هامًا من حياته العلمية وهو سعة اطلاعه كما هو واضح من كثرة المصادر التى اعتمد عليها فى الحاشية كما يتجلى لنا منهجه فى الاعتقاد حيث نبه كثيرًا على عقيدة السلف وأكثر النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعن تلميذه ابن القيم.

بعض موارده فى الحاشية:

أكثر الغزنوى فى حاشيته من النقل عن مصادر كثيرة مستعملا فى الإشارة إليها رموزًا واختصارات فمنها:

* **كبير**: يقصد به مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازى، وكان يقول أحيانًا: قال الرازى، ولقد قارنا بعض المواضع التى كتب خلفها "كبير" بما فى مفاتيح الغيب للرازى فوجدناها هى هى.

* **فتح**: يقصد به فتح القدير للشوكانى، وهناك نص فى كلامه فى تفسير سورة المائدة على أنه فتح القدير للشوكانى.

ولقد قارنا بعض المواضع التى كتب خلفها "فتح" بما فى فتح القدير فوجدناها واحدة.

* **معالم**: يقصد به معالم التنزيل للبغوى.

* **وجيز**: لم نقف على كتاب فى التفسير بهذا الاسم إلا الوجيز فى التفسير لعلى بن أحمد بن محمد بن على الإمام أبى الحسن الواحدى.

إلا أنه وقع فى التفسير الذى تقدم له فى سورة التوبة آية ٦٠ فى الحاشية: "لكن قال المصنف فى الوجيز".

* **در منثور**: وهو الدر المنثور للسيوطى.

* **صراح**: لم نقف إلا على صراح اللغة لأبى الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى المشتهر بجمالى، وهو ترجمة الصحاح بالفارسية، فرغ منها سنة ٦٨١هـ.

* **تبصير الرحمن**: لعله تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن فى التفسير للشيخ زين الدين على بن أحمد بن على بن أحمد الأموى الحنبلى توفى سنة ٧١٠هـ.

* **كمالين**: لعله يقصد الكمالين على الجمالين فى التفسير حاشية لعمر بن عبدالجليل البغدادى الحنفى المتوفى سنة ١١٩٤هـ.

* **فتح البيان**: لم نهتد إلى كتاب يحمل هذا العنوان.

* **البحر**: هو البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى.

* **لباب التأويل، الخازن**: ، **لباب**: عدة رموز يقصد بها تفسير الخازن الموسم بلباب التأويل فى معانى التنزيل.

* **شيخ الإسلام ابن تيمية**: يقصد بذلك كتبه.

* **منه/ ١٢منه**: وهذه إشارة من الغزنوى صاحب الحاشية إلى أن هذا من حاشية المصنف.

ومما يدل على ذلك قول الشيخين أحمد شاكر وحامد الفقى على غلاف طبعتهما إن ما كتب بجواره (منه) فهو من كلام المؤلف.

ويؤكده قول المؤلف فى مقدمة التفسير: "وأما الأحاديث المذكورة فى تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة، وتجد تخريجها مسطوراً فى الحاشية عليها"، وقوله: "وقد رمزت فى تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة أو أومأت إليه بإشارة لطيفة دقيقة وفى كثير من المواضع أوضحته فى الحاشية".

وقد نبه صاحب الحاشية على ذلك بقوله فى تفسير سورة البقرة آية ٢٥٣ فى الحاشية:

"وقد ذكر المصنف فى الحاشية من قبل أن هذا قول أكثر الصحابة".

ووقع فى الحاشية فى تفسير الآية ٢٥٨ من سورة البقرة: "اعلم أن التفسير على ما قررنا أحسن مما فى أكثر التفاسير" مما يدل على أن من الحواشى ما هو من قلم المصنف.

* **١٢**: وقع فى نهاية كثير من الحواشى هذا الرقم منفردًا أو مضافًا إليه رمز أحد الكتب أو مضافاً إليه كلمة (منه) و لم نقف على ما نستطيع به الجزم بمعنى هذا الرقم.

* **ج**: لم نهتد إلى معنى هذا الرمز.

* **رض**: يعنى رضى الله عنه.

* **رح**: أحيانًا يقصد بها -رحمه الله- وفى بعض المواضع لم نهتد لمعناها.

* **م**: وقع هذا الرمز فى آخر بعض الحواشى فقد يكون اختصارًا لـ"محمد الغزنوى" أو لـ"منه".

* **قاضى**: هو القاضى البيضاوى صاحب أنوار التنزيل.

الأصل الذى اعتمدنا عليه:

اعتمدنا على الطبعة التى أصدرتها دار نشر الكتب الإسلامية بلاهور- باكستان وكتب على غلافها:

"جامع البيان فى تفسير القرآن للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبدالرحمن الحسنى الحسينى الإيجى الشافعى رحمه الله (٨٣٢هـ-٨٩٤هـ) علق عليه محمد بن عبدالله الغزنوى المتوفى (١٢٩٦هـ)، حققه وصححه منير أحمد" الطبعة الثالثة الصفر المظفر ١٤٠٦هـ، نوفمبر ١٩٨٥م. وجاء فى خاتمة الطبع اسم لعله اسم الكاتب وهو "عبدالرءوف ثاقب خوشنويس".

مصادر الترجمة:

الضوء اللامع للسخاوى (٨/٣٧).

معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٠/١٥٣).

الأعلام للزركلى (٣/٢٩٥)، (٦/١٩٥).

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين بذيل كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادى (٦/٢٢٣)، (٥/٥٣٢).

كشف الظنون لحاجى خليفة (١/٦١٠)، (٢/١٠٧٧)، (١/٣٣٩)، (٢/٢٠٠٢).
معجم البلدان لياقوت الحموى "إيج" (١/٣٤٢)، "شيراز" (٣/٤٣١-٤٣٢).
تاج العروسى للزبيدى "أيج" (٢/٥).
مفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى (طاش كبرى زاده) (٢/٥٨-٨٦).
إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادى (٤/٣٨٢).
اللباب فى تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير الجزرى (١/٩٦-٩٧).

منهج التحقيق:

١-قمنا بتقسيم الآيات حسب الركوعات التي كتبت بهامش التفسير، بحيث نورد مجموعة من الآيات هى الركوع الذى قسم بهامش التفسير ثم نورد تفسيرها.

٢-ما كان من تخريج للحديث وقد خرج فى الحاشية أتبعنا بعده كلامنا بذكر تعقيب أو حكم على الصحة أو تخريج بين [ ].

٣-أبقينا على لغة المؤلف حتى لو كانت ركيكة أحيانًا أو ضعيفة وكذلك فى كلام المعلق.

٤-أبقينا على رموز المعلق وما عرفناه منها ذكرناه سابقًا وما لم نعرفه فعسى أن يهتدى له أحد بعدنا.

٥-ما رمز أمامه بـ(*) فهو من تعليقاتنا.

٦-ما كتبناه تعليقًا على الحواشى وضعناها فى موضعه بين معكوفتين[ ].

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة للمفسر رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأظهره على الدين كله فالحقّ أحقّ، والباطل أزهقَ[١] ؛ أنزل معه كتابًا قطع أعناق[٢] العتاق السُّبَق ، وأبكم به البلغاء من العرب العرباء[٣] طبقًا[٤] بعد طبق، شهد محكم آياته القديمة بأن المُنَزَّلَ حق غير مختلق، ودل مضمون سوره العظيمة على أن رسوله صادق مصدق ، فصلِّ يا رب وسلم على سيدي سرى ليلاً إلى السبع[٥] الطباق فخرق ؛ وبلغت بلاغة كتابه نحوًا لا يسبق ؛ بل شأوًا[٦] لا يلحق ؛ ثم على آله مظاهر ألطاف الله وأفضاله الذين كل منهم في سماء الشرف قمر إذا اتسق[٧].

أما بعد؛ فلما أن رأيت هِمم أبناء العصر قاصرة ، ومساعيهم وإن جدوا في الطلب فاترة، قنعوا عن الحقيقة بالمجاز،ومالوا عن التطويل إلى الإيجاز، ولعمري يكاد أن يعد ذلك من علو همتهم،وقوة نهمتهم[٨] ؛ لأنهم أرادوا حوز[٩] العلوم بأسرها، وقصدوا

---

(١) أحقَّ : أثبت. أزهق : محا .[استعمل أزهق بمعنى زهق، من تناوب فعل وأفعل]

(٢) أعناق : جمع عنق وهو ظاهر ؛ أو من أعنقت الدابة إذا سارت سيراً واسعاً فسيحاً ، والعَنَقُ –بفتح العين والنون – هو السير السريع. العتاق : جمع العتيق أي : الكريم والخيار من كل شيء ، يقال : فرس عتيق السبق ما يتراهن عليه المتسابقون .

(٣) أي : العرب الخالص ، والتركيب من قبيل " ليل أليل " .

(٤) الطبق : الحال ، أي : حالاً بعد حال .

(٥) السموات طباق ؛ لأن بعضها فوق بعض . صراح

(٦) الشأو : الأمر الغاية ؛ يقال : فلان بعيد الشأو أي : عالي الهمة .

(٧) اتسق : اجتمع وامتلأ .

(٨) النهمة : الحاجة ، بلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

(٩) الحوز أي : الجمع .

جمع الفنون حبرها وسبرها[1]، وقد علموا بالتجارب أن الخطب خطير ، والعمر قصير، والعوائق[2] متلاطمة الأمواج، والبوائق متراكمة الأفواج ، فلو استطلعوا علـــى طلـــل المطولات لوقعوا في فتات الشتات ، ويعرض الكل في معرض الفوات ، وما رأيـــت في التفسير مختصرا يغني وكتابا يقرب ويدني ـــ أردت[*] أن أتعرض لهذا مع قلة البضاعـــة وقصور الباع خصوصا في تلك الصناعة ؛ حين كان القلب مشغوفا بكشف وجـــوه غمار[3] أسرار نكات الكشاف[•]؛ والفؤاد مشعوفا[4] باستخراج فرائد الفوائـــد عـــن زخار بحار كلام الأعالي والأشراف ، وقد كان الزمان يرافق بالموافقة ، والإخـــوان في ميدان الفضل على المسابقة ،وكانت مرآة الذهن مصفاة عن صداء الفتـــور، ومرقـــاة الفضل مبرأة عن طراء الكسور ؛ تجول خيول الفهم مـــن غـــير غائلـــة[5] الوهـــم في معتركهم، وتخول[6] على درك الطرائد في مدركهم ومتركهم؛ لكن قد اســـتنصت[7] وعادت عواد عن الإقدام على هذا المرام مدة مديدة من الأيام؛ مع أنه قـــد صـــدرت

---

(١) يقال: فلان حسن الحبر والسبر أي : جميل حسن الهيئة،وفي الحديث :" يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره " قال الفراء : أي لونه وهيأته [الحديث في النهايـــة لابـــن الأثير (٢/٣٣٣)]. وقال الأصمعي : أي الجمال والبهاء . صراح

(٢) العوائق : الموانع، البوائق : الشرور والدواهي .

(*) جواب "لما" في قوله: فلما أن رأيت همم أبناء العصر قاصرة....

(٣) جمع غامر أي : الأرض الخراب ، قيل له ذلك لأن الماء قد غمره فلا تمكن زراعتـــه ، وهو فاعل بمعنى مفعول ؛ كما يقال : " سر كاتم وماء دافق " .

يقصد كشاف الزمخشري وهو تفسير الموسوم بـــ(الكشاف عن حقائق التتريل وعيـــون الأقاويل في وجوه التأويل) وهو على أجل كتب التفسير عناية ببلاغة القرآن وأسرراه.

(٤) يقال : شعف بفلان أي : شغف به/١٢.

(٥) غائلة : الداهية ، الشر : الفساد/١٢.

(٦) يقال : خال فلان على أهله ، إذا دبر أمورهم وكفاهم .

(٧) قد استنصت أي : وقفت منصتا .

إشارة قدسية تتضمن الالتزام؛ فكم من مرة عزمت وأبت المقادير ، ونويت وعرضت المعاذير حتى لازمني رفيق التوفيق ، وجاورني فناء بيت الله العتيق ، وكحل عيني برؤية أهل الله ، ونلت زوارف الفيض من بذل الله ؛ أنار في أعشاب كبدي تلك الخامدة ، وأدار في دار خلدي تلك الجامدة فاستخرت الله تعالى في الملتزم والمستجار حتى أُلقي في روعي أن لا ضرر ولا ضرار في ذاك الاتجار، ثم صرفت الهمة والعزيمة ، وأحكمت النية والصريمة ، ونهضت الجناح ، وأجبت "حيَّ على الفلاح " ، ورفضت غوائل الشواغل، ونفضت دوح الأوائل ، فجنيت ثمرة طيبة الطعم والريح ، وأحظيت-بحمد الله-بالقدح لا بالسفيح[1] ؛ فها قد تم تفسير لاح النور من خلاله ، وفاح المسك من أذياله، قد حل عقد المغلقات بما قيد ، وبيض وجه المشكلات بما سود ، يموج رونق التحقيق في حواشيها ، ويقول المتأمل اللبيب: لله دَرُّ واشيها ، من مطالعه شمس أنوار التبيان قد طلعت، وايم الله إنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، كتاب موفًّى فيه الحكمة والمعرفة ، مصفًّى عن الاعتزال والفلسفة ، في كل سطر حقائق استلفت أكثرها-بوجه حسن- عن السلف ، ودقائق أبحتها من غير بخل على الخلف، تعرضت فيه لكلام السلف بوجه يعلم منه كيفية مطابقته مع الآية ، وأعرضت عن محتملات لا تجانسه دراية ، ولا تؤانسه رواية، لا تستصغر قدر نجمه[2] لصغر حجمه ؛ فإنك تراه من بعيد ؛ وإنما هو بين الوشوح[3] وحيد ؛ وما ذلك كله إلا لأني وسمته[*] لمن صناديد الخافقين عبيده إن قبل ؛ بل أملاك الأفلاك جنوده لو سأل ، الذي خلق الخلق له[•]،

---

(١) السفيح : قدح من قداح الميسر لا نصيب له .

(٢) النجم هنا بمعنى الأصل ، يقال : ليس لهذا الحديث نجم أي : أصل .

(٣) جمع : وشاح ؛ شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر .

(*) ما كان ينبغي له أن يتجه هذه الوجهة إذ الأعمال الصالحات إنما يتوجه بها إلى رب البريات، فما باله يسمه متوجها به وجه النبي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه؟!!

لعله يشير إلى خبر "لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو خبر باطل، والله تعالى يقول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦). [كشف الخفاء للعجلوني (٢١٢٣) ط. المكتبة العصرية بتحقيقنا].

ولولاه لكان آدم بعد في وَلَه، الهاشمي المستل من سلالة عدنان ، الأبطحي المنــزل عليه القرآن، الناسخ للأديان،صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه يا ربي المعبود، وأنــزله المقام المحمود الموعود، فيا شفيع[1] العصاة توسل الخلق بمثل هذا إلى ذي سلطان لمال أو جاه؛

---

(١) هذا الذي قاله المصنف رحمه الله ودعا به خلاف ما شرعه الله لعباده ، ومخالف لما جاء به الأدلة ، ومستلزم لدخول من عمل به في باب من أبواب الشرك ، ونوع من أنواع الكفر ؛ لأن الدعاء نوع من أنواع العبادات المطلوبة من العباد المختصة بالله تعالى ، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيدًا للمطلوب ؛ قال الله تعالى :﴿ ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ ﴿وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (الأعراف:٥٦)، وقال سبحانه : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ (الإسراء:١١٠)؛ فهذه البينات دلت على أن الدعاء مطلوب الله ﷻ من عباده ؛ وهذا القدر يكفي في إثبات كونه عبادة ؛ فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غير الله تعالى ؟! قال سبحانه : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (الجن:١٨)، وقال تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ (الرعد:١٤)، وقال سبحانه ناعيًا على من يدعو غيره ضاربًا له الأمثال : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ (الأعراف:١٩٤)، وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ (سبأ:٢٢)؛ فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة تصريحًا لا يبقى عنده ريب لمرتاب ؛ قال الله سبحانه: :﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (غافر:٦٠)؛ ومع هذا كله فقد جاءت السنة المطهرة بما يدل أبلغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة ؛ أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والحاكم مرفوعا : " الدعاء هو العبادة "(صحيح، انظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)، وفي روايــة : " مخ العبادة " ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية المذكورة (ضعيف، وانظر ضعيف الجامــع (٣٠٠٣). فأقل مفاد الحديث أن الدعاء عبادة كاملة مؤكدة ، فمن دعا غير الله ﷻ =

وإليك -رسول الله- هذا وسيلتي ، ومالي سؤل سوى القبول والقرب من الله؛ فخذ بيدي؛ إني هائم في مهالك البعاد ، ولا تنهر سائلك فإنك أنت الرسول الجواد

يـا مـن ألـوذ بـه فـيما أُؤَملـه ومـن أعـوذ بـه فـيما أحـاذره

أنت ملاذي بك ألوذ وأنت عياذي بك أعوذ، أعوذ من خزيك وكشف سترك ومن نسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك.

ثم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى في هذا التفسير مع معانٍ صحيحة نفيسة لم تجد في كثير منها ؛ نعم قد ترى فيها أحياناً معاني لم تلق فيه ؛ وما ذلك إلا لأن مطابقتها

= طالباً منه أمرا من أمور التي لا يقدر عليه إلا الله فقد عبد غير الله تعالى ؛ ولم يبعث الله رسله ولا أنـزل كتبه إلا لإخلاص توحيده وإفراده تعالى بالعبادة ، وكذلك الاستعاذة لا يجوز إلا به تعالى؛لأن المستعاذ به هو الله وحده ، رب الفلق رب الناس الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به؛ ولا يستعاذ بأحد من خلقه . وقد أمر تعالى في كتابه : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ (الفلق:١) و:﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ (الناس:١)؛ وأخبر أن من استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقا، وهو الطغيان . واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلام الله غير مخلوق بأن النبي ﷺ استعاذ بقوله ﴿قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و " أعوذ بكلمات الله التامات " [أخرجه البخاري في "الأنبياء"، (٣٣٧١)]؛ وهو لا يستعيذ بمخلوق أبداً ؛ فاللهم إني أبرأ إليك من صنيع المصنف ؛ كيف نفى بل ولاذ ما عدا عبد الله ورسوله ﷺ ؟ وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله ﷺ ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون . وما أريد بهذا البيان إلا تحذير الأحياء وتنبيههم ألا يغتروا بأمثال هذه الكلمات التي صدرت ممن ليسوا بمعصومين وظن الغالب أنها غفلة منهم وعدم تيقظ وزلة ؛ لا مقصد لهم إلا تعظيم جانب النبوة ؛ ولو نبهوا لتنبهوا ورجعوا وأقروا بالخطأ ، وليس مرادي إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ ذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، وما علينا إلا البلاغ المبين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

مع ظاهر الآية لا تخلو عن شبهة، على أنها غير منقولة عن السلف وقليلاً ترى بعض المعاني المنقول[*] قد ترك فيه لما أن تطبيقه مع الآية متعسر أو متعذر ؛ وكثيرا تجد الزمخشري ومن يحذو حذوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول ﷺ في الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية وإن نقلوه ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمريض ؛ لكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عمن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم ، وما نقلنا فيه شيئاً إلا بعد اطلاع وتتبع تامٍ ؛ فأعتمد على نقل الشيخ الناقد في علم الرواية "عماد الدين بن كثير " ؛فإنه في تفسيره قد تفحص عن تصحيح الرواية؛ وتجسس عن عجرها[1] وبجرها؛ ولو وجدت مخالفة بين تفسيره وتفسير "محيي السنة الإمام البغوي" الذي هو من سراة المحدثين ومهرة المحققين – تتبعت كتب القوم الذين لهم يد في التصحيح ثم بعد الاطلاع كتبت ما رجحوا، لكن أعتمد قليلاً على كلام "ابن كثير" ؛ فإنه متأخر معتن في شأن التصحيح، و"محيي السنة" في تفسيره ما تعرض لهذا ؛ بل قد يذكر فيه من المعاني والحكايات ما اتفقت كلمة المتأخرين على ضعفه ؛ بل على وضعه.

وأما الأحاديث المذكورة في تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة ، وتجد تخريجها مسطوراً في الحاشية عليها.

وكل معنى ذكرنا فيه بصيغة " أو " فما هو إلا للسلف،وما ذكرنا بقيل فأكثره من مخترعات المتأخرين؛ ما ظفرنا فيه بنقل.

وأما وجه الإعراب فما اخترت إلا الأظهر ، والذي ذكرت فيه وجهين أو وجوهاً فلنكتة لا تخفى على المتأدب ، فإن قرع سمعك شيء يخالف الكشاف ومن تبعه فلا

---

[*] قدم (المنقول) وهو نائب فاعل (ترك).

(١) عجرها وبجرها ، أي : عيوبها وأحزانها .

تعجل إلى الرد إنكارًا، وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم ناراً، مع أني لا أدعي عدم الخطإ والخطل[1] والسهو والزلل، نعم ، اجتهدت غاية الاجتهاد في تنقيح الكلام، وللمجتهد أجرٌ وإن حرم إصابة المرام، ثم إن مأخذ كتابي هذا : "المعالم"، و"الوسيط"، و"تفسير ابن كثير"، و"النسفي" ، و" الكشاف"مع شروحه : " الطيبي"، و " الكشف " و " شرح المحقق التفتازاني "- و" تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي" .

وأدرجت فيه ما سمح به الخاطر الفاتر أو سنح للنظر القاصر ، وقلما تجد آية إلا وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة ، أو أَوْمَأْتُ إليه بإشارة لطيفة دقيقة، وفي كثير من المواضع أوضحته في الحاشية، وقد تعرضت فيها لوجوه أُخر من المعاني والإعراب، فللمبتدئ حظ كثير من هذا التفسير وللعالم حظوظ.

وسميته : " جامع البيان في تفسير القرآن "، وأنا أحوج الخلق إلى رحمة ربه : "معين بن صفي" أدركهما الله بلطفه الجلي والخفي، وكان بين ابتدائه وانتهائه(*) سنتان وثلاثة أشهر حين بلغ سني أربعين.

والله أسأل أن يجعل ما تعبت فيه سبباً ينجيني ، وذخيرة تسرني لا تشجيني ، وهو حسب من توكل عليه ، ومعين من فوض الأمر إليه ، إنه هو العطوف الرحيم، الرءوف الكريم .

---

(١) الخطل : الخطأ ، الكلام الكثير الفاسد .

(*) في الأصل (ن): إتمامه.

سورة الفاتحة

مكية وهي سبع آيات

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ، أى : متبركًا باسم مسمى لهذا اللفظ الجامع لجميع صفات الكمال أقرأ أو مستعينًا به كما في: كتبت بالقلم ، ﴿الرَّحْمَنِ[1] ﴾: الموصوف بصفة إرادة

(١) اعلم أن الرحمة صفة من صفات الله أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وأما قول القائل: الرحمة ضعف وخور في الطبيعة وتألم على المرحوم. فهذا باطل أما أولاً فلأن الضعف والخور مذموم من الآدميين والرحمة ممدوحة وقد قال تعالى : " وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة "(البلد:١٧)، وقد نهى الله عباده عن الوهن والحزن فقال تعالى : " وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "(آل عمران:١٣٩)، وندبهم إلى الرحمة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح : "لا تنزع الرحمة إلا من شقي"[حديث حسن، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (٧٤٦٧)] وقال: "من لا يَرْحم لا يُرْحم" [أخرجه البخاري في "الأدب" (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)]، وقال الراحمون: "يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٣٥٢٢)]، ومحال أن يقول لا ينزع الضعف والخور إلا من شقي ولكن لما كانت تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور كما في رحمة النساء ونحو ذلك =

الخير لجميع الخلائق ولا يطلق إلا على الله تعالى ، ﴿الرَّحِيمِ﴾: بالمؤمنين ويطلق على غيره ، ﴿الْحَمْدُ﴾ ، ثناء على مستحسن اختياري نفسه أو أثره تعظيمًا لمن قام به ، ﴿لِلَّهِ﴾ ، أي : حقيقته مختصة به ، ﴿رَبِّ﴾: مالك ، ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ، المخلوقات بأسرها أو الجن والإنس أو هما والملك ، ﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، كرر تعليلاً بأنه الحقيق بالحمد ، ﴿مَالِكِ﴾ ، بالألف ودونه من المِلْك والمُلْك ، ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الجزاء متفرد بالحكم ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، نخصك بأقصى غاية التذلل وطلب المعونة لما أثنى عليه كأنه حضر بين يديه فخاطبه(*) وهو إخبار من جميع العباد الذين هو فرد منهم أدرج عبادته في عبادتهم لعلها تقبل ببركتها أو المراد الحاضرون لاسيما إن كان في جماعة وقيل: النون للتعظيم فإنه إذا كان في العبادة

= ظن الغالط أنها كذلك مطلقًا. وأيضًا فلو قدر أنها في حق المخلوقين مستلزمة لذلك لم يجب أن تكون في حق الله مستلزمة لذلك كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فينا يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تنزيه الله عنه وكذلك الوجود والقيام بالنفس فينا يستلزم احتياجه إلى خالق يجعلنا موجودين والله منزه في وجوده مما يحتاج إليه وجودنا فنحن وصفاتنا وأفعالنا مقرونون بالحاجة إلى الغير والحاجة لنا أمر ذاتي لا يمكن أن نخلو عنه وهو سبحانه الغني له أمر ذاتي لا يمكن أن يخلو عنه فهو بنفسه حي قيوم واجب الوجود ونحن بأنفسنا محتاجون فقراء فإذا كانت ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وما اتصفنا به من الكمال من العلم والقدرة وغير ذلك هو مقرون بالحاجة والحدوث والإمكان لم يجب أن لا يكون لله ذات ولا صفات ولا أفعال ولا يقدر ولا يعلم لكون ذلك ملازمًا للحاجة فينا فكذلك الرحمة وغيرها إذا قدر أنه في حقنا ملازم لحاجة وضعف لم يجب أن يكون في حق الله تعالى ملازماً لذلك رسالة شيخ الإسلام أبي العباس رحمة الله عليه .

(*) يشير إلى نكتة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في (إياك نعبد).

فجاهه عريض ، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: ثبتنا على الطريق الحق وهو ديـــن الله أو الإسلام ، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، من الأنبياء والملائكة والصديقـــين والشهداء والصالحين أو قوم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل تغيير دينهم أو آل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهوبدل الكل ، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ، صراط غير الذين أردت العقوبة عليهم أو المراد منهم اليـــهود ، ﴿وَلاَ الضَّـــالِّينَ﴾: الذين عدلوا عن الطريق والمراد منهم النصارى وقيل المراد من الأول الفساق ومن الثاني الكفار. يستحب لمن قرأها أن يقول بعدها بسكتة " آمين " أي : استجب .

سورة البقرة مدنية

وهي مائتان وست وثمانون آية وأربعون ركوعًا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

﴿الم﴾: أوائل مثل هذه السورة مما استأثر الله بعلمه وهو المنقول عن الخلفاء الأربعة وغيرهم أو أسماء السور أو أقسام أقسم بها لشرفها لأنها مباني كتبه المترلة أو أنا الله أعلم ، **﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾**: أي : هذا القرآن مصدر بمعنى المفعول **﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾**: لا شك أنه من عند الله لو تأمل عاقل فيه لا يشك وقيل بمعنى النهي أى: لا ترتابوا ، **﴿هُدًى﴾**: بيان ونور **﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾**: الصائرين إلى الإيمان وترك الشرك أو مزيد هداية لهم ، **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾**: يصدقون **﴿بِالْغَيْبِ﴾**: أى ما هو غائب كأمور الآخرة والقدر أو محمد عليه الصلاة والسلام من غير رؤيته ، **﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾** ، يعدلون أركان الصلوات الخمس أو يواظبون عليها ، **﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**: أعطيناهم يصرفون في الخير أو المراد الزكاة ، **﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾**: هذا في مؤمنى أهل الكتاب أو عام كالأول ، **﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾** سائر الكتب ، **﴿وَبِالآخِرَةِ﴾** الدار الآخرة **﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾** لا يشكون أصلاً ، **﴿أُولَئِكَ﴾** من هذه

صفته ، ﴿عَلَى هُدًى﴾: أي: مستقر ومستعل على بيان ونور ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بمطالبهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ[١] كَفَرُوا﴾: ستروا الحق وهجروا التوحيد ﴿سَوَاءٌ﴾: مصدر وصف به ﴿عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: تخويفك وعدمه فهو مبتدأ وسواء خبره والهمزة وأم مجردتان[٢] لمعنى الاستواء فى علم المستفهم كأنه[٣] قيل في جواب أأنذِرُهُم أم لا المستويان في علمك مستويان في عدم النفع ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ ، جملة مفسرة ومؤكدة[٤] ، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ، أي : طبع واستوثق بضرب الخاتم على قلوبهم ، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ ، أي : مواضعه[٥] أو أطلق مجازاً على العضو وكذا البصر ووحد السمع لأنه مصدر والمسموع ليس إلا الصوت

---

(١) الكفر على أربعة أنحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر به ، وكفر الجحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود قال الله تعالى : " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " (البقرة:٨٩)،وكفر العناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة وحذار حسبة[*] ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

[*] كذا في الأصل، وقد ذكره القرطبي في التفسير (٣١٦/٦) ط. دار الفكر، بلفظ: "أو حذار مسبة".

وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأنواع سواء في أنه من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له / ١٢ معالم .

(٢) عن معني الطلب/ ١٢.

(٣) كأنه سأل ربه أأنذرهم أم لا فأجابه/ ١٢.

(٤) مؤكدة لجملة قبلها وهي قوله "سواء عليهم" إلخ / ١٢ منه.

(٥) يعني بحذف المضاف/ ١٢

بخلاف المعقولات والمبصرات فإنها أنواع من الجواهر والأعراض ، ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: غطاء والحاصل أنه أحدث فيهم شيئًا يمرنهم على حب الكفر لا يفقهون الحق ولا يسمعون ولا يبصرون ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: حقيقة لأن قلوبهم لا تطابق لسانهم نزلت في المنافقين ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويعتقدون أنه ينفعهم[1] عند الله كنفعهم عند بعض المؤمنين كما قال تبارك وتعالى : " يوم يبعثهم الله جميعًا " الآية (الممتحنة:١٨)،أو يعملون عمل المخادع أو المراد من مخادعة الله مخادعة رسوله ، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: دائرة الخداع راجعة إليهم في الدنيا أيضًا مفتضحون ولا يحسون لغفلتهم ، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق ، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: كلما كفروا بآية ازدادوا مرضًا ونفاقًا ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بسبب كذبهم ومن قرأ "يكذبون" بالتشديد فمعناه بتكذيبهم آيات الله ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: للمنافقين ﴿لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾: بالكفر والمعصية وإظهار أسرار المؤمنين مع الكفار ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: أي : على الهدى نداري الفريقين المؤمنين والكافرين ونصطلح معهم ونريد الإصلاح بينهم وبين أهل الكتاب ، ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾: ردهم أبلغ رد لتعريضهم على المؤمنين في قولهم إنما نحن مصلحون ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾: المهاجرون والأنصار أو مؤمنو أهل الكتاب ، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: الهمزة للإنكار واللام[2] للناس والسفه خفة رأى وهذا قول سرهم فيما بينهم فأفضحهم الله ، ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا[3]﴾: صادفوا ﴿الَّذِينَ

---

(١) أي : الخداع / ١٢ منه .

(٢) أي : لام السفهاء لام عهد ، أي : الناس .

(٣) حديث لقي ابن أبي وأصحابه أبا بكر وعمر وعليًا -رضي الله عنهم- وقال لأصحابه "انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ؟! فأخذ بيد أبي بكر وقال: مرحبًا بالصديق سيد بنى تميم وشيخ الإسلام ، ثم أخذ بيد عمر وقال: مرحبًا بسيد بنى عدى الفاروق

آمَنُوا **قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾**: خلوت بفلان وإلى فلان إذا انفردت معه وشياطينهم سادهم أو أصحاهم **﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾**: في الدين ، **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾**: نلعب بالمؤمنين ، **﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾**: يجازيهم جزاء استهزائهم أو يرجع وباله إليهم أو يعاملهم معاملة المستهزئ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما يُفْتَحُ لهم بابٌ في الجنة فإذا انتهوا إليه سُدّ عنهم ورُدُّوا إلى النار ، **﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾**: يملى لهم ويمهلهم فحذف اللام أو يزيدهم ويقويهم **﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾**: تجاوزهم عن الحد **﴿يَعْمَهُونَ﴾**: يتحيرون والعمه في البصيرة والعمى في البصر ، **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾**: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، **﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾** ، أسند إليها وهو لأرباها لمشاهة التجارة الفاعل من حيث إها سبب الربح والخسران ، **﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾**: لطرق التجارة **﴿مَثَلُهُمْ**[1] **كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾**:

= القوى في دينه ، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبًا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى أصحابه فرحًا مستهزئًا فترل " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون " ذكره غير واحد من المفسرين ورواه الشعبي والواحدى عن السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الشيخ بن حجر العسقلاني هو سلسلة الكذب والكلبي متهم بالكذب والسدي الصغير كذاب وأبو صالح ضعيف وآثار الوضع ظاهرة عليه إذ سورة البقرة نزلت أوائل الهجرة وتزوج [إشارة إلى استبعاد قوله:"وختنه".] فاطمة في السنة الثانية من الهجرة / ١٢.

(١) ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء ولأن المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأنًا عظيمًا في إبراز خفية المعاني ورفع أستار محجبات الدقائق ولهذا استكثر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر من ذلك في مخاطباته ومواعظه،=

أى : حالهم كحال الذين أوقدوا ، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾: النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ ، وأمنوا ما يخافون ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ، المراد من إيقادها فبقوا في ظلمة وخوف، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾: جمع الظلمة لكثرتها، ثم إن المنافقين بإظهار الإيمان أمنوا في الدنيا وإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف ، أو المراد إيمانهم أولاً ثم كفرهم ثانيًا، فيكون إذهاب النور في الدنيا كما قال تعالى : " ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا " الآية (المنافقون:٣)، وهذا منقول عن كثير من السلف ، ﴿صُمٌّ﴾: أى : هم عن قبول الحق صم ، ﴿بُكْمٌ﴾: عن قول الحق ، ﴿عُمْيٌ﴾: لا يبصرونه ، فهذا فذلكة[1] التمثيل فالضمير للمنافقين أو للمستوقدين والمعنى لما أذهب نورهم أدهشتهم الظلمة بحيث اختلت حواسهم ، ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾: إلى الهدى الذي باعوه ، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾: كأصحاب مطر أو سحاب وهو مثل آخر وأو للتساوي كجالس الحسن أو ابن سيرين ، أي : أنت مخير في التمثيل بأيهما شئت، وقال بعض المفسرين: إن هذين مثلان لقومين أي : مثل بعضهم هذا ومثل بعضهم هذا فإنهم لا يخلون عن أحد هذين المثلين ، ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: من جميع جوانب السماء لا من أفق دون أفق وفهم هذا من السماء المعرف أو من السحاب﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾: في المطر أو السحاب ظلمة تكاثف المطر والغمامة والليل وهي فاعل الظرف ، ﴿وَرَعْدٌ﴾: ملك موكل بالسحاب فيطلق على صوته أو صوت يسمع من السحاب﴿وَبَرْقٌ﴾: نار تخرج من السحاب أو لمعان صوت الملك أو نار طارت من فيه إذا اشتد غضبه﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ﴾: أناملهم ﴿فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾: شدة صوت الرعد ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: مخافة الهلاك ،

= قال ابن جرير: وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال تعالى : " رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت " (الأحزاب:١٩)، وقال تعالى: " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا " (الجمعة:٥).

(١) أي : خلاصة التمثيل / ١٢ .

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به لا ينجيهم الخداع ، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ﴾: يأخذ بسرعة ﴿أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم﴾: أضاء لازم أو متعد ، أي : أضاء لهم ممشى ﴿مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ وكذلك أظلم لازم أو متعد ، ﴿قَامُوا﴾: وقفوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، فليحذروا شبّه[1] القرآن والإيمان بالصيب وما فيه من شبه المبطلين واعتراضاتهم بالظلمات وما فيه من الوعيد والأهوال وذكر النار والحساب بالرعد وما فيه من الوعد والآيات الباهرة بالبرق وتصامُّهم عن الوعيد بحال من يهوله الرعد فيسد أذنه مع أنه لا خلاص عنها ويدل عليه قوله تعالى : " والله محيط بالكافرين " واهتزازهم لما ظهر لهم من غنمية وراحة يطمح عليه أبصارهم بمشيهم في ضوء البرق وتحيرهم في الأمر وتوقفهم حين عروض شبهة أو بلاء ومحنة بتوقفهم إذا أظلم ثم نبه بقوله: "ولو شاء الله لذهب" إلخ على أن السمع والبصر والتوسل إلى الفلاح وهم صرفوهما إلى الحظوظ العاجلة

---

(١) شبه القرآن إلخ الأولى والأمثل أن يجعل التمثيلين من المركبة دون المفرقة فلا يتكلف لكل واحد شيء يقدر شبهه به فنقول في الأول حيرة المنافقين وشدة الأمر عليهم بما يكابده من إطفاء ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل الأليل، وفي الثاني شبه حالهم بحال من أخذته السماء بانتساج المطر الهالك مع تكاثف ظلمة الليل والسحاب الأسود وتواتر الرعد القاصف والبرق الخاطف ووهم الصواعق الخارقة المحرقة في أثناء ذلك قلق واضطراب من خوف الهلاك متشبثين بما لا يدفع عنهم الموت كالغريق ولو قلت لا يطمئن قلبي إلا بأن يتكلف ويتكفل لكل واحد شيئًا يقدر شبهه به فاستمع يمكن شبّه القرآن ودين الإسلام بالصيب فإنه يحيى القلوب كالمطر يحيى الأرض بعد موتها إلى آخر ما في التفسير / ١٢ وجيز .

وسدوهما عن الفوائد الحقيقية ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فإنه قادر مطلق .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عام للمؤمن والكافر والمنافق ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: وحدوه ، ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: اخترعكم من غير سبق مثال ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾، عطف على مفعول خلق ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[1]﴾ ، أي : اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين، أو خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى أو خلقكم لكى تتقوا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾: بساطًا غير حزنة غليظة ، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: قبة مضروبة عليكم ، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: السحاب ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بيان تقدم ﴿رِزْقًا﴾: مرزوقًا أو من للتبعيض ورزقًا مفعول له ﴿لَّكُمْ﴾: صفة رزقًا على الأول ومفعول المصدر على الثاني ، ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا[2]﴾: أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله تعالى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ والحال أنكم من أهل العلم، أو تعلمون أن

---

(١) وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك ؟ قال بلى قال فما عملت قال شمرت واجتهدت قال فذلك التقوى / ١٢ تفسير ابن كثير .

(٢) قوله أندادًا و الند المثل المنادد ونادتت الرجل أي: خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات والصفات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسميته ما يعبده المشركون من دون الله أندادًا وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولأنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا لله أندادًا لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل :

أربًّا واحدًا أم ألف رب ... أدين إذ تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعًا ... كذلك يفعل الرجل البصير

١٢ بيضاوي .

أن الأنداد لا تماثله بوجه ، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾: أي: القرآن ، ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾: طائفة من القرآن معبر عنها بسورة كذا ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾: مثل القرآن في البلاغة والإخبار عن الغيب ، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾: واستعينوا بأعوانكم أو آلهتكم ، ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أى :ادعوا من شئتم غير الله ، وقيل : ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه علامة العجز ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنه من كلام البشر ، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: فيما مضى ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾: بعده أبدًا وهذه معجزة أخرى ﴿فَاتَّقُوا﴾: احذروا واتقوا بالإيمان ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾: ما يوقد به النار ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: حجارة الكبريت فتكون أشد[1] وأنتن وأظلم وهو قول كثير[2] من السلف وقيل حجارة الأصنام ،﴿أُعِدَّتْ﴾: النار والحجارة ﴿لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ﴾: البشارة خبر سار يظهر أثر السرور في البشرة[3] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: عملاً بلا رياء، أو كل ما حسنه الشرع ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: بأن لهم ﴿جَنَّاتٍ﴾: دار الثواب وهي سبعة[4] ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾: تحت أشجارها وغرفها ﴿الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ مبتدأ من الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾: بيان تقدم كرأيت منك أسدًا[5] ﴿رِّزْقًا﴾: مرزوقًا ﴿قَالُوا هَذَا﴾: مثل ﴿الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾: في

---

(١) فيه رد على القاضي حيث قال إنه إبطال المقصود إذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت/١٢ .

(٢) كابن عباس وابن مسعود وعلي بن الحسين وجعفر وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) قيل الصحيح أن كل خبر يغير البشرة من خير أو شر بشارة لكن أكثر استعماله في الخير وقد صرح بذلك سيبويه هذا في المنهية ورجح صاحب الوجيز هذا القول/١٢ .

(٤) جنة الفردوس وعدن ونعيم ودار الخلد ودار السلام وجنة المأوى وعليون / ١٢ منه .

(٥) كأنه انتزع منه الأسد لكماله في الشجاعة / ١٢ [ويسمى فى البلاغة بالتجريد] .

الدنيا أو في الجنة ، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾: في الهيئة واللون دون المقدار والطعم فأين طعم فواكه الجنة من الدنيا؟! أو يشبه بعضها بعضًا من جميع الوجوه إذ طعم فواكه الجنة متقاربة عطف على قالوا مقررة للجملة ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: نساء وجوار مطهرة مما يستقذر ويذم منهن كالحيض ودنس الطبع ، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[1] ﴾: ليس لهم خوف فوات نعمة.

ولما قالت الجهلة: الله أجل من أن يضرب الأمثال بالصيب والمستوقد وبيت العنكبوت والذباب فنزلت[2] ، ﴿إِنَّ[3] اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي﴾: لا يستنكف[4] من ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: أن يبين شبهًا ﴿مَّا﴾ أي : أيَّ مثل ﴿بَعُوضَةً﴾: صغار البق عطف بيان لمثلاً ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الصغر والحقارة كجناحها[5] أو في الكبر كالذباب ،

---

(١) الخلود المكث الطويل المتناهي أو غير المتناهي وإطلاقه على المتناهي بطريق الحقيقة أو المجاز قولان / ١٢ منه .

(٢) وبين أن لا دخل لحقارة المثل في الممثل وذلك من ديدن الأدباء من العرب العرباء/١٢ وجيز .

(٣) ثم إنه تعالى لما دفع عنهم بالدليل ريبهم المبهم في القرآن وأردف كما هو عادة كلام الله حال المتقين بحال الشاك أخذ يفحمهم بأن لا مطعن في لبعض [كذا بالأصل] آياته الذي هو الأمثال هو ريبهم لمعين فقال : " إن الله لا يستحيي " الآية /١٢ م.

(٤) لا يترك المثل ترك من لا يستحي [كذا بالأصل.] أن يمثل بأمثال البعوضة لحقارتها فإن الحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وفي الحديث (إن الله حيي كريم) الحديث/ ١٢ منه . [صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، وانظر صحيح الجامع (١٧٥٧)].

(٥) كما تقول: فلان شحيح جاهل فيقول السامع: نعم وفوق ذلك قال الإمام الرازي: هو قول أكثر المحققين/ ١٢ منه .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ المثل ﴿الْحَقُّ﴾: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا﴾: أي شيء ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾: نصب على التمييز أو الحال ، ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾: بالمثل ﴿كَثِيرًا﴾: من الكفار ، أي : إضلال كثير وضع الفعل موضع المصدر جواب[1] ماذا ، ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾: من المؤمنين ، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾: الخارجين عن حد الإيمان ، ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾: يفسدون ويتركون ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: هو قوله: "ألست بربكم" (الأعراف:١٧٢)، أو عدم كتمان شيء نزل من عند الله في الكتب ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: توكيد العهد من الآيات في الكتب ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾: أى: كقطع الأرحام والقرابات أو أعم كالإعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الآيات في التصديق وهو بدل من ضمير به ، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾: بأنواع المعاصى ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: باشتراء الفساد والعقاب بالصلاح والثواب ، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾: معناه التعجب أي : أخبروني على أي حال تكفرون ، ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾: ترابًا أونطفًا في أصلاب الآباء ، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: بخلق الحياة فيكم أو في الأرحام، ومعنى الفاء في الثاني أظهر ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: في الدنيا ، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: عند نفخ الصور ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾: بعد الحشر لجزاء العمل.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾: لاجل انتفاعكم ﴿مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لكى تنتفعوا به وتعتبروا، جميعًا حال من ما ، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى[2] إِلَى السَّمَاءِ﴾ ، قصد وارتفع إليه

---

(١) أي أراد الله بهذا إضلال كثير وهداية كثير / ١٢ منه .

(٢) قال أبو العالية الرياحي: استوى إلى السماء أي : ارتفع، نقله البخاري عنه في صحيحه ورواه محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن ربيع بن أنس، وقال البغوي: قال ابن عباس وأكثر مفسري القرآن : ارتفع إلى السماء وقال الخليل بن أحمد في ثم استوى إلى =

فخلق السماء بعد خلق الأرض لكن دحوها متأخر هكذا ذكره ابن عباس وفيه إشكال سنذكره في سورة (والنازعات) والأولى أن ثم للتراخي الرتبي لا الزماني على أن فيه أيضًا ما ستقف عليه ، ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: الضمير للسماء لأنه في معنى الجمع عدلهن مصونة عن العوج والفتور ، ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ[1]﴾: بدل أو تفسير ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن بالعلم يصح الخلق ويحكم الفعل.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ

= السماء: ارتفع رواه أبو عمر ابن عبد البر في شرح الموطإ له كل هذا نقله الذهبي في كتاب العلو له / ١٢.

(١) قد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن ما بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وأنها سبع سموات وأن الأرض سبع أرضين ولم يأت في التتريل ولا في السنة المطهرة تصريح بأن فيهن من يعقل من العوالم والأوادم وأنبيائهم والآثار عن الصحابة ومن بعدهم إن جاءت بسند صحيح لا تصلح للاحتجاج على ذلك فكيف بما لم يصح سنده أو صح ولكن لم يتابع عليه أو تُوبع ولكن لم يساعده نص من الله ورسوله / ١٢ فتح .

ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾: أي : واذكر إذ **﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾**: مطلق الملائكة أو ملائكة[1] الأرضين وهو تعداد نعمة ثالثة عامة[2] **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾**: يعني آدم هو خليفة الله في أرضه ينفذ قضاء الله وأحكامه أو المراد من الخليفة البدل ، أي : من الجن والملائكة فإنهما كانا سكان الأرض حينئذ أو المراد قوم يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن كقوله تعالى: "وهو الذى جعلكم خلائف الأرض" (الأنعام:١٦٥)، **﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾** كما فعله[3] الجن قبلهم وهو تعجب واستكشاف[4] عما خفي عليهم من الحكمة ، **﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾**: نبعدك[1] عن

---

(١) هذا مذهب ابن عباس وبعض آخر / ١٢ منه .

(٢) فإن الأولى بينت بقوله : " كنتم أمواتًا " ، والثانية بقوله : " خلق لكم ما في الأرض جميعًا "/١٢ منه .

(٣) قاسوا حال الإنس على حال الجن، وعن كثير من السلف أنه تعالى قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة له ذرية يفسدون ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً/١٢ وجيز .

(٤) لا اعتراض على الله / ١٢ .

السوء ، ﴿بِحَمْدِكَ﴾: متلبسين به ، ﴿وَنُقَدِّسُ﴾: نطهر نفوسنا عن المعاصي ، ﴿لَكَ﴾: لأجلك أو نقدسك عما أضاف إليك الكفرة فاللام زائدة ، ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾: من المصلحة أو بأن أجعل فيهم الأنبياء والصديقين والشهداء أو أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس ، ﴿وَعَلَّمَ[2] آدمَ الأَسْمَاءَ﴾: خلق في قلبه علمًا ﴿كُلَّهَا[3]﴾: اسم كل شيء حتى القصعة[4] والقصيعة[5] ، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: الضمير للمسميات إذ التقدير أسماء المسميات والتذكير لتغليب العقلاء ﴿عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي﴾: أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ تبكيت وتنبيه لهم على قصورهم ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[6]﴾ أنكم أحقاء بالخلافة أو لن يخلق الله تعالى خلقًا أعلم منكم فإن الملائكة قالوا ذلك بينهم ، ﴿قَالُوا﴾ إقرارًا بالعجز ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ، صدروا الكلام به استعذاراً عن الجرأة في الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ، ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ﴾: الذي لا يخفي عليه خافية ﴿الحَكِيمُ[7]﴾:

---

(١) قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين وعليها يرزقون / ١٢ معالم .

(٢) قال في الكشاف: وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل واشتقاقه من الأدمة وغيرها تعسف / ١٢ فتح .

(٣) قال في المظهري: وعندي أن الله علم آدم الأسماء الإلهية كلها، ثم رجح هذا بكلام طويل وهو غير راجح مع ما فيه من البعد والتكلف ولم يقل به أحد من المفسرين ويأباه ظاهر النظم وسياقه / ١٢ فتح .

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة / ١٢ معالم .

(٥) حتى مصغر الأشياء / ١٢ منه .

(٦) فإنكم إذا كنتم لا تعلمون أسماء ما عرضت عليكم وأنتم تشاهدونه فمن أين لكم علم بأنكم أحقاء بخلافتي؟ كذا قاله ابن عباس / ١٢ وجيز .

(٧) وفي الآية من الدلالة على شرف العلم وجلالة محله وإفاقته على سائر الكمالات وإن لم يكن علمًا متعلقًا بذات الله وصفاته كما لا يخفى / ١٢ وجيز .

القاضي العدل، أو المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة ، ﴿قَالَ﴾: لما ظهر عجزهم ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم﴾: أعلمهم ، ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ، قال: أنت جبريل، أنت ميكائيل حتى وصل الغراب ، ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وظهر فضل آدم عليه السلام عليهم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾: استفهام توبيخ فإن الأدب التوقف لأن يبين ، ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ[1]﴾: ما غاب فيهما عن الخلق ، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: أى: أعلم ما تظهرونه بألسنتكم وما تخفونه في أنفسكم، فلا يخفى عليَّ شيء من قولكم علانية أتجعل فيها من يفسد فيها وسرًا لن يخلق الله خلقًا أكرم[2] عليه منا وما أسر إبليس من الكبر في نفسه ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ عطف على "وإذ قال" ﴿لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: السجود حقيقي طاعة لله وتعظيمًا لآدم وهو مشروع قبل انحناء[3] لا وضع جبهة أو السجود لله وآدم قبلة وقد ضعفهما[4] بعض العلماء ، ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه من نوع من الملائكة المسمين بالجن وصح عن الحسن رضي الله عنه أنه ليس[5] منهم ، ﴿أَبَى﴾: امتنع ، ﴿وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾ ، في سابق علم الله أو صار[6] ، ﴿مِنَ

---

(١) وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والأرض رد لما يتكلفه كثير من العباد من الاطلاع على شيء من علم الغيب كالمنجمين والكهان وأهل الرمل والسحر والشعوذة/١٢ .

(٢) كذا فسره السلف / ١٢ وجيز .

(٣) ويرده قوله تعالى : " فقعوا له ساجدين " / ١٢ منه .

(٤) الإمام الرازي وأطال في تزييفهما / ١٢ منه .

(٥) وما في سورة الكهف من قوله تعالى : " كان من الجن ففسق عن أمر ربه " يؤيد ذلك/١٢ وجيز .

(٦) صار كافرًا لأنه استكبر واعترض على الله وأيضًا أمره الله بالسجود لا في ضمن العموم فامتنع وأبي وذلك كفر / ١٢ منه .

﴿الْكَافِرِينَ﴾ ، أو كان كافرًا من الجن فأسلم وعمل عمل الملك ثم كفر ، ﴿وَقُلْنَا﴾ ، بعد سجود الملائكة ، ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ، دار الخلد وقيل بستانًا في الأرض ، ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ ، أكلا ، ﴿رَغَدًا﴾ ، واسعًا ، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ، أي : مكان من الجنة ، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ، بالأكل والأصح أنها شجرة معينة لا تتعين[1] عندنا ، ﴿فَتَكُونَا﴾ ، عطف على "تقربا" أو جواب النهي ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين وضعوا أمر الله تعالى غير موضعه ، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾: الضمير للشجرة ، أي : حملهما على الزلة بسببها أو للجنة أي فبعدهما عن الجنة ، ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من النعيم والكرامة ، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾: انزلوا على الأرض جمع الضمير لأنهما أصلا الإنس فكأنهما الجنس أو المراد هما والشيطان ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أى: متعادين والعداوة بين ذريتهما لقوله تعالى : " قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو " (طه:١٢٣)، أو بين المؤمنين والشيطان ، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: موضع قرار ، ﴿وَمَتَاعٌ﴾: تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾: الموت وقيل القيامة ، ﴿فَتَلَقَّى﴾: تلقن ﴿آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾: ومن قرأ برفع كلمات ونصب آدم فمعناه بلغته وهي : " ربنا ظلمنا أنفسنا " الآية (الأعراف:٢٣)، أو غيرها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: رجع عليه بالرحمة ، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: يقبل التوبة ويكثر إعانتهم عليها ﴿الرَّحِيمُ﴾: المبالغ في الرحمة ، ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كرر للتأكيد وليترتب عليه قوله ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾: يا بني آدم ، ﴿مِّنِّي هُدًى﴾: أنبياء والبيان ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾: أقبل على الهدى وقبل ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حين يشتد الأمر على العصاة ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا، والشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأول ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قسيم لمن تبع ، أي:

---

(١) وليس في السنة الصحيحة ما دل على تعيينها وعند كثير من السلف إنها الكرم وعند اليهود إنها الحنطة / ١٢ .

كفروا بالآيات المترلة جنانًا وكذبوا لسانًا، أو كفروا بالله وكذبوا بالآيات ﴿**أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**(١)﴾.

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**(٢)﴾ أي : أولاد يعقوب هيجهم بذكر أبيهم ، أي : يا بني العبد المطيع لله ﴿**اذْكُرُوا**﴾: احفظوا ولا تنسوا، أواشكروا ، ﴿**نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ**

(١) قوله تعالى : " خالدون " ولما بين أن لا خوف ولا حزن على تابع الهدى وغضب الله دائم على الكافر المكذب نادى أهل الكتاب الباقين المعاندين وعد عليهم نعمه ووعدهم بالإيفاء وأوعدهم بالمخالفة وهم أولى الخلق باتباع الهدى / ١٢ وجيز .

(٢) واعلم أن كثيرًا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتره عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب =

....

= سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ومن تأخره وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن مازال يترل مفرقًا على حسب الحوادث المقتضية لتروله منذ نزل الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية لترول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالاً وتحليل أمر كان حرامًا وإثبات أمر لشخص أو أشخاص تناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحينًا في عبادة وحينًا في معاملة ووقتاً في ترغيب ووقتًا في ترهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة وطورًا في أمر دنيا وتارة في أمر آخرة ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية وإذا كانت أسباب الترول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها باعتبار نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا الأمر لابد منه وأنه لا يكون القرآن بليغًا معجزًا إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الأمر الموجب للارتباط فإن وجد الاختلاف بين الآيات رجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفًا محضًا وتعسفًا بينًا انقدح في قلبه ما كان عليه في عافية وسلامة هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتبًا على هذا الترتيب الكائن في المصحف فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب وأيسر حظ من معرفته يعلم علمًا يقينًا أنه لم يكن كذلك ومن شك في هذا -وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم- رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب الترول المطلعين على حوادث النبوة فإنه ينثلج صدره ويزول عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة فضلاً =

....

= عن المطولة فإنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل " اقرأ باسم ربك الذي خلق " (العلق:١)، وبعده " يأيها المدثـــر " (المدثر:١)، " يأيها المزمل " (المزمل:١)، وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف وإذا كان الأمر هكذا فأي معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعًا أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزل الله متأخرًا وتأخر ما أنزل الله متقدمًا فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة وما أقل نفع مثل هذا و أنزر ثمرته وأحقر فائدته بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاداته وإلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحًا وأخرى هجاءً وحينًا تشبيهًا وحينًا رثاءً وغير ذلك من الأنواع المتخالفة فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ثم تكلف تكلفًا آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك وناسب بين الإنشاء الكائن في العزى والإنشاء الكائن في إلهنا وما يشابه ذلك لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصابًا في عقله متلاعبًا بأوقاته عابثًا بعمره الذي هو رأس ماله وإذا كان مثل هذا بهذه المترلة وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي فأنزله بلغة العرب وسلك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد يأتي بفنون مختلفة وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين فضلاً عن المقامات فضلاً عن جميع ما قاله مادام حيًّا وكذلك شاعرهم ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي يعثر في ساحاتها =

﴿عَلَيْكُمْ﴾: فلق البحر وجعل الأنبياء فيهم وإنجاءهم من فرعون وغيرها ولا شك أن نعمة الآباء نعمة الأبناء ، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في محمد عليه الصلاة والسلام أو في امتثل أمري، ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: ارضى عنكم وأدخلكم الجنة، أو بالقبول والثواب ، ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ خصوصًا في نقض العهد ، ﴿وَءامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾ ، أى: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ فإنكم تجدون محمدًا مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل ، ﴿وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾: أول فوج يكفر بما أَنزَلْتُ من أهل الكتاب ، ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا﴾: لا تستبدلوا ، ﴿بِآيَاتِي﴾: بالإيمان بها ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾: الدنيا بحذافيرها، أو ما يصيب العلماء من السفلة فإنهم عينوا كل سنة للعلماء شيئًا فخافوا إن أسلموا يفوت ذلك عنهم وتفوت الرياسة[1] أيضًا، فكتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾: أي : فاخشون لا فوات الرياسة ، ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ ، أي : لا تخلطوه، فإن علماء اليهود يزيدون في آيات الله ما يشتهون ، ﴿وَتَكْتُمُوا الحَقَّ﴾ ، عطف على المنهي ، أو وأن تكتموا الحق فالواو للجمع، أي : لا تجمعوا[2] بينهما ، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بأنكم تكتمون[3] وتلبسون ، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ أي: صلاة المسلمين ، ﴿وَءاتُوا الزَّكَاةَ﴾ ، أي : زكواتهم والمراد طاعة الله تعالى والإخلاص ، ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أي : كونوا مع المؤمنين في أحسن

= كثير من المحققين وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام فإذا قال متكلف كيف ناسب هذا ما قبله قلنا لا كيف:

فدع عنك نهباً صيح في حجراته   وهات حديثًا ما حديث الرواحل

(١) كذا فسر به الحسن البصري وسعيد بن جبير / ١٢ منه .

(٢) أي : بين تلك الخصلتين القبيحتين / ١٢ .

(٣) والكتمان والإلباس في حال العلم بهما أقبح / ١٢ منه .

أعمالهم وهو الصلاة ، عبر عن الصلاة بالركوع لأن صلاة اليهود ليس فيها ركـوع ، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾: بالإيمان ، ﴿وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تتركوهـا من البـر كالمنسيات، نزلت في أحبار اليهود ينصحون سرًا باتباع محمد عليه الصلاة والسـلام ولا يتبعونه[1]، ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ﴾: تقرءون ، ﴿الكِتَابَ﴾: التوراة التي فيها الوعيد على العناد ومخالفة القول العمل ، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾: قبح صنيعكم ، ﴿وَاسْتَعِينُوا بِـالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾: لما أمروا بما هو شاق عليهم وهو ترك المال والرياسة عولجوا بالاسـتعانة على طلب الآخرة بحبس النفس عن المعاصي أو الصيام لما فيه من كسر الشـهوات أو الصبر على أداء الفرائض والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ﴿وَإِنَّـهَا﴾ أي : الصلاة فإن الصبر داخل فيها ، قيل : تقديره إنه لكبير وإنها لكبيرة فحذف اختصـارًا و لم يقل وإنهما إشارة إلى أن كلاً منهما لكبير ، أوالضمير للاستعانة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة ﴿إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ ﴾: المؤمنين حقًّا الساكنين إلى الطاعة ، قال ابن جرير : الآيـة عامة لبني إسرائيل وغيرهم ، ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يتيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلاقُـوا رَبِّـهِمْ﴾: محشورون إليه ، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾: أمورهم راجعة إليه فيحكم بالعدل.

﴿ يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ

---

(١) هذا قول ابن عباس وقال غيره: معناه أتأمرون الناس بقبول أحكام التـوراة وتنسـون أنفسكم فتتركون ما فيها من الإيمان بمحمد عليه السلام / ١٢ منه.

وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وهو كما مر جعل الأنبياء فيهم وخلاصهم من البلاء كرره تأكيدًا ، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾: بما أعطيتم من الملك والكتب والرسل ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: عالمي زمانكم وتفضيل الآباء شرف الأبناء ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾: احذروا ما فيه من العقاب ﴿لاَّ تَجْزِي﴾: لا تقضي فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾: من الحقوق أو من الجزاء فنصبه على المصدر حينئذ والجملة صفة يومًا، ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾: في شأن الكفار رد عليهم حيث قالوا: آباؤنا الأنبياء

شفعاء لنا ، ﴿وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[1]: فداء وقيل بدل، ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾: ولا لهم ناصر يمنعهم من العذاب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾: عطف على نعمتي وتفصيل لها ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، أتباعه ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يبغونكم، والجملة حال ، ﴿سُوءَ العَذَابِ﴾: أفظعه وأشده نصب على مفعول يسومونكم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: يقتلون بيان ليسومونكم[2] ﴿أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يتركون أحياء للخدمة ﴿نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم﴾: صنيعهم ، ﴿بَلاءٌ﴾: محنة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾: أو[3] الإشارة إلى الإنجاء فالبلاء بمعنى النعمة وهو قول كثير من السلف[4].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾: فصلنا بين بعضه وبعض ﴿بِكُمُ البَحْرَ﴾: كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما أو بسببكم أوملتبسًا بكم ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ اقتصر على ذكر الآل للعلم بأن فرعون أولى بالغرق ، ﴿وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴾: غرقهم. ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾: واعدنا بمعنى وعدنا ، أو الله وعد الوحي وموسى المجيء إلى الطور ﴿مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ، يعني انظر إلى نعمتي عليهم ثم إلى كفرانهم ثم إلى عفوي عنهم ، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ﴾ ، إلهًا ، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد مضى موسى ، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ، بشرككم ، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾: محونا ذنوبكم ، ﴿عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، أي : الاتخاذ ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾: لكي تشكروا عفوي ، ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ ، أي : الجامع بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل وقيل الفرقان

---

(١) أصل العدل التسوية سمي به الفدية لأنها سويت بالمفدى / ١٢ منه .

(٢) أي: الجملة بيان للجملة، ولذلك ترك العاطف / ١٢ منه .

(٣) عطف على قوله صنيعهم بحسب المعنى / ١٢ منه .

(٤) كابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم / ١٢ منه .

انفراق البحر ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا بالكتاب ، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: العابدين للعجل ، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾: معبودًا ، ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾: خالقكم ، قالوا كيف نتوب ؟ قال : ﴿فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: كل منكم من لقي فأصابتهم سحابة سوداء لا ينظر بعضهم بعضًا ففعلوا فغفر الله للقاتل والمقتول والقتلى سبعون ألفًا أو ليقتل البريء المجرم ، ﴿ذَلِكُمْ﴾ ، أي : القتل ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ ، من حيث إنه وصلة إلى الحياة الأبدية ، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ، أي : ففعلتم فتاب عليكم ، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: الذي يكثر قبول التوبة ، ﴿الرَّحِيمُ﴾: المبالغ في الرحمة ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ﴾: لن نقر ، ﴿لَكَ﴾ ، أي : اذكروا نعمتي بعد الصعق ، إذ سألتم ما لا يستطاع لكم ، فإن موسى اختار سبعين رجلاً ليعتذورا إلى الله من الشرك ، فلما سمعوا كلام الله قالوا ذلك ، ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عيانًا ونصبه على المصدر أو الحال ، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: صيحة من السماء أو نار ، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: ما أصابكم فلما هلكوا بكى وتضرع موسى قائلاً: ماذا أقول لبني إسرائيل إذ أهلكت خيارهم؟ فتضرع وتناشد حتى أحياهم الله تعالى وهذا قوله ، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم﴾: أحييناكم ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: بسبب الصاعقة ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمة البعث وكلام بعض السلف أن طلب الرؤية حين خرجوا لأجل التوبة من عبادة العجل، وكان قبل الأمر بالقتل وكلام بعض أخران هذا بعد القتل والله أعلم ، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ[1]﴾: السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه ، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ﴾: الترنجبين أو عسلاً ألذ من عسلنا أو خبز الرقاق ،

---

(١) صرح كثير من السلف أنه ليس من جنس غمامنا، بل نوع آخر ألطف وأبرد وأنور/١٢ منه .

﴿**وَالسَّلْوَى**﴾: طير هو السماني أو يشبه السماني ، ﴿**كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ**﴾ ، أي: قلنا لهم كلوا من حلالات ، ﴿**مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا**﴾ ، يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فحذف اختصارًا ، ﴿**وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾: بالكفران ، ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا**﴾ أمروا به بعد التيه ، ﴿**هَذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾ ، بيت المقدس أو أريحا ، قيل هم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى ، ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا**﴾: واسعًا منصوب على المصدر ، ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ**﴾: القرية ، ﴿**سُجَّدًا**﴾: منحنين كالركع تواضعًا أو ساجدين لله شكرًا ، ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ ، أي : مسألتنا حطة ، أي: حط عنا خطايانا ، أمروا بالاستغفار كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أي : مغفرة استغفروا ، وقيل أقروا بالذنب ، قال عكرمة : قولوا لا إله إلا الله ، ﴿**نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ**﴾: بسجودكم ودعائكم وهو جواب الأمر ، ﴿**وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾: ثوابًا وإحسانًا ، ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾: فقالوا حبة في شعرة ، أو حنطة ، وحاصله أنهم أمروا أن يدخلوا سجدًا فدخلوا يزحفون على أستاههم رافعي رءوسهم ، وأمروا أن يستغفروا فاستهزءوا وهذا غاية العناد والمخالفة، ولهذا قال الله تعالى﴿**فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ**﴾: عذابًا[1] أو طاعونًا أو بردًا ، ﴿**بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾: بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى .

﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ

---

(١) فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفًا / ١٢ معالم .

وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ ، أي : اذكروا[1] نعمتي في إجابتي دعاء نبيكم في شأنكم لما عطشتم في التيه ، **﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾**: حجر خفيف مربع[2] قيل إذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء ، وعند بعض أنه لم يكن حجرًا معينًا ، بل يضرب أي حجر كان فينشق ، **﴿فَانفَجَرَتْ﴾**، تقديره فضرب فانشقت ، **﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾**: كل سبط ، **﴿مَّشْرَبَهُمْ[3]﴾**: عينهم التي يشربون منها خاصة بهم ، **﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾** ، أي : قلنا لهم ذلك ، **﴿مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾** ، أي: ما رزقكم الله من المن والسلوى وماء العين ، **﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾**: لا تعتدوا ، **﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾**: حال إفسادكم[4] ، **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ﴾** ، أي : اذكروا نعمتي في إنزال المن والسلوى طعامًا طيبًا نافعًا ثم اذكروا سؤالكم استبدال الأطعمة الدنية بذلك ، **﴿عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾** ، كانوا يأكلون المن بالسلوى

---

(١) ذكرهم نعمة إجابة دعوة نبيهم في شأهم حين عطشوا في التيه مع أهم مذنبون والسقي والتظليل في التيه ودخول القرية بعده و لم يراع الترتيب في ذكرها قصدًا إلى بيان تكثير النعم / ١٢ وجيز .

(٢) نقله البغوي عن ابن عباس / ١٢ .

(٣) وضمير الجمع لمعنى كل أناس / ١٢ وجيز .

(٤) أي : أنتم مفسدون لكن لا تزيدوا فيه /١٢ وجيز .

فيكون واحدًا أو أرادوا بالوحدة أنها لا تتبدل كما يقال طعام فلان واحد ، أي لا يتغير ألوانه ، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: سله بدعائك لنا إياه ، ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾: يظهر لنا مجزوم بجواب فادع ، ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾: من الخضروات ما لا ساق لها تفسير لما تنبت وقع موقع الحال ، ﴿وَقِثَّائِهَا﴾ ، هو معروف ، ﴿وَفُومِهَا﴾ ، هو الحنطة أو الثوم والعرب[1] تقلب الفاء ثاء والثاء فاء، أو الخبز أو اسم لكل حب يؤكل، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾: موسى ، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾: أخس، ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: المن والسلوى لنفعهما أو طعمهما وعدم الحاجة إلى السعي ، ﴿اهْبِطُوا[2] مِصْرًا﴾: مصرًا من الأمصار ، أي : هذه الأشياء كثيرة في الأمصار لا حاجة إلى الدعاء أو مصر فرعون وجاز صرفه لسكون وسطه ، ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾: فيها ، ﴿مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ[3]﴾: كضرب القبة ، ﴿الذِّلَّةُ﴾: الجزية فيكون المراد يهود وقعوا في عصر نبينا عليه الصلاة والسلام أو الهوان ، ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الفاقة أو فقر القلب و لم يزل عليهم أثر البؤس وإن كانوا ذوى مال ، ﴿وَبَاءُوا﴾ ، أي: صاروا

---

(١) نحو مغاثر ومغافر وأثاثي وأثافي وعاثور وعافور والتفسير الأول لابن عباس وأبي مالك والحسن وغيرهم، والثاني لمجاهد وسعيد بن جبير وفي قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء والثالث لعطاء وسفيان الثوري، والرابع في البخاري قال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم / ١٢ منه .

(٢) قوله "اهبطوا مصرًا" ، إن كان الآمر موسى فكان رخصة من الله لهم في نزولهم إلى البلدة وخلاصهم من التيه وإن كان الآمر هو الله تعالى فتقديره قلنا اهبطوا جملة مستأنفة يعني دعا موسى فأجبناه / ١٢ وجيز .

(٣) وعند ابن عباس وكثير من السلف أن ضمير عليهم في "ضربت عليهم الذلة" لمطلق اليهود ولذلك فسروا الذلة بضرب الجزية، وفسروا آيات الله بإنكار الإنجيل والقرآن والآية التي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم / ١٢ وجيز .

أحقاء، ﴿بِغَضَبٍ[1] مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾، أي: ما سبق من ضرب الذلة والبوء بالغضب، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الكتب المنزلة كالإنجيل والقرآن

---

(١) قوله "بغضب" الغضب صفة الله تعالى بلا كيف، وأما قول النافين لصفاته: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فليس بصحيح في حقنا بل الغضب قد يكون لدفع المنافي قبل وجوده فلا يكون هناك انتقام أصلاً وأيضًا فغليان دم القلب يقارنه الغضب ليس أن مجرد الغضب هو غليان دم القلب كما أن الحياء يقارن حمرة الوجه والوجل يقارن صفرة الوجه لا أنه هو هذا؛ لأن النفس إذا قام بها دفع المؤذى فإن استشعرت القدرة فاض الدم إلى خارج فكان منه الغضب وإن استشعرت العجز غار الدم إلى داخل فاصفر الوجه كما يصيب الحزين وأيضًا فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا لم يلزم أن يكون غضب الله مثل غضبنا كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذواتنا فليس هو مماثلاً لا لأبداننا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته ونحن نعلم بالاضطرار أنا إذا قدرنا موجودين أحدهما عنده قوة يدفع بها الفساد والآخر لا فرق عنده بين الصلاح والفساد كان الذي عنده تلك القوة أكمل ولهذا يذم من لا غيرة له على الفواحش كالديوث ويذم من لا حمية له يدفع بها الظلم عن المظلومين ويمدح الذي له غيرة يدفع بها الفواحش وحمية يدفع بها الظلم ويعلم أن هذا أكمل من ذلك ولهذا وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الرب بالأكملية في ذلك فقال في الحديث الصحيح: (لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) [أخرجه البخاري في "النكاح"، (٥٢٢٠)، وفي غير موضع من صحيحه] ،وقال: (تعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني) [أخرجه البخاري في "التوحيد"، (٧٤١٦)، وفي موضع آخر، ومسلم في "اللعان"، (٣/٧٢٤)، ط الشعب]، وقول القائل: إن هذه انفعالات نفسانية فيقال: كل ما سوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعلة، فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزًا عن دفعها فإن كل ما يجرى في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ولا يشاء إلا ما يكون له الملك وله الحمد انتهى ما قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني/١٢.

وآية الرجم والتي فيها نعت محمد -صلى الله عليه وسلم- في التـــوراة ، ﴿وَيَقْتُلُـــونَ النَّبِيِّينَ﴾: شعيبًا وزكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام وغيرهم ، ﴿بِغَيْرِ الْحَـــقِّ﴾ ، عندهم فإنهم غير معتقدين جواز قتلهم ، ﴿ذَلِكَ﴾: الكفر والقتل ، ﴿بِمَـــا عَصَـــوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ، أى : جرهم العصيان والتمادي في تجاوز أمر الله تعالى إلى ذلـــك فإن صغار الذنوب تؤدى إلى الكبار، وقيل تكرير للفظ "ذلك" الأول إشـــارة إلى أن الهوان والمسكنة كما أن سببهما الكفر والقتل سببهما المعاصى واعتداء حدود الله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ

وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿إِنَّ[1] الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: قبل البعث مثل "حبيب النجار" و"بحيرا الراهب" وغيرهما أو المؤمنين من الأمم الماضية أو المؤمنين من هذه الأمة أو المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: دخلوا في دين اليهودية، ﴿وَالنَّصَارَى﴾: أهل دين عيسى، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: الخارجين من دين إلى دين قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، أو فرقة من أهل الكتاب أو عباد الملائكة أو قوم يوحدون الله ولا يتبعون نبيًّا، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أي: من آمن إيمانًا معتدًّا به فدخل فيه من استقر على دينه قبل النسخ كاليهود قبل بعثة عيسى والنصارى قبل بعثة نبينا عليهما الصلاة والسلام، أو معناه المنافقون واليهود والنصارى والصابئون من آمن بدين محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: بوعده، ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الآخرة حين الفزع الأكبر، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على تفويت الثواب، ومن مبتدأ و"فلهم أجرهم" خبره والجملة خبر إن، أو بدل بعض من اسم إن وخبرها، فلهم أجرهم، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: باتباع أحكام التوراة ذكرهم ما أخذ عليهم من العهود، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾، لما نزل التوراة أبوا قبولها لما فيها من التكاليف فأمر جبريل بقلع جبل الطور فظلله فوقهم حتى[2] قبلوا،

---

(١) وذكر هذه الآية بعد ذكر الذلة والبوء عليهم لبيان امتنان النعمة عليهم فإنها في أثناء تعديد النعم كأنه قال انظروا إلى ما ارتكبوا من كبائر الذنوب التي استوجبت عليهم العقوبات المؤبدات ومع هذا إن آمنوا وندموا ورجعوا وتابوا فلهم في الدنيا والآخرة ما للمؤمنين الذين لم يعملوا سوءًا قط وما ذلك إلا على العنايات / ١٢.

(٢) قبول اختيار غير إكراه أو كان يكفي في دينهم مثل هذا الإيمان هذا ما في الوجيز، وفي الفتح: كل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه فنحن =

﴿خُذُوا﴾ أي : قلنا لهم خذوا ، ﴿مَا آتَيْنَاكُم﴾: من الكتاب واعملوا به ، ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد وطاعة ، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: اقرءوا ولا تنسوه ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾: لكي تتقوا عن المعاصي ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أعرضتم عن الوفاء بعد أخذ الميثاق ، ﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بتوبته عليكم أو بتأخير العذاب ، ﴿لَكُنتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ ﴾: المغبونين الهالكين ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ ، حال ، ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾: جاوزوا عن الحد ، ﴿مِنكُمْ فِي السَّبْتِ[١]﴾ ، أمرناهم بالعبادة وترك صيد البحر فيه فخالفوا ، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ، أي : نودوا يأهل القرية كونوا قردة أو معناه بتكويننا إياهم، وليس ثم قول والمسخ صورى ومعنوى والخسء الصغار والطرد ، ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: المسخة أو القردة أو القرية ، ﴿نَكَالاً﴾: عبرة ، ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لمعاصريهم أو لما بحضرها من القرى أو لأهل[٢] تلك القرية أو لأجل ما تقدم

= نقول أكرههم الله على الإيمان فآمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عمن تكلم بكلمة الإسلام والسيف مصلت قد هزه حامله على رأسه قال القفال: إنه ليس إجبارًا على الإسلام، لأن الجبر ما سلب الاختيار بل كان إكراهًا وهو جائز وأما قوله تعالى: "لا إكراه" (البقرة:٢٥٦) كان قبل الأمر بالقتال/١٢ .

(١) ذكر أن الله أمر موسى بصوم الجمعة كما أمر سائر الأنبياء به فذكر ذلك لقومه وأمرهم بالتشرع به فتعدوا إلى يوم السبت فأوحى إليه أن دعهم وما اختاروا فأمرهم بترك العمل للعبادة فيه وحرم عليهم صيد البحر فكانت تأتى الحيتان يوم السبت لا غير وتخرج خراطيمها من الماء فائتمروا بأمر الله زمانًا ثم احتال أحد منهم بحيلة تبقي الحيتان في سيف البحر يوم السبت ويأتي يوم الأحد ويأخذها فتعلم القوم منه فهذا اعتداؤهم / ١٢ وجيز .

(٢) فإن بعضهم لم يمسخوا وبقوا على الإنسانية كما سيجيء في الأعراف / ١٢ منه .

من ذنوبهم وهو قول كثير من السلف ، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ، من بعدهم أو ما تباعد عنها أو ما حواليها أو لما تأخر من الذنوب[1] ، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: وزجرًا ، ﴿لِّلْمُتَّقِينَ[2]﴾: الذين من بعدهم إلى يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ ، أي : اذكروا نعمتي في خرق العادة لكم ، ﴿لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً[3]﴾ ، وذلك أنه وجد قتيل فيهم وكانوا يطالبون بدمه فأمرهم الله بذبح بقرة وأن يضربوه ببعضها ليحيي ويخبر بقاتله ، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ ، أي : مهزوءًا بنا أونفس الهزؤ للمبالغة ، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، فإن الهزؤ في مثل ذلك جهل ، بل يوهم أن يكون كفرًا لأنه أخبر من الله ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: ما صفتها شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ﴾: لا هرمة كبيرة ، ﴿وَلاَ بِكْرٌ﴾ ، لا صغيرة لم يلحقها الفحل ، ﴿عَوَانٌ﴾: وسط ، ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: المذكور من الفلوض والبكر ، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ ، أي : تؤمرونه بمعنى تؤمرون به ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ ، الفقوع خالص الصفرة وأشد ما يكون منها أو صافية اللون تكاد تبيض وفي إسناده إلى اللون وهو صفة صفراء فضل تأكيد كأنه قال صفراء شديد الصفرة صفرتها ، ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾: تعجبهم ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: أسائمة أم عاملة ،

---

(١) كل من هذه الأوجه مقابل لكل من الوجوه المذكورة في قوله "لما بين يديها" على الترتيب فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) من عذاب الله وانتقامه وقوله "ولقد علمتم الذين اعتدوا" إلخ مذكر لهم حال جمع مذنبين غضب الله عليهم ليتحقق لهم الإنعام والعناية لأنهم استحقوا أيضًا / ١٢ .

(٣) البقرة الأنثى وقد تقع على الذكر / ١٢ منه .

﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾: لكثرة البقر الموصوف بالوصف المذكور ، ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: إلى وصفها أو إليها إذا بينتها لنا ، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ﴾: غير مذللة للعمل صفة بقرة ، ﴿تُثِيرُ الأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة صفة ذلول ، ﴿وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ، لا مزيدة[1] للتأكيد ، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ ، عن العيب أو أخلص لونها قيل سلمها أهلها من العمل ،﴿لاَّ شِيَةَ فِيهَا﴾ ، لونها واحد لا سواد فيها ولا بياض ، ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ، بحقيقة وصف البقرة لنا ، ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ ، أي : حصلوها فذبحوها ، ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، لتطويلهم وكثرة مراجعتهم كذا حاصل كلام ابن عباس رضي الله عنهما أو لغلائها فإنهما اشتروها بثمن كثير وصح عن عكرمة: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

---

(١) قال أبو حيان : إذا كان الوصف منفياً بـــ"لا" لزم تكرار "لا" نحو "لا بارد و لا كريم" (الواقعة:٤٤)، ولا يجوز بغير تكرار إلا في ضرورة الشعر فما قيل إن لا مزيدة للتأكيد ليس بشيء/١٢ منه .

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ[1] نَفْسًا﴾ ، هذا أول القصة وإنما قدم البعض لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك مسارعة الامتثال ، ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾: اختلفتم واختصمتم ، ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: مظهر لا محالة أمر القاتل ، وإعمال مخرج لأنه حكاية مستقبل ، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ ، أي : القتيل عطف على فادارأتم ، ﴿بِبَعْضِهَا﴾ ، أي البقرة[2] وفيه خلاف أنه كان

---

(١) قال أبو حيان صاحب البحر: الظاهر أن ترتيب وجودهما ونزولهما على حسب تلاوتهما فالله أمرهم أولا بذبح البقرة وهم لا يعلمون سره، ثم وقع القتيل بعده فأظهر لهم ما كان أخفاه عنهم من الحكمة بقوله: "فاضربوه ببعضها" ولا شيء يضطرنا إلى اعتقاد تقدم وتأخر والقصص المذكورة في بعض التواريخ لا اعتداد بها / ١٢ منه وجيز .

(٢) عن الحسن وفي رواية عن ابن عباس أيضًا أنهم طلبوا البقرة أربعين سنة فوجدوها عند رجل وجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملأ مسكها دنانير فذبحوها وضربوه ببعض منها فقام وقال قتلني فلان فمات بلا مهلة /١٢ منه .

بعضًا معينًا أو لا وإن كان معينًا فأي عضو منها ، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ ، يدل على محذوف هو فضربوه فحيي ، ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: دلائل كمال قدرته ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس ، ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: غلظت حتى لم تعتبر بالآيات ، ﴿قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: جميع الآيات التي تقدم ذكرها أو إحياء القتيل وثم للاستبعاد ، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾: في صلابتها ، ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾: منها كالحديد وأو للتخيير أي : من عرف حالها صدر عنه التشبيه بالحجارة ، أو القول بأنها أشد أو شبهها بهذا أو ذاك أو بمعنى بل أو قلب بعضهم كالحجارة وبعضهم أشد يعني قلوبهم لا تخرج من أحد المثلين عطف على كالحجارة من غير حذف أي : قلوبهم أشد قسوة من الحجارة أو على حذف مضاف هومثل أى مثل شيء أشد ، ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ ، تعليل للأشدية ، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ ، أي: ولم يكن جاريًا ، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: من رأس الجبل ، ﴿مِنْ خَشْيَةِ[1] اللَّهِ[*]﴾، وهل لمسلم أن ينكر

---

(١) فإن قيل : الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى ؟ قيل : الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه ومذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى علمًا في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غير الله فلها صلاة وتسبيح وخشية، قال جل ذكره : " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " (الإسراء:٤٤)، وقال : " والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه " (النور:٤١)، وقال : " ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر" الآية (الحج:١٨)، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى ، روى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فإني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك، فقال له جبل حراء إلي يا رسول الله، وحديث (إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث) [أخرجه مسلم في "الفضائل"، (١٣٤/٥)، ط الشعب]، وحديث طلع له أحد فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه" [أخرجه البخاري في "المغازي"، (٤٠٨٣)، وفي مواضع=

قدرة الله تعالى في خلق الخشية والتسبيح في الجمادات؟ نعم لمن يتبع الفلسفة أن يتحمل التمحل في أمثال ذلك والله تعالي بمحض فضله قد عصمنا منه ، قال بعض السلف الأول(*) كثرة البكاء والثاني(**) قلته والثالث بكاء القلب من غير دمع ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وعيد على ذلك ، ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ، أيها المؤمنون ،

= أخر من صحيحه]، وقصة تكلم البقرة [أخرجه البخاري في "فضائل الصحابة" (٣٦٦٣)، وفي غير موضع من صحيحه]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمة، وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم للصخرة حين تحركت اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد [أخرجه البخاري في "فضائل الصحابة"، (٣٦٧٥)، وفي غير موضع من صحيحه]، وحديث لم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله [أخرجه الترمذي (٣٦٣٠)، وسنده ضعيف مجهول]، وحنين جزع النخلة كحنين الناقة [أخرجه البخاري في "المناقب" (٣٥٨٥)]، شواهد على ذلك ويشهد لما قلنا قوله تعالى : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " (الحشر: ٢١)، قال مجاهد: لا تنزل حجر من أعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله / ١٢ معالم ملخصًا .

وليس من شأن المؤمن أن ينكر قدرة الله في خلق مثل هذه الخشية والتسبيح في الجمادات فلا يحتاج إلى تأويل وعدول عن الظاهر، قال بعض السلف الأول كثرة البكاء، والثاني قلته والثالث بكاء القلب وانزعاج البدن /١٢ وجيز .

الظاهر من كلام المفسرين وبه صرح بعض السلف أن تعلق من خشية الله بالأفعال السابق لا بالهبوط وحده / ١٢

[ثبت في أحد روايات الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى الغار وهي عند الطبراني بسند حسن كما في الفتح (٦/٥٨٥)].

(*) أي: التفجر.

(**) أي: الانشقاق.

﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ[1]﴾ ، تحدث اليهود الإيمان لأجل دعوتكم ، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: طائفة من أسلافهم ، ﴿يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ﴾ ، هم السبعون[2] الذين اختارهم موسى عليه السلام وبعد ما رجعوا حرفوا كلام الله تعالى، أو المراد علماؤهم يحرفون التوراة ، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: يغيرونه ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ[3]﴾ أهم مفترون وإذا كان هذا حال علمائهم فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم ، ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ ، أي[4] : منافقو اليهود ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾: بأنكم على الحق ورسولكم مبشر في التوراة ، ﴿وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ ، عاتب من لم ينافق على من نافق بقوله ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: في التوراة من صفة النبي عليه الصلاة والسلام ، ﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ[5] عِندَ رَبِّكُمْ﴾: لتكون الحجة للمؤمنين عليكم في الدنيا والآخرة فيقولوا: كفرتم بما علمتم صدقه ، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ ، أي : أليس لكم عقل وهو من كلام رؤسائهم أو كلام الله تعالى ، أي : لا تعقلون حالهم وأن لا مطمع في إيمانهم ، قال مجاهد: قال النبي عليه السلام ليهود قريظة : يا إخوان القردة والخنازير ، فقالوا من أخبر بهذا محمدًا ما خرج

---

(١) قال القفال: يحتمل أن يكون المعنى كيف يؤمن هؤلاء وهم إنما يأخذون دينهم ويتعلمون من قوم يحرفون عنادًا ويعلمونهم ما حرفوه وغيروه عن وجهه والمقلدون يقبلون ذلك منهم فلا يلتفتون إلى الحق / ١٢ منه .

(٢) هذا قول ابن عباس وابن إسحاق / ١٢ منه .

(٣) أي : يعلمون ما في التحريف من العقاب / ١٢ منه .

(٤) قيل جاز أن يكون وإذا لقوا جملة حالية معطوفة على "وقد كان فريق منهم" ، أي : كيف تطمعون في إيمانهم وقد وقع من أسلافهم كيت وكيت وهم في أنفسهم منافقون/١٢ منه .

(٥) قيل معناه ليحتجوا عليكم بما أنزل الله في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله محاجة عنده ، كما يقال عند الله كذا ويراد أنه في كتابه وأمره / ١٢ منه .

هذا إلا منا أفتحدثوهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله(*) والأول قول أكثر السلف[1] ويمكن أن يكون هذا القول تخويف رؤسائهم جهلتهم ليردعوا عن إظهار ما في التوراة مع المؤمنين لا أنه من صميم القلب أو اعتقادهم أنهم مؤاخذون بما تكلموا به لا بما اعتقدوا وأسروا في أنفسهم ولهذا قال الله تعالى ، ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ ، من نعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ، منه فالحجة عليهم ثابتة حدثوا به أو ما حدثوا وما يسرون من الكفر وما يظهرون من الإيمان ، ﴿وَمِنْهُمْ﴾: من اليهود ، ﴿أُمِّيُّونَ﴾ ، من لا يكتب ولا يقرأ ، ﴿لاَ يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ﴾ ، أي : لكن يعلمون الأكاذيب التي سمعوا من كبرائهم أو غير عارفين بالكتاب إلا أنهم يقرءون قراءة عارية عن معرفة المعنى وعلى هذا الاستثناء متصل وهذا[2] لا ينافي كونهم أميين فإنهم مع كونهم لا يمكن لهم أن يقرءوا من الكتاب شيئًا يحفظون الكتاب أو يتمنون على الله تعالى كقولهم "لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات" (آل عمران:٢٤)، و"لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا" الآية (البقرة:١١١)، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ ، قوم ليس لهم إلا[3] ظن لا علم لهم أو يكذبون ، ﴿فَوَيْلٌ﴾: هلاك أو واد في جهنم[4] ، ﴿لِّلَّذِينَ

(*) أخرجه عبد به حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد مرسلا، كما في الدر المنثور للسيوطي (١/١٥٧).

(١) خلائق لا يحصى كابن عباس وربيع بن أنس وقتادة وأبي العالية وغيره / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى رد ما قال القاضي من أن هذا لا يناسب وصفهم بأنهم أميون/١٢ منه .

(٣) وعلى هذا الاستثناء كالأول منقطع / ١٢ منه .

(٤) روى الترمذي عن النبي -عليه السلام- أنه واد في جهنم وعلى ذلك كثير من السلف/١٢ منه.[أخرج أحمد (٣/٧٥)، والترمذي (٣١٦٤)، والحاكم (٤/٥٩٦) وغيرهم بسند ضعيف عن أبي سعيد مرفوعا: "ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره". وانظر الجامع (٦١٦١).

يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ، هم أحبارهم حرفوا كتاب الله زادوا فيه ونقصوا ، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ، ليستبدلوا به رئاستهم وما يصل إليهم من سفلتهم ، ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكذب ، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من السفلة أو مما يكسبون من المعاصي والأولى أن يكون ما مصدرية[1] في مما كتبت ومما يكسبون ، ﴿وَقَالُوا﴾ ، أي : اليهود ، ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: قليلة سبعة أيام بكل ألف سنة من الدنيا يومًا أو أربعين يومًا لأن عبادة العجل كانت أربعين يومًا ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ ، همزة الاستفهام دخلت على ألف الوصل ، ﴿عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ، ميثاقا بذلك ، ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ ، أي : إن اتخذتم عهدًا فهو لا يخلف الميثاق ، ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ، أم معادلة للاستفهام ، أي : أي الأمرين كائن أو منقطعة بمعنى بل ، ﴿بَلَى﴾ ، إثبات لما نفوه من خلود النار ، ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً[2]﴾ ، أي: شركًا أو كبيرة ، ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ[3]﴾ ، أى : صار كالشيء

---

(١) لأن يكون الويل والهلاك لهم من أفعالهم التي باشروها ولو جعلناها موصولة لكان الويل لهم من غير أفعالهم فتأمل / ١٢ منه .

(٢) فسر ابن عباس وأبو وائل وأبو العالية وأبو هريرة ومجاهد وعكرمة وقتادة والحسن والربيع بن أنس السيئة بالشرك والسدي والأعمش والربيع بن خيثم بالكبيرة/١٢ منه .

(٣) قال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبًا ارتفعت حتى يغشى القلب وهي الرين ، قال الكلبي أوبقته ذنوبه دليله قوله تعالى : " إلا أن يحاط بكم " (يوسف:٦٦)، أي تهلكوا/١٢ معالم ، وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبًا ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع

كالشيء المحاط لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا شأن الكافر ، ﴿فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، ذكرهم بما أمرهم في التوراة ، ﴿لاَ تَعْبُدُونَ﴾ ،

= قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي مستحسنًا إياها معتقدًا ألا لذة سواها مبغضًا لمن يمنعه منها مكذبًا لمن ينصحه كما قال الله تعالى : " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله " (الروم:١٠) / ١٢ بيضاوي .

وهو[١] نفي بمعنى النهي مقدر بالقول أو تقديره أن لا تعبدوا ، فلما حذف "أن" صار الفعل مرفوعًا فيكون[٢] بدلاً من الميثاق أو معمولاً له بحذف الجار[٣] ، ﴿**إلاَّ**[٤] **اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ ، تقديره تحسنون أو وأحسنوا بهما إحساناً ، ﴿**وَذِي الْقُرْبَى**﴾: القرابة ، ﴿**وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**﴾: من لا يجد ما ينفق على نفسه وأهله ، ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾: قولاً[٥] حسنًا وسماه حسنًا للمبالغة دخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾: بطريق فرض عليكم في ملتكم ،﴿**ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ**﴾ أعرضتم عن الميثاق وهو التفات[٦] سواء كان خطابًا مع الموجودين ومن قبلهم بالتغليب أو لا ، ﴿**إِلاَّ قَلِيلًا مِّنكُمْ**﴾: من ثبت على اليهودية قبل نسخها أو من أسلم ، ﴿**وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ** ﴾: قوم عادتكم الإعراض ، ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**﴾: في التوراة ، ﴿**لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**﴾: بأن لا يقتل بعضكم بعضًا ، ﴿**وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ**﴾: ولا يخرجه من منزله ، ﴿**ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ**[٧]﴾ ، اعترفتم بلزوم الميثاق ، ﴿**وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾: على أنفسكم بذلك أو أنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم ، ﴿**ثُمَّ**﴾ ، للاستبعاد ، ﴿**أَنتُمْ**[٨] **هَؤُلاَءِ**﴾ ، أي : أنتم بعد ذلك

---

(١) خبر بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشأن المنهي عنه وتأكد طلب امتثاله حتى كأنه امتثل وأخبر عنه وعبادة الله إثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما أنزل الله في كتبه / ١٢ فتح .

(٢) أي: أن لا تعبدوا/ ٢١ منه.

(٣) أي: بأن لا / ١٢ منه.

(٤) فيه التفات ، إذ الظاهر إلا إيانا / ١٢ منه.

(٥) والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين، بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعًا كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر / ١٢ فتح .

(٦) لقوله ميثاق بني إسرائيل / ١٢ .

(٧) هذا كما تقول: فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها / ١٢ منه .

(٨) قيل هؤلاء بمعنى الذين والجملة بعده صلته والموصول مع صلته خبر أنتم / ١٢ منه .

هؤلاء الناقضون فهو مبتدأ وخبر قيل أنتم يـا هـؤلاء ، ﴿تَقْتُلُونَ[١] أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾ ، الجملة حال والعامل معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة ، ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ ، تتعاونون والجملة حال ، ﴿بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بالمعصية والظلم ، ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾: يطلبون الفداء ، ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ ، فديتموهم ، كانت قريظة حلفاء الأوس[٢] والنضير حلفاء الخزرج[٣] فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا[٤] له حتى يفدوه فنزلت ، ﴿وَهُوَ[٥]﴾ ، أي: الشأن ، ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ ، فاتصل بقوله وتخرجون فريقًا[٦] وما بينهما اعتراض أو هو مبهم وإخراجهم تفسيره ، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ ، أي الفداء ، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ، أي: القتل والمظاهرة والإخراج[٧] ، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ﴾: عذاب وهوان ، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: خزي قريظة كان القتل والسبي ولبني

---

(١) قيل معناه لا تقتلوا أنفسكم لشدة تصيبكم بسكين أو خنق أو بارتكاب ما يوجب ذلك كالارتداد والزنا بعد الإحصان وقتل النفس بغير حق ونحو ذلك ولا تسيئوا جوار من جاوركم فيضطروا إلى الخروج من دياركم أو لا تفسدوا فتكونوا سببًا لإخراجكم أنفسكم / ١٢ منه .

(٢) من المشركين / ١٢ منه.

(٣) من المشركين / ١٢.

(٤) أي مجموع الفريقين / ١٢ منه .

(٥) أي : لفظ هو إما ضمير الشأن أو مبهم مفسر بلفظ إخراجهم وقيل ضمير يرجع إلى مصدر يخرجون ولفظ إخراجهم بيان / ١٢ منه .

(٦) من اليهود / ١٢ منه.

(٧) عن السدي : أخذ الله عليهم أربعة عهود: ترك القتال والإخراج والمظاهرة وفداء أسرائهم فأعرضوا إلا عن الفداء / ١٢ منه .

نضير الجلاء وضرب الجزية على غيرهم ، **﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ﴾** ، أي : أشد أنواعه ، **﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾** ، تأكيد للوعيد ، **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾**: آثروها على الآخرة ، **﴿فَلاَ يُخَفَّفُ﴾** ، لا يهون ولا ينقص ، **﴿عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾**: يمنعون من عذاب الله .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ﴾: التوراة ، **﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ[1] بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾**: أرسلنا على أثره الرسل ، **﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾** ، ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى وبعض أحكامه مخالف للتوراة والبينات إحياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير وإبراء الأسقام وإخباره بالغيب ، **﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾** ، أي: جبريل فإنه كان قرينه يسير معه حيث سار ، أو الاسم الذي به يحيى الموتى ، أو الإنجيل أو الروح الذي نفخ فيه ، **﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ﴾** وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به "وهو ولقد آتينا" توبيخًا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا ، **﴿رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى﴾**: ما لا تحب ، **﴿أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾**: عن اتباعه ، **﴿فَفَرِيقًا[2] كَذَّبْتُمْ﴾**: كعيسى ومحمد عليهما

---

(١) من التقفية وهو الإتباع والإرداف مأخوذ من القفا وكان الرسل من بعد موسى إلى زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض والشريعة واحدة وهم أنبياء بني إسرائيل المبعوثون من بعدهم كالشموئيل بن بابل وإلياس ومنشائل واليسع ويونس وزكريا ويحيى وشعياء وحزقيل وداود وسليمان وأرمياه وهو الخضر وعيسى ابن مريم وكلهم يحكمون بشريعة موسى إلا عيسى فإنه جاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة/١٢ فتح.

(٢) الفاء للسببية أو للتفصيل / ١٢ منه .

السلام ، ﴿وَفَرِيقًا[1] تَقْتُلُونَ﴾ ، كزكريا ويحيى جاء بلفظ المضارع لحكاية الحال الماضية ولمراعاة الفواصل ، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أوعية للعلم لا يحتاج إلى علم آخر ، أو عليها غشاوة ، أو لا نفقه ما تقول كما في قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا في أكنة " (فصلت:٥)، ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا أن قلوبهم أوعية للعلم بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها بكفرهم أو قلوبهم لم تأب قبول الحق لخلل فيها بل لأن الله طبع عليها بالكفر ، ﴿فَقَلِيلًا[2] مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ، أي : يؤمن منهم القليل فقليلاً حال ، أو إيمانًا قليلاً وهو إيمانهم ببعض الكتاب ، أو لا يؤمنون أصلاً لا كثيراً ولا قليلاً ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ، أي : القرآن ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: التوراة وجوابه محذوف دل عليه جواب لما الثانية ، أو لما[3] الثانية تكرار للأول فإن ما عرفوا والكتاب واحد والفاء للإشعار بأن مجيئه كان عقيب استفتاحهم به ، ﴿وَكَانُوا﴾: اليهود والواو للحال ، ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل نزوله ، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يستنصرون على المشركين يقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾: من الحق ، ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾: بغيًا وحسدًا ، ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ ، ما نكرة مميزة لفاعل بئس المستتر فيه والفعل صفته ، أي : بئس ما باعوا فإنهم باعوا ثوابها بالكفر ، ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ ، هو المخصوص بالذم ، ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ ، أي : أن

---

(١) جاء بلفظ المضارع لحكاية صنيعتهم الماضية واستحضارها لأنهم أرادوا قتل محمد -صلى الله عليه وسلم- لكن عصمه الله فإنهم سحروه وسموه بالشاة ، فقال صلى الله عليه وسلم عند موته: "لا زالت أكلة خيبر تعاري فهذا أوان قطعت أبهري" / ١٢ وجيز .

(٢) قال الواقدي: معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، قال الكسائي: يقول العرب دورنسا بأرض قل ما تنبت الكراث والبصل ، أي : لا تنبت شيئًا / ١٢ فتح .

(٣) أي : قوله فلما جاءهم ما عرفوا / ١٢ منه .

يكفروا حسدًا ، ﴿أَن﴾ ، أي : لأن ، ﴿يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: النبوة والكتاب ، ﴿عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ، فإن كفرهم للحسد على أن النبوة في غيرهم ، ﴿فَبَاءُوا﴾: رجعوا[1] ، ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ[2]﴾ ، لكفرهم بمحمد -عليه الصلاة

---

(١) وصاروا أحقاء / ١٢ منه .

(٢) وقد قدمنا بيان الغضب في صفحة سابقة أنه صفة وصف الله تعالى نفسه بها وليس غضبه كغضبنا كما أن ذاته ليست مثل ذواتنا فليس هو مماثلاً لأبداننا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته وما قيل إن الغضب من الانفعالات النفسانية فيقال: نحن وذواتنا منفعلة فكونها انفعالات فينا لا يجب أن يكون الله منفعلاً بها كما أن نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين فصفاته كذلك ليست كصفات المخلوقين ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه وليس المنسوب كالمنسوب والمنسوب إليه كالمنسوب إليه كما قال صلى الله عليه وسلم : "ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي وهذا يتبين بقاعدة وهي أن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات وكثير منها كلها أو أكثرها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد نفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير أحدها كونه مثل ما فهمه من النصوص لصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل الثاني أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله فبقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جناية على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله حيث خالف الذي يفهم من كلامهما من إثبات صفات الله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى ، الثالث أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير دليل فيكون معطلاً عما يستحقه الرب تبارك وتعالى ، الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات وصفات المعدومات فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب، ومثل بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام في القاعدة التدمرية/١٢ .

والسلام-، أو القرآن بعد كفرهم بعيسى وتضييعهم التوراة والإنجيل ، أو عبادتهم العجل وقوله بغضب ظرف لغو وعلى غضب صفة له ، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ، فإن عذابهم للإهانة وعذاب العاصى للتطهير ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: لليهود ، ﴿آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: القرآن ، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: التوراة ، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: بما سواه أو بما بعده ، ﴿وَهُوَ﴾ ، أي : ما وراءه ، ﴿الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ ، فإن القرآن مصدق للتوراة ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان بالتوراة ، ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ، وفعل آبائهم فعلهم مع أنهم رضوا به ثم يعد عليهم قبائحهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: اليد والعصا وغيرهما ، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ ، إلهًا ، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد مجيئه رسولاً أو ذهابه إلى الطور ،﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾: قوم عادتكم الظلم ، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: قلنا لكم ، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم﴾: ما أمرتم به في التوراة ، ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد ، ﴿وَاسْمَعُوا﴾: أطيعوا ، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: قولك أو بالآذن ، ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك[1] أو بالقلوب وليس هذا بألسنتهم لكن لما سمعوا وتلقوه بالمعصية نسب إلى القول اتساعًا ، ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ ، أي : أشربوا في قلوبهم حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم وفي كلام السلف : لما أحرق العجل برد بالمبرد ثم نسف في الماء فمن شرب وفي قلبه حب العجل اصفر لونه ، ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ ، فإنهم مجسمة فأُعْجِبوا العجل ، ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[2] ﴾: بالتوراة كما زعمتم فبئس ما أمركم به إيمانكم بها

---

(١) بمعنى اعترفوا بقبوله لكن لم يفعلوا / ١٢ وجيز .

(٢) كما زعمتم بالتوراة وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان إليهم وقوله: "إن كنتم مؤمنين" قدح في صحة دعواهم فإن الإيمان إنما يأمر بعبادة الله وحده لا بشركة=

والمخصوص بالذم محذوف أي :هذا الأمر وحاصله لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل يعني آباءهم ، وأنتم لو كنتم مؤمنين ماكذبتم محمدًا عليه الصلاة والسلام ، ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ﴾ ، أي: في علم الله وحكمه ، ﴿خَالِصَةً﴾ ، أي : خاصة بكم كما تقولون : " لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا " الآية (البقرة:١١١)، منصوب على الحال ، ﴿مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ ، أي : الباقين ، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، أي : ادعوا بالموت على الكاذب من الفريقين، والمراد منه المباهلة كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف أو معناه فسلوا الموت لأن من أيقن أن مأواه الجنة حن إليها سيما إذا علم أنها لا يشاركه[1] فيها غيره ، ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾: للعلم بكذبهم ، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: كتحريف التوراة وإضافته إلى اليد؛ لأن أكثر الجنايات باليد فأضيف إليها الأعمال وإن لم يكن لليد فيها مدخل ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾: تهديد ، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ، أي : على نوع من الحياة وهو طول العمر لعلمهم بسوء عاقبتهم ، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ، عطف في المعني على الناس ، أي أحرص من الناس ومن الذين أشركوا ، أو عطف على أحرص بتقدير وأحرص من الذين وهو عطف الخاص على العام أو اليهود أحرص منهم مع أن المشركين لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم إليها شديد ، وزيادة حرص اليهود لعلمهم بأنهم صائرون إلى النار بخلاف المشركين ، قيل:

= العباد لما هو في غاية البلادة فهو غاية الاستهزاء وأما إضافة الإيمان فدلت على أن مثل هذا لا يليق أن يسمى إيمانًا إلا بالإضافة إليكم وحاصل الكلام إن كنتم أنتم وآباؤكم الأقدمون مؤمنين لما عبدتم العجل وكذبتم القرآن / ١٢ وجيز .

(١) وأما المؤمنون فلا يدعون أنهم أحباء الله وأنهم من الفائزين يقينًا، بل يرجون من فضل الله وكذا العشرة المبشرة فحال خوفهم يحال بينهم وبين البشارة لاحتمال أن البشارة مقيدة بقيد ويخافون من سوء العاقبة كما يدل على ذلك تتبع أحوالهم/ ١٢ وجيز .

تقديره: ومن الذين أشركوا ناس يود أحدهم فمن الذين أشركوا خبر مبتدأ محذوف صفته "يود أحدهم" ، فإن من اليهود من قال: عزير ابن الله فيكون مشركًا ، ﴿**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ**﴾ ، أي : اليهود جملة مستأنفة ، ﴿**لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**[1]﴾ ، لو للتمني ، ﴿**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ**﴾: بمبعده ، ﴿**مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ**﴾ ، وضمير هو لمصدر يعمر ، و أن يعمر بدله ، أو لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه ، ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ

---

(١) وإنما خص الألف بالذكر لأن العرب تذكر ذلك عند إرادة المبالغة ولأنها نهاية العقود ولأنها تحية المجوس فيما بينهم يقولون : (زى هز إرسال) أي: عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم وهذا كناية عن الكثرة / ١٢ فتح .

وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ[١] **فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾** ، أي : القرآن ، **﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**: بأمره وجواب الشرط محذوف ، أي : من كان عدوه فلا إنصاف له ، فإنه نزله أوتقديره فهو عدو لي ، فليعلم أنه نزله ، أو فليمت غيظًا ، **﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾**: لما قبله من الكتب نزلت جوابًا لليهود إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ولولا أنه ولي محمد عليه الصلاة والسلام لآمنوا ، **﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**[٢] **﴾** ، رد عليهم حيث قالوا : إن جبريل يترل بالحرب والشدة ، فقال الله : إنه يترل بهما على الكافرين وهدى وبشرى للمؤمنين ، **﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾** ، فيه تنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء فمن عادى أحدهم فقد عادى الجميع ووضع الظاهر أي: للكافرين موضع المضمر للدلالة على أن عداوة الله لهم لكفرهم وعداوتهم كفر وقيل الواو هاهنا بمعنى أو ، **﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا**[٣] **إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾** ، نزلت في ابن صوريا حين قال : يا

---

(١) لما قيل اليهود آمنوا بما أنزل الله اعتذروا بوجوه: أحدها: أنا آمنا بكتابنا وكفينا ، والثاني: أن جبريل ولي لمحمد وهو الذي يترل عليه وهو عدو لهم ولولا ذلك لآمنوا أجاب عن الأول بما مر وهذا جواب عن الوجه الثاني / ١٢ وجيز .

(٢) فإذا آمنتم كان هو صديقًا لكم / ١٢ وجيز .

(٣) هذا جواب للثالث من أعذارهم من الإيمان فإنهم قالوا ما أنزل إليك يا محمد من آية بينة فنتبعك! / ١٢ وجيز .

محمد ما أنزل إليك آية بينة فنتبعك(*)، ﴿وَمَــا يَكْفُــرُ بِــهَا إِلاَّ الفَاسِــقُونَ ﴾ ، المتجاوزون عن الحد ، ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ ، عطف على محذوف والهمـــزة للإنكار ، أي : أكفروا بالآيات ، وكلما عاهدوا نزلت حين ذكرهم نبينا عليه الصلاة والسلام ما أخذ عليهم من الميثاق في شأنه قالوا: والله ما عهد إلينا ولا أخذ ميثـاق في شأنك ، ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: نقضه وطرحه ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقلون ، فإهم بين ناقض عهد أو جاحد معـــاند ، والمؤمنـــون أقلون ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ ، كعيسى ومحمـد عليهما السلام ، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ ، أي : التوراة ، فإهم جحدوا ما فيها من صفة محمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿وَرَاءَ ظُـــهُورِهِمْ﴾ ، كشيء يرمى وراء الظهر غير ملتفت إليه ، ﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾: ما فيها مع أهم عالمون ، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ، عطف على نبذ ، أي : تركوا كتـــاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها الشياطين وتحدثها ، ﴿عَلَـــى﴾: عــهد ، ﴿مُلْــكِ سُلَيْمَانَ﴾ ، أي : في زمانه وتعديته بعلى لتضمين الكذب فإن الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه ثم لما مات سليمان أو نزع منه ملكه استخرجوه ، وقالوا: تسلطه في الأرض لهذا السحر ، فتعلموه ، وبعضهم نفوا نبوته وقالوا: ما هو إلا ساحر فـــبرأه الله مما قالوا فقال:﴿وَمَا كَفَرَ﴾: عبر عن السحر بالكفر لتغليظه ، ﴿سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ ، إشارة إلى ما كتبوا من السحر ، ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَـــى المَلَكَيْنِ﴾ ، عطف على السحر أو على ما تتلوا ، أي : يعلموهم ما ألهما ، ﴿بِبَابِلَ[1]﴾ ،

(*) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، كما في الـــدر المنثـــور للسيوطي (١/١٨١).

(١) البابل اسم موضع من الكوفة سميت بذلك لتبلبل ألسنة الخلائق بها / ١٢ وجيز وفتح.

ظرف أو حال ، وهو اسم موضع من الكوفة ، ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ، عطف بيان للملكين وعند بعض من السلف أن ما نافية ، فيكون عطفًا على ما كفر ، أي: ما كفر سليمان ولا أنزل على الملكين ، أي جبريل وميكائيل ، فإن سحرة اليهود زعموا أن السحر أنزل على لسانهما[1] إلى سليمان فردهم الله وعلى هذا ، فقوله: "ببابل" متعلق بيعلمون وهاروت وماروت اسمان لرجلين صالحين ابتلاهما الله تعالي بالسحر[*] وقعا بدل بعض[2] من الشياطين ، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ ، أي: الملكان ، أو الرجلان ،

---

(۱) أي: على لسان جبريل وميكائيل / ۱۲ منه.

(*) روي في هاروت وماروت قصص عجيبة وأخبار غريبة لا خطم لها ولا أزمة جمعها كلها العلامة محمد بن أبو شهبة في كتابه الماتع "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير"، (ص۱٥۹-۱٦٦) مبينا زيفها، حتى نقل عن ابن الجوزي والعراقي وعياض وابن كثير وغيرهم أنهم قالوا بوضعها.

(۲) في قوله "ولكن الشياطين" كفروا ذكَر هذا بن جرير أن السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك ببابل وأن الذي يعلمونهم ذلك رجلان أحدهما هاروت والآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس وردًا عليهم انتهى. وقال القرطبي : وهذا أولى ما حملت الآية وأصح ما قيل فيها ثم قال: إن قيل كيف يكون اثنان بدلاً من جمع والبدل إنما يكون على حد المبدل؟ ثم أجاب بأن الاثنين قد يطلق عليهم الجمع وإنما خصا بالذكر دون غيرهما لتمردهما ويؤيد هذا أنه قرأ ابن عباس والضحاك والحسن الملكين بكسر اللام ، قال ابن جرير -رضي الله تعالي عنه- : وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء وأنهما نزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان ، وقال ابن كثير في تفسيره: وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع متصل الإسناد إلى الصادق المصـــدوق=

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ ، أي: أحدًا ، ﴿حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ابتلاء واختبار ، ﴿فَلاَ تَكْفُرْ﴾: بتعلمه[1] وذلك لأن تعلمه للعمل[2] كفر أو تعلم هذا النوع كفر لما فيه من الكفر فهذه نصحية منهما له ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ ، ضمير الجمع لما دل عليه من

= المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصتين من غير بسط ولا إطناب فيهما فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالي والله أعلم انتهى.
وأطال في رد هذه القصة صاحب الخازن وصاحب المظهري وأبو السعود القاضي والرازي والسعد والتفتازاني وغيرهم واستبعدوها ، لكن قال الشيخ الزكريا الأنصاري: الحق ما أفاده شيخنا حافظ الشهاب بن حجر أن لها طرقًا تفيد العلم بصحتها ، فقد رواها مرفوعة الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم موقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم [في الأصل: وغيرهما] بأسانيد صحيحة والبيضاوي لما استبعد هذا المنقول ولم يطلع عليه قال: إنه محكي عن اليهود ولعله من رموز الأولين ذكره الخطيب، وقد أطنب الشيخ ابن حجر المكي في جواب الرازي واستبعاده لهذه القصة في كتاب الزواجر بما لا مزيد عليه هذا خلاصة ما في الفتح/١٢ .

(١) فيه أن تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد وبين من تعلمه ليكون ساحرًا ومن تعلمه ليقدر على دفعه وبه قال أحمد، أخرج البزار بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن ابن مسعود: "من أتى ساحرًا أو كاهنًا وصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" وأخرج البزار عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تطير أو تطير له أو سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له ومن عقد عقدة ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد/١٢ .

(٢) عند أبي حنيفة ومالك وأحمد استعمال السحر كفر فقالا أي : مالك وأحمد يقتل بمجرد الاستعمال وعند الشافعي استعماله من الكبائر إذا لم يعتقد جوازه أو لم يكن في سحره ما يوجب الكفر / ١٢ منه .

أحد ، ﴿مَا يُفَرِّقُونَ﴾: من السحر ، ﴿بِهِ﴾: بسببه ، ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم﴾ ، أي : السحرة ، ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾: بالسحر ، ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: أحدًا ، ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: إرادته ، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ ، أي : نفعًا يوازي ضره ، ومجمل قصتهما أن الملائكة طعنوا أهل الأرض فسادهم ، فقال الله تعالى لهم : لو كنتم على طبعهم لكنتم مثلهم ، فقالوا: نحن لا نعصي إلهنا ، فاختار الله تعالى من بينهم ملكين من أعبدهم وركب فيهما الشهوة وأرسلهما إلى الأرض فعصيا فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ، فالآن هما معذبان إلى يوم القيامة[*] والله يمتحن[١] عباده بهما ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾: اليهود ، ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: استبدل السحر بكتاب الله تعالى واللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ، ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾: من نصيب ، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ﴾ ، أي: باعوا ، ﴿أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: حقيقة[٢] ما فعلوا ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾: بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ، نبذ كتاب الله تعالى واتباع كتب الشياطين ، ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ ، أي: لشيء[٣] من الثواب خير لهم ، أو جواب لو محذوف وهو

(*) أشرنا قريبا إلى بطلان كل ما ورد في هذا الروايات، وانظر الضعيفة للشيخ الألباني .

(١) في مسند الإمام أحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث طويل حاصله ما ذكرناه ، وأيضًا في صحيح ابن حبان فقيل: رجاله ثقات، وقد ثبت أيضًا عن علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم من الصحابة والتابعين / ١٢ منه .

(٢) وعلى ما فسرنا لا منافاة بين قوله: "ولقد علموا" حيث أثبت لهم العلم وبين قوله: "لو كانوا يعلمون" حيث لزم نفي العلم عنهم فلا تغفل / ١٢ منه .

(٣) هذا يعلم من تنوين مثوبة / ١٢ منه .

لأثيبوا[١] ولمثوبة إلخ.. استئناف واختيار الجملة الاسمية في جواب لو للدلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها ، كما في سلام[٢] عليك وأصله لأثيبوا مثوبة خيرًا مما شروا به أنفسهم ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ، أي : من أهل العلم أو يعلمون أن الثواب خير .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا

---

(١) قال صاحب البحر: المختار أن يكون جواب لو محذوفًا كما قال الأخفش ومختار الزمخشري غير مختار لأنه لم يعهد في لسان العرب وقوع الجملة الاسمية جوابًا لِلَوْ، ولا يثبت القواعد الكلية بالمحتمل فتفطن /١٢ منه .

(٢) فحذف الفعل وجعل الباقي جملة اسمية للدلالة على ثبوت المثوبة وحذف المفضل عليه/١٢ منه .

تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ ، نهى الله تعالى المؤمنين عن أن يقولوا لنبيه -صلى الله عليه وسلم- راعنا ، أي: أرعنا سمعك ، أي: اسمع منا وفي لمية المنع خلاف والمشهور أن لهذا اللفظ معنى قبيحًا بلغة اليهود وهم لما سمعوا هذا اللفظ من المسلمين يأتونه ويقولون راعنا ويضحكون سرًا ، ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ ، أي : إلينا ، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ، ترك هذه اللفظة[1] سماع قبول لا كاليهود قيل: إنه عليه السلام إذا تكلم معهم قالوا: راعنا ، أي: راقبنا[2] وتأن بنا حتى نفهم ، فمنعوا من تلك الكلمة وأمروا بانظرنا أي : انتظرنا ، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الذين سبوا وتهاونوا رسلنا ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ ، هو مفعول يود ، ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ ، من للاستغراق ، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ، من للابتداء والخير هاهنا الوحي أو أعم بين تعالى شدة عداوتهم حسدًا للمؤمنين لئلا يغتروا بنفاقهم ، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ[3] بِرَحْمَتِهِ﴾: بنبوته أو أعم ، ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ

---

(١) كلام السلف كعلي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ما قلناه أولاً وهو صريح في أن هذه اللفظة إذا خاطب المسلمون نبي الله -عليه الصلاة والسلام- قالوها بدل اسمع منا، وقالوا معناه راعنا سمعك والذي ذكرناه بقيل ذكره الزمخشري وهو غير ما ذكره السلف بأجمعهم فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) من نظره إذا أنظره وإذا كان هذا معناه جاز أن يكون معنى واسمعوا: أحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا إلى طلب المراعاة/١٢ منه .

(٣) يقال: اختص زيد بكذا واختصصته به والظاهر أنه هاهنا متعد قيل: جاز أن يكون لازمًا ومن يشاء فاعله / ١٢ منه .

﴿**العَظِيمِ**﴾ ، فحرمان البعض ليس لضيق في الفضل، بل لحكم ومصالح ، ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ**﴾: نبطل[1] حكمها أو النسخ رفعها[2] من القرآن ، ﴿**أَوْ نُنسِهَا**﴾: نمحها عن القلوب[3] ومن قرأ ننسأها أي : نؤخرها ، أي : في اللوح المحفوظ أو نثبت قراءتها ونبدل حكمها[*] فعلى هذا النسخ عكسه[4]، ﴿**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا**﴾: أنفع للعباد في الدارين ، ﴿**أَوْ مِثْلِهَا**﴾: في المنفعة نزلت حين قالوا: إن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- يأمر بشيء ثم يأمر بخلافه فما هذا إلا كلامه ، ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾: من النسخ والتبديل ، ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ**﴾ ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد هو وأمته بدليل "وما لكم" ، ﴿**أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾: يفعل ما يشاء فيهما من نسخ وتغيير، والآية وإن كانت خطابًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على وجه الخبر عن عظمته ، لكن في الحقيقة رد وتكذيب لليهود لإنكارهم نسخ التوراة ، ﴿**وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ**﴾: وال يلي أمركم ، ﴿**وَلاَ نَصِيرٍ**﴾: ينصركم قيل الفرق بينهما أن الوالي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا ، ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ**﴾ ، أي: ألم تعلموا أنه يأمر وينهى كما شاء أم تعلمون

---

(١) كتبديل حكم من حلٍ إلى حرمةٍ أو من حرمة إلى حل ويكون اللفظ من القرآن/١٢ منه .

(٢) أعم من أن يبطل حكمه أو لا الثاني نحو "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى بهما ثالثًا"/١٢ منه .

(٣) عن ابن عباس : كان الوحي يترل عليه بالليل وينساه بالنهار فلذا أنزل أو ننسها/١٢ منه .

(*) وفي حاشية النسخة: الأول: قول عمر وابن عباس، والثاني: قول ابن مسعود/ ١٢.

(٤) أي : نثبت حكمها ونبدل قراءتها نحو: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما" /١٢ منه .

وتقترحون في السؤال[1] فأم معادلة للهمزة أو منقطعة[2] ، ﴿أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾: محمدًا عليه الصلاة والسلام فإنه رسول الله إلى الناس أجمعين ، ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾: أهل الكتاب قالوا ائتنا بكتاب نقرأه وفجر لنا أنهارًا نصدقك فأنزل الله تعالى ، أو قريش[3] سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا[4] ورجعوا[*] ، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ﴾ ، أي : يشتري الكفر به ، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: وسطه ، أي : خرج عن الطريق المستقيم ، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، كان من أحبارهم رجال جاهدوا في رد الناس عن الإسلام فأنزل الله تعالى ، ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم[5]﴾ ، لو

---

(١) يعني أم إما متصلة معادلة لقوله "ألم تعلم" ، وإما منقطعة أي : ألم تعلموا أن له القدرة الشاملة والتصرف كيف أراد ثم قال بل لكم علم لكن تقترحون في السؤال كما اقترحت أسلافكم على موسى عليه السلام / ١٢ منه .

(٢) معناه بل والهمزة للمبالغة في النهي حتى كأنهم كانوا بصدد الإرادة فنهوا عنها فضلاً عن السؤال يعني من شأن العاقل أن لا يتصدى لإرادة ذلك / ١٢ منه . والمراد أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه لأن معنى المنقطعة بل والهمزة للإنكار/١٢ منه.

(٣) على الوجه الأول: المخاطبون هم اليهود وهو قول ابن عباس وغيره وعلى الثاني: المخاطبون قريش وهو قول مجاهد والسدي وقتادة / ١٢ منه .

(٤) يعني إذا ظهرت تلك الآية فمن يكفر منكم فإن الله لا يمهله ويعذبه فلذلك أبوا عن الإيمان ورجعوا عن مقترحهم محبة للكفر كما قال تعالى لهم : " فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين " (المائدة:١١٥)/١٢ منه .

(*) أخرجه بنحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في الدر المنثور للسيوطي (٢٠١/١).

(٥) ذهب بعض النحاة إلى أنها مصدرية ، إلا أنها لا تنصبه كما فصلناه في قوله: "يود أحدهم لو يعمر ألف سنة" (البقرة:٩٦)/ ١٢ منه .

بمعنى أن ، ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ ، حال من كم ، أو مفعول ثان ليردون لتضمين معنى التصيير ، ﴿حَسَدًا﴾ علة ود ، ﴿مِّنْ عِندِ[1] أَنفُسِهِم﴾ ، أي : تمنوا من عند أنفسهم لا من قبل التدين أو معناه حسدًا مبالغًا منبعثًا من أصل نفوسهم ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾: في التوراة ، ﴿فَاعْفُوا﴾: عن مجازاتهم ، ﴿وَاصْفَحُوا﴾ ، وأعرضوا عنهم ، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: بالقتال أو القتال والسبي والجلاء، أو إسلام بعض والباقي لبعض ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ، أي : اصبروا على المخالفة والجئوا إلى الله تعالى بالبر ، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ ، أي : ثوابه ، ﴿عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا يضيع عمل عامل ، ﴿وَقَالُوا﴾ ، أي : أهل الكتاب ، ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ ، وهذا لف بين قولي اليهود والنصارى ثقة بفهم السامع ، ﴿تِلْكَ﴾ ، إشارة[2] إلى ألاَّ يترل على المؤمنين خير أو أن يردوهم كفارًا وألاَّ يدخل الجنة غيرهم ، أو إشارة[3] إلى الأخير بحذف المضاف أي[4] أمثالها ، ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: التي تمنوها على الله تعالي باطلاً ، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: على

---

(١) على التفسير الأول: من عند ظرف لَغْوٌ بِوَدَّ ، وعلى الثاني: ظرف مستقر صفة لحسد أو قيد مبالغًا ليكون مقيدًا وإلا فالحسد لا يكون إلا من الأنفس / ١٢ منه .

(٢) يعني أمانيهم بصيغة الجمع يأبى أن يكون تلك إشارة إلى شيء واحد فلابد من تأويل إما بأن يقول إشارة إلى متعدد أو إلى واحد بحذف المضاف أي: أمثال تلك/١٢ منه.

(٣) قيل: أفرد المبتدأ لفظًا، لأنه كناية عن المقالة ، وهي مصدر يصلح للقليل والكثير وأريد بها الكثير باعتبار القائلين ولذلك جمع الخبر فطابق من حيث المعنى / ١٢ منه .

(٤) قيل هذان الوجهان خلاف الظاهر ، أما الأول: فلأن كل جملة ذكر فيها ودهم قد انقضت وكملت واستقلت في الترول فيبعد أن يشار إليها ، وأما الثاني: فللحذف ، ولأن هذا المعنى يناسب إذا كان أمانيهم مبتدأ وتلك خبر / ١٢ منه .

اختصاصكم بالجنة ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَى﴾: إثبات لما نفوا من دخول غيرهم الجنة ، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: أخلص له نفسه ، أو دينه أو عمله ، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: متبع نبي[1] الله عليه الصلاة والسلام، قيل: مؤمن ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: ثابت لا ينقص ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الآخرة عند الفزع الأكبر ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما مضى .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

---

(١) يعني للعمل المتقبل شرطان أحدهما: أن يكون خالصًا لوجه الله لا فيه رياء ، والثاني: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة / ١٢ منه .

مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾: أمر يعتد به[1] أي: دينهم باطل من أصله نزلت حين قدم وفد نجران فتنازعوا مع اليهود ، ﴿وَقَالَت النَّصَارَى لَيْسَت اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ﴾: مطلقًا دائمًا ، ﴿وَهُمْ﴾ ، أي: الفريقان ، ﴿يَتْلُونَ الكتَابَ﴾ ، وفي كتاب كل منهما تصديق من كفروا به ، ﴿كَذَلكَ[2]﴾: مثل ذلك الذي سمعت ، ﴿قَالَ الَّذينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: آباؤهم الذين مضوا أو عوام النصارى أو مشركوا العرب قالوا في نبيهم أو أمم قبلهما ، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ ، ووَبَّخهم الله على التشبه بالجهال وهو مفعول مطلق لقال وكذلك مفعول به وقيل كذلك مبتدأ ومثل قولهم مصدر أو مفعول لا يعلمون ، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَة فِيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلفُونَ ﴾: بما استحقوا عن الحسن هو تكذيبهم وإدخالهم النار ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن[3] مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن[4] يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ ، عام لكل

---

(١) لو لم يفسر على هذا الوجه يكون كلام كل منهم صدقًا فلا يكون قوله "وهم يتلون الكتاب" ردًا عليهم ، ولا يكون لواو الحال موقع حسن / ١٢ منه .

(٢) يمكن أن يكون تقديره الأمر كذلك ثم ابتدأ وقال : " وقال الذين لا يعلمون " إلخ.../ ١٢ منه .

(٣) هذا كما تقول لمن آذى صالحًا واحدًا : من أظلم ممن آذى الصالحين / ١٢ .

(٤) قوله : " أن يذكر " ، أي : من أن يذكر بحذف من وقيل بدل اشتمال من مساجد الله ولا تناقض بين قوله هذا وبين قوله : " فمن أظلم ممن افترى على الله" (الأنعام:١٤٤)،=

من خرب مسجدًا ، وإن كان سبب نزوله منع المشركين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم - أن يدخل مكة ويحج عام الحديبية ، وأى خراب أعظم مما فعلوا من إخراج المسلمين واستحواذهم بالأصنام ، أو نزلت[1] في الروم خربوا بيت المقدس ، ﴿أُوْلَئِكَ﴾: المانعون ، ﴿مَا كَانَ لَهُمْ[2] أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾ ، خبر معناه الطلب لا تمكنوهم[3] من دخولها إلا تحت هدنة أو جزية ، أو بشارة للمسلمين أنه سيكون كذلك ، أو ما كان ينبغي أن يدخلوها إلا خاشعين فضلاً أن يخربوا ، أو ليس الحق أن يدخلوا إلا خائفين عن المسلمين فضلاً من أن يمنعوهم منها ، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: قتل وسبي أو جزية ، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: له الأرض كلها إن منعتم الصلاة في أحد المساجد ، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ ، أيَّ : في أي مكان توليتم القبلة ، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ[4] اللَّهِ﴾ ، أي : جهته التي أمر بها لا يختص بمسجد ومكان ، أو معناه بأي جهة وجهتم إليها وجهكم فثم قبلة الله

= الأعراف:٣٧، يونس:١٧)، وقوله : " ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها" (السجدة:٢٢)، لأن معناه هؤلاء أظلم ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر، بل كلهم مساو في الأظلمية / ١٢ منه .

(١) ولهذا نادى منادي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد الفتح ألا لا يحج بعد العام مشرك ومن كان له أجل فأجله إلى مدته / ١٢ منه .

(٢) ما كان لهم في علم الله وقضائه أن يدخلوها إلا خائفين وقد أنجز وعده / ١٢ منه

(٣) الأول قول سعيد بن جبير عن ابن عباس وكأنه أرجح، لأن القول الثاني وهو قول العوفي عن ابن عباس وقول عكرمة ومجاهد والسدي أن النصارى أخرجوا اليهود ومنعوهم عن الصلاة في بيت المقدس، اليهود إذ ذاك غير مقبولة لأنهم لعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون / ١٢ منه .

(٤) قيل الوجه الجاه كما يقال فلان وجه القوم ، أي موضع شرفهم ، معناه فثم جلال الله وشرفه وعظمته / ١٢ منه .

المشرق والمغرب ، أو ذاته مطلع بكم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: محيط بالأشياء رحمـــة لا يضيق على عباده ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالأعمال في الأماكن أو نزلت[١] في صحابة عميـــت عليهم القبلة فتحروا القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة ثم تبين خطأهم[*] ، أو نزلـــت[٢] في صلاة التطوع حين السير أو في تحويل القبلة لما عيرت اليهود بأن ليـــس لهـــم قبلـــة معلومة ، أو لما نزلت " ادعوني أستجب لكم" (غافر: ٦٠)، قالوا أين ندعوه فـــترلت ، أو لمامات النجاشى قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: صلوا عليه، قالوا إنه كـــان لا يصلي إلى القبلة كيف نصلي عليه ؟ فترلت، نقله ابـــن جريـــر رضـــي الله عنـــه[*]، ﴿وَقَالُوا﴾: اليهود في عزير والنصارى في المسيح والمشركون في الملائكة ، ﴿اتَّخَـــذَ﴾[٣]

---

(١) روى الترمذى وابن ماجه وابن أبي حاتم أنها في شأن من عميت عليـــه القبلـــة قـــال الترمذي: حديث حسن ليس إسناده بذلك وروى الدار قطني أيضًا بروايـــة أخـــرى وضعفها ، والثاني وهو الذي أنها في التطوع في حديث رواه الترمذي والنسائي وابـــن أبي حاتم ، والثالث قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم ، والرابـــع قول ابن جرير ، والخامس نقله ابن جرير وقال : قال آخرون كذا هذا الوجه لا يخلـــو عن إشكال فتأمل ، والأولى أن يحكم بعدم صحة الرواية والله أعلم / ١٢ منه.

(*) أخرجه الترمذي (٣١٣٣-أحوذي) وضعفه وأبو داود الطيالسي عبد بن حميد وابـــن ماجه وابن جرير والدارقطني وغيرهم عن عامر بن ربيعة. وضعفه أيضا العقيلي كما في الدر المنثور للسيوطي (١/٢٠٥).

(٢) قوله أو نزلت إشارة إلى أنه قد علم من التفسير الذى ذكرنا وجه آخر بسبب الترول ، فإنه إذا كان سبب الترول الوجوه الخمسة التي سنذكرها فيكون معنى " فأينما تولـــوا فثم وجه الله " لا يصدق إلا على المعنى الثاني في بعض ، والثالث في بعض فتأمل / ١٢ منه.

(*) أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن قتادة مرسلا كما في الدر المنثور (١/٢٠٦).

(٣) اتخذ هاهنا بمعنى عمل وصنع فهو متعد إلى مفعول واحد / ١٢ منه .

﴿اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾: نزه نفسه عن ذلك ، ﴿بَل لَّهُ مَا[1] فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: أي : مخلوق وملك فلا مناسبة لشيء مع الله فلا ولد ، ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾: منقادون لا يمكن لهم الامتناع عن مشيئته ، ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: مبدعهما وخالقهما بلا سبق شيء ، أو بديع سماواته وأرضه ، ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾: قدر وأراد ، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، من كان التامة ، أي: يكونه فيكون ولا واجب أن هناك حقيقة قول كما ابتدأ المسيح بأمر كن من غير والد والملائكة كذلك ومن قرأ فيكون بالنصب فهو جواب الأمر، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: مشركوا العرب أو بعض اليهود والنصارى ، ﴿لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ ، أي : هلا يكلمنا عيانًا ، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ، كما قال تعالى: " لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض " الآية (الإسراء: ٩٠)، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾: من كفار الأمم الماضية ، ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: في العناد ، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾: أيقنوا وطلبوا الحق لا من عاند واستكبر ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾: متلبسًا ، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق ، ﴿بَشِيرًا﴾: بالجنة ، ﴿وَنَذِيرًا﴾: من النار ، ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ ﴾ ، أي : لست بمسئول عنهم لِمَ لَمْ يؤمنوا ، ومن قرأ بصيغة النهى فذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال ذات يوم : ليت شعرى ما فعل أبواى ، فنزلت[2] وقيل

---

(١) غلب غير أولي العلم أولاً فقال ما في السماوات لأن ما يستعمل في الإبهام في مقام الوصف وكما يدل على التعظيم في بعض المواضع يدل على التحقير في بعض ، فهنا اتباع أولى العلم غيرهم تحقير لشأنهم ، والمقام يقتضيه ، وأما قانتون فعلى تغليب أولى العقل ، وهو الأصل أو نقول إن ما عام فلا تغليب والتغليب في قانتون على الأصل / ١٢ منه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه من طريق ابن جرير عن داود بن أبي

معناه لا تسئل عن حالهم فإنك لا تقدر أن تخبر عنها لفظاعتها ، ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى**﴾ ، كانوا يرجون أن يرجع محمد عليه الصلاة والسلام إلى دينهم حين كان يصلي إلى قبلتهم ، فلما صرفت القبلة أيسوا منه فأنزل الله ، ﴿**حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾: دينهم وقبلتهم ، ﴿**قُلْ**﴾: يا محمد ، ﴿**إِنَّ هُدَى اللَّهِ**﴾: الذي بعثني به ، ﴿**هُوَ الْهُدَى**﴾: طريق الحق ، ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم**﴾: آراءهم الباطلة ، ﴿**بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾: القرآن والسنة ، ﴿**مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**[1] ﴾: يدفع عنك العقاب وهو تهديد شديد للأمة ، ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾ ، أي : جنس الكتاب من الكتب المتقدمة ، ﴿**يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ**﴾ ، حال

= عاصم مرفوعًا وقال هو معضل الإسناد لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة هذا ما في الفتح وفي الوجيز وهذا القول بعيد جدًا فإنه متوسط بين فضائح أهل الكتاب والمشركين/ ١٢ .[كلام السيوطي على الطريق وتضعيفه لهما تراه في الدر المنثور (١/ ٢٠٩)، وقال في الحاوي (٢/٣٨٩): "لم يخرج -أي هذا الحديث- في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وإنما ذكر في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به، ولا يعول عليه"].

(١) وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لأهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء التاركين للعمل بالكتاب والسنة المؤثرين لمحض الرأي عليهما فإن غالب هؤلاء وإن أظهر قبولاً وأبان من أخلاقه لينًا لا يرضيه إلا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في حبائله فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة ورأى منهار وتقليد على شفا جرف هار فهو ذلك ماله من الله من ولي ولا نصير ومن كان كذلك فهو لا محالة مخذول وهالك بلا شك وشبهة / ١٢ فتح .

كونهم لا يحرفونه ولا يكتمون ما فيه ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ، أي : بكتابهم دون من يحرفه ويكتمه ولا يحل ولا يحرم حلاله وحرامه أو أولئك يؤمنون بالقرآن لا من يحرف كتابه ، أو معناه الذين آتيناهم القرآن حال كونهم يتبعونه حق اتباعه هم المؤمنون بالقرآن لا غيرهم ، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾، حيث اشتروا الكفر بالإيمان .

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾: عالمي زمانكم ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ

يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ[1] ﴾ ، كرر ذلك وختم بـــه الكلام معهم مبالغة في النصح وكأنه الفذلكة والمقصود بالذات ، ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى**﴾: اختبر أي: عامل معاملة المختبر ، ﴿**إِبْرَاهِيمَ رَبُّـــهُ**﴾: رَبُّ إبراهيـــم ، ﴿**بِكَلِمَـــاتٍ**﴾ ، في الكلمات[2] اختلاف كثير ، أي : شرائع وأوامر ونواهي أو ثلاثين خصلة عشـــر في البراءة ، "التائبون العابدون" (التوبة:١١٢) إلخ.. وعشر في أول سورة "قـــد أفلـــح المؤمنون" (المؤنون:١-٩)، و"سأل سائل" (المعارج:٢٢-٣٤)، وعشر في الأحـزاب ، "إن المسلمين والمسلمات" (الأحزاب:٣٥) إلخ.. ، أو عشر خصال خمس في الـــرأس: قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وخمس في الجسد: تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء[*] ، أو مناسك الحـــج ، أو أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: "فسبحان الله حين تمسون" (الروم:١٧) إلخ الآيـــة أو الآيات التي بعدها " إني جاعلك للناس إماماً " وغيرها ، ﴿**فَأَتَمَّهُنَّ**﴾: أداهن تامات وقام بهن حق القيام ، ﴿**قَالَ**﴾ ، استئناف كأنه جواب لمن قال ماذا قال له ربه حـــين أتمهن ؟ ، أو بيان لقوله ابتلي ، عند من يقول هي الكلمات ، ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّـــاسِ**

---

(١) لما بين حكاية آدم وهو أب الجميع وفصل حكاية مخالفات بعض أولاده وعدولهم عـــن الاستقامة أخذ يبين حكاية أب العرب إبراهيم الذي وفى تحريضًا على متابعته وتحذيـــرًا عن أن يكونوا مثل بعض أولاده فقال : " وإذ ابتلى إبراهيم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قال ابن جرير: ما حاصله أنه لا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم لـــه ثم قال إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب يعني إن الكلمات هو قوله : " إني جاعلك للناس إمامًا " وقوله : " وعهدنا إلى إبراهيم " وما بعده / ١٢ فتح .

(*) أخرج هذا التفسير الحاكم في "المستدرك"، (٢/٢٦٦) عن ابن عباس من قوله، وقـــال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي.

﴿إِمَامًا﴾: يقتدى بك وإمامته مؤبدة إلى الساعة ، **﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾** ، عطف على الكاف ، أي : اجعل من أولادي أئمة ، **﴿قَالَ﴾**: الله ، **﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾** ، في تفسيره أيضًا كثير خلاف الأرجح أنه إجابة لملتمسه وإشارة إلى أن في ذريته من لا يصلح للإمامة والنبوة ، **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾**: الكعبة ، **﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾**: مرجعًا يأتون ثم يرجعون ثم يأتون أو موضع ثواب ، **﴿وَأَمْنًا﴾**: من المشركين أبدًا فإنهم لا يتعرضون لأهل مكة ويتعرضون لمن حولها ، أو لا يؤاخذ الجاني الملتجئ إليها كما هو مذهب أبي حنيفة وقيل يأمن الحاج من عذاب الآخرة ، **﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾** ، مقام إبراهيم الحجر المعروف ، أو مسجد الحرام أو الحرم أو مشاعر[1] الحج وقد صح[*] أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال: نعم ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله : " واتخذوا "[**] الخ وهو عطف على عامل إذ أعني اذكر ، أو مقدر بقلنا[2] ، **﴿مُصَلًّى﴾** ، يسن الصلاة خلفها أو مُدَّعىً ، **﴿وَعَهِدْنَا﴾**: أمرنا ولأنه بمعنى الوحي عدى بإلى ، **﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾** ، أي : بأن طهراه من الأصنام[3] وما لا يليق[4] به أو ابنياه على التوحيد على اسمه وحده ، **﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ**

---

(١) كعرفة ومزدلفة ومنى ومن فسر كلمات بمشاعر الحج فسر مصلى بمدعى فإن إبراهيم قام في هذه المواضع ودعا فيه / ١٢ منه .

(*) في حاشية النسخة: في البخاري وغيره/ ١٢منه.

(**) أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾، (٤٤٨٣)، وفي غير موضع من صحيحه.

(٢) فيكون عطف على جعلنا البيت / ١٢ منه .

(٣) هذا قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء / ١٢ منه .

(٤) قال ابن جرير وغيره أنه كان يعبد عند البيت في زمن نوح الأوثان / ١٢ وجيز ومنه.

﴿السُّجُودِ﴾: لمن يطوف ولمن يجلس في المسجد ولمن يصلى ، أو المراد من الطائفين الغرباء ومن العاكفين المقيمين والركع السجود جمع راكع وساجد ، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾: المكان ، ﴿بَلَدًا آمِنًا[١]﴾: ذا أمن ، أو آمنا من فيه ، ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ، من آمن بدل البعض أهله ، ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ ، عطف[٢] على من آمن وهو من كلام الله ، نبه الله تعالى أن الرزق عام دنيوى لا كالإمامة ، أو مبتدأ تضمن معنى الشرط ، ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾ ، خبره وقليلاً نصبه بالمصدر ، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ ، أي : ألجئه إليها ، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [*]﴾ ، أي : العذاب[٣] ، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾: الأساس ، ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾: ورفعها البناء عليها ، ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ، كان يناوله الحجارة يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ، بنائنا البيت[**] ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: لدعائنا ، ﴿العَلِيمُ ﴾: بنياتنا ، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾: مخلصين منقادين ، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ ، أي: اجعل بعض أولادنا ، ﴿أُمَّةً﴾: جماعة ، ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾: خاضعة مخلصة والأصح أنها تعم[٤] العرب وغيرهم ، ﴿وَأَرِنَا﴾: أبصرنا ، ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: معالم

---

(١) نحو ليل نائم / ١٢ منه .

(٢) هذا العطف عطف تلقين كأنه قال : قل وارزق من كفر أيضًا فإنه مجاب/١٢ منه.

(*) في الأصل وما قبلها وما بعدها .

(٣) يعني : أن المخصوص بالذم محذوف / ١٢ .

(**) في حاشية النسخة: بالإثابة /١٢ منه.

(٤) قال السدي : يعنيان العرب قال ابن جرير الصواب أنه أعم لأن من ذريته بني إسرائيل قال: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (الأعراف:١٥٩)/ ١٢ منه .

حجنا أو مذابحنا ، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾: مما فرط عنا ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[١]﴾: للتائب ، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمة المسلمة ، ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ[٢]﴾ ، وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿يَتْلُو﴾: يقرأ ، ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ﴾: القرآن ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة أو الفهم في الدين أو العلم والعمل به[٣] ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: عن الشرك ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ﴾: الغالب ، ﴿الحَكِيمُ﴾: واضع الأشياء في محالها .

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ

---

(١) رحمته وإن اشتملت التائب وغيره لكن الرحيم هو المبالغ في الرحمة ولذلك خصها السلف بالتائب / ١٢ منه .

(٢) وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم : أنا دعوة أبي إبراهيم / ١٢ وجيز ومنه .[وهو حديث صحيح أخرجه أحمد (٢٦٢/٥) من حديث أبي أمامة مرفوعا، وانظر الصحيحة (١٥٤٦)، وصحيح الجامع (١٤٦٣)].

(٣) الأول قول الحسن وقتادة ومقاتل وأبي مالك وغيرهم والثاني قول عطاء والثالث قول محمد بن اسحاق / ١٢ منه .

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞

﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ**﴾: استبعاد عن ذلك أى لا يرغب أحد ، ﴿**إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾: خسرها أو جهل[1] نفسه أو ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره والمستثنى بدل من ضمير يرغب لأنه في معنى النفي ، ﴿**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا**﴾: اخترناه للرسالة ، ﴿**وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾: وهذه[2] حجة وبيان لقوله "ومن يرغب" ، ﴿**إِذْ قَالَ**﴾ ، ظرف لاصطفينا أو بأضمار اذكر كأنه قال : اذكر ذلك

---

(١) فلم يعلم أنها مخلوقة لله ويجب عليها عبادة خالقها، وعن المبرد سفه بكسر الفاء متعد وفي الحديث الكبرأن تسفه الحق وتغمض الناس / ١٢ منه .

(٢) أي مجموع قوله ولقد اصطفيناه إلخ .

الوقت لتعلم أنه المصطفى ، ﴿لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ[١]﴾: استقم على الإسلام أو أخلص العمل لله أو أسلم نفسك إلى الله وفوض أمرك إليه ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: حقق ذلك حيث لم يستعن بغير الله حين ألقي[٢] في النار ، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا﴾: بالملة أو كلمة الإخلاص ، ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ ، أي وصى هو أيضاً بنيه ، ﴿يَا بَنِيَّ﴾ ، على إضمار القول أو متعلق بوصى لأنه نوع من القول ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾: دين الإسلام ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، أي : داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا عليه ، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ ، منقطعة[٣] والهمزة للإنكار أي : ما كنتم حاضرين، وهذا رد على اليهود حيث قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ ، تم الكلام ثم ابتدأ بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ ، كأنه قال : اذكر ذلك الوقت حتى لا تدعى إليه اليهودية أو متعلق بقالوا نعبد ، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ، نصبه على البدل من إله آبائك وإسماعيل عمه فهو من التغليب ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ، حال من معمول نعبد ، ﴿تِلْكَ﴾ ، أي: إبراهيم

---

(١) إن كان الأمر قبل النبوة عند استدلاله بالكواكب فأسلم على ظاهره و إلا فالمراد منه الثبات أو غير ذلك / ١٢ منه .

(٢) وذلك حين قال جبريل عليه السلام "ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا". / ١٢ منه .

(٣) قيل أم متصلة أى : تدعون على أنبياء اليهودية بلا سند أم كنتم حاضرين وفي البحر لا نعلم أحدًا أجاز حذف هذه الجملة ولا نحفظ ذلك في شعر ولا غيره وقيل منقطعة بمعنى بل للإضراب عن الكلام الأول لا بمعنى نفيه والحكم ببطلانه بل بمعنى الأخذ فيما هو أهم وقيل قد يجيء المنقطعة بمعنى الهمزة وحدها ويكون لمجرد الإنكار وهاهنا كذلك / ١٢ منه .

ويعقوب وبنوهما ، ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ، ﴿لَهَا لها ما كسبت﴾: من العمــل ، ﴿وَلَكُم﴾: يا معشر اليهود ، ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾ ، أي : انتســابكم إليــهم لا يوجــب انتفاعكم بأعمالهم ، ﴿وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: لا تؤاخذون بســيئاتهم ، كما لا تثابون بحسناتهم ، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ ، قالت اليـهود للمؤمنين : كونوا على ديننا فهو الحق ، وقالت النصارى مثله ، ﴿قُــلْ بَــلْ مِلَّــةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، أي : نكون أهل ملته ، أو نتبع ملته ، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن البــاطل إلى الحق حال عن إبراهيم ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وهذا تعريض للمخـلطين ، ﴿قُولُوا﴾: أيها المؤمنون ، ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾: القرآن ، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَــى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾: أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء ، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ ، أفردهما بحكم[١] أبلغ لأن التراع فيــهما ، ﴿وَمَــا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾: المذكورون وغيرهم ، ﴿مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَــدٍ مِّنْــهُمْ﴾: كاليهود يكفر ببعض ويؤمن ببعض واحد بحسب[٢] الوضع يستوى فيه المفرد والجمـع والمذكر والمؤنث ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: لله ، ﴿مُسْلِمُونَ ﴾: مخلصون منقادون ، ﴿فَــإِنْ[٣] آمَنُوا﴾ ، أي : أهل الكتاب ، ﴿بِمِثْلِ مَا[٤] آمَنتُم بِهِ﴾ ، المثل صلة والبــاء زائــدة أي : مثل إيمانكم بالمذكور ، أو هو من باب التعجيز إذ لا مثل لدين الإسلام نحو قوله تعالي : "فأتوا بسورة من مثله" (البقرة:٢٣)، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضــوا

---

(١) وهو الإيتاء فإنه أبلغ من الإنزال / ١٢ منه .

(٢) فهو اسم لمن يصح أن يخاطب ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو في كــلام غير موجب، نص على ذلك أبو علي وغيره من أئمة العربية / ١٢ منه .

(٣) جاء بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير / ١٢ منه .

(٤) أي : حصلوا دينًا آخر مثل دينكم مساويًا له في الصحة والسداد فقــد اهتــدوا/١٢ منه.

عن الإيمان ، ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: خلاف ونزاع ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ ، تسكين للمؤمنين ووعد بالحفظ والنصرة ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ ، من تمام الوعد والوعيد لا في طلب حق، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ، من تتمة المقول أي: قولوا التزمنا[1] دين الله ، أو صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغ حلية المصبوغ ، نقل أن النصارى يغمسون أولادهم في ماء أصفر ويقولون : هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم فيكون للمشاكلة ، ونقل أن بني إسرائيل قالوا لموسى : هل يصبغ ربك ؟ فناداه[2] ربه أن قل نعم أنا أصبغ الألوان وأنزل الله على نبيه : " صبغة الله " ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[*]: لا صبغة أحسن من صبغته ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾: مطيعون لا نشرك به كشرككم عطف على آمنا ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد لأهل الكتاب ، ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾: أتجادلوننا[3] ، ﴿فِي اللَّهِ﴾ ، في دين الله وأمره حيث قالوا

---

(١) قدرنا التزمنا ليكون داخلاً في مقول قولوا آمنا لأنه لو قدرنا الزموا كما قدره كثير من المفسرين يلزم فك النظم لأن قوله: "ونحن له عابدون" عطف على "آمنا" ، فيلزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبي وهو قوله: "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" فإنه ليس من مقول قولوا حينئذ وقيل: نقدر الزموا ، وقوله: "ونحن له عابدون" مقدر بالقول ، أي : وقولوا : نحن له عابدون فلا يلزم فك النظم وأنت تعلم أن ما ذكرناه أقل حذفًا وأمتن فتدبر / ١٢ منه .

(٢) عن سيبويه أن صبغة الله مصدر مؤكد لقوله : " آمنا بالله " فإن الإيمان يطهر النفوس كأنه قال : طهرنا الله تطهيره / ١٢ .

(*) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير"، (٨٩/١) وعزاه إلى ابن مردويه ابن أبي حاتم من طريق أشعب بن إسحاق عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعا. وقال: "كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعا، وفي رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح إسناده".

(٣) أتجادلوننا في شأن الله واصطفاءه النبي من العرب دونكم؟! / ١٢ منه .

الأنبياء منا فنحن أولى بالله منكم ، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: لا اختصاص له بقوم دون قوم ، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: لكلٍّ جزاء عمله فليس ببعيد أن يكرمنا الله تعالى ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾: موحدون ، أي : لنا هذا المزيد دونكم ، ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ ، أم منقطعة والهمزة للإنكار ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ ، "ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا" (آل عمران:٦٧)، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ[1] مِنَ اللَّهِ﴾ ، يقرأون في التوراة أن الدين الإسلام وأن هؤلاء الأنبياء برآء من اليهودية والنصرانية ، فشهد الله بذلك فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وعيد لهم ، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، كرر مبالغة في الزجر عما في الطباع من الاتكال بالأشراف من الآباء ، قيل: الخطاب فيما سبق لأهل الكتاب وفي الآية لنا ، وقيل : المراد بالأمة في الأول: الأنبياء وفي الثاني: أسلاف أهل الكتاب.

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ

(١) الظرفان كلاهما صفة شهادة / ١٢ منه .

وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿**سَيَقُولُ**[1] **السُّفَهَاءُ**[2] **مِنَ النَّاسِ**﴾: اليهود ومشركو مكة، ﴿**مَا وَلَّاهُمْ**﴾: ما صرفهم، ﴿**عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**﴾، وهى الصخرة، ﴿**قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ**

---

(١) ظاهر فى الاستقبال وهو خبر من الله قبل استقبالهم الكعبة، فهو من المعجزات، وذهب قوم إلى أنه نزل أولا " قد نرى تقلب وجهك فى السماء "، ثم نزل سيقول السفهاء نص على ذلك ابن عباس وغيره وحديث البخارى، وهو أنه صلى الله عليه وسلم صلى فى المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر، أو سبعة عشر شهرًا وكان يجب التوجه نحو الكعبة، فنزل " قد نرى تقلب وجهك فى السماء " الآية، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود: " ما ولاهم عن قبلتهم " الآية فقال الله تعالى: " قل لله المشرق والمغرب " فعلى هذا السين دل على أنهم كما صدر عنهم فى الماضى يصدر عنهم فى الآتى، فهم فى ضلالتهم فى الأول والثانى / ١٢ وجيز [أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم..." (٤٤٨٦)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "المساجد ومواضع الصلاة" (٢/١٦٠)].

(٢) الذين خف أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر / ١٢ بيضاوى .

﴿وَالْمَغرِبُ﴾: ملكًا لا يختص به مكان دون مكان، **﴿يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**: تقتضيه الحكمة فتارة إلى الصخرة ثم إلى الكعبة، **﴿وَكَذَلِكَ﴾**: كما هديناكم صراطًا مستقيمًا، وقيل إشارة إلى ولقد اصطفيناه فى الدنيا، أي: كما اخترنا إبراهيم عليه السلام، **﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا[1]﴾**: عدولا خيارًا، **﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾**: على صدقكم، **﴿شَهِيدًا﴾**، وذلك لأن الأمم يجحدون يوم القيامة تبليغ الأنبياء، فالأنبياء يأتون بأمة محمد -عليه الصلاة والسلام- فيشهدون بالتبليغ، فتقول الأمم: من أين عرفتم ؟، فيقولون: أخبرنا نبينا فى كتابه[*]، ثم يزكيهم محمد عليه الصلاة والسلام-، **﴿وَمَا[2] جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ[1] الَّتِى كُنتَ**

---

(١) وقد ثبت عن النبى -صلى الله عليه وسلم- تفسير الوسط هاهنا بالعدل رواه أحمد والترمذى وصححه والنسائى وغيرهم مرفوعًا فوجب الرجوع إلى ذلك/١٢ فتح [بل ثبت هذا التفسير فى البخارى مرفوعًا (ح٤٤٨٧)].

(*) أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا**...". (٤٤٨٧)، وفى غير موضع من صحيحه.

(٢) قيل: التصير الانتقال، فالمتلبس بالحالة الأولى هو المفعول الأول، وبالحالة الثانية هو الثانى، نحو: جعلت الطين، خزفًا والجاهل عالمًا، فعلى هذا، التى كنت عليها هو المفعول الأول، لا كما قاله الزمخشرى: ما صيرنا قبلتك الآن الجهة التى كنت عليها أولا، ثم قال: كان -صلى الله عليه وسلم- يصلى إلى الكعبة ثم صلى إلى بيت المقدس، ثم أمر أن يصلى إلى الكعبة، وكل واحد من الكعبة، وبيت المقدس صالح لأن يوصف بقوله التى كنت عليها لأنه قد كان عليه السلام متوجهًا إليهما فى وقتين فافهم / ١٢ منه.

ومفعوله الثانى، إلا لنعلم كما تقول: ضرب زيد للتأديب، أى: كائن له وعلى هذا يحتمل أن يراد بالقبلة الكعبة، ويحتمل أن يراد بيت المقدس إذ كل منهما متصف بأنه كان عليه م ١٢ منه .

عَلَيْهَا﴾، أى: أصل أمرك استقبال الكعبة، فإنها قبلة إبراهيم، لكن جعلنا قبلتك بيت المقدس، وقوله: " التى كنت عليها " أحد مفعولى جعل، أى: الجهة التى كنت عليها[٢]، وقيل: تقديره وما جعلنا تحويل القبلة التى كنت عليها، وعلى هذا التى صفة القبلة أقول والله أعلم بمراده: يحتمل أن يراد من التى كنت عليها الكعبة، أى: خاطرك مائل إليها، فإن الأصح أن القبلة قبل الهجرة الصخرة لكن خاطره الأشرف مائل إلى أن تكون الكعبة قبلة، **﴿إلاَّ لِنَعْلَمَ[٣]﴾**: علمًا حاليًا يتعلق به الجزاء، **﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾**: عند نسخ القبلة، **﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾**: يرتد، والظاهر أن تقديره متميزًا، ممن ينقلب حال من فاعل يتبع، أو ثانى مفعولى نعلم، وقد نقل أن كثيرًا من المسلمين ارتدوا عند تحويل القبلة، ظنًا منهم أن هذا حيرة منه عليه الصلاة والسلام، **﴿وَإِن كَانَتْ﴾**، أى التولية[*]، وإن مخففة، **﴿لَكَبِيرَةً﴾**: ثقيلة، **﴿إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾**، أى: هداهم الله، **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾**: بالقبلة الأولى، وتصديقكم واتباعكم نبيكم فى القبلة الثانية، أو صلاتكم إلى الصخرة، ففى

---

(١) (حديث) صلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فى مسجد بنى سلمة ركعتين فتحول إلى الكعبة فى الصلاة، وتبادل الرجال والنساء الصفوف، فسمى المسجد ذا القبلتين، كذا ذكره البيضاوى، وقال السيوطى: هذا تحريف للحديث، فإن قصة بنى سلمة لم يكن فيها النبى -صلى الله عليه وسلم- إماما، ولا هو الذى تحول فى الصلاة/١٢.

(٢) قبل هذا الوقت وهى بيت المقدس / ١٢ منه .

(٣) العلم هاهنا بمعنى الإدراك فلا يطلب إلا مفعولاً واحدًا وثانى مفعوليه ممن ينقلب، وقيل: من استفهامية مبتدأ، ويتبع خبره فيكون العلم من المتعدى إلى مفعولين معلقًا بالاستفهام عن العمل / ١٢ منه .

وقيل: معناه فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم / ١٢ منه .

(*) فى حاشية النسخة: إلى الكعبة/١٢منه.

الصحيح[*] أن الصحابة سألوا كيف حال إخواننا الذين ماتوا على القبلة الأولى ؟ فنزلت، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ[١]﴾، فلا يضيع أجورهم والرءوف أبلغ من الرحيم، ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، أى: تردد وجهك فى جهة السماء انتظارًا لجبريل والوحى بتغيير القبلة، فإنه يحب أن تكون "قبلةً" قبلة أبيه إبراهيم، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾، نمكننك استقبال قبلة من وليته كذا، أى صيرته واليًا له، ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾، تحبها، ﴿فَوَلِّ﴾: اصرف، ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أى: نحوه، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾، من بر وبحر، وهو بمعنى الشرط، أى: أينما كنتم[٢] فالفاء، ﴿فَوَلُّوا﴾، للجزاء، ﴿وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، حين الصلاة، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: اليهود، ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أمر الكعبة، ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، ليقينهم بحقية محمد عليه الصلاة والسلام، وبأن الكعبة قبلة إبراهيم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من العلم وكتمانه، ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: دالة على أن الكعبة قبلة، ﴿مَّا[٣] تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾، لأنهم حساد جاحدون، ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾، قطع لأطماع اليهود الرجوع إلى الصخرة ثانيًا، ﴿وَمَا بَعْضُهُم[٤] بِتَابِعٍ

(*) أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "سيقول السفهاء من الناس..." (٤٤٨٦).

(١) قيل: معناه لرءوف بالمؤمنين فى الدارين رحيم على الفاسقين، وقيل: قدم الرءوف محافظة على الفواصل / ١٢ منه .

(٢) لا يجوز أن يكون حيث ما كنتم ظرفًا لقوله فول لأنه يلزم اجتماع حرفى العطف/١٢ منه .

(٣) قوله: " ما تبعوا " جواب قسم محذوف، دل عليه اللام الموطئة فى " ولئن أتيت " سد مسد جواب الشرط / ١٢ منه .

(٤) قال الحافظ ابن القيم فى بدائع الفوائد: قبلة أهل الكتاب ليست بوحى وتوقيف من الله؛ بل بمشورة واجتهاد منهم، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم فى الإنجيل ولا فى =

﴿قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى مطلع الشمس، فمحال أن تراعى خاطرهم، إن أردت مثلا لاختلافهم، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾، مثلاً، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، بأن لك الحق بالوحى، ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، مثلهم وبالحقيقة هذا تهديد لأمته، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: علماءهم، ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: محمدًا بنعته وصفته، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: كمعرفتهم أبناءهم بلا التباس، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، أي: نعته وصفته، أما العوام فلا يعرفون شيئًا، وأما المؤمنون منهم فلا يكتمون، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فإنهم يقرؤن فى كتابهم، ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، مبتدأ أو خبر واللام للإشارة إلى الحق الذى يكتمونه، أو إلى ما عليه محمد عليه الصلاة والسلام، أو تقديره هو الحق[1] حال كونه من ربك، ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكين فيما أخبرتك، وهذا مبالغة فى تحقيق الأمر، أو أمر للأمة .

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ

= غيره باستقبال المشرق وهم يقرون بأن قبلة المسيح قبلة بنى إسرائيل، وهى الصخرة وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدًا، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر، وأما اليهود فليس فى التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا إليه، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة / ١٢ فتح .

(١) حال مؤكدة وجاز أن يكون خبرًا بعد خبر / ١٢ منه .

حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾: من أهل الأديان، ﴿وِجْهَةٌ﴾: قبلة، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: وجهه، ووجهة الله حيث توجه المؤمنون، أو الله مولى الأمم إلى قبلتهم، ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: بادروا، ﴿الخَيْرَاتِ﴾: قبول أمر القبلة وغيره، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾، أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: يحشركم إليه ويجازيكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الإماتة والإحياء والجمع، ﴿قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾: من أى مكان خرجت، افعل ما أمرت به، فالفاء فى، ﴿فَوَلِّ﴾، للعطف[1] على مقدر، ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، إذا صليت، ﴿وَإِنَّهُ﴾: المأمور به، ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ

---

(١) لا مساغ فى عمل " فول " فى " ومن حيث خرجت " لاجتماع حرفى العطف، وإن جوزنا إعمال ما بعد الفاء فيما قبله، فالوجه أنه متعلق بمحذوف كما قدرنا، وجاز أن تجعل " ومن حيث خرجت " فى معنى الشرط، أى: أينما كنت وتوجهت، فالفاء للجزاء، صرح بذلك العلامة التفتازانى واخترناه فى " وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم " / ١٢ منه .

وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، لما كان النسخ من مظان الفتن والشبه، أكد وكرر وبالغ مرارًا، ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾، أحد من الآحاد، ﴿عَلَيْكُمْ[1] حُجَّةٌ[2]﴾، فإن اليهود قالت: مادرى[3] محمد أين قبلته حتى هديناه، فلما صرفت القبلة بطلت صورة حجتهم، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: من الناس، كمشركى مكة، فإنهم قالوا: محمد قد تحير فى دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، والاستثناء متصل، قيل: معناه لئلا يكون لأحد من اليهود حجة، إلا للمعاندين منهم، فحجة المنصفين أن يقال لم لا يحول إلى قبلة إبراهيم كما هو مذكور فى نعته فى التوراة؟ وحجة المعاندين، أنه ما ترك قبلة الأنبياء إلا ميلاً إلى دين قومه، والمراد من الحجة ما يساق سياقها، ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾، المشركين، فمطاعنهم لا تضركم، ﴿وَاخْشَوْنِي﴾: فلا تخالفوا أمرى، ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾، بتكميل الشريعة، وهو عطف على قوله لئلا يكون، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكى تهتدوا أنتم خصوصًا إلى قبلة إبراهيم، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾، متصل بما بعده، أى: كما ذكرتكم بالإرسال، فاذكرونى، أو بما قبله، ومعناه: ولأتم نعمتى عليكم فى الآخرة كما أتممتها فى الدنيا بإرسال رسول منكم، ﴿رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يحملكم ما تصيرون به أزكياء من رذائل الأخلاق، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: بالفكر من الأحكام

---

(١) الظاهر أن عليكم حال من حجة، والناس خبر يكون ١٢ منه .

(٢) قيل: حجة الظالمين هى أنه يزعم أن دينه دين إبراهيم، فإن كان بيت المقدس قبلة إبراهيم فلم تحول عنه / ١٢ منه .

(٣) هكذا فسره أبو العالية ومجاهد وعطاء والضحاك وربيع بن أنس وقتادة والسدى/١٢ منه.

والشرائع، ﴿فَاذْكُرُونِي﴾: بالطاعة أو فى الرخاء، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بالمغفرة أو فى الشدة، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾: نعمى، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، بجحد نعمى، ومن أطاع الله فقد شكر ومن عصاه فقد كفر .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾: على طلب الآخرة، ﴿بِالصَّبْرِ﴾: عن المعاصى، ﴿وَالصَّلاةِ﴾، التى هى أم العبادات[1]، ﴿إِنَّ[2] اللَّهَ مَعَ[3] الصَّابِرِينَ﴾: بالعون

---

(١) الفارق بين الكفر والإيمان والصبر أمر قلبى، والصلاة ثمرته، وهى من أشق التكاليف لتكررها فى كل يوم وليلة / ١٢ وجيز .

(٢) قال شيخ الإسلام فى شرح حديث الترول: ولفظ المعية فى كتاب الله جاء عامًا، كما فى قوله تعالى: "وهو معكم أينما كنتم" [الحديد:٤] وفى قوله:" ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" إلى قوله "هو معهم أينما كانوا" [المجادلة:٧] وجاء خاصًا كما فى قوله: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" [النحل:١٢٨]، وقوله: "إنى معكما أسمع وأرى" [طه:٤٦]، وقوله: "لا تحزن إن الله معنا" [التوبة:٤٠] ولو كان المراد أن الله بذاته مع كل شيء، لكان التعميم يناقض التخصيص فإنه قد علم أن قوله: " لا تحزن إن الله معنا " أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله: " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " خصهم بذلك دون الظالمين والفجار، وأيضاً فلفظ المعية ليست فى لغة العرب ولا شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى كما فى قوله: "محمد رسول الله والذين معه" [الفتح:٢٩]، قوله: "فأولئك مع المؤمنين" [النساء:١٤٦]، وقوله: "اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" [التوبة:١١٩]، وقوله: "وجاهدوا معكم" [الأنفال:٧٥]، ومثل هذا كثير، فامتنع أن يكون قوله: "وهو معكم" [الحديد:٤] يدل على أن ذاته تكون مختلطة بذوات الخلق، وأيضًا فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به، وقد بسط الكلام عليه فى موضع آخر، وبين أن لفظ المعية فى اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة، فهو إذا كان مع العباد، ولم يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته فى كل موطن بحسبه، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد . انتهى مختصرًا / ١٢ .

(٣) ولما كانت الصلاة ناشئة عن الصبر، قال: "إن الله مع الصابرين" اندرج المصلون تحت الصابرين، اندراج الفرع تحت الأصل / ١٢ منه .

والنصرة، ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، هم، ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ﴾، هم، ﴿أَحْيَاءٌ﴾، نزلت فى قتلى[١] بدر من المسلمين وأرواح[٢] الشهداء فى أجواف طير خضر تسرح فى الجنة، ﴿وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾: ما حالهم، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: ولنصيبنكم إصابة من يختبركم، ﴿بِشَيْءٍ﴾، أى: قليل، ﴿مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، أى: القحط، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ﴾: خسران الأموال، ﴿وَالأَنفُسِ﴾: الموت أو هو المرض والشيب، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: الجوائح، وحكى عن الشافعى رضى الله عنه: الخوف، خوف الله والجوع رمضان، ونقص الأموال الزكوات والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد، ﴿وَبَشِّرِ﴾: يا محمد، ﴿الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: مما ذكر، ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾: عبيد أو ملكًا، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: فى الآخرة فلا يضيع عمل عامل، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾: مغفرة[٣]، أو ثناء من الله وأمنة من العذاب، ولكثرتها وتنوعها جمعها، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ[٤]﴾، لطف وإحسان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾: إلى الصواب أو إلى الجنة، ﴿إِنَّ الصَّفَا

---

(١) هم أربعة عشر / ١٢ منه .

(٢) هذا الحديث مذكور فى صحيح مسلم وتتمته (تسرح فى الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش) / ١٢ منه[أخرجه فى الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة (٤/٥٥٠)] .

(٣) فى مسند الإمام أحمد، وسنن ابن ماجة (ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها، وإن طال عهدها، فيسترجع، إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه/١٢ منه[وهو حديث ضعيف، انظر تعليق الشيخ الألبانى على المشكاة (١٧٥٩)].

(٤) قال الزمخشرى: عطف الرحمة على الصلوات بمترلة أن يقال: عليهم رأفة ورحمة بعد رحمة / ١٢ منه .

﴿وَالْمَرْوَةَ[1]﴾: جبلان بمكة، ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام مناسكه، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾، الحج والعمرة عبادتان معينتان فى الفقه، ﴿فَلاَ جُنَاحَ﴾: إثم، ﴿عَلَيْهِ﴾، فى، ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: بالجبلين، كان فيهما صنمان معروفان، وأهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الحق وزهق الباطل، كره المسلمون الطواف بينهما فأنزل الله، وعند الشافعى: هو ركن الحج بدليل الأحاديث والآية لا[2] تنافيه، ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، من صلاة وزكاة وطواف وغيرها، أو تطوع بالسعى عند من يرى أنه سنة[3] ونصب خيرًا على المعفول المطلق، أو تطوع بمعنى: فعل وأتى، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾: مجازيه بعمله، ﴿عَلِيمٌ﴾، لا يخفى عليه خافية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا﴾، علماء اليهود، ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾، صفة محمد، وآية الرجم، وغيرهما، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾: جميع الخلق سوى الجن والإنس أو الملائكة والجن والإنس المؤمنون، يعنى: يقولون اللهم العنهم قد نقل[4] أن البهائم والطيور إذا اشتدت السنة تلعن عصاة بنى

---

(١) ولما كان الحج أخا الجهاد، وسماه النبى -صلى الله عليه وسلم- أحد الجهادين، وفيه نقص الأموال، والصبر على هجران الأصحاب، وترك الوطن، وفيه مشاهدة القبلة، وهى متمنى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، قال: " إن الصفا والمروة من شعائر الله " / ١٢ وجيز.

(٢) إذا عرفت مورده كما ذكرناه، بل قوله: " من شعائر الله " أى: ما شرع الله تعالى فى مناسك الحج يؤيده / ١٢ منه .

(٣) وهو مذهب ابن عباس وأنس والزهرى / ١٢ منه .

(٤) فى الحديث: إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه، تسمعها كل دابة غير الثقلين، فتلعنه كل دابة سمعت صوته، فذلك قوله تعالى: " أولئك يلعنهم الله " إلخ.. رواه ابن أبى حاتم / ١٢ منه .

آدم[*]، ﴿إِلاَّ الَذينَ تَابُوا﴾: رجعوا عن الكتمان، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾، ما أفسدوا، ﴿وبَيَّنُوا﴾: للناس ما كانوا كتموه، ﴿فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: بالقبول والمغفرة، ﴿وأَنَا التُّوَّابُ﴾: المبالغ فى قبول التوبة، ﴿الرَّحِيم﴾: كثير الرحمة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ومَاتُوا وهُمْ كُفَّارٌ﴾: ماتوا على الكفر، ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، المراد من الناس المؤمنون، أو هذا فى الآخرة يوقف الكافر فيلعنه جميع الناس، حتى إنه يلعن نفسه، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: فى اللعنة، ﴿لاَ يُخَفَّفُ[1] عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾، أى: لا يمهلون، أو لا ينتظرون ليعتذروا، وقيل: لا ينظر إليهم نظر رحمة، ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، كفار قريش قالوا: يا محمد! صف لنا ربك فأنزل الله، ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾: ليس فى الوجود إله غيره، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، هما كالحجة لوحدانيته، فإنه مولى النعم وحده، فغيره لا يستحق العبودية، ولما سمعه المشركون، قالوا: إن كنت صادقًا فى أن لا إله إلا الله فأتنا بآية، فأنزل الله .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

(*) أخرج ذلك سعيد بن منصور فى سننه وابن جرير على مجاهد من قوله.

(١) هذه الآية مكذبة لمن يدعى أن الكفار بعد مدة فى النار لا يجدون ألم الحرقة أو هم غير معذبين/١٢ وجيز .

ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ[1] السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: تعاقبهما، ﴿وَالْفُلْك الَتِى تَجْرِى فِى البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾: بنفعهم أو بالذى ينفعهم من الركوب والحمل، ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾، السماء السحاب، أو الفلك، أو جانب العلو، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾: بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: جدوبتها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾، فرق فى الأرض، عطف على أحيا، والمجموع صلة، أو على ما أنزل بتقدير الموصول، أى: وما بثه، ﴿مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾، فى مهابها وأحوالها، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، أى: المذلل لأمر الله، بينهما لا ينزل ولا ينقشع، ﴿لآيَاتٍ﴾: دلالات على وحدته، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتفكرون فيها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾: أصنامًا جعلوا له أمثالاً يعبدوهم، ﴿يُحِبُّونَهُمْ[2] كَحُبِّ اللَّهِ﴾: يعظموهم كتعظيمه، أى: يسوون بينه

---

(١) أى إيجادهما أو خلقهما وشكلهما كما يقال: خلق فلان أحسن أى شكله/ ١٢ منه .

(٢) قال العلامة ابن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى باب التوبة: أما الشرك فهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة وهو أن يتخذ من دون الله تعالى ندًا يحبه كما يحب الله تعالى، وهو الشرك الذى تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولذا قالوا لآلهتهم فى النار: "تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين"[الشعراء: ٩٨،٩٧] مع إقرارهم بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء ومليكه وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تميت ولا تحيي وإنما كانت هذه التسوية فى المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حـــال أكثر =

وبينهم فى الطاعة، أو يحبونهم كحب المؤمنين الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾،

= مشركى العالم بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله تعالى؛ وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله تعالى ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله تعالى، ويغضبون بتنقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم ما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتقصت حرمات آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث أو الكلب، وإذا انتهكت حرمات الله تعالى لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئًا رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم قد شاهدنا نحن وغيرنا هذا منهم جهرة انتهى . وقال الإمام تقى الدين أحمد بن على المقريزى رحمه الله: ومن أجل الشرك وأصله الشرك فى محبة الله قال تعالى: " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله " فأخبر سبحانه أنه من أحب مع الله شيئًا غيره كما يحبه فقد اتخذ ندًا من دونه، وهذا على أصح القولين فى الآية، أنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور فى قوله تعالى: "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون"[الأنعام: ١] والمعنى: على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره فى العبادة فيسوون بينه وبين غيره فى الحب والعبادة وكذلك قول المشركين فيا لنار لأصنامهم "تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين"[الشعراء:٩٨،٩٧] ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله فى كونه ربهم وخالقهم فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم، وأن الأرض ومن فيها لله تعالى وحده، وأنه رب السماوات ورب العرش العظيم، وأنه هو الذى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى فى المحبة، والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله تعالى، فكيف بمن كان غير الله تعالى أتم عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو فى مرضاته أشد سعيًا منه فى مرضات الله ؟، فإذا كان المسوى بين الله وبين غيره فى ذلك مشركًا فما الظن بهذا ؟ فعياذًا بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحد – انتهى.

لأنه لا تنقطع محبتهم عن الله عز وجل بحال، أما المشركون إذ اتخذوا صنمًا ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول، وأيضًا يعرضون عن معبودهم[1] حال البلاء، قال تعالى: " فإذا ركبوا فى الفلك " [العنكبوت:٦٥]، ﴿وَلَوْ يَرَى﴾: لو يعلم، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، باتخاذ الأنداد، ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾: عاينوه يوم القيامة، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾، ساد مسد مفعولى يرى، وجواب لو محذوف، أي[2]: لو يعلمون أن القدرة لله جميعًا لا قدرة لأندادهم، إذ يرون العذاب، أى: يوم القيامة، لندموا أشد الندامة، ومن قرأ ولو ترى بالتاء، فالذين ظلموا مفعوله من رؤية البصر، وإذ يرون العذاب بدل من الذين، وأن القوة بدل اشتمال من العذاب، وجواب لو محذوف أيضًا أى لرأيت أمرًا فظيعًا، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾: القادة من الملك وغيره، وهو بدل من إذ يرون، فيكون ظرفًا لقوله أن القوة، ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الأتباع، يقول الملائكة: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون"[القصص:٦٣]، ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾، الواو للحال، وقد مضمرة، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾، أى: بسبب كفرهم، أومتلبسًا ومتصلاً بهم، ﴿الأَسْبَابُ ﴾، أى: المودة، أو كل وصلة بينهم فى الدنيا، أو الأعمال التى يعملوها فى الدنيا، أو الحيل وأسباب الخلاص، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الأتباع، ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾، أى: ليت لنا رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: من المتبوعين، ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإراء الفظيع، ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: سيئاتهم، أو حسناتهم التى ضيعوها، ﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾: ندامات وهو ثالث مفاعيل يريهم، أو حال على أنه من رؤية البصر، ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، أصلاً .

---

(١) نقله محى السنة عن قتادة / ١٢

(٢) فى أيام حياتهم / ١٢ منه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۙ أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾

﴿**يَا أَيُّهَا**[1] **النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا**﴾، نزلت فى قوم حرموا على أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر، وحلالاً مفعول كلوا، أو حال من ما فى

---

(١) ولما بين من اتبع غير الأنبياء وهددهم بأن غيرهم فى مآلهم وبال عليهم والتابع متبرئ عن المتبوع تلطف بالنداء للكل فقال: "يا أيها الناس " الآية / ١٢ منه .

الأرض، والطيب ما يستطاب فى نفسه، غير ضار للأبدان والعقول[1] أو المستلذ، ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾، أى: سبله وطرقه، يعنى لا تقتدوا به، ﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾: ظاهر العداوة، عند ذوى البصيرة، ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ**﴾: المعاصى كلها أو معصية لا حد فيها، ﴿**وَالْفَحْشَاءِ**﴾: معصية فيها حد أو البخل، ﴿**وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾: كاتخاذ الأنداد، وتحليل الحرام وتحريم الحلال، ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ**﴾: لهؤلاء المشركين، أو طائفة من اليهود[2]، ﴿**اتَّبِعُوا**[3] **مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا**﴾: وجدنا، ﴿**عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾، الواو للعطف أو الحال والهمزة للتوبيخ والتعجيب، وجواب لو محذوف، أى: لو كان آبائهم جهلاء لاتبعوهم، ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: فيما هم فيه من الجهل والضلال، ﴿**كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾، أى: كمثل الدواب السارحة التى لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أى: دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول، بل إنما تسمع صوته فقط، هكذا نقل فى تفسيرها عن السلف، وحاصله أنهم فى انهماكهم فى تقليد الجهل كالبهائم التى ينعق راعيها بها

---

(١) فسره بذلك أكثر السلف / ١٢ منه .

(٢) الأول: قول بعض السلف والثاني: قول ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) وإنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان، تنبيهًا على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال وترك التأويل على ما يقع فى الخاطر أو على ما يقوله الغير من غير دليل كذا فى الكبير وكم من آية بينة وأثر جلى تدل على ذم التقليد والمقلدين وألف الحافظ الواحد المتكلم ابن القيم فى ذلك كتابًا ضخيمًا سماه "إعلام الموقعين عن رب العالمين"/١٢.

فتسمع الصوت ولا تفهم معناه، وقيل: تقديره مثل داعى الذين كفروا معهم "كمثل الذى" الآية وهو الأظهر، ﴿صُمٌّ﴾: عن سماع الحق، ﴿بُكْمٌ﴾: لا يتفوهون به، ﴿عُمْيٌ﴾: من رؤية مسلكه، ﴿فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾: ولا يفهمونه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾: حلالات، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، لما أباح الله للناس ما فى الأرض سوى ما حرم، أمر المؤمنين أن يتحروا حلالاته ويقوموا بحقوقها فقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾: على ما أحل لكم، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾: إن صح أنكم تختصونه بالعبادة فإن عبادتكم لا يتم إلا بالشكر، ﴿إِنَّمَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾: التى ماتت من غير ذكاة، ﴿وَالدَّمَ﴾، أى: دمًا[1] مسفوحًا والسمك والجراد والكبد والطحال مستثنى بالحديث[*]، ﴿وَلَحْمَ الخِنزِيرِ﴾: وتخصيص[2] اللحم بالذكر لأنه معظم ما يؤكل، ﴿وَمَا أُهِلَّ[3] بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: ما ذكر اسم غير الله عند ذبحه، وهذه

---

(١) يعنى كل من الكبد والطحال يصدق عليه أنه دم مسفوح كالخمر المتجمد فإنه نجس لأنه مسكر مائع فإنه كان كذلك / ١٢ منه .

(*) يعنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: "أحل لنا ميتتان ودمان، الحوت والجراد، والكبد والطحال" أخرجه أحمد (٢/٩٧)، وابن ماجه (٣٣١٤) وغيرهما، وانظر الصحيحة (١١١٨)، وصحيح الجامع .

(٢) مع أن جميع أجزائه حرام نجس كشحمه / ١٢ منه .

(٣) قوله وما أهل، أصل الإهلال رفع الصوت، أى: ما ذبح للأصنام والطواغيت وصيح فى ذبحه بغير الله، ولا خلاف فى تحريم هذا وأمثاله، ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم، فإنه مما أهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن، قال مجاهد: يعنى ما ذبح لغير الله . أخرجه ابن أبى حاتم وفى تفسير النيسابورى للنظام قال العلماء: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا وذبيحته ذبيحة مرتد انتهى / ١٢ فتح، وقال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية فى كتابه الـــصراط =

الآية رد على من حرموا على أنفسهم أشياء من عند أنفسهم، فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقًا فلا يرد أن المحرمات غيرها كثيرات، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: أحوج ولجئ إليه، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: خارج على السلطان[1] أو مستحله أو آكله من غير[2] اضطرار أو متجاوز القدر الذى أحل له وقيل باغ بالاستئثار على مضطر آخر، ﴿وَلاَ عَادٍ﴾، متعد عاص بسفره أو غيره متعد ما حد له، فيأكل أكثر مما يمسك رمقه[3]، أو يتعدى حلالا وهو يجد عن الحرام[4] مندوحة، ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فى تناوله، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، حيث رخص بالأشياء، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾،

= المستقيم فى الكلام على هذه الآية: الظاهر أنه ما ذبح لغير الله، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه يحرم، وإن قال فيه: باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن تجتمع فى الذبيحة مانعان . انتهى.

أقول أراد بذلك أن النحر عبادة مختصة بالله تعالى، كالصلاة فالنحر للأموات عبادة لهم، قال تعالى: " فصل لربك وانحر "[الكوثر:٢] والنحر من النسك، "إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين"[الأنعام:١٦٢] / ١٢ .

(١) الأول قول سعيد بن جبير ومجاهد، والثانى لمقاتل بن حيان، والثالث للسدى، والرابع لابن عباس وعثمان بن عطاء الخراساني/١٢ منه .

(٢) كأنه قال اضطرارًا واقعيًا / ١٢ منه .

(٣) هذا قول قتادة / ١٢ .

(٤) أى: سعة يعنى يجد شيئًا يسد رمقه من الحلال / ١٢ منه .

رؤساء اليهود، ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتَابِ﴾: من نعت محمد -صلى الله عليه وسلم- وغيره، ﴿وَيَشْتَرُونَ[1] بِهِ﴾: بما أنزل الله، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، من مال يأخذونه من سفلتهم كما مر، ﴿أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾، أى: لا يأكلون يوم القيامة ملأ بطوهم[2] إلا النار، ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾، كناية عن الغضب، أو لا يكلمهم بما يسرهم، ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يمدحهم ولا يثنى عليهم أو لا يطهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾: فى الدنيا، ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ[3]﴾: فى الآخرة، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، تعجب من حالهم، وما تامة مبتدأ، أو استفهامية توبيخية، ما بعدها الخبر، ﴿ذَلِكَ﴾، أى: ذلك العذاب، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الكِتَابَ﴾، أى: جنس الكتاب أو القرآن، ﴿بِالْحَقِّ﴾، وهم أخذوه هزوًا، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكِتَابِ﴾، أى: فى جنس الكتاب، والاختلاف الإيمان ببعض دون بعض، أو فى التوراة، والاختلاف التحريف أو فى القرآن واختلافهم تكذيبه بأنه سحر وشعر، ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: لفى خلاف بعيد عن الحق .

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

---

(١) يستبدلون بأن يأخذوا ثمنًا قليلًا ويكتمون ما أنزل الله / ١٢ منه .

(٢) قيل إن الرشاء التى يأكلوها تصير فى أجوافهم نارًا لكن لا يحسون بها إلا بعد الموت/١٢ منه .

(٣) جاز أن يكون المراد اعتاضوا عن المغفرة، أى: أسبابها بأسباب العذاب فيكون هو أيضًا فى الدنيا/ ١٢ منه .

ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أى: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا بعد ذلك شيئًا، كما هو فى أول الإسلام، فهذا حين نزول الفرائض، أو قبلة[1] اليهود المغرب وقبلة النصارى المشرق، فأنزل الله أو لما[2] تحولت القبلة شق ذلك على أهل الكتاب وبعض المؤمنين، فهذه الآية بيان حكمته، وهو أن المراد امتثال أوامر الله، وهو البر وليس فى لزوم التوجه قبل مشرق أو مغرب بر إن لم يكن عن أمر الله، **﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾** أى: برَّ من آمن، أو ذا البر من آمن بالله، **﴿وَالْيَوْمِ**

---

(١) هذا قول أبي العالية والحسن والربيع بن أنس / ١٢ منه .

(٢) هذا قول مجاهد والسدى / ١٢ منه .

الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾، أى: جنسه، أو القرآن، ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ[1]﴾: حب المال، أى: أخرجه وهو محب له، وقيل: على حب الله، ﴿ذَوِي[2] الْقُرْبَى﴾: قرابات الرجل، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾، من لا يجد ما يكفيه، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المسافر الذى انقطع عنه ما يكفيه فى سفره والضعيف صرح به السلف، ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: من ألجأته الحاجة إلى السؤال، ﴿وَفِي الرِّقَابِ[3]﴾، أى: فى تخليصها بمعاونة المكاتبين، وقيل فى فك الأسارى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ﴾: المفروضة، ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾: المفروضة ويكون قوله: " وآتى المال" بيان المصارف، أو صدقات السنة، ﴿وَالْمُوفُونَ[4] بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: الله والناس، عطف على من آمن، ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾: حال الفقر ونصبه على المدح[5] لفضل الصبر، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: القتال لله، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، فى إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام: "وآتى المال على حبه" أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه / ١٢ منه [انظر المستدرك (٢/٢٧٢)، وأقره الذهبى، لكن أخرجه موقوفًا على ابن مسعود وليس مرفوعًا كما ذكر].

(٢) المفعول الأول والمال مفعوله الثانى، وقدم لأن المقصود الأعظم هو إيتاء المال على حبه، هذا مذهب الجمهور / ١٢ منه .

(٣) قيل عبيد يشرون ويعتقون / ١٢ منه .

(٤) روى ابن أبى حاتم أنه قال عليه الصلاة والسلام (فى المال حق سوى الزكاة، ثم قرأ " ليس البر " إلى قوله تعالى: " وفى الرقاب ") / ١٢ .

(٥) كأنه قال وأخص الصابرين من بينهم / ١٢ منه .

آمَنُوا كُتِبَ﴾، أى: فرض، ﴿عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى﴾، كان بين حيين قتل ودماء، وكان لأحد الحيين فضل على الآخر، فحلفوا أن يقتلوا بالعبد منهم الحر، وبالمرأة الرجل، وبالواحد الاثنين فنزلت: ﴿الحُرُّ[1] بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾، أى: ليتساووا وليتماثلوا فى القصاص فلا يدل على ألا يقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى كما لا يدل على عكسه، ومن قال بعدم قتل الحر بالعبد فدليله الحديث، وروى عن بعض[2] السلف أنها منسوخة بقوله تعالى: " النفس بالنفس " فالقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى، ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، تقديره فمن عفى له عن جنايته من جهة أخيه، أى: ولى الدم شيء من العفو، فإن[3] عفا لازم، يعنى: أخذ الدية بعد استحقاق الدم، ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أى: فعلى[4] العاف أن يطالب الدية بالمعروف ولا يعنف، ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾، أى: وعلى المعفو عنه أن يؤديها بإحسان لا يمطل ولا يبخس، ﴿ذَلِكَ﴾، الحكم الذى هو أخذ الدية، ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾: مما كان محتومًا على الأمم قبلكم، من القتل فى اليهود، والعفو فى النصارى، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾: بالقتل، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد العفو، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: فى الآخرة، أو فى الدنيا بأن يقتل ولا يأخذ[5] منه الدية،

---

(١) أى الحر مقتول بالحر، أى: بقتله الحر، أى يقتص الحر بالحر/١٢ منه .

(٢) كابن عباس وأبى مالك وسعيد بن جبير / ١٢ منه

(٣) يعنى فسرنا بشيء من العفو وهو يدل على أنه مفعول مطلق أقيم مقام الفاعل، لأن عفا لازم يقال: عفوت لفلان عما جنى / ١٢ منه، قيل عفى بمعنى: محا، وإذا كان كذلك فشيء مفعول به أقيم مقام الفاعل / ١٢ منه .

(٤) يعنى فاتباع مبتدأ، خبره محذوف، وقيل: تقديره الأمر اتباع / ١٢ منه .

(٥) هذا مذهب بعض السلف يعنى من قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فعذابه القتل وقد كان الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله / ١٢ منه .

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، أى: لكم فى حكم القصاص نوع حياة عظيمة، لأن العلم به يردع عن القتل مخافة القصاص ويدفع الفتنة المنجرة إلى القتال العظيم، ﴿يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، دوى العقول، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١)﴾: عن القتل أو لكى تترجروا فتتركوا محارم الله، ﴿كُتِبَ﴾: فرض، ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ(٢) أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، أى: أسبابه، ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، أى: مالاً أىَّ مال، أو مالاً كثيرًا، واختلف فى الكثرة، فعن على رضى الله عنه: لابد أن يزيد على أربعمائة دينار، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾، وكان وجوبه فى بدء الإسلام فنسخ(٣)، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل فلا يتجاوز الثلث، ﴿حَقًّا﴾، أى: حق ذلك حقًا(٤)، ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: عن الشرك، ﴿فَمَن(٥) بَدَّلَهُ﴾: غيره من الأوصياء والشهود، ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾: من الميت، ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾، أى: التبديل، ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾، قد وقع أجر الميت على الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

(١) فإن التقوى اسم جامع لتلك الطاعات وترك المنكرات / ١٢ منه .

(٢) الظاهر أن إذا ظرف لكتب بمعنى: أن توجه الإيجاب حين حضور أسباب الموت وجزاء أن ترك محذوف يدل عليه الكلام ولا يجوز أن يكون العامل فى إذا الوصية لأنه لا يتقدم معمول المصدر المعرف باللام عليه /١٢ [وهو حديث صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٧٢٠)، والإرواء (١٤٠١)].

(٣) صرح بذلك جماعة لا يحصى من السلف وفى السنن وغيرها كان عليه الصلاة والسلام يخطب وهو يقول: إن الله تعالى أعطى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث/١٢ منه .

(٤) قيل حقًا لا يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا لأن على المتقين متعلق به أو صفة له وعلى كلا الوجهين يخرجه عن التأكيد، أما الأول فلأن المصدر المؤكد لا يعمل على ما تقرر فى النحو، وأما الثانى فلأنه حينئذ مخصص بالصفة ويخرجه عن التأكيد، فالأولى أنه مفعول مطلق لكتب لأنه بمعنى وجب وحق فهو كقعدت جلوسًا/١٢بحر/ ١٢ منه .

(٥) تذكير ضمير بدله وسمعه مع أنه للوصية لأنه بمعنى الإيصاء أو بمعنى أن يوصي/١٢ منه .

﴿سَمِيعٌ﴾: يسمع كلام الميت، ﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم تبديل المبدل، ﴿فَمَنْ خَافَ[1]﴾، أي: علم، ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾، خطأ فى الوصية مثل أن يوصى بأكثر من ثلث، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: عمدًا، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة والموصى لهم، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: فى التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ذكر الغفران لمطابقة ذكر الاثم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ

(١) استعمال الخوف بمعنى العلم والظن الغالب شائع فى كلامهم/١٢ منه .

لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، صيام رمضان، أو ثلاثة أيام من كل شهر وعاشور إثم نسخ، **﴿كَمَا كُتِبَ**[1] **عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾**، من لدن[2] نوح أو أهل الكتاب، **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**، المعاصى فإن الصوم تضييق لمسالك الشيطان، **﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾**، تقديره[3] صوموا أيامًا، **﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**[4] **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾**، أى: فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر، إن أفطر بحذف الشرط، والمضاف والمضاف إليه للقرينة، **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾**،

---

(١) روى ابن أبى حاتم حديثًا فيه: أن صيام رمضان كتبه الله تعالى على الأمم قبلكم، وأما القول الثانى فقد ذكر الإمام أحمد حديثًا صرح فيه وهو قول أكثر السلف/١٢ منه .

(٢) الظاهر أن ما مصدرية، أى: كتب كتابة مثل كتابته على من قبلكم / ١٢ منه .

(٣) لا يجوز أن يكون ظرفًا للصيام لعدم جواز الفصل بينه وبين معموله وأما كونه معمولاً لكما كتب فغير ظاهر معناه بل فاسد / ١٢ منه .

(٤) واختلف أهل العلم فى السفر المبيح للإفطار فقيل مسافة قصر الصلاة والخلاف فى قدرها معروف وبه قال الجمهور، وقال غيرهم بمقادير لا دليل عليها والحق أن ما صدق عليه مسمى السفر فهو الذى يباح عنده الفطر / ١٢ فتح وفى البخارى فى كتاب التفسير وقال عطاء يفطر من المرض كله [البخارى (٨/٢٨-فتح)].

أى: الصحيح المقيم، ﴿فِدْيَةٌ﴾، إن أفطروا، ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، كان فى بدء الإسلام[١]
الخيار بين الصوم والإطعام عن كل يوم مسكينًا فنسخ، أو الآية غير منسوخة، والمراد
الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا تستطيعان الصوم، وعلى هذا معنى الذين يطيقونه
يصومون طاقتهم وجهدهم ويؤيده بعض القراءة وهو "يُطَوَّقُونَهُ" أى: يكلفونه، ﴿فَمَن
تَطَوَّعَ خَيْرًا[٢]﴾، بأن أطعم أكثر من مسكين كل[٣] يوم، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن
تَصُومُوا﴾، أى: الصوم، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، أيها المطيقون أو المطوقون من الإفطار
والفدية، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فضائل الصوم، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، مبتدأ خبره
بعده أو ذلكم[٤] شهر رمضان، ﴿الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، جملته ليلة القدر
السماء الدنيا، ثم نزل منجمًا إلى الأرض، وهو خبر شهر رمضان أو صفته والخبر
شهد، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، أى: هاديًا بإعجازه، ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾، آيات واضحات،
الْهُدَى﴾: مما يهدى إلى الحق، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾: يفرق بين الحق والباطل، ﴿فَمَن
حضر ولم يكن مسافرًا، ﴿مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾، أى: فيه، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، أى: فيه،
كَانَ مَرِيضًا﴾: مرضًا يشق، أو يضر عليه الصيام، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أُخَرَ﴾، الآية الأولى تخيير للمريض والمسافر والمقيم، وهذه لهما دون المقيم،

---

(١) الأول روى البخارى عن سلمة بن الأكوع وعن ابن عمر أيضًا، والثانى
عن ابن عباس بروايات متعددة، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن
[رواية سلمة وابن عمر فى صحيح البخارى (٤٥٠٦، ٤٥٠٧)، و
(٤٥٠٥)].
(٢) نصب خير بنزع الخافض، أى: بخير وقيل تقديره تطوعًا خيرًا / ١٢
(٣) أو بالجمع بين الصوم والفدية / ١٢ منه .
(٤) أى: على تقدير أن يكون شهر رمضان خبر مبتدأ مقدر / ١٢

بل علم من هذه نسخ(١) الأولى، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾،
فلذلك أباح الفطر للسفر والمرض، ﴿وَلِتُكْمِلُوا(٢) الْعِدَّةَ﴾، عطف على اليسر مثل
"يريدون ليطفئوا"[الصف:٨] أو تقديره وشرع لكم ذلك، أى: جملة أحكام الصوم
لتكملوا، أى: لتكملوا عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم فى المرض والسفر،
﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: لتعظموه، ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: أرشدكم إليه من وجوب الصوم
ورخصة الفطر بالعذر، أو المراد تكبيرات ليلة الفطر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الله فى
نعمه، أو رخصة الفطر، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، أى: فقل أنى
يب أطلع على جميع أحوالهم(٣)، قال أعرابى يا رسول الله: أقريب ربنا فنناجيه، أم
فنناديه فنزلت(*)، وروي(٤) أن بعض الصحابة قالوا: أين ربنا، فنزلت، وروى لما
" ادعونى أستجب لكم"[غافر:٦٠] قال الناس: لو نعلم أى ساعة ندعو ؟
وروى أن اليهود قالوا: كيف يسمع الله الدعاء وأنت تزعم أن بيننا وبين

وله تعالى: " فمن شهد " عام خص عنه المريض والمسافر فعلم أن الصحيح لا
الإفطار بحال، وهو خلاف الأول على الوجه الأول، وأما ذكر المريض والمسافر
النسخ لم يطرأ عليهما / ١٢ .
لوا علة الأمر لمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج
لفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وأشار إلى ذلك الشارح وهو
لمسلك من اللف / ١٢ منه .
حاتم وابن جرير وابن مردويه / ١٢ .
ر والبغوي في معجمه وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق
بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده. كما فى الدر المنثور
/ ١٢ منه [أى: عن الحسن مرسلا].

السماء كذا وكذا سنة ؟ فنزلت، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، أى: فليجيبوا لى إذا دعوتهم للطاعة كما أجيبهم إذا دعونى إلى مهامهم، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: أمر بالثبات والدوام، ﴿لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾، راجين إصابة الرشد، وهذه الآية المتخللة بين أحكام الصوم إرشاد إلى الاجتهاد فى الدعاء فى الصوم والفطر وروى: " ثلاثة لا ترد دعوتهم[1]، الإمام العادل والصائم حتى أو حين- يفطر، ودعوة المظلوم "، ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾: ليلة الصيام التى تصبح منها صائمًا والرفث عبارة عن الجماع وعدى بإلى لتضمنه معنى الإفضاء، كان فى بدء الإسلام غير جائز، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾، أى: سكن أو شبه باللباس لاشتمال كل على صاحبه، اشتمال اللباس على اللابس، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، سكن أى: لما كان بينكم غاية الخلطة رخصنا لكم لئلا يشق[2] عليكم، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تظلموها بما هو حرام عليكم ووقع ذلك[3] على عمر -رضى الله عنه- فقال: يا رسول الله أشكو إلى الله وإليك الذى صنعت فنزلت، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: لما تبتم، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾، محا عنكم أثره، ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾، والمباشرة

---

(١) فى مسند الإمام أحمد وسنن الترمذى والنسائى وابن ماجة / ١٢ منه [وهو ضعيف كما فى ضعيف ابن ماجه].

(٢) والله لا يريد بكم العسر عن ابن عباس هن فراش وأنتم لحاف / ١٢ منه .

(٣) روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم أن الآية فى عمر بن الخطاب كما نقلناه / ١٢ منه، زاد فى الوجيز ثم قام رجل بعد اعترافه واعترفوا فأنزل الله فحسن موقع "أنكم كنتم تختانون" / ١٢ منه [حسن سنده السيوطى فى الدر المنثور (٣٥٧/١) وعزاه إلى أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن كعب بن مالك].

كناية عن الجماع، ﴿وَابْتَغُوا[1]﴾: اطلبوا، ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: ما أثبته فى اللوح المحفوظ من الولد أو ليلة[2] القدر أو الرخصة التى كتب الله لكم وما أحل الله لكم، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، جميع الليل، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾، بياض الصبح، ﴿مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾: من سواد الليل، ﴿مِنَ الفَجْرِ﴾، بيان للخيط الأبيض، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، فإنه آخر وقته، كان الأكل والشرب بعد العشاء، أو النوم حرامًا فبعض الصحابة نام عن فطره فلما انتصف النهار غشى عليه فنزلت، ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِى المَسَاجِدِ﴾، كان إذا اعتكف الرجل فخرج من المسجد جامع إن شاء ورجع، فأنزل الله تعالى النهى عن المباشرة ما داموا عاكفين فيها، ﴿تِلْكَ﴾، أى: الأحكام المذكورات[3]، ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾، أى: ذوات حدود الله، ﴿فَلاَ تَقْرَبُوهَا[4]﴾، نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل، لئلا تدانى الباطل فضلاً أن يتخطى، أو المراد من الحدود المحارم، وتكون تلك إشارة إلى لا تباشروهن، أى هذا وأمثاله محارم، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: مخالفة الأمر، ﴿وَلاَ

(١) وفيه إشارة إلى أن المقصود الأصلى من المباشرة تحصيل الولد / ١٢ وجيز .

(٢) رواه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس، وقال الزمخشرى هو قريب من بدع التفاسير / ١٢ منه .

(٣) من باشروا وابتغوا، أو كلوا واشربوا كلها للإباحة وأتموا للإيجاب ولا تباشروا للتحريم / ١٢ وجيز .

(٤) وأما الاستدلال بالآية فى جواز النية فى صوم رمضان بعد ظهور الصبح فليس ببعيد مع مجال البحث لكنه خلاف الإجماع عملاً بالسنة / ١٢ وجيز .

تأْكُلُوا[1] **أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ**﴾، أى: لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه لم يبحه الله، ﴿**وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الحُكَّامِ**﴾: ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام، عطف على المنهى، أو نصب بتقدير أن، ﴿**لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا**﴾: طائفة، ﴿**مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ**﴾: بما يوجب الإثم كاليمين الكاذبة، ﴿**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾: أنكم مبطلون .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

---

(١) ولما أمر بالصوم وهو الإمساك عن المفطرات فى أكثر أوقات شهر الصوم، ثم أحل لهم فى بعض أوقاته الأكل والشرب، أمرهم بوجوب حلية المأكل سيما فى هذا الشهر المعظم وخص بالمنع هذا القسم من الحرام الذى فيه شبهة الحلية عند بعض كحكم حاكم بها ليدل على منح الباقى بطريق الأولى فقال: " ولا تأكلوا أموالكم " الآية / ١٢ وجيز .

وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

﴿**يَسْأَلُونَكَ**[1] **عَنِ الأَهِلَّةِ**﴾، سأل بعض الصحابة ما بال الهلال يبدو دقيقًا ثم يزيد ثم ينقص ؟ فنزلت[*]، ﴿**قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾، سألوا عن حكمة اختلاف حال القمر فأجاب بأن الحكمة الظاهرة أنه معالم[2] للناس يوقتون بها أمورهم سيما الحج، ﴿**وَلَيْسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا**﴾، كانوا إذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيت من ظهره، أو الأنصار[3] إذا قدموا من سفر لم يدخلوا من قبل بابهم فنزلت، ﴿**وَلَكِنَّ البِرَّ**﴾: بر، ﴿**مَنِ اتَّقَى**﴾: المحارم، ﴿**وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾: واتركوا

---

(١) ولما بين أحكام شهر رمضان ولا يعلم الشهور إلا بالهلال والشمس والقمر آيتان من آيات الله، والله يبين آياته للناس تحركت العزم بالسؤال عن هذه الآية ما بين قوله: " يسألونك عن الأهلة " الآية / ١٢ .

(*) خرجه ابن عساكر عن ابن عباس بسند ضعيف، كما فى الدر المنثور للسيوطى (١/٣٦٧).

(٢) مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسائهم ومحل دينهم / ١٢ منه .

(٣) الأول رواية البخارى عن البراء والثانى رواية أبى داود عنه /١٢ منه .

سنة الجاهلية، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، فى تغيير أحكامه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكى تظفروا بالفلاح والهدى، ووجه اتصال هذه الآية بما قبله أنه لما ذكر الحج ذكر أيضًا شيئا من أفعالهم فى الحج استطرادًا، وفيه تنبيه على أنهم يخترعون أشياء لا حكمة فيها، ولا يسألون ولا يتفكرون فيها ويسألون عن شىء حكمته ظاهرة، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، إعلاء لكلمته، ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، كما أن همتهم قتالكم فلتكن همتكم كذلك، ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا﴾: لا تظلموا فى القتال، بأن تقتلوا النساء والشيوخ والصبيان وأنهم ليسوا من الذين يقاتلونكم[1]، وبأن تفعلوا المثلة والغلول، وروى أنها أول آية نزلت فى القتال بالمدينة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لا يريد بهم الخير، وعن بعض السلف أن قريشًا صدوا المسلمين عن الحج وصالحوهم على رجوعهم من قابل، فخاف المسلمون عن عدم وفاءهم وقتالهم فى الحرم شهر الحرام وكره المسلمون ذلك، فنزلت، ومعناه: قاتل من قاتلك ولا تظلم بابتداء القتال، فالآية منسوخة، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم فى حل أو حرم، ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾، أى: مكة فإن قريشًا أخرجوا المسلمين منها، والمسلمون أخرجوا المشركين يوم الفتح، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أى: شركهم فى الحرم وصدهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم فى الحرم وجزاء سيئة سيئة مثلها، ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، حرمة له، ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ[2] فِيهِ فَإِن

---

(١) عن أبى العالية: لما نزلت هذه الآية كان صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن من كف حتى نزلت سورة براءة وفيما ذكر إشكال فتأمل / ١٢ منه .

(٢) ولهذا أوصى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد يوم الفتح بأن لا يقاتل إلا مع من يقاتله /١٢ وجيز .

﴿قَاتَلُوكُمْ﴾، وابتدأو بالقتال عنده، ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾: مكافأة، ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: يفعل بهم ما فعلوا، قال بعضهم: آية " واقتلوهم حيث ثقفتموهم " منسوخة بهذه الآية، وهذه منسوخة بآية السيف فى براءة، فهى ناسخة منسوخة والأكثر على أنها محكمة لا يجوز الابتداء بالقتال فى الحرم[١]، ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾: عن القتال والكفر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، يغفر لهم ما قد سلف، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شرك[٢]، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾، خالصًا فلا يعبد شيء غيره، ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾: عن الكفر، ﴿فَلاَ عُدْوَانَ﴾: لا قتل ولا نهب، ﴿إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، لا عليهم، فإنهم قد ارتدعوا عن الظلم، ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، صدهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة عن العمرة، وخرج المسلمون لعمرة القضاء فيه سنة أخرى، وكرهوا القتال لحرمته، فترلت، أى: هذا بذاك وهتكة بهتكة فلا تبالوا، ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾، أى: كل حرمة وهو ما يجب المحافظة عليه يجرى فيه القصاص، وهم هتكوا حرمة شهركم بصدكم فافعلوا به مثله[٣]، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾، أى: ادخلوا مكة عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، فيما لم يرخص لكم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، فيحرسهم ويعلى كلمتهم، ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فى جهات الخير،

---

(١) فى الصحيحين قال -صلى الله عليه وسلم- يوم فتح مكة: هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم" / ١٢ منه .

(٢) فسر الفتنة بالشرك عامة السلف من الصحابة والتابعين / ١٢ منه .

(٣) إن وقع قتال / ١٢ .

﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، بعدم[1] الإنفاق فيها، وصح عن ابن عباس وغيره أنهم قالوا: الآية فى النفقة لا فى القتال[2]، أو تقديره لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بالإسراف، بحيث لا يبقى لكم شيء أصلاً، أو معناه: أنفقوا فى الجهاد[3] ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة بترك القتال والإمساك عن الإنفاق فى الجهاد، والباء زائدة، والمراد من الأيدى الأنفس، أو تقديره ولا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها، وعدى بالى لتضمن معنى الإنتهاء، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾: أعمالكم، أو الظن بالله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: بمناسكهما وحدودهما وسننهما، أو بأن تحرم من دويرة أهلك، أو بأن تخرج لهما لا لغرض[4] آخر من تجارة وغيرها، أو بأن تكون النفقة حلالاً، ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: منعتم والمراد حصر العدو، أو أعم كالمرض فيه خلاف، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾، أى: فعليكم ما تيسر، ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾، يعنى من أحصر وأراد التحلل تحلل بذبح هدى من بدنة أو بقرة أو شاة، ﴿وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ

---

(١) ودخل فيه عدم الإنفاق فى الجهاد بطريق الأولى، فإنه رأس كل خير وذروة سنامه / ١٢ منه .

(٢) يعنى ليس معناه لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأن تواجهوا أو تحاربوا جمعًا تظنون فيهم أنهم الأغلبون روى الحاكم وصححه أنه قال رجل لبراء بن عازب: إن حملت على العدو وحدى فقتلونى أكنت ألقيت نفسى إلى التهلكة ؟ قال: لا، إنما هو فى ترك الجهاد، وكذا قال أبو أيوب وغيره / ١٢ منه .

(٣) الفرق بين المعنى الأول والثالث، أن سبيل الله عام فى جميع جهات الخير، فى الأول وخاص بالجهاد فى الثالث، والحديث الذى رواه الترمذى والنسائى وصححه الحاكم عن أبى أيوب صريح فى هذا المعنى / ١٢ منه .

(٤) هذا قول سفيان الثورى / ١٢ منه .

﴿حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْى مَحِلَّهُ﴾، أى: أنتم محرمون حتى يصل هديكم محلاً يحل ذبحه فيه وهو مكان الحبس[1] وعليه الشافعى، أو حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم بلغ الحرم وذبح وعليه الحنفى، **﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾**: مرضًا يحتاج إلى الحلق، **﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾**، كجراحة وقمل، **﴿فَفِدْيَةٌ﴾**: فعليه فدية إن حلق، **﴿مِّن صِيَامٍ﴾**: ثلاثة أيام، **﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾**، ثلاثة آصاع على ستة مساكين، **﴿أَوْ نُسُكٍ﴾**، ذبح شاة، وهو مخير فى الثلاثة، **﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾**، العدو، أو كنتم فى حال أمن، أى: إذا تمكنتم من أداء المناسك، **﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ﴾**، أى: استمتع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة فى أشهر الحج إلى أن وصل الحج فحج، أى: من اعتمر أشهر الحج وأحل ثم حج فى تلك السنة، **﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾**، أى: فعليه ما استيسر، **﴿مِنَ الهَدْى فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾**، أى: الهدى، **﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ﴾**: فى أيام الاشتغال به، أى: بعد الإحرام وقبل التحلل، أو فى أشهر بين الإحرامين، **﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ[2]﴾**: إلى أهليكم، لا قبل الوصول، أو المراد من الرجوع الفراغ من الحج، **﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾**، فائدتها العلم بأن الواو لا بمعنى أو، والمراد العدد المعين لا الكثرة، **﴿ذَلِكَ﴾**، أى: هذا الحكم، **﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾**، هم أهل الحرم، أو أهل مكة، أو من كان وطنه من مكة دون مسافة القصر

---

(١) ولا شك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ذبحوا هديهم فى الحديبية وحلقوا رءوسهم، والحديبية خارجة من الحرم كما صرح به البخارى، ولا يلتفت إلى قول غير ثابت عن بعض من السلف، كيف وقد صرح عن جماهير من السلف أنها ليست من الحرم؟ / ١٢ منه .

(٢) حكى أبو جعفر بن جرير على أن المراد من الرجوع، الرجوع إلى وطنه / منه .

أو من دون الميقات، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أى: مخالفته، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن لم يتقه .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ**﴾، أى: وقته، ﴿**مَّعْلُومَاتٌ**﴾: معروفات، شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، أو تمامه وفائدته[1] كراهة العمرة فى بعضه، أو فى تمامه والأكثرون[2] على عدم جواز الإحرام بالحج فى غيرها، ﴿**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ**﴾: أوجب على نفسه بالإحرام، ﴿**فَلاَ رَفَثَ**﴾: لا جماع[3] ومقدماته من التقبيل والتكلم به فى حضورهن فى حكمه، ﴿**وَلاَ فُسُوقَ**﴾: هى المعاصى، فإنها فى الإحرام أقبح، أو خاص[4] بمحظورات الإحرام فقط، ﴿**وَلاَ جِدَالَ**﴾: لا مخاصمة، أو لا مراء، وروى أن المشركين يقفون فى

---

(١) فإن العمرة فى أشهر الحج مكروه /١٢ منه .

(٢) يعنى من السلف كابن عباس وجابر وعطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن جريج وروى ابن مردويه عن النبى -صلى الله عليه وسلم-، "لا ينبغى لأحد أن يحرم بالحج إلا فى أشهره"، وعند أبى حنيفة ومالك وأحمد جاز الإحرام بالحج في غير أشهره لكن خلاف الأولى/ ١٢ منه [وقوله: "لا ينبغى..." أخرجه أيضًا الشافعى فى الأم وابن أبى شيبة والبيهقى فى الكبرى عن جابر موقوفًا مثله، وهو أشبه].

(٣) قيل: لا رفث، ليس نفيًا لوجوده، بل نفيًا لمشروعيته، فيرجع النفى إلى وجوده مشروعًا لا محسوسًا، كقوله: " لا يمسه إلا المطهرون "[الواقعة:٧٩] وقوله: "المطلقات يتربصن" [البقرة:٢٢٨] وهذه الدقيقة فاتت العلماء، فقالوا إن الخبر يكون بمعنى النهى / ١٢ منه .

(٤) كقتل الصيد وحلق الشعر ونحو ذلك / ١٢ منه .

الحج ويجادلون، فبعضهم يقول نحن أصوب وبعضهم يقول نحن أو لا جدال فى مناسكه، فإنه قد بين الله تعالى أشهره ومواقفه، ﴿فِي الحَجِّ﴾: فى أيامه وفى شأنه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾: فلا يضيع، حث على الخير بعد النهى عن الشر، ﴿وَتَزَوَّدُوا[١]﴾، كان أهل اليمن يحجون[٢] بلا زاد مظهرين التوكل، ثم يسألون الناس فنزلت، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، ومن التقوى الكف عن السؤال والإبرام، ﴿وَاتَّقُونِ يَأُولِي الأَلْبَابِ﴾، أى: واتقوا عقابى وغضبى يا ذوى العقول، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم، ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾، أى: فى أن تبتغوا، ﴿فَضْلا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: عطاء ورزقاً منه بالتجارة حين الإحرام، كان المسلمون كرهوا التجارة فى الحج، فنزلت، وأيضًا روى أنه سئل هل للجالبين حج ؟ فنزلت، ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾: انصرفتم عنها، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، بالدعاء والتلبية، ﴿وَاذْكُرُوهُ﴾، بالتوحيد والتعظيم، ﴿كَمَا هَدَاكُمْ[٣]﴾: كما ذكركم بالهداية فهداكم أو كما علمكم، ﴿وَإِن كُنتُم مِّن[٤] قَبْلِهِ﴾، أى: الهدى، ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾: الجاهلين بالطاعة، وإن: هى المخففة، واللام: هى الفارقة، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾، أى: من عرفة، كان القريش لا يخرجون من الحرم يقفون عند أدنى الحل قائلين: نحن أهل الله، فلا نخرج من الحرم بخلاف الناس، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفة

---

(١) قيل سياق الكلام دال على أن المراد التزود وتحصيل الأعمال الصالحة التى هى كالزاد إلى سفر الآخرة، فمفعول تزودوا محذوف هو التقوى، ولما حذف مفعوله أتى بخبر إن ظاهراً ليدل على المحذوف، ولولا الحذف لأتى مضمرًا/ ١٢ منه.

(٢) هكذا قال ابن عباس وأناس من الصحابة لا تحصى / ١٢ منه .

(٣) ما إما مصدرية أو كافة كفت الكاف عن العمل، ولهذا دخلت على الفعل/١٢منه .

(٤) من جوز تقديم المجرور على العامل الواقع صلة فالعامل فى "من قبله لمن الضالين"، ومن لم يجوز فيقول: هو من طريق شريطة التفسير /١٢ منه .

ويخرجوا من الحرم كسائر الناس، وحينئذ ثم: للتراخى فى الإخبار، أو من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إليها، وحينئذ المراد بالناس: إبراهيم عليه السلام، أو جميع الناس، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾، من جاهليتكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، يغفر الذنب وينعم، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾: فرغتم من العبادات الحجية، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، أهل الجاهلية يقفون ويذكرون مفاخر آبائهم، فأمرهم الله بذكره كذكرهم مفاخر آبائهم، أو كقول الصبى: أبه أمه، كما يلهج الصبى بذكر أبيه وأمه فالهجو أنتم بذكر الله بعد النسك، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، عطف على كذكركم، أو على ذكركم، والمعنى: ذكرًا أشد ذكرًا على الإسناد المجازى، وصفًا للشيء بوصف صاحبه كشديد الصفرة صفرته، أو عطف على آبائكم، أى: كذكركم قومًا أشد مذكور به من آبائكم وأما عطفه[1] على الضمير المضاف إليه لكذكركم فضعيف، قيل: أو بمعنى بل، ﴿فَمِنَ[2] النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾، أى: اجعل إعطاءنا فى الدنيا خاصة[3]، ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾، نصيب أو من طلب

---

(١) للعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، والزمخشرى قد منعه فى قوله تعالى: " تساءلون به والأرحام "[النساء:١]، وأما الأجوبة بأن المنع إذا كان الجار حرفًا، أو بأن المجرور هاهنا فى حكم المنفصل لأنه فاعل المصدر، أو بأن المراد العطف من حيث المعنى فضعيف كلها / ١٢ منه، أما بحسب اللفظ فهو على حذف مضاف معطوف على الذكر، أى: وذكر قوم أشد ذكرًا فهو أيضًا ضعيف كما لا يخفى ١٢/منه .

(٢) هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك وفيه التفات لأن الظاهر أن يقول فمنكم ومنكم / ١٢ منه .

(٣) عن ابن عباس، كان قوم من الأعراب يأتون الموقف فيقولون: اللهم اجعله لنا عام غيث وعام خصب وعام أولاد، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا فذمهم الله سبحانه تنفيرًا عن التشبه بهم / ١٢ منه .

خلاق، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا[1] آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يدخل فيها كل خير فى الدنيا وصرف كل شر، ﴿وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، مثلها يدخل فيها الخير كله، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، تخصيص بعد التعميم؛ لأنه هو الفوز، وبعض السلف خصص الحسنة فى الموضعين بشيء خاص، والتعميم أولى، ﴿أُوْلَئِكَ﴾، أى: الفريق الثانى، ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾، أى: مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه، والدعاء كسب، لأنه عمل، أو من أجل[2] ما عملوا، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾، يحاسبهم مع كثرتهم وكثرة أعمالهم فى لمحة، وقيل: سريع الحساب مع الفريق الثانى لأن يتخلصوا من هوله، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ[3] مَّعْدُودَاتٍ﴾: أيام التشريق، والمراد: التكبير بعد الصلوات وعلى الأضاحى وعند الجمرات، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾: عجل فى النفر، ﴿فِى يَوْمَيْنِ[4]﴾، ونفر بعد رمى اليوم الثانى ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾: فى النفر إلى اليوم الثالث، ﴿فَلاَ إِثْمَ[5]

---

(١) فى مسند الإمام أحمد "كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"/١٢ منه [بل أخرجه البخارى فى "الدعوات" (٦٣٨٩)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "الذكر والدعاء" (٥/٥٤٦) فالعزو إليهما أفضل].

(٢) أو من أجزاء ما عملوا / ١٢ منه .

(٣) وهى أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة أيام بعده وصرح بذلك جماهير السلف/١٢ منه .

(٤) الظرف المثنى إذا عمل فيه الفعل فلابد من وقوعه فى كل من اليومين، وهاهنا لا يمكن فلا بد من توجيه إما بأن يجعل وقوعه فى أحدهما كأنه وقع فيهما كقوله تعالى:" يخرج منهما اللؤلؤ "[الرحمن:٢٢]، و " نسيا حوتهما "[الكهف:٦١]، وإما بحذف مضاف، أى: فى ثانى يومين / ١٢ منه .

(٥) قيل كثير من السلف كعلى وابن عباس وابن مسعود: أن معنى لا إثم عليه- مغفور، يعنى: ما بقى له إثم، وقال مجاهد: لا إثم عليه إلى العام القابل/ ١٢ منه .

عَلَيْهِ﴾، فى تأخره، لا كما قال بعض من أهل الجاهلية، فإن منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر، ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾، أى: التخيير، أو الأحكام المذكورة ؛ لأنه الحاج حقيقة، أوعدم الإثم لمن اتقى فى حجه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، للجزاء، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾: يروقك ويعظم فى نفسك قوله، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أى: قوله فى أمور الدنيا، أو يعجبك فيها لا فى الآخرة، ﴿وَيُشْهِدُ[١] اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾: يحلف[٢] على أن ما فى قلبه موافق للسانه، أو يبارز الله بما فى قلبه من الكفر، كما قال تعالى: " يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله "[النساء:١٠٨]، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ[٣]﴾: أشد الخصومة والجدال، نزلت[٤] فى أخنس بن شريك، فإنه حلو الكلام سيئ السريرة منافق، أو عام فى المنافقين، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: انصرف عنك، أو صار واليًا، ﴿سَعَى[٥]﴾، أى: قصد، ﴿فِي الْأَرْضِ[٦] لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، كما فعله الأخنس حين رجع إلى مكة أحرق زرع المسلمين وعقر الحمر، أو إذا تولى سعى[٧] فى الأرض فسادًا -منع الله

---

(١) يقول: الله شاهد على ما فى قلبى / ١٢ منه .

(٢) هذا قول مجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعزاه ابن جرير إلى ابن عباس/١٢ منه.

(٣) كلام الشارح مشعر بأن الخصام مصدر كما قاله الخليل، والحمل للمبالغة كزيد ضرب، وعند الزجاج أن الخصام جمع خصم، أى: أشد المخاصمين فلا مجاز حينئذ/١٢ منه .

(٤) قاله السدى / ١٢ منه [أخرجه عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم كما فى الدر المنثور (٤٢٣/١)].

(٥) قيل: معناه سعى بقدميه بسرعة ليقطع الطريق / ١٢ منه .

(٦) قوله: فى الأرض لإفادة العموم / ١٢ .

(٧) هذا الوجه الثانى قول مجاهد / ١٢ منه .

القطر فهلك الحرث والنسل، ﴿**وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**﴾: لا يرتضيه، ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ**[١] **العِزَّةُ بِالإِثْمِ**﴾، حملته الأنفة[*]، وحمية الجاهلية على الإثم المأمور بتركه لجاجًا -الخصومة- يقال: أخذته بكذا، إذا حملته عليه، ﴿**فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ**﴾: كفته جزاء، ﴿**وَلَبِئْسَ المِهَادُ**﴾، أى: والله لبئس المقر جهنم، ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي**[**]﴾: يبيع، ﴿**نَفْسَهُ**﴾، بالبذل فى الجهاد، أو فى جميع الأوامر، ﴿**ابْتِغَاءَ**﴾: طلب، ﴿**مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾، نزلت فى صهيب بن سنان الرومى، عذبه المشركون ليرتد فأعطى جميع أمواله وخلص دينه وأتى المدينة[***]، وأكثر السلف على أنه عام فى كل مجاهد فى سبيل الله، ﴿**وَاللَّهُ رَءوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾، لإرشادهم إلى الهدى، ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**[٢]﴾: فى الإسلام، أو فى الطاعة، وكافة: حال من السلم، أى: خذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه[٣]

---

(١) قيل: معناه أخذته الحمية بسبب ما ارتكبه من الآثام / ١٢ منه، قيل: لعمر اتق الله فوضع خده فى الأرض تواضعًا، وقال: هذا مقدرتى، ووقف يهودى بين يدى هارون وهو راكب فقال: يا أمير المؤمنين[لعل فى الكلام سقطًا: "اتق الله"]، فنزل عن دابته وخر ساجدًا وقضى حاجته، فقيل له فى ذلك: فقال: ذكرت قول الله: " وإذا قيل له اتق الله " إلخ / ١٢ منه .

(*) الاستنكاف.

(**) خطأ فى الأصل: يشترى.

(***) انظر الدر المنثور للسيوطى (١/٤٣٠،٤٣١).

(٢) قال: فى المغنى قول الزمخشرى: حال من السلم وهم، لأن كافة مختص بمن يعقل وهم فى قول الله تعالى: " وما أرسلناك إلا كافة"[سبأ:٢٨][فى الأصل: "فى قول الله تعالى: "ثم أشير فوقها: "فى قول الله"]، أى: رسالة كافة وأيضًا وهم فى خطبة المفصل إذ قال: محيط بكافة الأبواب / ١٢ منه .

(٣) ولا تخلوا بشىء منها /١٢ منه .

أو حال من الفاعل، أى: ادخلوا[١] فيه بكليتكم لا تخلطوا به غيره وهو خطاب للمسلمين وعن[٢] بعضهم أنها نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب، فإنهم مع أن أسلموا عظموا السبت وحرموا الإبل وأحبوا قراءة التوراة، فأمروا بتركها، ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: آثاره التى زين لكم، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: عدلتم عن الحق، ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، على أن الإسلام هو الحق، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه الانتقام، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا ينتقم بظلم، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، استفهام بمعنى النفى، ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ[٣] اللَّهُ﴾، مذهب السلف الإيمان بمثل ذلك ووكول علمه إلى الله تعالى، أو تقديره: يأتيهم بأســـه، ﴿فِي ظُلَلٍ﴾، جمع ظلة، ﴿مِّنَ الْغَمَامِ[٤]﴾،

---

(١) الظاهر أنه إذا كان حالاً من الفاعل أن يكون معناه ادخلوا جميعًا فى الإسلام لا يشرد بعضكم عنه، والشارح عدل عن الظاهر فى تفسيره بقوله: أى ادخلوا فيه إلخ لتمام الموافقة بسبب النزول، ولأن الخطاب مع المسلمين عند الشارح فلا وجه لأمر الجميع بالدخول فى الإسلام إلا بهذا المعنى فتأمل / ١٢منه .

(٢) قول عكرمة ونسب أيضًا إلى ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) لفصل القضاء / ١٢ وجيز .

(٤) السحاب الأبيض "كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قالوا: أين كان ربنا قبل خلق العرش ؟ قال: كان فى عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء"[حديث ضعيف أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه، وانظر ضعيف ابن ماجه]، ومذهب السلف الصالح الإيمان بمثل ذلك ووكل العلم إلى الله سبحانه /١٢ وجيز.

وفى الفتح أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبى -صلى الله عليه وسلم- "قال: يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء وينزل الله فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى"[ذكره ابن كثير فى التفسير =

السحاب الأبيض، والعذاب إذا جاء من مكان يجيء الخير منـــه يكـــون أصعب،

= (۲٤٩/۱) واستغربه]، وعن ابن عمر قال: يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء فى تلك الظلمة صوتًا ينخلع له القلوب، وعن ابن عباس: يأتى الله يوم القيامة فى ظلل من السحاب، قد قطعت طاقات.

وفى الخازن روى الطبرى فى تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى –صلى الله عليه وسلم– "قال: ظلل من الغمام طاقات يأتى الله عز وجل فيها محفوفًا" وذلك قوله: " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر " انتهى.[أخرجه ابن جرير والديلمى بسند ضعيف، وانظر الدر المنثور للسيوطى(۱/۴۳۳)].

واعلم أن إتيانه تعالى ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء ثابت بهذه الآية وآية " هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك "[الأنعام:۱۵۸]، "وجاء ربك والملك صفًا صفًّا"[الفجر:۲۲] وغيرها من الأحاديث والآثار فذهب أهل التحقيق إلى الإيمان بظواهر هذه الآيات وسائر آيات الصفات وأحاديثها، ووجوب الاعتقاد بظواهرها، والإيمان بها كما جاءت، ووكول العلم إلى الله سبحانه مع تنزيهه سبحانه عن التشبيه والتمثيل والتحريف والتبديل والتعطيل، وهو قول سلف هذه الأمة وأئمتها، وكان ابن عيينة والزهرى والأوزاعى ومالك وابن المبارك والثورى والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه يقولون فى هذه الآية وأمثالها: اقرءوها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، وأما تأويل إتيان الله تعالى ومجيئه بإتيان عذابه – فخلاف ما عليه السلف، وتحريف لكتاب الله وزيادة فيه، فالقول الثانى قول مردود؛ لأنه يئول إلى نفى صفة ثابتة بكتاب الله وكتاب رسوله –صلى الله عليه وسلم– وهو قول أهل الإلحاد فى صفاته ولله در من أنشد فى هذا المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها وإجرائها للظاهر المتقارب
ونركب للتسليم سفنًا فإنها لتسليم دين المرء خير المراكب

﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾، هو على الحقيقة، ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾: تم أمر هلاكهم، أو فرغ من حسابهم فأوقعوا من عقابهم وذلك يوم القيامة، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾، فيجازيهم .

﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وهو سؤال تقريع، ﴿كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾، معجزة ظاهرة على نبوة موسى، أو آية فى الكتاب على نبوة محمد عليهما السلام، وكم:

مفعول[1] ثان[2]، أو مبتدأ[3] والعائد محذوف، وآية: مميزة، ومن: للفصل، والجملة إما مفعول[4] ثان لسل وتقديره: سلهم قائلاً كم آتياناهم ؟ أو فى موقع المصدر، أى: سلهم هذا السؤال، ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾، أى: آياته، فإنها أجل نعمة لأنها سبب الهداية فجعلوها سبب الضلالة، أو حرفوها، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾، وعرفوها، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾: يعاقبه أشد[5] عقاب، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، حسنت فى أعينهم حتى أعرضوا عن غيرها، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: فقراء

---

(١) أى: لآتيناهم / ١٢ منه .

(٢) مفعول ثان، أى: فى موضع مفعول ثان، فإن سل هنا متعلقة عن الجملة الاستفهامية، فهى عاملة فى المعنى غير عاملة فى اللفظ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا الجار، قالوا: وإنما علقت سل وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأن السؤال سبب العلم فأجرى السبب مجرى المسبب فى ذلك / ١٢ منه .

(٣) قال فى البحر: هذا لا يجوز عند البصريين إلا فى الشعر و قال ابن مالك: لو كان المبتدأ غير كل والضمير مفعول به لم يجز عند الكوفيين حذفه مع بقاء الرفع إلا فى الاضطرار، والبصريون يجيزون[فى الأصل المطبوع: يخيرون وما أثبت من البحر المحيط لأبى حيان (١٣٥/٢) ط دار الكتب العلمية] ذلك فى الاختيار ويرونه ضعيفًا، فعلى هذا فأى داعية إلى جواز ذلك فى القرآن مع إمكان حمله على غير ذلك / ١٢ منه .

(٤) مفعول ثان، أى: فى موضع مفعول ثان، فإن سل هنا متعلقة عن الجملة الاستفهامية، فهى عاملة فى المعنى غير عاملة فى اللفظ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا الجار، قالوا: وإنما علقت سل وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأن السؤال سبب العلم فأجرى السبب مجرى المسبب فى ذلك / ١٢ منه .

(٥) وهذا تهديد شديد للكافرين بمحمد عليه السلام وأشرف الصلاة وأكمل التسليمات/ ١٢ منه .

المؤمنين كبلال وعمار، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، الشرك، ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، لتقواهم لأنهم فى الجنة وهم فى النار، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فى الدارين، فلربما يعطى الفقراء فى الدنيا، أو فى الآخرة، أو فيهما، أو إشارة إلى أن كثرة الرزق لا يدل على الكرامة، بل ربما تكون استدراجًا، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً[1]﴾، بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على الحق[2]، أو متفقين على الجهل على عهد إبراهيم، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾، أى: اختلفوا فبعث على الوجه الأول، وحذف لدلالة قوله "فيما اختلفوا" عليه، ﴿النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، مع الأنبياء، لا مع كل واحد، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متلبسًا به، ﴿لِيَحْكُمَ﴾، أى: الكتاب، مجازًا، أو الله، ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أى: فى شيء التبس عليهم، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾: فى الكتاب الذى أنزل لدفع الاختلاف، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أى: الكتاب المترل لإزالة الاختلاف، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، الحجج الظاهرات الواضحات، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ[3]﴾، أى: اختلفوا حسدًا وظلمًا، واختلافهم: كفر بعضهم بكتاب بعض وتحريفهم كتاب الله، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أى: لمعرفته، ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾، بيان لما، ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته، كاختلافهم فى القبلة وفى إبراهيم وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، لا من جمع له أسباب الهداية، ﴿أَمْ[4] حَسِبْتُمْ أَن

---

(١) قال الله تعالى فى سورة يونس: " وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا "[يونس:١٩]/١٢ منه.

(٢) قاله ابن عباس وغيره / ١٢ .

(٣) يعنى: أنزلنا الكتاب ليتفقوا كما كانوا فازدادوا فى الاختلاف وعكس الأمر/١٢ وجيز .

(٤) ولما كانت حكاية الاتفاق ومزيد الاختلاف بعد بعث النبيين وإنزال الكتاب لتشجيع المؤمنين وتثبيتهم على الدين خاطبهم بقوله: " أم حسبتم " الآية / ١٢ وجيز .

﴿تَدْخُلُوا الجَنَّةَ﴾، أم منقطعة، ومعنى الهمزة الإنكار، لما هاجر المسلمون وتركوا الديار والأموال فأصابهم ما أصابهم من الجهد وضيق العيش نزلت تشجيعًا لهم وتطييبًا لقلوبهم، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾، أى: لم يأتكم وزيدت عليه[1] ما، ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، مضوا، ﴿مِن قَبْلِكُم﴾: حالهم التى هى مثل فى الشدة أو سنتهم ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾، الفقر والأسقام والمصائب والنوائب، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾، بأنواع البلايا وخوف العدو، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، أى: إلى الغاية التى يقول الرسول ومن معه فيها، ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾، أى: بلغ بهم الضجر و لم يبق لهم صبر حتى استبطئوا النصر، ﴿أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، أى: قيل لهم ذلك إجابة لطِلْبتهم، يعنى لابد لكم أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتصبروا كما صبروا، ﴿يَسْأَلُونَكَ[2] مَاذَا يُنفِقُونَ﴾، نزلت فى شيخ كبير كثير المال، قال يا رسول الله: بما نتصدق وعلى من ننفق؟، ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، حاصله أن المنفق هو كل[3] خير والاهتمام فى شأن المصرف؛ لأن الخير لا يعتد به إلا بعد وقوعه موقعه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، فيجازيكم بقدره، والآية فى نفقة التطوع، وعن بعضهم هى منسوخة بفرض الزكاة، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾، شاق مكروه طبعًا عليكم، ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا

(١) وفيها معنى التوقع، يعنى الفعل الذى هو الإتيان منتظر / ١٢ منه .

(٢) وعلم من أول السورة إلى هذا الموضع فضل الإنفاق، ناسب السؤال من الإنفاق فقال: " يسألونك ماذا ينفقون " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) فالجواب مطابق للسؤال، ولما كان أفضل الإنفاق ما هو فى سبيل الله وأفضل السبيل الجهاد - أخذ يبين حال الجهاد ومكانه فقال: " كتب عليكم القتال " / الآية/١٢وجيز .

﴿شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، وهذا عام فى الأمور كلها، **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾**: ما هو خير لكم، **﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾**، واعلم أن الجهاد فرض كفاية .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ[1]﴾، نزلت فى سرية قاتلوا المشركين أول رجب وهم يظنون أنه من الجمادى فعيرهم المشركون وقالوا: إن محمدًا استحل الشهر الحرام[*]، ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾، بدل اشتمال، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، أى: ذنب كبير، واختلف فى أنه منسوخ[2] أو لا، ﴿وَصَدٌّ﴾: منع، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كمنعهم المسلمين عن العمرة، ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾: بالله، ﴿وَالْمَسْجِدِ[3] الْحَرَامِ﴾، أى: صد عنه، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾: أهل المسجد، وهم المؤمنون، ﴿مِنْهُ﴾: من المسجد، ﴿أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾، وزرًا مما فعلته السرية خطأ، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾، أى: الشرك، أو ما يرتكبونه من الإخراج والكفر، ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾: أفظع مما ارتكبوه، ﴿وَلاَ يَزَالُونَ﴾، أى: المشركون، ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾، أى: ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين،

---

(١) والسائل من المؤمنين كباقى الأسولة[سلْت أسال سُوالا: لغة فى سألت، حكاها سيبويه، وحكى ابن جنى سوال وأسْوِلة. لسان العرب (سول)] الخمسة، أو من المشركين لقوله: " ولا يزالون يقاتلونكم " وعلى هذا لم يعطف على الأول ولم يعطف الثالث عليه لاختلاف السائل/١٢ وجيز .

(*) صحح سنده السيوطى فى "الدر المنثور"، (٤٤٨/١) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى.

(٢) والأصح أنها غير منسوخ، والاستدلال بعموم بعض الآيات فى جواز القتال غير تام؛ فإن العام لا يكون ناسخًا للخاص / ١٢ وجيز .

(٣) عطف على سبيل الله والفاصلة بين المصدر وهو "صد" وصلته وهو "المسجد" جائز لما بين الصد عن سبيل الله وكفر به اتحاد معنوى كأنه لا فاصلة وأما عطف المسجد على الضمير وإن جوزه المحققون بلا إعادة الجار نحو " تساءلون به والأرحام "[النساء:١] فليس للكفر بالمسجد الحرام معنى إلا بتكلف / ١٢ وجيز .

وحتى معناه التعليل، أى: يقاتلونكم كى يردوكم، ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، هو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بنفسه: إن استطعت فاضربنى، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾: من يرجع عن دينه إلى دينهم، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، أى: يرجع ثم يموت على الكفر، ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: النافعة وبطلت، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، لما يفوقم بالردة ما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الإسلام، ﴿وَالآخِرَةِ﴾، بسقوط الثواب، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، قيد الردة بالموت عليها فى إحباط الأعمال وهو مذهب الشافعى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، نزلت فى تلك السرية لما ظن بهم أنهم لو سلموا من الإثم ليس لهم أجر، ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ[1] رَحْمَةَ اللَّهِ﴾: ثوابه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾، لما فعلوا من قلة الاحتياط، ﴿رَّحِيمٌ﴾: بإجزال الأجر، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ[2] وَالْمَيْسِرِ[3]﴾، أى: عن تعاطيهما، قال عمر ومعاذ

---

(١) ما أراد به تخصيص وجود الرجاء، فإن غيرهم قد يرجون، لكن خصص بهم استحقاق الرجاء يعنى: أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان الخمر مذهبًا للعقل، لكن تعاطيه مفرج للكروب المجتمعة فى القلوب من مصائب الدنيا ومزيح للبخل ومشجع، سألوا عن تعاطيه فقال: "يسألونك عن الخمر والميسر" الآية /١٢ وجيز .

(٣) قال جماعة من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: كل شيء فيه قمار من نرد أو شطرنج أو غيرهما فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب إلا ما أبيح من الرهان فى الخيل والقرعة فى إضرار الحقوق، وقال مالك: الميسر ميسران، ميسر اللهو وميسر القمار، فمن ميسر اللهو: النرد والشطرنج والملاهى كلها، وميسر القمار: ما يتخاطر الناس عليه / ١٢ فتح .

وسعد: يا رسول الله أفتنا فى الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال؟ فـــنزلت(*)، والميسر: القمار، ﴿قُلْ فِيهِمَا﴾، أى: فى تعاطيهما، ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، حيث يـــؤدى إلى مخاصمة وفحش وزور وهذا لا يدل صريحًا على حرمتهما لأنه مـــؤدى إلى الإثم لا أن الإثم يحصل منه، والمحرِّمة ما فى المائدة، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: من كسب المال والطـــرب وغيرهما، ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، فإن مفاسدهما التى تنشأ منهما أعظم مـــن المنافع المتوقعة منهما، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا(١) يُنفِقُونَ﴾، لما نزل قولـــه: " فللوالديـــن والأقربين " سأل عمرو بن الجموح عن مقدار ما ينفق فنزل، ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾، أى: مـــا فضل من المال عن العيال، أو أفضل مالك وأطيبه، قيل: إنها منسوخة بآيـــة الزكـــاة، وقيل: مبينة بها قاله مجاهد وغيره، ﴿كَذَلِكَ﴾، أى: مثل ما فصل وبين لكـــم هـــذه الأحكام، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾، أى: سائر الآيات فى أحكامه ووعده ووعيده، أى يبين تبييناً مثل لهذا، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي﴾، أمر، ﴿الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾، لتعلموا زوالها وفناءها وإقبال الآخرة وبقاءها، وقيل: متعلق بيبين أى: يبين لكم الآيات فى أمر الدارين لعلكم تتفكرون، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾، لما نزل(٢) " إن الذين يـــأكلون أموال اليتامى ظلمًا "[النساء: ١٠] إلخ، اعتزلوا مخالطة اليتامى ولا يأكل أحد معـــهم، فشق ذلك عليهم فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم، فنزلت، ﴿قُلْ إِصْلاحٌ لَّـــهُمْ

(*) صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم، وانظر صحيـــح ســـنن الترمذى (٢٤٤٢).

(١) الأولى أن يكون ماذا كلها استفهامية فى موضع نصب ينفقون، وحينئذ الجواب بقوله: "العفو" بالنصب مناسب للسؤال / ١٢ منه .

(٢) هكذا روى أبو داود والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه / ١٢منه [وهـــو حديـــث حسن، انظر صحيح أبى داود (٢٤٩٥)].

﴿خَيْرٌ﴾، أى: على حدة، أو مداخلتهم لإصلاحهم خير من مجانبتهم، قيل: أو إصــلاح أموالهم من غير أجرة خير، ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾، أى: إن خلطتم طعامكم وشــرابكم بطعامهم وشرابهم، وقيل: إن تصيبوا من أموالهم أجــرة مــن قيــامكم بــأمورهم، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾، أى: فهم إخوانكم، ولا بأس من الخلطة أو من إصابة بعضكم من مال بعض، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، أى: يعلم من قصده الإفساد أو الإصلاح فيجازيه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ﴾، العنت: المشقة، أى: لو شــاء الله إعنــاتكم لأعنتكم: كلفكم ما يشق عليكم من المجانبة مطلقًا دون المخالطة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب يقدر على الإعنات، ﴿حَكِيمٌ﴾: يحكم بحكمته فيتسع لكم، ﴿وَلاَ تَنكِحُــوا[1] الْمُشْرِكَاتِ[2] حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾، كانت لأبى مرثد الغنوى خليلة مشركة فبعدما أســلم أراد أن يتزوج بها، فنزلت[*] " والمشركات " هاهنا عامة فى كل من كفرت بــالنبى عليه الصلاة والسلام لكن خصت[3] منها حرائر الكتابيات بقوله: "والمحصنات مــن الذين أوتوا الكتاب"[المائدة:٥]، وقيل: المراد بها عبدة الأوثان؛ فلا يدخل فيها أهــل الكتاب، ﴿وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾، أى: من حرة مشركة كانت لعبــد الله

---

(١) ولما رخص فى مخالفة اليتامى لإصلاحهم نهى عن نوع مخالطة المشركات فقــال: " ولا تنكحوا المشركات " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) أى: عابدات الأوثان / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه ابن أبى حاتم وابن المنذر عن مقــاتل بــن حيــان كمــا فى الــدر المنثــور (١/٤٥٨).

(٣) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم: استثنى الله تعالى من ذلك نساء أهــل الكتاب/١٢ منه .

بن رواحة[1] فأعتقها كفارة أن لطمها وتزوجها فطعنوا فيه وعرضوا عليه نسبية مشركة، فنزلت، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، الواو للحال، وبمعنى أن، أى: وإن أعجبتكم بمالها وجمالها، ﴿وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾، أى: لا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه، ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ[2] وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾، أى: رجل مؤمن وإن كان عبدًا خير من مشرك وإن كان سريًا، ﴿أُولَئِكَ﴾، أى: المشركون والمشركات، ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، أى: الأعمال الموجبة لها، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾، أى: العمل الموجب لهما، قيل: تقديره وأولياء الله يدعون، بإقامة المضاف إليه مقام المضاف تعظيمًا لهم، ﴿بِإِذْنِهِ﴾، أى: بأمره وشرعه أو بتوفيقه أو بقضائه، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لكى يتذكروا، أو ليكونوا بحيث يرجى عنهم التذكر .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟

---

(١) هكذا ذكر السدى رضى الله عنه / ١٢ منه [انظر تفسير ابن كثير (١/٢٥٩)، والدر المنثور للسيوطى (١/٤٥٩) وسنده معضل.

(٢) الحر المشرك فإن الشرك ذم يزيل جميع مدحه، قيل: فيه دليل لمن يعتبر الولى فى نكاحها/١٢ .

وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ[١] **عَنِ الْمَحِيضِ﴾**، إذا حاضت نساء اليهود لا يؤاكلوهن ولا يخالطوهن فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت[*]، والمحيض مصدر، **﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾**، أي: الحيض مستقذر، **﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾**، اجتنبوا مجامعتهن[٢] إذا حضن، **﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾**، بالجماع، **﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾**: من الدم، أو يغتسلن وقراءة حمزة والكسائي وهو " يطهّرن " دالة عليه سيما مع قوله، **﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾**، أي: بالماء، **﴿فَأْتُوهُنَّ﴾**: بالوقاع، **﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾**، أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، أو من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل، **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾**: من

---

(١) ولما بين أحكام النكاح بين المسلمين والمشركين وفى النكاح شائبة للوقاع ناسب سؤال زمان الغشيان ومكانه فقال: " ويسألونك عن المحيض " الآية / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه مسلم فى "الحيض" .

(٢) أكثر السلف على أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج، ويدل على ذلك الأحاديث الصحيحة عن عائشة رضى الله عنها/١٢ .

الذنوب، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: المتنزهين عن الأقذار، كإتيان الحائض وفى الدبـــر[1]، ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، أى: مزرع للولد، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾: مزرع الولد لا غير، ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾، من أى جهة شئتم مقبلة أو مدبرة لا كما قالت[2] اليهود: إن مجامعـــة المرأة من دبرها فى قبلها يجعل الولد أحول ودنس عند الله، ﴿وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾: مـا يدخر لكم الثواب، وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو التسمية عند الجماع، ﴿وَاتَّقُــوا اللَّهَ﴾، فى معاصيه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ﴾، فاحذروا عن الفضيحة، ﴿وَبَشِّـــرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الكاملين فى الإيمان الذين اجتنبوا المعاصى، ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَـةً﴾، اسم لما يعرض[3] دون الشيء، ﴿لأَيْمَانِكُمْ﴾: أراد منها الأمور المحلوف عليها من الـبر

---

(١) لا خلاف لأحد من السلف أن غشيان المرأة والجارية فى دبرها حرام ملعون صاحبـه، روى الدارمى فى مسنده عن ابن عمر أنه قيل له: ما تقول فى الجوارى أيمحض بهن قـــال ومـــا التمحيض؟[الذى فى سنن الدارمى (١/٢٧٧) ط الريان: ما تقول فى الجوارى حين أحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟]، فذكر الدبر فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟ وهــذا إسناد صحيح البتة، وأيضًا نص مالك -رضى الله عنه- على حرمته وثبت عنه، فما نقل عنه افتراء من الرواة / ١٢ منه أقول: وقد اختلف النقل فيه عن ابن عمر روى البخارى فى صحيحه عن نافع عن ابن عمر " فأتوا حرثكم أنى شئتم " قال يأتيها فى[أخرجه البخـــارى فى "التفسير" (٤٥٢٧)]، قال الشارح: أى: فى الدبر كما وقع التصريح به، قال المظـــهرى: إن الصحيح أن الوهم إنما هو من ابن عمر وقد حكم بكونه وهما مـــن ابـــن عمـــر رأس المفسرين ابن عباس انتهي/١٢ [كما فى صحيح أبى داود (١٨٩٦)].

(٢) روى البخارى ومسلم وغيرهما أن قوله تعالى "نساءكم حرث لكـــم" إلخ نزلـــت ردًا لليهود وهم رووا عن جابر وسفيان الثورى / ١٢ [صحيـــــح البخـــارى (٤٥٢٨)، وصحيح مسلم (١٤٣٥)].

(٣) أى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزًا ومانعًا عنه /١٢ .

والتقوى، وهى صلة عرضة أو الفعل، ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّـــاسِ﴾، عطف بيان للإيمان، أى: لا تجعلوا الله مانعًا لما حلفتم عليه من الخير، بل افعلوا الخـــير ودعوا اليمين كما قال السلف[1] فى معنى الآية: لا تجعلن الله عرضة ليمينــــك أن لا تصنع الخير لكن كفر عن يمينك واصنع[2] الخير ويجوز أن يكـــون الـــلام للتعليـــل، أى: لا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به مانعًا لأن تبروا، وقيل: والعرضة بمعـــنى المعـــرض للأمور وأن تبروا علة النهى، أى: لا تجعلـــوه معرضًـــا للإيمـــان فتبتذلـــوه بكـــثرة الحلف به أرادة بركم فإن الحلاف[3] مجترئ علـــى الله وهوغـــير متـــق، ﴿وَاللَّـــهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم، ﴿عَلِيـــمٌ﴾: بمقـــاصدكم، ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُـــمُ اللَّـــهُ بِـــاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، هو[4] ما يجرى على اللسان عـــادة كـــ:لا والله وبلـــى والله، أو

---

(١) كابن عباس وابن عمر وجماعة لا تحصى، وفى الصحيحين وغيرهما "عنه عليه الصـــلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هـــو خير"/١٢ منه [أخرجه البخارى فى "الأيمان" (٦٧١٨)، وفى مواضـــع كثـــيرة مـــن صحيحه، وكذا مسلم فى "الأيمان" (١٦٤٩)].

(٢) حاصله لا تتركوا البر معللين بالحلف / ١٢ .

(٣) حاصله لا تكثروا الحلف بالله كـــى تكونـــوا بـــارين فعلـــى هـــذا اليمـــين علـــى الحقيقة، واللام المقدر فى أن تبروا للتعليل، نحو: لا تكثر الكـــلام لتكـــون حكيمًـــا/ ١٢ .

(٤) التفسير الأول روى أبو داود عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهـــو قـــول ابن عمر وابن عباس وعكرمة ومجاهد، والثانى لأبى هريرة ومكحول وطاوس وغـــيرهم وهذا القول أيضًا ثبت عن عائشة، والثالث لابن عبـــاس أيضًـــا وروى أبـــو داود فى ذلك أثرًا، والرابع لسعيد بن جبير وهـــو أيضًـــا لابـــن عبـــاس، والخـــامس لمغـــيرة وإبراهيم/١٢ .

هو حلف يرى أنه صادق ولا يكون كذلك، أو أنت تحلف وأنت غضبان، أو أن تحرم ما أحل الله لك، أو أن تحلف عن الشيء ثم تنساه، ﴿ولَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: وهو أن يحلف ويعلم أنه كاذب، ﴿وَاللَّهُ غفُورٌ﴾: لم يؤاخذ باللغو، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة وإن حلف كاذبًا، ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾، أى: يحلفون على أن لا يجامعوهن، وعدى بمن لمعنى البعد، وهو خبر لقوله، ﴿تَرَبُّصُ﴾، أى: توقف، ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾، أى: للحالف حق التلبث فى تلك المدة لا يطالب فيها بوطء ولا طلاق، ﴿فَإِن[1] فَاءوا﴾: رجعوا بالحنث، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، للمولى إثم الحنث وإضرار المرأة، والأصح[2] أنه يجب عليه الكفارة، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ﴾: وطلقوا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: بما يقولونه، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفعلونه، وعند كثير من السلف:[3] أنه تقع تطليقة بمجرد مضى أربعة أشهر، إما بائنة أو رجعية، وفى الآية دلالة على أنه يوقف، فيطالب إما بهذا أو بهذا، وعليه كثير من السلف[4] أيضًا، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾: المدخول بهن من ذوات الأقراء، ﴿يَتَرَبَّصْنَ

---

(١) وجامعها، فسره بذلك السلف / ١٢ .

(٢) الذى عليه جمهور العلماء، وهو الجديد من مذهب الشافعي/١٢ .

(٣) كعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر، وقد صح وثبت عنهم وعن جماعة أخرى من السلف أنها تصير مطلقة بائنة/١٢ .

(٤) روى البخارى عن ابن عمر وروى الشافعى عن سليمان بن يسار قال: أدركت بضعة عشر من الصحابة كلهم يوقف المولى، وروى الشافعى عن على أنه وقف المولى، وقال الشافعى: هكذا نقول، وهو موافق لما رويناه عن عمر وابن عمر وعائشة وعثمان وزيد بن ثابت وبضعة عشر من الصحابة، وهو مذهب مالك أيضًا/١٢ .

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾، يحملنها[١] على الانتظار، خبر معناه الأمر للتأكيد، ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾، أى: أطهار أو حيض، ثم يجوز لهن أن يتزوجن، ونصبه على الظرفية، أى: مدها، أو المفعولية أى: مضيها، وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم الأمة إذا طلقت، فإنها تعتد بقرأين، ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾، من حبل[٢] أو حيض[٣]، ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، هذا تغليظ وتأكيد لا تقييد، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجهن جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: إلى النكاح والرجعة، ﴿فِي ذَلِكَ﴾: فى زمان التربص وهو العدة، وكان الرجل يرجع إلى امرأته وإن طلقها مائة إلى أن نزلت "الطلاق مرتان"[البقرة:٢٢٩] فصار قسمين بائنة ورجعية، فليس الضمير أخص من المرجوع[٤] إليه، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾: بالرجعة لا إضرارًا وهو تقييد للأحقية[٥]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾، أى: لهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب فى الحسنة لا فى جنس الفعل، ﴿وَلِلرِّجَالِ

---

(١) يعنى فى ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص، فإن أنفسهن طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يجبرنها على التربص/١٢ .

(٢) إذا أرادت فراق زوجها فكتمت لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع، وربما لا يطلقها إذا علم حبلها، أو كتمت حيضها وقالت حين الحيض: قد طهرت، استعجالاً للطلاق/١٢.

(٣) هكذا فسر ابن عباس وابن عمر وغيرهما / ١٢ .

(٤) كما قال بعض الأصوليين: لأن البعل كان أحق بردها من غيره وإن طلقها ألف طلقة حتى نسخ فافهم، كما ذكره السدى ومجاهد وابن جرير وغيرهم /١٢ .

(٥) لا كما قال القاضى: وهو أنه ليس المراد منه شريطة قصد الإصلاح للرجعة، بل التحريض عليه/١٢ .

عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: زيادة[1] فى الحق وفضل فيه، أو شرف وفضل فى الدنيا والآخرة، **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**، يأمر كما أراد بمقتضى حكمته.

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٢٣١) ﴾

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾، كان[2] الطلاق غير محصور فى الجاهلية فى عدد، ثم إن رجلاً من الأنصار غضب على امرأته فقال: لا أطلقك ولا أؤويك أبدًا، أطلقك حتى إذا دنا أجلك راجعتك وهكذا، فشكت ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام، فنزلت، وحاصله أن الطلاق الرجعى مرتان، **﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾** أى: إذا طلقتها واحدة أو اثنتين فلك

---

(١) لأن حقوقهم فى أنفسهن، وحقوقهن المهر، وتركه الضرار ونحوهما/١٢ .

(٢) رواه الترمذى وابن أبى حاتم وابن جرير والحاكم، وقال: صحيح الإسناد/١٢ [وتعقبه الذهبى كما فى التلخيص (٢/٢٨٠) بقوله: فى حميد بن كاسب: "ضعفه غير واحد".

الخيار فى المراجعة وحسن المعاشرة[١]، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾: بالطلقة الثالثة[٢]، أو بألا تراجعها ضراراً، ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الولاة ﴿أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ[٣]﴾: من الصداق، ﴿شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا﴾ أى: الزوجان، ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ من مواجب الزوجية، ولما كان الولاة يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع كأهم الآخذون والمؤتون[*]، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها[٤] الحكام فى المزاوجة، ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ أى: لا جناح على المرأة فيما أعطت ولا على الرجل فيما أخذ، وحاصله أنه لا يجوز أن تضيقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الصداق، نعم إذا تراضيا وطبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا، ولهذا كثير من السلف والخلف على أن الخلع حرام إلا أن يكون الشقاق من المرأة، لكن ذهب الشافعى إلى أنه إذا جاز فى حال شقاقها[٥] فبطريق الأولى عند الاتفاق، لكن فى غير هاتين الصورتين فحرام، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ بالمخالفة، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ

---

(١) فإمساك مبتدأ حذف خبره، أى فلك إمساك / ١٢ .

(٢) نقل أبو داود عن ابن عباس والنسائى عن على بن الحسين، أن قوله: "الطلاق مرتان" ناسخ لقوله: "وبعولتهن أحق بردهن" من أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاثًا فهو كان أحق برجعتها/١٢ .

(٣) "شيئًا" إما مفعول به و"مما" حال مقدم أو بيان، وإما مفعول مطلق أى: شيئًا من الأخذ، و"مما" مفعول به /١٢ .

(*) كذا فى الأصل، وكأنه أراد أن يقول: ولما كان الولاة... قال، فسقطت قال من آخر الكلام.

(٤) الأولى أن يكون الخطاب للولاة والحكام، ولا يجوز أن يكون الخطاب فى قوله: " وإن خفتم " للأزواج بقرينة "ألا يقيما"، وقيل: الخطاب لمجموع المؤمنين / ١٢ .

(٥) فيجوز حينئذ للرجل قبول الفدية /١٢ .

حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ: عقب النهى بالوعيد مبالغة فى التهديد، **﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾**، أى: بعد اثنتين، فهو مرتبط بقوله: " الطلاق مرتان "، نوع تفسير لقوله: " أو تسريح بإحسان "، وذكر بينهما الخلع دلالة على أن الطلاق يكون مجانًا تارة وبعوض أخرى، **﴿فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ﴾** أى: بعد ذلك الطلاق **﴿حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾** أى: حتى يطأها زوج آخر، يعنى فى نكاح صحيح، أو المراد من النكاح: العقد، والإصابة قد علم من الأحاديث الصحاح، **﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾**: الزوج الثانى **﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا﴾**، بنكاح جديد **﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾**: من حقوق الزوجية، **﴿وَتِلْكَ﴾** أى: الأحكام المذكورة **﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**: يفهمون، ثم اعلم أن شرط التحليل فى النكاح فاسد إلا عند أبى حنيفة، وقد صح "لعن الله المحلل والمحلل له"، والخلاف فى أن الناكح بنية التحليل هو المحلل أم لا، وكلام السلف[1] يدل على أنه المحلل الملعون.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

---

(١) روى الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد، أن رجلاً جاء إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له عن غير مؤامرة منه ليحللها لأخيه، هل تحل للأول ؟ فقال: لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحًا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم[المستدرك (١٩٩/٢) وأقره الذهبي]، وفى الحديث: "لا إلا نكاح رغبة لا دلسة" (الدلسة التحليل) ولا استهزاء بكتاب الله، ومثّله صلى الله عليه وسلم بالتيس المستعار/١٢[كما أخرجه ابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم (١٩٨/٢) وغيرهما بسند حسن، انظر الإرواء (٣٠٩/٦، ٣١٠)].

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، الأجل يطلق للمدة ولمنتهاها والبلوغ: الوصول، وقد يقال للدنو على الاتساع، وهو المراد هاهنا[1]، **﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾**: راجعوهن من غير ضرار، **﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾**: أو خلوهن لتنقضي عدتهن من غير تطويل، وهذا إعادة لبعض ما سبق للاهتمام به، **﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾**: لا تراجعوهن إرادة[2] إضرارهن كما سبق **﴿لِّتَعْتَدُوا﴾**

---

(١) فيصح قوله: "فامسكوهن"، إذ لا إمساك بعد انقضاء العدة/١٢ .

(٢) فعلى ما فسرنا ضراراً مفعول له وقيل: حال بمعنى مضارين /١٢ .

لتظلموهن بالتطويل والإلجاء إلى الافتداء وهو عين الضرر[١]، ﴿وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعقاب، ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً﴾ كان الرجل يطلق أو يعتق أو ينكح فيقول: كنت[٢] لاعبًا فنزلت، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[٣]: التي منها الهداية، ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الكِتَابِ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السنة، وقيل: مواعظ القرآن، أفردهما بالذكر لشرفهما ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾: بما أنزل، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تأكيد وتهديد.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ[٤]﴾:

---

(١) إذ المراد تقييده / ١٢ .

(٢) هكذا رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري وابن جرير أيضًا عنه، وعن عبادة بن الصامت، وابن مردويه عن ابن عباس وفي الترمذي وأبي داود وابن ماجه قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد، الطلاق والنكاح والعتاق"/١٢ [وهو حديث حسن، وانظر صحيح الجامع (٣٠٢٧)، وراجع الإرواء (١٨٢٦و٢٠٦١)].

(٣) بأن تشكروها.

(٤) العضل: الحبس والتضييق / ١٢، وفي الفتح " فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ": الخطاب في هذه الآية إما أن يكون للأزواج، ويكون معنى العضل منهم أن يمنعوهن من أن يتزوجن من أردن من الأزواج، بعد انقضاء عدتهن لحمية الجاهلية، كما يقع لكثير من الخلفاء والسلاطين غيرة على من كن تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم، لأنهم لما نالوه من رياسة الدنيا، وما صاروا إليه من النخوة والكبرياء، يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس بني آدم، إلا من عصمه الله منهم بالورع والتواضع، وإما أن يكون الخطاب للأولياء، ويكون معنى إسناد الطلاق أنهم سبب له، بكونهم المزوجين للنساء المطلقات/١٢ .

لا تمنعوهن[١] أيها الأولياء، وقيل: الضمير[٢] للناس كلهم، أى: لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر، ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أى: الذين كانوا أزواجًا لهن، نزلت فى أخت[٣] معقل بن يسار، طلقها زوجها، فلما انقضت عدتها جاء يخطبها، ومعقل منع أن يتزوجها، ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم﴾ أى: الخطاب والنساء، وهو ظرف لا تعضلوهن أو لأن ينكحن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يعرفه الشرع، وهو حال[٤] عن الفاعل، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: النهى والخطاب لكل أحد[٥]، أو الكاف لمجرد الخطاب دون تعيين المخاطب، أو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم، يعنى: ما أنزل إليك وقلنا لك ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ[٦] بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ﴾ أى: ترك العضل، ﴿أَزْكَى﴾: أنفع ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: من دنس الإثم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾، النافع[٧] الصالح، ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾: لقصور علمكم.

---

(١) قيل: يدل هذا على أن ليس لهن اختيار فى تزويج أنفسهن، بل الاختيار للأولياء وفيه بحث، لأنه يمكن أن الله تعالى منع هذا الظلم والتسلط الذى هو غير الحق/١٢ .

(٢) وعلى هذا لا يكون فى الكلام انتشار الضمائر، فإن خطاب "وإذا طلقتم النساء" لا يصلح للأولياء قطعًا، ويصلح أن يكون للناس، ولهذا قيل: الوجه أن يكون الضمير للناس/١٢ .

(٣) هكذا رواه البخارى والترمذى وابن ماجه وغيرهم / ١٢ [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٢٩)، وفى مواضع أخر من صحيحه].

(٤) قيل: تقديره تراضيًا كائنًا بالمعروف /١٢ .

(٥) نحو ذلك: "خير لكم وأطهر"[المجادلة:١٢] .

(٦) والمعنى: أن المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره / ١٢ فتح .

(٧) أو معناه: الله يعلم ما فى ذلك من الزكاة والطهر وأنتم لا تعلمونه / ١٢ .

﴿وَالْوَالِدَاتُ[1] يُرْضِعْنَ﴾، لفظه خبر ومعناه أمـــر، علـــى ســـبيل الاستحســـان، ﴿أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾: سنتين، ﴿كَامِلَيْنِ[2]﴾: تحديدًا لا تقريبًا ﴿لِمَـــنْ أَرَادَ﴾، أى: ذلك لمن أراد ﴿أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ فعلم أن أقصى مدهّا سنتان، ولا اعتبار بالرضاعــة بعدهما وعليه[3] السلف وأنه يجوز أن ينقص عنهما، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أى: الأب، وعبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤن عليه﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْـوَتُهُنَّ﴾، أى: على والد الطفل نفقة أمه المطلقة مدة الإرضاع ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ حسبما يراه الحـــاكم وهو يقدر، ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ تعليل للتقييد بالمعروف ولإيجاب المـــؤن، ﴿لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا[4]﴾ بأن تدفعه عن نفسها لمضرة أبيه بتربيته، بـــل عليـــها إرضاعه، ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ﴾، أى: الأب ﴿بِوَلَدِهِ﴾ بأن يترع عنها إضـــراراً لهـــا، ولا

---

(١) ولما كان النكاح قد يكون سبب ولادة، فيكون عنها رضاع، وقد تكون المرضعة زوجة وقد تكون أجنبية، والزوجة متصلة أو منفصلة، والفراق بالطلاق أكثر منـــه بـــالموت وسطه بين عدتى الطلاق والوفاة اهتمامًا بشأن الولد، فقال: " والوالـــدات يرضعـــن" الآية/١٢ وجيز .

(٢) تأكيد للدلالة على أن هذا التقدير تحقيقى لا تقريبى، وفيـــه رد علـــى أبى حنيفـــة فى قوله: أن مدة الرضاعة ثلاثون شهر، وعلى زفر فى قولـــه: أنهـــا ثـــلاث ســـنين/١٢ فتح .

(٣) وفى الدارقطنى "قال عليه الصلاة والسلام: لا يحـــرم من الرضـــاع إلا مـــا كـــان فى حولين"/١٢ وجيز [وكذا أخرجه البيهقى فى سننه (٤٦٢/٧) وهو صحيح]، وشـــذت عائشة -رضى الله عنها- من بينهم أن رضاع الكبير يؤثر فى التحريم/١٢ منه [كمـــا فى صحيح مسلم (٦٣٥/٣) ط الشعب].

(٤) أضاف الولد إلى الأم أولاً، ثم إلى الأب ثانيًا، استعطافًا لهما عليه وتنبيهًا على أنه حقيق بأن يتفقا على الإشفاق عليه / وجيز .

"تضار" إلخ تفصيل لما قبله، أى: لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد، ﴿وَعَلَى الوَارِثِ﴾ عطف على " وعلى المولود له "، وما بينهما تعليل معترض، أى: وعلى وارث الأب وهو الصبى نفسه، فإنه إذا مات أبوه فمؤن مرضتعه من ماله إن كان له مال وإلا تجبر الأم، أو المراد وارث الطفل، يعنى إن مات الأب يجبر جميع ورثة الطفل على فرضِ موته -عصبة كانوا أو غيرهم- على نفقة مرضعته، أو يجبر وارث الطفل المحرم منه بحيث لا يجوز النكاح بينهما على تقدير أن يكون أحدهما ذكرًا والآخر أنثى لا الجميع، أو عصبات الطفل فقط ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: مثل ما على والده من الإنفاق وعدم الإضرار أو المراد[1] عدم الإضرار فقط لا الإنفاق، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أى: الأبوان ﴿فِصَالًا﴾: فطامًا صادرًا ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: بينهما قبل الحولين ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فى ذلك ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد فى الفطام ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا﴾: المراضع ﴿أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾: إلى المراضع، ﴿مَّا آتَيْتُم﴾، أى: أردتم إيتاءه، يعنى: أجرها، أو إلى الأمهات أجرهن بقدر ما أرضعن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه المتعارف شرعًا ومروءة، ونفى الجناح مقيد بالتسليم لا لأنه شرط جواز الاسترضاع، بل إرشاد إلى أن الأكثر ثوابًا أن يكون الاسترضاع مقرونًا بتسليم ما يعطى المرضع، فشبه ما هو من شرائط الأولوية بما هو من شرائط الصحة، فاستعيرت[2] له العبارة مبالغة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى محافظة حدوده، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، حث

(١) الأول قول الجمهور، والثانى قول مجاهد والشعبى والضحاك / ١٢ منه .

(٢) أى: استعير له العبارة الموضوعة لإفائدة التعليق بوصف الصحة اهتمامًا بشأن ذلك الأمر فافهم / ١٢ منه .

وتهديد، ﴿وَالَّذِينَ[١] يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: ويتركون، ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: يحملنها على التوقف، خبر فى معنى الأمر، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا[٢]﴾، أى: عشر ليال، وتقديره وأزواج الذين، أو تقديره يتربصن بعدهم، لأنه لابد من الضمير فى الخبر إذا كان جملة، وخص عنه الحامل لقوله: " وأولات الأحمال أجلهن"[الطلاق:٤] إلخ والجمهور على أن عدة الأمة نصفها، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدتهن، ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأولياء أو المسلمون، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾: من التعرض للخطاب والتزين، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بوجه لا ينكره الشرع، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فيجازيكم عليه، ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾، التعريض: إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازًا، كقول المحتاج: جئتك لأسلم عليك، ﴿مِنْ خِطْبَةِ﴾، الخطبة بالكسر: طلب المرأة، ﴿النِّسَاءِ﴾: المعتدات للوفاة، كقولك: إنك جميلة وإن النساء من حاجتى ونحوه، وحرم التصريح بخطبتهن، وأما الرجعية فحرام على غير زوجها التصريح والتعريض، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾: أضمرتم فيه من غير تصريح ولا تعريض، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾، أى: فى أنفسكم فرفع عنكم الحرج فى ذلك، ﴿وَلَكِن﴾، أى:

---

(١) لما ذكر سبحانه عدة الطلاق، واتصل بذكرها ذكر الإرضاع، عقب ذلك بذكر عدة الوفاة؛ لأن لا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق، فقال: " والذين يتوفون " الآية / ١٢ فتح .

(٢) قال صاحب البحر: إذا كان المعدود مذكرًا، وحذف فالأصل أن يبقى العدد على ما كان عليه لو لم يحذف المعدود، فيقول: صمت خمسة، أى: خمسة أيام، وهو الفصيح، ويجوز أن يحذف منه التاء، وتقول: خمسًا، ومنه ما فى الحديث (ثم أتبعه ستًا من شوال)[وهو فى صحيح مسلم فى كتاب الصيام (١١٦٤)]، والتذكير هو الجائز، فجاء عشرًا على أحد الجائزين، وحسنه هنا أنه مقطع الكلام، فهو شبيه بالفواصل نحو " إن لبثتم إلا عشرا "[طه:١٠٣] وعلى ما قال فلا حاجة إلى تقدير عشر ليال/١٢ وجيز .

فاذكروهن ولكن، ﴿لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: بأن[1] تأخذوا الميثاق عنهن فى عدم تزوج غيره، وقال كثير من[2] السلف يعني[3]: الزنا، وقيل[4]: أن يتزوجها فى العدة سـرًّا، ﴿إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾، أى: لا تواعدوهن بشيء إلا بأن تقولوا، أى: بالتعريض، أو لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة وهى التعريض، ﴿وَلاَ تَعْزِمُـوا[5] عُقْـدَةَ النِّكَاحِ﴾، أى: لا تعزموا عقد عقدة النكاح، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: حـتى ينتهى ما كتب من العدة، والإجماع على أنه لا يصح العقد فى العدة، وعند مـالك أن من تزوج امرأة فى عدة ودخل بها، حرام عليه تلك المرأة بالتأبيد، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾: من عزم ما لا يجوز، ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾: فخافوا الله ولا تعزمـوا، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وبخهم أولاً ثم لم يؤيسهم من رحمته .

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

---

(١) هذا قول ابن عباس وأكثر السلف / ١٢ .

(٢) كالحسن البصرى والنخعى وقتادة والضحاك والسدى وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) أى: المراد من السر الزنا / ١٢ .

(٤) قاله ابن زيد / ١٢ منه .

(٥) أى: لا تقصدوا قصدًا جازمًا نهى عن العزم ليكون النهى فى الفعل أبلغ، وقدر المضـاف لأن العزم إنما يكون على الفعل لا على نفس العقدة /١٢ .

حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞

﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، أى: لا تبعة من مهر، أو لا وزر لأنه ليس ببدعى، ﴿إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، تجامعوهن، ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: توجبوا لهن صداقًا، ونصب فريضة بمعنى مفروضة على المفعول به، وأو بمعنى إلا أن، أو بمعنى إلى أن، أو بمعنى الواو، يعنى: لا تبعة من مطالبة مهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة، و لم يُسَمَّ لها مهرٌ، فإذا كانت ممسوسة فعليه مهر المثل، وإذا كانت غير ممسوسة وسمى لها مهرًا فلها نصف المسمى، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ[1]﴾، تقديره: فطلقوهن ومتعوهن من مالكم وهى قبل المسيس وتسمية المهر تستحق المتعة فقط إجماعًا، ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾: الغنى، ﴿قَدَرُهُ﴾: ما يقدره ويليق به، ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾: الفقير، ﴿قَدَرُهُ﴾: كذلك، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتيعًا، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه المستحسن شرعًا ومروءة، ﴿حَقًّا﴾، واجبًا صفة متاعًا أو مصدر، ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، على من أحسن إلى نفسه أو إلى المطلقات فسماهم بالمحسنين ترغيبًا، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، أى: فلهن أو الواجب لهن، ومنه يؤخذ أنه

---

(١) ظاهر الأمر للوجوب وضمير هن راجع إلى المطلقات قبل المسيس من غير فرض صداق ١٢/ منه .

لا متعة[1] حينئذ وأن الجناح المنفى هو تبعة المهر، ﴿إِلاَّ أَن يَعْفُونَ﴾، على وزن يفعلن، أى: يتركن حقهن، ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ[2]﴾، المراد الزوج بأن يسوق إليها المهر كلا[*] فقيل: تسميتها عفوًا على المشاكلة، أو لأن المقرر عند العرب سوق المهر إليها حين الزواج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف، فإن لم يسترد فقد عفا عنه، أو المراد الولى، يعنى: إذا كانت بكرًا، وإليه ذهب مالك، وقيل: وإن كانت كبيرة، ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، خطاب للرجال والنساء، ﴿وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، أى: لا تنسوا أيها الرجال والنساء أن يتفضل بعضكم على بعض، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا يضيع تفضلكم وإحسانكم، ﴿حَافِظُوا[3]﴾: داوموا، ﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾، ذكرها بين الآيات إشعارًا بألا تلهيكم الأزواج والأولاد عن ذكر الله، ﴿وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى﴾، صلاة

---

(١) وما عليه الأكثرون أن المتعة عام لكل مطلقة / ١٢ منه .

(٢) روى ابن أبى حاتم وابن مردويه وابن جرير، أنه قال -عليه الصلاة والسلام-:" ولى عقدة النكاح الزوج"[وحسن سنده السيوطى فى الدر المنثور (١/٥٢١) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى فى الأوسط والبيهقى] وهو تفسير على وابن عباس فى إحدى الروايات وأكثر السلف/١٢ منه .

(*) فى هامش الأصل: (ن) كملا.

(٣) ولما ذكر وفصل وبين أمر الطلاق والرضاع والصداق والنفقة والإنفاق والتربص والتخلص والخمر والزمر، ثم رجع بعده إلى شيء من أحوال الزوج والزوجات وسط بينهما وصية حفظ الصلاة إشارة إلى ما قال: " لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله "[المنافقون:٩] فعلى أى حال وشغل شغلكم لا تتركوا الصلاة فقال: حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى الآية / ١٢ وجيز .

العصر[١] وعليه الأكثرون، وأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل أو الصبح لأنها مثل العصر، أو الظهر لأنها فى وسط النهار، أو واحدة من الخمسة لا بعينها كليلة القدر، وقيل: المغرب لأنها الوسطى فى العدد بين الرباعية والثنائية، وقيل: العشاء لأنها بين جهريتين وقيل: صلاة الجماعة، وقيل: الجمعة، وقيل: العيد، وقيل: الضحى، وقيل: الوتر، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ[٢]﴾، أى: خاشعين ذليلين بين يديه والمراد القنوت فى الصبح، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، من عدو أو غيره، ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلوا راجلين وراكبين مستقبلى القبلة وغيرها وعند أكثر السلف يومىء برأسه حيث كان وجهه،

---

(١) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه قال يوم الأحزاب: شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر" رواه مسلم وغيره بروايات متعددة / ١٢ منه[انظر صحيح مسلم (٢/٢٧٣) ط الشعب]، وذكر فى الفتح بعد تصحيح هذا القول، وأما حجج بقية الأقوال فليس فيها شيء مما ينبغى الاشتغال به؛ لأنه لم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك شيء، وبعض القائلين عول على أمر لا يعول عليه، فقال: إنها صلاة كذا لأنها وسطى بالنسبة إلى أن ما قبلها كذا من الصلوات وبعدها كذا من الصلوات، وهذا الرأى المحض والتخمين البحت لا ينبغى أن تستند إليه الأحكام الشرعية، على فرض عدم وجود ما يعارضه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكيف مع وجود ما هو فى أعلى درجات الصحة والقوة والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيالله العجب من قوم لم يكتفوا بتقصيرهم فى علم السنة، وإعراضهم

(٢) وقيل: معناه ساكتين قاله السدى ويدل عليه حديث زيد بن أرقم فى الصحيحين وغيرهما، قال: كان الرجل يكلم صاحبه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى الحاجة فى الصلاة حتى نزلت هذه الآية " وقوموا لله قانتين " فأمرنا بالسكوت[أخرجه البخارى فى التفسير (٤٥٣٤)] فالمتغير هاهنا حمل القنوت على السكوت للحديث المذكور / ١٢ فتح

وفيه[1] دلالة على جواز الصلاة حال المشى والمضاربة وإن لم يكن الوقوف، ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾: زال خوفكم، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، أى: فصلوا كما علمكم الله بلسان نبيه ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الأمن وقيل: إذا أمنتم فاشكروا الله واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع، ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾، بالنصب أى: يوصون وصية، أو كتب الله عليهم وصية، وبالرفع أى: عليهم وصية، أو كتب عليهم وصية، أو حكم الذين يتوفون وصية، ﴿لأَزْوَاجِهِم﴾: لنسائهم، ﴿مَّتَاعًا﴾، ناصبه يوصون، أو وصية فى قراءة الرفع على حذف الجار أي: بتمتيع، ﴿إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ[2]﴾، مصدر مؤكد لأنه دل يوصون لأزواجهم ما يمتع به سنة على أنهن لا يخرجن فأكد، أو حال من الأزواج[3] يعنى وحق المتوفي[4] أن يوصوا قبل أن يحتضروا، بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً وينفق عليهن من تركته غير مخرجات من مساكنهن[5]، وهذا فى ابتداء الإسلام ثم نسخت المدة بقوله: أربعة أشهر وعشرًا والنفقة بالإرث، هذا ما عليه

---

(١) عند أبى حنيفة يصلون فى حال المشى والمسابقة ما لم يمكن الوقوف / ١٢ منه .

(٢) روى عن مجاهد وعطاء أنهما قالا: الآية غير منسوخة، ومعناها: أن للزوجات السكنى سنة كاملة فى بيت أزواجهن، لا يمنعن من ذلك وإذا انقضت عدتهن بمضى أربعة أشهر وعشر أو بوضع الحمل، واخترن الخروج والانتقال من ذلك المترل فلهن الاختيار، وهذا مذهب جماعة واختاره ابن تيمية رحمة الله عليه / ١٢ منه .

(٣) أى: غير مخرجات / ١٢ .

(٤) المراد من المتوفى الجنس، فيرجع ضمير الجمع إليه / ١٢ .

(٥) أى: المساكن التى كن فيها حين حياة أزواجهن / ١٢ .

أكثر السلف[1] فكانت الآية متأخرة فى التلاوة متقدمة فى الترول، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: عن مترل الأزواج، ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، يا أولياء الميت، ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾: من التطيب وترك الحداد، ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾: مما لم ينكره الشرع، وهذا يدل على أنها كانت مخيرة بين الملازمة فأخذ النفقة وبين الخروج وتركها، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: لا يدفعه أحد عن الانتقام، ﴿حَكِيمٌ﴾: يرعى المصالح، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يتقون الشرك، لما نزل فى المتعة: "حقًا على المحسنين"، قال رجل: إن شئت أحسنت وإن شئت لم أفعل، فترلت، وكثير من العلماء استدلوا بهذه الآية على أن المتعة لكل مطلقة[2]، ﴿كَذَلِكَ﴾، مثل أحكام الطلاق والعدة، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: فى إحلاله وتحريمه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون وتدبرون .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ

---

(١) روى عن مجاهد وعطاء أنهما قالا الآية غير منسوخة ومعناها أن للزوجات السكنى سنة كاملة فى بيت أزواجهن ولا يمنعن من ذلك، وإذا انقضت عدتهن بمضى أربعة أشهر وعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المترل فلهن الاختيار وهذا مذهب جماعة واختاره ابن تيمية رحمة الله عليه / ١٢ .

(٢) وهو أحد قولى الشافعى، وقال بعضهم: هو الجديد الصحيح، وأجابوا بأن الآية المتقدمة بعض أفراد العموم فلا تخصيص / ١٢ .

مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

﴿**أَلَمْ تَرَ**[1] **إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا**[2] **مِن دِيَارِهِمْ**﴾: فرارًا من الطاعون، ﴿**وَهُمْ أُلُوفٌ**﴾: أربعة آلاف، أو ثمانية وأربعون ألفًا والاختلاف كثير، ﴿**حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾،

---

(١) خطاب عام لكل أحد وإن لم ير و لم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب، دلالة على شيوع القصة وشهرتها، بحيث ينبغي لكل أحد أن يتعجب منها وصلة الرؤية بإلى إن كانت بمعنى الإبصار، فلاعتبار معنى النظر، وإن كانت إدراكًا بالقلب، فللتضمين على معنى: ألم ينته علمك إليهم / ١٢ .

(٢) ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء كانوا أهل بلدة في زمن بني إسرائيل، وعن ابن عباس أن اسم البلدة داوردان من قبل واسط، فلما ماتوا حين فروا من الطاعون مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: حزقيل فدعا الله بإحيائهم فأحياهم/١٢ منه.

مفعول له، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ﴾: فى أثناء طريقهم، ﴿مُوتُوا﴾، أي[1]: حكم عليهم بالموت، فماتوا ليعلموا أن لا فرار من قدر الله، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، بمعجزة نبى، ثم دعا ربه بعد مدة طويلة أن يحييهم[2] وهم قائلون: سبحانك لا إله إلا أنت، وكان فيها عبرة ودليل قاطع على المعاد الجسمانى، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: حيث أحياهم ليعتبروا ويصدقوا رسله، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾، حيث لم يعتبروا، وكان سوق هذه القضية بعث على الجهاد فلذلك قال ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لما علمتم أنه لا ينفع الفرار من الموت، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقوله المتخلف، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضره، ﴿مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ﴾، مبتدأ وذا خبره والذى صفة ذا وإقراض الله مثل[3] لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه، ﴿قَرْضًا حَسَنًا[4]﴾، وهو الإنفاق فى سبيله، ﴿فَيُضَاعِفَهُ[5] لَهُ أَضْعَافًا﴾، نصب على[6] الحال من الضمير المنصوب، أو على المصدر على أن الضعف اسم المصدر، وجمعه للتنويع، ﴿كَثِيرَةً﴾،

---

(١) وعبر بإماتتهم الله بهذه العبارة دلالة على أن موتهم كان شيئًا بامتثال أمر واحد من آمر مطاع، لا يتوقف فى امتثاله، فيكون دفعة خارجًا عن العادة فى موت الجماعات/١٢.

(٢) أى: فأحياهم وهم قائلون / ١٢ .

(٣) كما مثل بذل المال فى أخذ الجنة بالبيع والشراء / ١٢ وجيز .

(٤) "قرضًا" إما مفعول به، لأنه ما يعطى من المال وكلام الزمخشرى يشعر بهذا، وإما مفعول مطلق، أى: إقراضًا حسنًا من طيب نفس وقيل: حال من ثانى مفعولى "يقرض الله" المحذوف، أى: يقرض شيئًا حال كون الشيء مقرضًا حسنًا حلالاً/١٢

(٥) من قرأ "يضاعفه" بفتح الفاء فعلى جواب الاستفهام حملاً على المعنى: فإن " من ذا الذى يقرض الله " فى معنى أيقرض الله أحدًا/١٢ .

(٦) قيل مفعول ثان ليضاعف بتضمين معنى النصير / ١٢ .

عن[١] ابن عمر لما نزلت " مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة "[البقرة:٢٦١] الآية، قال عليه السلام: رب زد أمتى، فنزلت " من ذا الذى يقرض الله"[البقرة:٢٦١] إلخ، قال رب زد أمتى فنزلت " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"[الزمر:١٠]، ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾: يمسك الرزق، ﴿وَيَبْسُطُ﴾: يوسع على ما أراد فلا تبخلوا، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم على ما قدمتم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ﴾، أى: الجماعة، ﴿مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾: وفاة، ﴿مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِىٍّ لَهُمُ﴾، أشمويل، أو شمعون أو يوشع، ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾: أنهض أميرًا لنا للقتال ننتهى إلى أمره، ﴿نُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جزمه على الجواب، ﴿قَالَ﴾: لهم نبيهم، ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾، هو خبر عسيتم، والشرط فاصل بينهما، يعنى: أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب[٢] عليكم، وأدخل هل مستفهمًا عما هو المتوقع عنده تقريرًا وتثبيتًا، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا﴾، أى: داع لنا، ﴿أَلاَّ نُقَاتِلَ﴾، أى: إلى أن نترك القتال، ﴿فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾، أى: أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾: عن الحرب، ﴿إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، قيل: ثلاثمائة وثلاثة عشر، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: فيجازيهم على ظلمهم فى ترك الجهاد، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾:

---

(١) رواه ابن أبى حاتم / ١٢ [وذكره الهيثمى فى "المجمع" (١١٢/٣) وعزاه إلى الطبرانى فى الأوسط وقال: "فيه عيسى بن المسيب"].

(٢) يعنى: لما كان المقصود مضمون الخبر، يعنى: أن لا تقاتلوا خبر عسيتم كانت القيود من الاستفهامية والتوقع، ونحو ذلك عائدة إليه، حتى كأنه حاول إثبات تركهم المقاتلة، فقيده بأنه على سبيل التوقع دون الجزم، ثم بكونه مستفهمًا عنه للتقرير، بل التحقيق أن الشرط أيضًا قيد فيه لا فى التوقع/١٢ .

أميرًا سألتموه للقتال، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾: من أين يستأهل الإمارة؟ ﴿عَلَيْنَا وَنَحْنُ[1] أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾، لأنه لم يكن من سبط يهوذا[*]، والملك كان فى سبطه، قيل: إنه سقاء، وقيل: دباغ، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾، أى: وهو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك، ﴿قَالَ﴾ لهم نبيهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، أجاب عن اعتراضهم أولاً بأنه لست أنا الذى عينته، بل الله أمرنى به، وهو أعلم منكم، وثانياً بقوله، ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾: ووفور العلم وقوة البدن عماد الملك لأنه أعرف بطرق السياسة ولأنه أقوى على مقاومة العدو، وثالثاً بقوله، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾، أى: هو مالك الملك، فله أن يؤتيه من يشاء من غير اعتراض عليه، ورابعًا: بقوله، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: يوسع على الفقير فيغنيه، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يليق بالملك نسيبًا أوغيره، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾، لما طلبوا دليلاً على أن الله اصطفى طالوت، ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: صندوق أخذ العمالقة منهم، ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: وقار[2] ورحمة، من ذهب الجنة تغسل فيه قلوب الأنبياء، فوضع موسى فيه الألواح[3]، وروح من الله إذا اختلفوا فى شيء يخبرهم ببيان ما يريدون، وفيه أقوال[4]

---

(١) الواو فى "ونحن" حال من ضمير له، والواو فى " ولم يؤت " عطف على الجملة الحالية، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير "علينا" لأن و"لم يؤت" لا يصلح أن يكون حالاً منه والحال ضمير له لا غير لأن و"لم يؤت" حال منه البتة / ١٢ .

(*) فى الأصل: يهودا، بالدال.

(٢) هذا قول ابن عباس وقتادة، وقيل فى الصندوق: توراته/١٢ .

(٣) رواه عبد الرزاق عن وهب بن منبه / ١٢ .

(٤) فعن على: كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح حفافة، أى: مصوتة أو شيء يشبه الهرة، وكانوا إذا سمعوا تيقنوا بالنصر/١٢ منه، أقول هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقمعهم الله، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب =

أخر ، وفى الجملة فى أى مكان كان فيه تطمئن القلوب، ﴿وَبَقِيَّةٌ[١] مِّمَّا تَرَكَ[٢] آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ عصاه[٣] ورضاض الألواح والتوراة، وقيل: ثياب هارون وقفيز من المن،﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض، حتى وضعته بين يدى طالوت، والناس ينظرون، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾، أى: رجوع التابوت،

= بالمسلمين والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانًا، وتارة جمادًا، وتارة شيئًا لا يعقل، وهكذا كل منقول عن بنى إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل فى الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويًا عن النبى صلى الله عليه وسلم، ولا رأيًا رآه قائله فهم أجل قدراً عن التفسير بالرأى، وبما لا مجال للاجتهاد فيه، إذا تقرر ذلك، عرفت أن الواجب الرجوع فى مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة، ولو ثبت لنا فى السكينة تفسير عن النبى صلى الله عليه وسلم، لوجب علينا المصير إليه، والقول به، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح، بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن، كما فى صحيح مسلم عن البراء بن عازب، قال: "كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل الفرس ينفر منها، فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة نزلت للقرآن"[ظاهر هذا العزو يشعر بأن مسلمًا أخرجه دون البخارى، وهذا غير صحيح، فقد أخرجه البخارى فى "فضائل القرآن" (٥٠١١)، ومسلم فى صلاة المسافرين] وليس فى هذا إلا أن هذه التى سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ، فالله أعلم، فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينة/م.

(١) لم يعين الله البقية والاختلاف كثير / ١٢ وجيز .

(٢) أراد من آلهما الأنبياء من بنى يعقوب بعدهما، أو الآل مقحم زيد لتفخيم شأنهما/١٢ .

(٣) الأول لابن عباس، والثانى لقتادة وعكرمة والسدي/١٢ .

﴿**لَآيَةً لَّكُمْ**﴾: علامة لصدقي في اصطفائه، ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾: مصدقين، وهذا من تتمة كلام ذلك النبي عليه السلام، وجاز أن يكون ابتداء خطاب من الله .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾

﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ**﴾، انفصل هم عن بلده لقتال العمالقة، وكانوا ثمانين ألفًا، ﴿**قَالَ**﴾، لهم طالوت، ﴿**إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم**﴾: يعاملكم معاملة المختبر، ﴿**بِنَهَرٍ**﴾: هو بين الأردن وفلسطين، ﴿**فَمَن شَرِبَ مِنْهُ**﴾، أي: شرب بفمه من النهر، ﴿**فَلَيْسَ**

مِنِّى﴾: ليس من أشياعى فلا يصحبنى، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، من طعم الشيء، إذا ذاقه مأكولاً أو مشروبًا، ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، استثناء منقطع[1] من قوله فمن شرب، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾، أى: وقع أكثرهم فى النهر وكرعوا إلا قليلاً، أو أفرطوا إلا قليلاً، فإنه أيام الحر فكان من اغترف روى، ومن شرب منه لم يرو، والقليل ثلاث مائة وبضعة عشر، أو أربعة آلاف من ثمانين ألفًا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾، أى:النهر، ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، أى: القليل الذى لم يخالفوه، ﴿قَالُوا﴾: بعضهم لبعض، أو ضمير قالوا للذين خالفوا وشربوا، ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: لكثرتهم وقلتنا، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يعلمون، ﴿أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللَّهِ﴾: تيقنوا لقاءه وثوابه، وهم العلماء من القليل، ومن قال ضمير قالوا للذين خالفوا، يقول: المراد من الذين يظنون، هم القليل بجملتهم، فهم والكثيرون تقاولوا بذلك والنهر بينهما، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾: فرقة، وكم خبرية، أو استفهامية، ومن زائدة أو مبينة، ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بحكمه وأمره، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالنصر والإثابة، ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾: ظهروا ودنوا، ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: أصبب وأنزل، ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: بتقوية قلوبنا، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُم﴾: كسروهم، ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بقضائه ونصره، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾، كان فى عسكر طالوت، وقد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشركه فى أمره ونعمته، فوفى بوعده، ثم آل الأمر إلى داود، ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: ملك بنى إسرائيل، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: النبوة، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾، من صنعة الدروع ومنطق الطير، ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾،

---

(١) لأن من اغترف ليس ممن شرب بمعنى كرع ولا ممن أفرط /١٢ .

كما دفع العمالقة بجنود طالوت، ﴿لَّفَسَدَتِ[1] الأَرْضُ﴾: بغلبة الكفار، أو بشؤمهم، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾: فيدفع عنهم ببعضهم بعضًا، ﴿تِلْكَ﴾، إشارة إلى حديث الألوف، والتابوت، وطالوت وجالوت، ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق، ﴿وَإِنَّكَ﴾: يا محمد، ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: ومنها يعلم رسالتك، حيث تخبر بها عن تلك المغيبات من غير أن تقرأ وتسمع، أو إنك منهم، فلابد أن تصبر كما صبروا ، ﴿تِلْكَ[2] الرُّسُلُ﴾: المذكورة قصصهم ، أو اللام للاستغراق ، ﴿فَضَّلْنَا[3] بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ، بأن خصصناه بمنقبة ، وإن استووا في

---

(١) يعني بفساد الأرض، إما فساد الكفار وقتل المسلمين ونحو ذلك مما يفضى إلى خرابها، وإما إهلاك أهلها بالكلية لشؤم عموم الكفر وظهوره / ١٢ .

(٢) أي : تلك الرسل التي ثبت علمهم عندك / ١٢ .

(٣) اعلم أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين حديث الصحيحين، عن أبي هريرة مرفوعًا "لا تفضلوني على الأنبياء" ، وفي لفظ: "لا تخيروا بين الأنبياء" فإن القرآن دل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض ، وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض ، فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله تعالى ، وليست معلومة عندنا، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلاً وهذا مفضولاً قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها فإن ذلك تفضيل بالجهل وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له ، وهو ممنوع منه ، فلو فرضنا أنه لم يرد إلا القرآن بالإخبار لنا بأن الله فضل بعض أنبيائه على بعض ، لم يكن فيه دليل على أنه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الأنبياء ، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك ؟ وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه ، فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض ، والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه ، فمن تعرض للجمع بينهما زاعمًا أنهما متعارضان فقد غلط غلطًا بينًا / ١٢ فتح .

القيام بالرسالة ، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾: هو موسى كلمه في الطور ، قيل : هو محمد عليهما الصلاة والسلام كلمه ليلة المعراج ، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ ، أي: محمدًا عليه الصلاة والسلام ، فخواصه أكثر، وأبهمه[1] لأنه متعين الرجحان ، وقيل: إبراهيم ، وقيل: إدريس ، وقيل أولو العزم ، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾: الحجج القواطع ، خصه بالذكر لإفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه ، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ[2] الْقُدُسِ﴾: بجبريل عليه السلام ، كان يسير معه حيث سار ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ، هداية الناس واتفاقهم ، ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم﴾: من بعد

---

(١) ولا يخفاك أن الله سبحانه أبهم هذا البعض المرفوع ، فلا يجوز لنا التعرض للبيان له إلا ببرهان من الله سبحانه أو من نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو ما يرشد إلى ذلك ، فالتعرض لبيانه هو من تفسير القرآن الكريم بمحض الرأي ، وقد عرفت ما فيه من الوعيد الشديد ، مع كون ذلك ذريعة إلى التفضيل بين الأنبياء ، وقد نهينا عنه ، وقد جزم كثير من أئمة التفسير أنه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأطالوا في ذلك واستدلوا بما خصه الله به من المعجزات ومزايا الكمال وخصال الفضل ، وهم بهذا الجزم بدليل لا يدل على المطلوب ، وقد وقعوا في خطرين وارتكبوا نهيين ، وهما تفسير القرآن بالرأي، والدخول في ذرائع التفضيل بين الأنبياء ، إن لم يكن ذلك تفضيلاً صريحًا فهو ذريعة إليه بلا شك وشبهة لأن من جزم بأن هذا البعض المرفوع درجات هو النبي الفلاني انتقل من ذلك إلى التفضيل المنهي عنه ، وقد أغنى الله نبينا المصطفي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بما لا يحتاج معه إلى غيره من الفضائل والفواضل ، فإياك أن تتقرب إليه صلى الله عليه وسلم بالدخول في أبواب نهاك عن دخولها ، فتعصيه وتسيء وأنت تظن أنك مطيع محسن / ١٢ فتح .

(٢) قد فسرنا من قبل روح القدس بمعان مختلفة ، فما أعدنا إلا الأصح / ١٢ منه ، وقد ذكر المصنف في الحاشية من قبل أن هذا قول أكثر الصحابة، وورد في ذلك أحاديث صحاح/١٢ .

الرسل ، فلا يختلفون في الدين، ولا يكفر بعضهم بعضًا ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الواضحات ، ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾: ثبت على الإيمان بتوفيقه ، ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: كالنصارى ، صاروا فرقًا وتحاربوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ ، كرره تأكيدًا ليعلم كل أحد أنه من عند الله لا من عند أنفسهم ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيوفق بعضهم فضلاً، ويخذل بعضهم عدلاً .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾

﴿يَاأَيُّهَا[1] الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، أراد الزكاة المفروضة ، أو الإنفاق في سبيل الخير مطلقًا ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ﴾ ، فتحصلون ما تنفقونه ،

---

(١) ولما ذكر دفع الله الناس بعضهم ببعض ، والدفع لا بد له من إنفاق فحرض المؤمنين عليه ، فقال : " يأيها الذين آمنوا أنفقوا " الآية / ١٢ وجيز .

أو تفتدون به من العذاب ، ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ ، حتى يعينكم،"الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" (الزخرف:٦٧)، ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ ، حتى تتكلوا على شفعاء ، إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولاً ، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، قيل: وضع الكافرون موضع التاركون للزكاة تغليظًا ، ويمكن أن يكون المراد منه : والكافرون هم الذين يضعون الأشياء غير موضعها ، فلا تكونوا أيها المؤمنون مثلهم ، في ألاَّ تنفقوا ، فتضعوا أموالكم غير موضعها ، ﴿اللَّهُ[1] لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾: هو المتفرد بالألوهية للكائنات ، ﴿الحَيُّ﴾: في نفسه لا يموت أبدًا ، ﴿القَيُّومُ﴾: دائم القيام بتدبير الخلق ، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾: فتور يتقدم النوم ، أي : لا تأخذه سنة بلا نوم ، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: فلا يستغني ذكر أحدهما عن الآخر ، وفي تقديم السِّنة مراعاة ترتيب الوجود ، وهو كالمبين[2] للحي القيوم[3] ، ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: ملكًا وخلقًا، تقرير لقيوميته ، وتفرده بالألوهية ، ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ[4]﴾ ، بيان

---

(١) ولما ذكر اختلاف العباد في الانقياد والعناد، واعتماد بعضهم على شفاعة الآباء ، بين لهم أنه متفرد بالألوهية ، وهو المدبر القائم على كل شيء ، لا حراك لأحد إلا بإرادته، وهو العالم بذرات العالم من الجواهر والأعراض والمقاصد والأغراض فقال : " الله لا إله إلا هو " / ١٢ وجيز .

(٢) لأن من جاز عليه النوم ، جاز عليه الموت ، فلا يكون حيًا ولا يكون قيومًا/١٢ منه .

(٣) فلهذا لم يأت بينهما بالعاطف / ١٢ .

(٤) وفيه من الدفع في صدور عبّاد القبور ، والصك في وجوههم، والفت في أعضادهم ما لا يقادر قدره ، ولا يبلغ مداه ، والذي يستفاد منه فوق ما يستفاد من قوله تعالي : " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " (الأنبياء:٢٨)، وقوله تعالى : " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى " (النجم:٢٦)، وقوله تعالي : " لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن " (النبأ:٣٨)بدرجات كثيرة / ١٢ .

لعظمته وجلاله ، ونفي لزعم الكفار أن الأصنام شفعاء ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما قبلهم ، أو أمور الدنيا ، أو ما يعلمون ، أو ما حضر عندهم، والضمير لما في السموات وما في الأرض ، فإن فيهم العقلاء ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ، ما بعدهم ، أو أمور الآخرة ، أو ما لا يعلمون ، أو ما غاب عنهم ، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾: من معلوماته ، ﴿إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾: أن يعلموا ، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ، الكرسي: العلم[1]، أو الكرسي المشهور[2] وهو يدل على عظمته ، وقيل: هو الملك

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وروى عن سعيد بن جبير مثله/١٢ .

(٢) قوله: أو الكرسى المشهور ، أي : الذي هو تحت العرش ، روى الحاكم وصححه، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي، أنه عليه الصلاة والسلام "قال : والذي نفسي بيده ما السماوات السبع عند الكرسي إلا حلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة" / ١٢ منه ، وفي الفتح ، والظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته ، وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطئوا في ذلك خطأً بينًا وغلطوا غلطًا فاحشًا ، وما قال التفتازاني والبيضاوي: إنه من باب إطلاق المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق ولا كرسي في الحقيقة، ولا قاعد وهو تمثيل مجرد -فقول باطل ، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تتسبب عن جهالات وضلالات عن الفلاسفة أقمأهم الله تعالي . انتهى. وفي الدر المنثور للشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله (١/٥٨٠). أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في الصفات، والطبراني وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، والبيهقي، والخطيب عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره ، وأخرج ابن جرير وابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أبي موسى الأشعري قال : الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل ، وأخرج عبد بن حميد وابن أبي عاصم، في السنة والبزار وأبو يعلي وابن جرير، وأبو الشيخ في العظمة، والطبراني وابن مردويه عن عمر قال: "أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فعظم الرب تبارك وتعالى وقال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد إذا

....

= ركب من ثقله ، ما يفضل منه أربع أصابع" انتهى/١٢ [حديث عمر هذا قال عنه الشيخ الألباني: منكر، راجع كلامه في الضعيفة]، (وعلمه التأويل وفقهه في الدين آمين) [وقعت هذه العبارة هكذا في الأصل]، وفي كتاب العرش للحافظ الذهبي بعد نقله حديث عمر هذا ، هذا حديث محفوظ عن أبي إسحاق السبيعي إمام الكوفيين في وقته ، سمع من غير واحد من الصحابة وأخرجا حديثه في الصحيحين ، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة، تفرد بهذا الحديث عن عبد الله بن خليفة من قدماء التابعين ، لا نعلم حاله بجرح ولا تعديل ، لكن هذا الحديث حدث به أبو إسحاق السبيعي مقرًّا له كغيره من أحاديث الصفات ، وحدث به كذلك سفيان الثوري ، وحدث به أبو أحمد الزبيري ، ويحيى بن أبي بكر ووكيع عن إسرائيل ، وأخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة والرد على الجهمية له عن أبيه عن عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه ، ولفظه : إذا جلس الرب على الكرسي سمع له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد ، ورواه أيضًا عن أبيه، حدثنا وكيع بحديث إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة، عن عمر رضي الله عنه : إذا جلس الرب على الكرسي ، فاقشعر رجل، سماه أبي، عند وكيع فغضب وكيع وقال : أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكرونها ، قلت : وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين ، أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في صحيحه ، وهو من شرط ابن حبان ، فلا أدري أخرجه أم لا فإن عنده أن العدل الحافظ إذا حدث عن رجل لم يعرف بجرح فإن ذلك إسناد صحيح ، فإذا كان هؤلاء الأئمة أبو إسحاق السبيعي والثوري والأعمش وإسرائيل وعبد الرحمن بن مهدي وأبو أحمد الزبيري ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم، ممن يطول ذكرهم وعددهم، الذين هم سرج الهدى ومصابيح الدجى -قد تلقوا هذا الحديث بالقبول وحدثوا به ، ولم ينكروه ولم يطعنوا في إسناده، فمن نحن حتى ننكره ونتحذلق عليهم ، بل نؤمن به ونكل علمه إلى الله عز وجل ، قال الإمام أحمد: لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته بشناعة شنعت وإن نبت عنه الأسماع ، فانظر إلى وكيع بـــن الجراح=

والسلطنة ، ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾ ، لا يثقلها(*)، ﴿حِفْظُهُمَا﴾: السموات والأرض ، والإضافة إلى المفعول ، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ[1]﴾: ذاتًا وقدرًا وقهرًا، المتعالي عن الأنداد ،

= الذي خلف سفيان الثوري في علمه وفضله ، وكان يشبه به في سمته وهديه ، كيف أنكر على ذلك الرجل وغضب لما رآه قد تلون لهذا الحديث وتذكر ما حفظ عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم بأن الله في السماء على العرش ، وذلك في حكم الأحاديث المرفوعة، لأنهم رضي الله عنهم لم يقولوا شيئًا من ذلك، وقد أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم لا مساغ لهم في الاجتهاد في ذلك ، ولا أن يقولوه بآرائهم ، وإنما تلقوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم: من كان يعبد محمدًا فإنه قد مات ، ومن كان يعبد الله الذي في السماء فإنه حي لا يموت ، أخرجه هكذا الدارمي بإسناد صحيح والبخاري في تاريخه من حديث نافع وأطال بذكر أقواله الخلفاء الأربعة خصوصًا وسائر الصحابة عمومًا/١٢ .

(*) كذا في الأصل وعليه فالضمير يعود على العظمة، وهذا غير صحيح إذ الضمير في "ولا يؤده" المقصود به الله تعالى.

(١) الرفيع فوق خلقه ، المتعالي عن الأنداد والأشباه ، قاله البغوي ، قال العلامة بن القيم في كتابه زاد المعاد : من ظن أنه ليس فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ، وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبته إلى أسفل السافلين فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن بأنه أسفل كما هو أعلى ، ومن قال: سبحان ربي الأسفل كما قال: سبحان ربي الأعلى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه ، ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ، أو وصف به رسوله [وقع في هامش الأصل هاهنا: أو عطل حقائق ما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله] فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن به أن أحدًا يشفع عنده بغير إذنه ، وأن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه ، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم في حاجاتهم إليه سبحانه وتعالى فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه / ١٢ .

﴿العَظِيمُ[1] ﴾: كل شيء دونه حقير ، ﴿لاَ إِكْرَاهَ[2] فِي الدِّينِ﴾ ، نزلت في رجل مسلم له ابنان نصرانيان أراد إكراههما لدخولهما في الإسلام ، فالحكم خاص بأهل الكتاب ، أو منسوخ بآية القتال ، وهو خبر بمعنى الأمر ، وقيل : خبر حقيقة ، إذ الإكراه إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيرًا ، لكن قد تميز الإيمان من الكفر بالحجج والآيات ، فلا يحتاج إلى الإكراه ، ولهذا قال: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: بالشيطان ، ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾: طلب الإمساك من نفسه أو تمسك ، ﴿بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾: من الحبل الوثيق المحكم ، ﴿لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾: المأمون من الإنقطاع ، وهو الإيمان ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: بالأقوال ، ﴿عَلِيمٌ ﴾: بالنيات ، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: ناصرهم ، ومتولى أمورهم ، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الجهل ، وهو أجناس كثيرة ، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الهدى والعلم ، وهو واحد، والجملة خبر بعد خبر أو حال ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾: الشياطين يتولون أمورهم ويزينون الجهل لهم ، ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾: الفطرى ، أو لما كان سببًا لعدم إيمانهم كأنه أخرجهم ، ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، وعيد وتحذير .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ

---

(١) الكبير الذي لا شيء أعظم منه / ١٢ معالم .

(٢) ولما أوضح الدلائل للعالم وللجاهل صار الدين إلى حد لا يحتاج فيه منصف إلى إكراه فيه ، فقال: "لا إكراه في الدين" جملة خبرية صورة ومعنى يدل عليه قوله : " قد تبين الرشد من الغي " الآية / ١٢ وجيز .

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ[1] **إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾**: جادل، تعجيب من حماقة نمرود ، **﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾** ، أي : لأن آتاه ، يعني : بطر الملك حمله على ذلك . **﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾**، ظرف لحاج ، **﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** ، أي : الدليل على وجوده حدوث الأشياء بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها ، فإنه يدل على وجود فاعل مختار ، **﴿قَالَ﴾**: الذي حاج ، **﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾**: بالعفو عن القتل والقتل(*) ، أو

---

(١) ولما بين أن الدين واضح بحيث لا احتياج فيه إلى إكراه ، وأن متولي أمور المؤمنين هو الله ، ومتولي أمور الكافرين الطاغوت -عقبه بالحكايتين والآيتين للتعجب عن حماقة نمرود الذي تولاه الطاغوت ، وإبراهيم الذي ربه رب السموات والأرض، ولتوضيح البعث والنشور ، فقال : " ألم تر إلى الذي حاج " الآية /١٢ وجيز .

(*) يعني بأنا أحيي: العفو عن القتل، وأميت: والقتل.

قاله عنادًا ومكابرة ، وأوهم أنه الفاعل لذلك ، وهذا القول أظهر ، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ[1] فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ، أي : إذا كنت كما ادعيت[2] من الإماتة والإحياء فمن هذا صفته هو المتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير الكواكب وحركاها ، وهذه الكواكب تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلاهًا تحيي وتميت فأت بها من المغرب! ، ﴿فَبُهِتَ[3] الَّذِي كَفَرَ﴾: أخرس في هذا المقام ، وصار مبهوتًا مغلوبًا ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالاتباع عن الحق ، قيل : لا يهديهم محجة الاحتجاج ، ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ ، الأول في قوة قوله: أرأيت مثل الذى حاج ، فعطف عليه بقوله : " أو كالذي " ، وقيل : الكاف مزيدة والمار عزير، أو الخضر[4]، أما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس، حين خربه بختنصر ، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: ساقطة على سقوفها، أي: خرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، أو من خوى إذا خلا، أي : خالية مع سلامة عروشها، ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: استبعادًا لتعميرها بعد شدة خرابها ، والظاهر أن المراد به أهل القرية ، فيكون استعظامًا لإحيائها ، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ ، أي : فألبثه ميتًا مائة عام ، أراه آية في نفسه ، ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: بالإحياء ، ﴿قَالَ﴾: الله له بواسطة ملك ، أو بلا واسطة ، ﴿كَمْ لَبِثْتَ

---

(١) ذكر السدي، أن هذه المناظرة كانت بينهما بعد أن خرج إبراهيم من النار ، ولم يكن اجتمع به إلا في ذلك اليوم / ١٢ منه .

(٢) اعلم أن التفسير على ما قررنا أحسن مما في أكثر التفاسير، إنه انتقال من دليل إلى أوضح منه ، بل من الثاني على ما قررنا يعلم بطلان الأول فتأمل / ١٢ منه .

(٣) وقال: إن هذا إنسان مجنون فأخرجوه ، ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها ، وأن النار لم تأكله ، وخشي أن يفتضح في قومه / ١٢ در منثور .

(٤) منقول عن وهب بن منبه / ١٢ منه .

قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ، كقول الظان ، ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ ، ذكر أن معه عنبًا وتينًا وعصيرًا ، فالطعام الأولان، والشراب الأخير ، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغير لا العنب والتين تعفنا ، ولا العصير استحال، أفرد الضمير ، لأنهما كجنس واحد ، ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ ، كيف تفتت عظامه ، حتى تعلم مكثك مائة سنة ، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ ، أي : وفعلنا ذلك لنجعلك ، وقيل عطف على مقدر ، أي : فعلنا ذلك ليزداد بصيرتك ولنجعلك ، قيل : كان هو أسود الشعر وبنو بنيه شيب ، ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ﴾: عظام الحمار ، ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: نحييها ، أو نرفعها ، فنركب بعضها على بعض ، والجملة حال من العظام، وكيف منصوب بننشزها ، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: ما أشكل عليه ، قيل : تقديره لما تبين له أن الله على كل شيء قدير ، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ففاعل تبين مضمر يفسره ما بعده ، أي: صار العلم عينيًّا بعدما كان غيبيًّا ، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى﴾ ، ذكروا لسؤاله أسبابًا منها ، أنه لما قال لنمورد : ربي الذي يحيي ويميت ، أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ، ومنها أنه رأى جيفة أكلتها السباع والطيور فسأل ، ﴿قَالَ﴾: الله ، ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾: بأني قادر على الإحياء ، قال له ذلك ليجيب بما أجاب ، فيعلم الناس غرضه ، أي : أتنكر و لم تؤمن؟ ، ﴿قَالَ بَلَى﴾ ، آمنت ، ﴿وَلَكِن﴾ ، سألت ، ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ، بالمعاينة ، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ ، اختلفوا في أنها ما هي ، قيل : غرنوق وطاوس وديك وحمامة ، ﴿فَصُرْهُنَّ[1] إِلَيْكَ﴾ ، أي : قطعهن منضمات إليك ، أو اضممهن إليك لتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء ، ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾: من الجبال التي بحضرتك ، وكانت أربعة أو سبعة ، ﴿مِّنْهُنَّ

(١) صرت الشيء: قطعته وفصلته / ١٢ منه .

﴿جُزْءًا﴾ ، تقديره على المعنى الثاني: فصرهن وجزّئهن، ثم اجعل إلخ ، **﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾**: قل تعالين ، **﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾**: ساعيات مسرعات ، أمر بخلط ريشها ولحومها ففعل ، وأمسك رؤوسها ثم دعاهن فجعلت أجزاءهن يطير بعضها ببعض، حتى اتصلت ثم أسرعن إلى رءوسهن ، **﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾**: لا يعجزه شيء ، **﴿حَكِيمٌ﴾**: في تدبيره .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾

﴿مَثَلُ[1] الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طاعته أو الجهاد أو هو والحج ، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ حث على الخير بعد أدلة التوحيد ، وتقديره: مثل نفقتهم كمثل ، أو مثلهم كمثل باذر حبة ، ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ[2]﴾ أي : يخرج منها ساق له سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة ، وهذا تمثيل لا يجب وجوده ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾: تلك المضاعفة ، أو على تلك المضاعفة ويزيد عليها ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ ، بحسب الإخلاص ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: لا يضيق عليه الإنفاق ﴿عَلِيمٌ ﴾: بقدر الإنفاق ونياتهم ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ[3] أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا﴾: لا بقول ولا بفعل على من أعطوه ﴿وَلاَ أَذًى[4]﴾: لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا ، ثم للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى ﴿لَّهُمْ[5] أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: بلا منة أحد ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من أهوال القيامة ، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، على ما فات منهم ، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: كلام

---

(١) ولما ذكر قصتين هما أدل دليل على البعث، أخذ يبين ما ينتفع به يوم البعث ، وفيه أيضًا ما يدل على البعث ، فقال : " مثل الذين ينفقون " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) وهذا العدد يوجد في الذرة / ١٢ وجيز .

(٣) ولما بين مضاعفة الإنفاق لمن يشاء وأبهمه، بين نوع تبيين لمن يشاء فقال : " الذين ينفقون أموالهم " / ١٢ .

(٤) والأذى شامل لـ"المن" خصصه أولاً ، لأنه كثير الوقوع ، والمن من الكبائر ، ففي مسلم : "أن المان أحد من الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم" [أخرجه مسلم في "الإيمان"، (١/٣٠٤)]، ومن الأذى أن تقول : ما أشد إلحاحك، وخلصنا الله منك / ١٢ وجيز .

(٥) قيل : ترك الفاء في الخبر مع أن المبتدأ متضمن لمعنى الشرط ، لإيهام أنهم أهل لذلك ، وإن لم يفعلوا ، فكيف بهم إذا فعلوا ؟ /١٢ .

حسن ورد جميل ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: عفو عن ظلم ، أو تجاوز عن استطالة السائل ، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عن إنفاق كل منفق ، ﴿حَلِيمٌ ﴾: لايعجل في العقوبة ، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُبْطِلُوا﴾ ، ثواب ﴿صَدَقَاتِكُم[1] بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ﴾ ، أي : كإبطال[2] المنافق الذي ينفق ، ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ ، نصب على المفعول له[3] أي : كمن يتصدق لأجل مدحة الناس وشهرته بالصفات الجميلة ، مظهرًا أنه يريد وجه الله ، ﴿وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ﴾ أي : مثل المرائي ، أو مثل من أتبع إنفاقه منًّا أو أذى ، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس ، ﴿عَلَيْــــهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: مطر كبير القطر ، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: أملس نقيًّا من التراب ، كذلك أعمال المرائين تضمحل عند الله ، وإن ظهر لهم أعمال مما يرى الناس كالتراب ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ﴾ ، الضمير للذي ينفق ، باعتبار المعنى فإنهم كثيرون ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ ، لا ينتفعون بما فعلوا ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ، الخير وفيه إيماء إلى أن الرياء من صفة الكفار ، فعلى المؤمن أن يحذر عنها ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: تصديقًا وتيقنًا من أصل أنفسهم أن الله سيجزيهم على ذلك ، أو يثبتون أين يضعون صدقاتهم ﴿كَمَثَلِ[4] جَنَّةٍ﴾ ، أي : مثلهم في الزكاء كمثل بستان ، ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بموضع مرتفع ،

---

(١) نصح المؤمنين عناية وإحسانًا بأنواع من العبارات الرادعة من تلك الخصلة الرديئة والفعلة القبيحة / ١٢ وجيز .

(٢) على هذا التفسير : الكاف في موضع المفعول المطلق على حذف المضاف ، وقيل : جاز أن يكون حالاً من فاعل " لا تبطلوا " بلا حذف / ١٢ منه .

(٣) وقيل : على الحال ، أي : مرائيًا / ١٢ منه

(٤) مثل حالهم بحال الجنة ، في أن نفقتهم كثرت أو قلّت زاكية ، كما أن الجنة يضعف ثمرها قوى المطر أو ضعف ، فلوحظ الشبه فيما بين المفردات ، فلا يلزمنا حذف في =

زاد ابن عباس والضحاك: فيها الأنهار ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر شديد ﴿فَئَاتَتْ﴾: أعطت ، ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرها ، ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ ، بالنسبة إلى غيرها من البساتين ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي : فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر ، يعني : نفقاتهم زاكية عند الله ، وإن كانت تتفاوت بسبب أحوالهم ، كما أن الجنة تثمر قَلَّ المطر أو كَثُرَ ، أو يضعف ثواب صدقاتهم قلّت النفقة أو كثرت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ، تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص ﴿أَيَوَدُّ﴾ ، الهمزة للإنكار ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ[١] تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ، هما لما كان أشرف وأنفع الأشجار جعل الجنة منهما تغليبًا لهما ، ثم ذكر سائر الأشجار ليدل على التغليب﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: كبر السن ، فإن الفقر فيه أصعب ، والواو للحال[٢] بتقدير: قد ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: صغار ونسوان ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصف ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ، فصار أحوج ما كان إليها عند الشيخوخة وكثرة ضعاف الأولاد ، والمثل لرجل[٣] غني يعمل بطاعة الله ، ثم نكص على عقبيه فعمل آخر عمره بالمعاصي ، حتى أغرق أعماله ، أو للمنافق[٤] والمرائي

= الكلام أو تشبيه لحال النفقة حال الجنة ، في كونها زاكية ، كيف ما كانت الحال ، فاحتاج حينئذ إلى تقدير المضاف ، أي : مثل نفقة هؤلاء كمثل جنة/١٢ منه .

(١) كأنه ليس في البستان إلا هذان النوعان من الأشجار ، وهما الأصل والباقي كالفرع فافهم/١٢ منه .

(٢) لا يجوز أن يكون عطفًا على "تكون له جنة" ، لأن أن المصدرية دخلت عليه ، فصارت للاستقبال ، فلا يجوز عطف الماضي عليه ، فلهذا قلنا: الواو للحال/١٢ منه .

(٣) هكذا رواه البخاري عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم / ١٢.[صحيح البخاري كتاب التفسير (٤٥٣٨)]

(٤) وهذا منقول عن الحسن ، ومروى عن ابن عباس أيضًا / ١٢ منه .

فإنهم إذا ماتوا واحتاجوا غاية الاحتياج إلى أعمالهم، فقدوها بمرة ، ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ ، لكي تتفكروا فتعتبروا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾

﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا**﴾: تصدقوا ، ﴿**مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**[1]﴾: حلاله وخياره ﴿**وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ**﴾ ، أي : من طيبات ما أخرجنا من الحبوب والثمار والمعادن ، ﴿**وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ**﴾: لا تقصدوا الرديء[2] ، ﴿**مِنْهُ تُنفِقُونَ**[3]﴾ ، حال من الفاعل ، أو من المفعول ، ومنه متعلق به ، والضمير للخبيث ، أي تخصونه بالإنفاق ، أو منه حال من الخبيث ، والضمير للمال ، كانت[4] الأنصار يعلقون أقناء البسر على حبل في مسجد المدينة للفقراء ، فتعمد الرجل منهم إلى الحشف ، فأدخله مع أقناء البسر ، فأنزل الله فيمن فعله "ولا تيمموا" إلخ ، ﴿**وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ ، أي : والحال أنكم لا تأخذونه في حقوقكم ، إلا[5]

---

(١) قيل: فيه دليل على إباحة الكسب ، وفي الحديث عن المقدام "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما أكل أحد طعامًا، خيرًا من أن يأكل من عمل يده"، أخرجه البخاري/١٢ فتح . [في "البيوع"، باب: كسب الرجل وعمله بيده، (٢٠٧٢)]

(٢) روى الإمام أحمد أنه قال عليه الصلاة والسلام : "لا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيتقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث" / ١٢ منه.[أخرجه أحمد (٣٨٧/١) وضعف سنده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٦٧٢)، وكذا الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع (١٦٢٥).

(٣) أي : لا تقصدوا المال الرديء ، و في الآية الأمر بإنفاق الطيب والنهي عن إنفاق الخبيث ، وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن الآية في الصدقة المفروضة ، وذهب آخرون إلى أنها تعم الفرض والتطوع ، وهو الظاهر / ١٢ فتح .

(٤) رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والترمذي والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم / ١٢. [وهو كما قال، وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٣٨٩)]

(٥) إشارة إلى أنه حذف الجار ، وهو متعلق بآخذيه ، على معنى : لا تأخذونه بوجه من الوجوه إلا بالإغماض والتسامح / ١٢ منه .

بإغماض بصر ومساهلة ، فلا تجوزوا في حق الله ما لا تجوزون في حقوقكم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] معناه : لو كان لكم على أحد حق ، فجاء بحق دون حقكم ، لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ ، عن إنفاقكم ﴿حَمِيدٌ﴾ ، بقبوله وإثابته ، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ﴾: يخوفكم الفقر لتبخلوا ولا تنفقوا في مرضات الله ، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾: بالبخل ، أو المعاصي مطلقًا ، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ ، الوعد للخير والشر ، أي: يعدكم[2] جزاء إنفاقكم مغفرة ذنوبكم ، ﴿وَفَضْلًا﴾ ، خلفًا[3] أفضل مما أنفقتم ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: واسع الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾: بالإنفاق ، ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ[4]﴾: تفسير القرآن ، أو الإصابة في القول ، أو خشية الله ، أو الفهم ، أو السنة ، أو الفقه في الدين ، أو العقل ، أو النبوة[5] ، ﴿مَن يَشَاءُ﴾ ، مفعول أول ، ﴿وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ، في الحديث[6] "لا حسد إلا في

---

(١) فعلى هذا معناه : إلا أن تغوروا فيه وتفتشوا عن حاله ، يقال : مسألة غامضة ، أي : غير واضحة المعنى تطب الغور والتأمل/ ١٢ منه .

(٢) قال الفراء : وعدته خيرًا وشرًا ، فإذا أسقطوا الخير والشر ، قالوا : في الخير الوعد والعدة ، وفي الشر الإيعاد والوعيد / ١٢ .

(٣) في الآخرة ، أو في الدنيا ، والخلف: العوض / ١٢ .

(٤) ولما حث على الإنفاق عن الطيب والاجتناب عن الخبيث، وعدم الخشية عن الفقر والرجاء بالمغفرة والفضل وعدم اتباع المن والأذى ، حرض عبيده على قبول ما حث عليه بمدح العلم والعمل ، فقال : " يؤتي الحكمة " الآية / ١٢ .

(٥) الأول : لابن عباس ، والثاني : لمجاهد ، والثالث : لابن مسعود وأبي العالية ، والرابع : للنخعي ، والخامس : لابن مالك ، والسادس : لمالك ، والسابع : لزيد بن أسلم ، والثامن : للسدي / ١٢ منه .

(٦) رواه البخاري ومسلم وغيرهما / ١٢. [أخرجه البخاري في "العلم"، ومسلم في "صلاة المسافرين"]

اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها" ، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: ما يتعظ بالآيات ، ﴿إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾: ذوو العقول ، ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ ، قليلة أو كثيرة ، حق أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ ، في طاعة ، أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ، فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الذين يضعون المال في غير موضعه ، ﴿مِنْ أَنصَارٍ ﴾: ينصرونهم ويمنعونهم من العقوبة ، ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا[1] هِيَ﴾: إن أظهرتموها فنعم شيئًا إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ﴾ ، تعطوها مع إخفائها ، ﴿فَهُوَ﴾ ، أي : إخفاؤها ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ، والآية عامة في كل صدقة ، لكن عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن السر في التطوع أفضل من العلانية بسبعين ضعفًا ، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل بخمسة وعشرين ضعفًا ، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ أي : الله ، أو الإخفاء ، ومن قرأ مجزومًا فهو عطف على محل جواب الشرط ﴿مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ،"من" للتبعيض[2] ، أو لتبيين الجنس ، أي يكفر شيئًا ، هو السيئات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ، ترغيب في الإخفاء ﴿لَيْسَ[3] عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ أي لا يجب عليك جعل الناس مهديين ، فإنه ليس في يدك وقدرتك ، ولكن الهداية من الله ، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ﴾ أي : ثوابه ، فلا تمنوا على أحد ، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ، الواو حال ، أو عطف ، يعني : المؤمن لا ينفق إلا لمرضات الله ،

---

(١) فضمير هي هو المخصوص بالمدح، لكن على حذف المضاف ليحسن ارتباط الجزاء بالشرط ، ويدل عليه تذكير الضمير في " فهو خير لكم " فإنه يرجع إلى الإخفاء/١٢ .

(٢) فيكون من السيئات ما تكفرها الصدقة ومنها ما لا تكفرها .

(٣) ولما رغب في لزوم الهدى ووجوه الخير ، وأكثرهم معرضون ، لأن ما دعا إليه هادم لما جبلوا عليه من حب المال ، صار صلى الله عليه وسلم شديد الوجد دائم الحزن ، شفقة عليهم ، فخفف عليه الوجد ، فقال : " ليس عليك هداهم " الآية / ١٢ وجيز .

وقيل : نفي في معنى النهي ، قال عطاء الخراساني : معناه : إذا أعطيت لوجه الله ، فلا عليك ما كان عمله ، فإنك مثاب لنيتك ، سواء كان السائل مستحقًا أو غيره ، برًا أو فاجرًا[1] ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه ، ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ ، فلا ينقص ثواب صدقاتكم ، "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بأن لا يتصدق إلا على المسلمين ، حتى نزلت ليس عليك هداهم ، فأمر بالصدقة بعدها على كل سائل من كل دين[2]" ، وهذا في التطوع ، أما الواجب[3] ، فلا يجوز صرفه إلى الكافر ﴿لِلْفُقَراءِ[4]﴾ أي : الصدقات لهم ، وهم الأولى والأحق ، وإن جاز صرفها إلى غيرهم كما علم من الآية الأولى ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، حبسوا أنفسهم في الجهاد ، أو أصحاب الصفة ، الذين انقطعوا بكليتهم إلى الله ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾: ذهابًا فيها للتجارة لاشتغالهم بالجهاد ، أو بالله ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ﴾ بحالهم ، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من أجل

---

(١) أجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلا إلى المسلمين ، وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة ، وخالفه سائر العلماء في ذلك /١٢ فتح .

(٢) يدل على هذا التفسير ما ثبت أن أسماء بنت أبي بكر حجت فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها، فنزلت / ١٢ منه. [أخرجه البخاري في "الأدب"، (٥٩٧٩)، ومسلم في "الزكاة"، (١٠٠٣)]

(٣) رواه ابن أبي حاتم والنسائي عن ابن عباس / ١٢ منه . [أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء عن ابن عباس مرفوعا، كما في الدر المنثور (٦٣١/١)]

(٤) قال ابن عباس: هم أصحاب الصفة ، يعني :فقراء المهاجرين ، كانوا نحو أربع مائة رجل، لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر ، وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ، وهم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد خاصة ، أو طاعة الله عامة/١٢ فتح .

تعففهم عن السؤال ، ﴿**تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ**﴾ من التخشع وأثر الجهد والصفاء ، ﴿**لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ أي : إن سألوا عن ضرورة لم يلحوا في السؤال ، ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ ، ترغيب في الإنفاق سيما على من تعرفه بسيماه .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ أي: يَعُمُّون الأحوال بالخير ، نزلت[1] في ربط الخيل يعلفونها دائماً في سبيل الله ، أو في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان له أربعة دراهم فتصدق درهمًا ليلاً ، ودرهمًا نهارا ، ودرهما سرًا ، ودرهمًا علانية[*]، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامة ، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات عنهم ، قال تعالى : " لا يحزنهم الفزع الأكبر " (الأنبياء:١٠٣)، ﴿الَّذِينَ[2] يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ لما ذكر الأبرار المخرجين للصدقات ، شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالظلم ، وعبر عن الأخذ بالأكل ، لأن الأكل أعظم المنافع ، والربا شائع في المطعومات ، ﴿لاَ يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ، ﴿إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي : إلا قيامًا كقيام المصروع ، ﴿مِنَ الْمَسِّ[3]﴾ ، أي : الجنون ، وهو متعلق بلا يقومون ، أو بيقوم ، وفي الحديث "مر عليه

---

(١) الأول: رواه ابن أبي حاتم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يزيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان، كذا قال الهيثمي في "المجمع" (٦/٣٢٤)]، والثاني: رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد بن جبير عن أبيه ، وكذا رواه ابن جرير، ورواه ابن مردويه عن ابن عباس / ١٢ منه .

(*) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (١/٣٢٧) وضعفه.

(٢) ولما ذكر الأبرار النافعين المنفقين، أتبعهم حال الأشرار الآكلين أموال الناس بالظلم فقال: "الذين يأكلون الربا" / ١٢ .

(٣) وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن الصرع لا يكون من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع ، وقال: إن الآية خارجة على ما كانت العرب تزعمه من أن الشيطان يصرع الإنسان ، وليس بصحيح وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من أن يتخطبه الشيطان ، كما أخرجه النسائي وغيره/١٢ .

السلام ليلة الإسراء على قوم بطونهم[١] كالبيوت[٢] ، و أخبر أنهم أكلة الربا" ، **﴿ذَلِكَ﴾** أي : العقاب ، **﴿بِأَنَّهُمْ﴾**: بسبب أنهم ، **﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾**: اعترضوا[٣] على أحكام الله ، وقالوا : البيع مثل الربا ، وإذا كان الربا حرامًا فلا بد أن يكون البيع كذلك ، **﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾** يحتمل[٤] أن يكون تتمة كلام المعترض المشرك ، ويحتمل أن يكون من كلام الله ردًّا عليهم ، أي : اعترضوا ، والحال أن الله فرق بين هذا وهذا ، وهو الحكيم العليم ، **﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾**: بلغه وعظ من الله ، **﴿فَانتَهَى﴾**: فاتعظ وتبع النهي حال وصول الشرع إليه ، **﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾** من المعاملة ، أي : له ما كان أكل من الربا زمن الجاهلية ، **﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾**: يـــحكم يوم القيامة بينهم ، وليس من أمره إليكم شيء ، **﴿وَمَنْ عَادَ[٥]﴾** إلى

---

(١) رواه البيهقي وابن ماجة والإمام أحمد / ١٢. [وهو ضعيف، انظر ضعيف ابن ماجه (٤٩٦)، وضعيف الجامع (١١٣)].

(٢) قيل : يقومون من قبورهم ، فيسقطون كالمصروع لا يستطيع المشي والقيام من كبر بطونهم وثقلهم / ١٢ منه .

(٣) الظاهر أن مرادهم أن المحلَّلَ والمحرم أمرُكَ وشهوتُكَ ، لا حُكْمَ الله سبحانه ، فإنه لو كان حكم الله لكان الربا حلالاً مثل البيع ، والبيع حرامًا مثل الربا ، فتأمل / ١٢ منه .

(٤) ولا شك مَنْ أحدٍ أن البيع حلال، فكذا الربا [حرام] / ١٢ . (ما بين المعقوفتين [ ] زيادة من عندنا ليست في الأصل أضفناها ليستقيم السياق)

(٥) إلى الاعتراض " فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " لأنهم كفروا، كما اعترض إبليس وكفر ، هكذا فسره المفسرون من أهل السنة ، والأصوب أن الأصوب تفسير الزمخشري ، عفا الله عنه ، وحاصله ومن عاد إلى الأكل والارتكاب ، فإن الجزاء مرتب على مطلق المرتَكَبِ ، لا على الكافر المرتَكِبِ ، لأن كون الانتهاء في قوله : " فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى " عبارة عن الانتهاء عن الفعل ، يأبى أن يكون العود في قوله : " ومن عاد " عودًا إلى الاعتقاد والاستحلال، وأيضًا إذا كان خلود الـــنار=

تحليله وأكله ، ﴿فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لكفرهم ، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: يذهب بركته ، فلا ينتفع في الدنيا والآخرة به ، قد ورد: "ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة(*)"، ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾: يكثرها وينميها ، وقد[1] ورد "إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى يكون مثل أحد[2]" ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ﴾: لا يرتضي ، ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصر على تحليل الحرام ﴿أَثِيمٍ﴾: فاجر بارتكابه ، ﴿إِنَّ[3] الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بما جاء من الله ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ عطفهما على الأعم لشرفهما[4] ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من آت ، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فائت ، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن

= للاستحلال .. إلخ ، فجزاء مرتكب الفعل غير مذكور في الكلام ، مع أنه المقصود الأتم الأهم ، وإذا جعلنا الخلود جزاء الفعل ، علم أن جزاء الاعتقاد الذي هو كفر فوقه بخلاف العكس ، فالأولى أن نجعل هذه الآية طباق آية " ومن قتل مؤمنًا متعمدًا " (النساء:٩٣) إلى آخره ، ولابد لنا من تأويلها ، ومن أحسن التأويلات: أن ارتكاب بعض الكبائر من غير توبة ينجر إلى سوء العاقبة من القتل وأكل الربا / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما، وانظر صحيح الجامع (٣٥٤٢).

(١) رواه ابن ماجة والإمام أحمد / ١٢ وجيز . [وهو حديث صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٨١٥)]

(٢) يعني الداعي إلى الربا تحصيل المزيد، والصارف عن الصدقة الاحتراز عن النقصان ، فبين أن الربا وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة والمآل ، والصدقة وإن كانت نقصانًا في الصورة إلا أنها زيادة في الحقيقة / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر حال آكل الربا ، وصفه بأنه كفار أثيم ، ذكر ضده من المطيعين الممتثلين شرائع الإسلام ، فقال : " إن الذين آمنوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) وللحث على إيتاء الزكاة في مقابلة الربا / ١٢ وجيز .

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رأس المال بعد الإنـذار ، إن كنتم مؤمنين بشرع الله ، كان بين ثقيف وبني مخزوم ربا في الجاهلية ، فلما جـاء الإسلام ، طلبت ثقيف فتشاجروا فنزلت ، **﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾** و لم تذروا ما بقي مـن الربا ، **﴿فَأْذَنُوا﴾**: فاعلموا ، **﴿بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** ، يقال[1] يـوم القيامـة لآكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، أو لابد للإمام أن يستتيبهم ، فإن تابوا وإلا وضع فيهم الحرب والسلاح ، **﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُـونَ﴾** بـأخذ الزيادة ، **﴿وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾** بوضع رءوس الأموال ، وقيل فهم منه أن المصـر ، أي : على التحليل ليس له رأس ماله ، لأنه مرتد وماله فيء ، **﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْـرَةٍ﴾**: وقع غريم ذو عسرة ، **﴿فَنَظِرَةٌ﴾** أي : فعليكم تأخير ، **﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾**: يسـار ، لا كفعل الجاهلية إذا حل الدين ، يطالب إما بالقضاء وإما بالربا ، **﴿وَأَن تَصَدَّقُـوا﴾** بإبراء رأس المال ، **﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾**: أكثر ثوابًا ، وقيل: خير مما تأخذونه ، **﴿إِن كُنتُـمْ تَعْلَمُونَ ﴾** ما فيه من الأجر ، **﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾**: يوم القيامـة ، أو يوم الموت ، **﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾** أي : جزاء ما عملت ، **﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾** بنقص ثواب وهذه[2] آخر آية نزلت من القرآن ، عاش النبي صلى الله عليـه وسلم بعدها تسع ليال ، أو واحد وثلاثين[3] يومًا .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ

---

(١) كذا قاله ابن عباس وغيره / ١٢ وجيز .

(٢) فقال صلى الله عليه وسلم : "اجعلوها بين آية الربا وآية الدين" / ١٢ وجيز.

(٣) ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الاثنين سـنة إحـدى عشرة من الهجرة / ١٢ فتح .

فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ ، أي : تعاملتم بمعاملات مؤجلة فاكتبوها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنزلت في السلف ، حرم الله الربا وأباح السلف ، وهذا أمر إرشاد لا أمر إيجاب ، وعن كثير من السلف : أن الأمر للوجوب ، ولكن نسخ بقوله : " فإن أمن بعضكم بعضًا" (البقرة:٢٨٣)، **﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾**: بالسوية ، لا يزيد ولا ينقص ،

(١) ولما أُمِروا بالصدقة وبترك الربا ، ويحصل منها تنقيص المال ، نبه على طريق حلال فيه تنمية المال ، وأكد في كيفية حفظه ، وأمر فيه بعدة أوامر ، فقال : " يأيها الذين آمنوا " الآية / ١٢ وجيز .

﴿**وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ**﴾ أي : لا يأب أن ينفع الناس بكتابته ، كما نفعه الله بتعليمها ، أومثل ما علمه من كتابة الوثائق ، قال عطاء ومجاهد : واجب على الكاتب أن يكتب ، ﴿**فَلْيَكْتُبْ**﴾ أمر بها بعد النهي عن الإباء تأكيدًا ، قيل : جاز أن يتعلق كما علمه الله به ، فالنهي مطلق والأمر مقيد ، ﴿**وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ**﴾: الإملال والإملاء واحد ، أي : وليملل المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين ، ﴿**وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا**﴾ أمر بأن يقر بمبلغ المال من غير نقصان ، ﴿**فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهًا**﴾: محجوراً عليه بتبذير ونحوه ، ﴿**أَوْ ضَعِيفًا**﴾: صبيًا ، أو مجنونًا ، ﴿**أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ**﴾ بخرس ، أو جهل باللغة ، ﴿**فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ**﴾: الذي يلي أمره ، من وكيل ، أو قسيم ، أو مترجم ، ﴿**بِالْعَدْلِ**﴾: بالصدق ، ﴿**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ**﴾ ، اطلبوا شاهدين ، أن يشهدوا على الدين ، ﴿**مِن رِّجَالِكُمْ**﴾: رجال المسلمين ، ﴿**فَإن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ**﴾ أي : إن لم يكن الشهيدان رجلين ، ﴿**فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ**﴾ أي : فالمستشهد رجل وامرأتان ، وهذا مخصوص بالأموال عند الشافعي ، وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة ، ﴿**مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ**﴾ لعلمكم بعدالتهم ، ﴿**أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾ أي : إن نسيت إحدى المرأتين الشهادة ، ذكرتها الأخرى ، فهو علة اعتبار العدد ، والعلة في الحقيقة التذكير ، ولما كان الضلال سببًا له نزل منزلته ، ﴿**وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾ لأداء الشهادة ، وعند بعض[1] معناه : إذا دعوا للتحمل[2] ، وحينئذ تسميتهم شهداء باعتبار المشارفة ، وما زائدة ومنه علم أن تحمل

---

(١) كقتادة والربيع بن أنس / ١٢ منه .

(٢) روى عن ابن عباس والحسن البصرى أنها عامٌّ في الأداء والتحمل قيل: في الأداء واجب، وفي التحمل ندب / ١٢

الشهادة فرض كفاية ، ﴿وَلاَ تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي : لا تملوا ، ولا تمنعكم الملالة أن تكتبوا الحق ، ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾: قليلاً كان الحق أو كثيرًا ، ﴿إِلَى أَجَلِهِ[١]﴾: إلى وقت حلوله ، ﴿ذَلِكُمْ[٢]﴾ إشارة إلى أن تكتبوه ، ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾: أعدل ، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: أثبت لها، وهما مبنيان من أقسط[٣] وأقام على مذهب سيبويه ، ﴿وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا﴾ أي : أقرب في ألا تشكوا ، لأن ترجعوا بعد الشك في كتابتكم ، ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ﴾ التجارة ، ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا﴾ استثناء من الأمر بالكتابة ، وإدارتها بينهم: تعاطيهم إياها ، يداً بيد ، ومن قرأ : "تجارة" بالرفع فعنده كان تامة ، أوتديروها خبر كان ، ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ مطلقًا مؤجلاً ، أو معجلاً ، وهذا الأمر محمول[٤] على الندب ، وعند الشعبي والحسن للوجوب لكن نسخ ، ﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ نهي عن الضرار بهما ، مثل أن يكلفا ترك حاجاتهم[٥] ومهامهم ولا يعطى جعل

---

(١) أي : أن تكتبوا الصغير والكبير منضمًا منتهيًا إلى وقت حلوله ، يعني : كما يكتب أصل الدين يكتب الأجل أيضًا / ١٢ وجيز .

(٢) كل ذلك ضبط لأموال الناس، وتحريض على ألاّ يقع بينهم نزاع / ١٢ وجيز .

(٣) يعني : "أقسط" من المزيد لقصد الزيادة في العدل ، "إن الله يحب المقسطين" لا من المجرد لأن معناه الزيادة في القاسط وهو الجائر ، " وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا " ، وكذا أقوم أشد إقامة لا قيامًا ، هذا ما قال المصنف في الحاشية.

وفي الوجيز قال صاحب البحر: قسط من الأضداد وفي الصحاح القسط: -بفتح القاف- الجور -وبكسرها-: العدل، فعلى هذا بناء أفعل من الثلاثي ، الذي هو القسط فلا يكون شاذًا ، وكذا أقوم من قام بمعني: اعتدل/١٢ .

(٤) عند الجمهور والأحاديث يؤيده / ١٢ منه .

(٥) الأول: لابن عباس وعكرمة ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير والضحاك وعطية والسدي ومقاتل بن حبان والربيع بن أنس، والثاني: للحسن وقتادة وغيرهما/١٢ منه .

الكاتب ، وعلى هذا يضار مبني للمفعول ، أو معناه نهيهما عــــن الضـــرار بزيـــادة ونقصان ، وتحريف وتغيير ، فعلى هذا يكون مبنيًا للفاعل ، ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ ما نهيتـــم عنه ، ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ أي : لاحق لازم بكم ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمــره ، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أحكامه وشرائعه ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تكرار لفـظ الله في الجمل الثلاث لاستقلال كل منها ، ولأنه أدخل في التعظيم ، ﴿وَإِن كُنتُـــمْ عَلَـى سَفَرٍ﴾ أي : مسافرين ، ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يكتب لكم ، ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَـــةٌ﴾ أي: فليؤخذ بدل الكتابة ، رهان مقبوضة في يد صاحب الحق ، وعند بعض الســـلف أن الرهن لا يجوز إلا في السفر[1] ، والحديث يرده ، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًـــا﴾: بعض الدائنين بعض المديونين ، ﴿فَلْيُؤَدِّ[2] الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ سمى الدَّيـــن أمانـــة لائتمانه عليه بترك الإرتهان منه ، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الخيانـــــة ، ﴿وَلَا تَكْتُمُـــوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ قلبه فـــاعل آثم ، أو مبتـــدأ ، وآثم خـــبره ، والجملة خبر إن ، وإسناده إليه للمبالغة ، كقوله: هذا مما عرفه قلبي ، ولئلا يظن أنـــه من آثام اللسان[3] ، بل من آثام القلب ، الذي هو أشرف الأعضاء ، قال ابن عباس

---

(١) فقد ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وســـلم، رهـــن درعـــه في المدينـــة مـــن يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير / ١٢ منه. [أخرجـــه البخـــاري في "الجـــهاد"، (٢٩١٦)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "المساقاة"، (١٢٣/٤) ط الشعب]

(٢) قال الشعبي: إذا ائتمن بعضكم بعضًا فلا بأس ألا تكتبوا ولا تشهدوا ، قال أبو ســـعيد الخدرى: هذه نسخت ما قبله / ١٢ منه. وفي الفتح، بعد نقل قول أبي سعيد، وأقول : رضي الله عن هذا الصحابي الجليل ليس هذا من باب النسخ فهذا مقيد بالائتمان ومـــا قبله ثابت محكم لم ينسخ وهو مع عدم الائتمان/ ١٢ .

(٣) أخرج ابن جرير بسند صحيح عن سعيد بن المسيب، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين ، وأخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن شهاب قال: آخـــر القـــرآن عـــهدًا بالعرش، آية الربا وآية الدين / ١٢ وجيز .

رضي الله عنهما : كتمانها من أكبر الكبائر ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تهديد ووعيد .

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

﴿لِلَّهِ مَا فِي[1] السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا ، ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾: ما خطر[2] ببالكم من السوء ، ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ في

---

(١) ولما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة سرية وجهرية بدنية وقلبية واعتقادية وعملية ناسب ختمها بهذه، فقال: "لله ما في السماوات وما في الأرض" الآية/١٢ وجيز .

(٢) قال بعض المفسرين: المراد ما عزم عليه لا ما خطر بباله، فإنه لا يؤاخذ به لأنه ليس في وسعه، وفي تفسيرهم بذلك مخالفة للجماهير من السلف وللأحاديث الصحاح/١٢ منه .

الآخرة ، لما نزلت[1] غمت الصحابة "فقالوا هلكنا ، فقلوبنا ليست بأيدينا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوها" فنزلت "آمن الرسول" إلى "عليها ما اكتسبت" فنسختها، وتجاوز لهم عن حديث النفس وصرح بنسخها أكثر السلف[2]، وبعضهم صرحوا بعدم نسخها ، وقالوا: يخبرهم الله يوم القيامة بما أخفوا في أنفسهم، فيغفر للمؤمنين، ويؤاخذ أهل الشك والنفاق ، فمعنى المحاسبة: الإخبار ، وعن عائشة[3] رضي الله عنها "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سألت عن الآية : هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه الله من الحمى والنكبة ، حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها ، فيفزع لها ، حتى أن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير" ، فعلى هذا المحاسبة المؤاخذة، لكن المحاسبة إما في الدنيا ، وإما في الآخرة ، **﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾** مغفرته ، **﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾** تعذيبه ، **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** من المحاسبة وغيرها ، **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** وجه نزول الآية قد ذكرناه وهو أهم قالوا : "سمعنا وأطعنا" لا كما قال أهل الكتاب: "سمعنا وعصينا" (البقرة:٩٣) قوله: "والمؤمنون" عطف على الرسول ، **﴿كُلٌّ﴾**: من الرسول والمؤمنين ، **﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾** يقولون ، **﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾** في الإيمان بهم ، ولا نقول: "نؤمن ببعض ونكفر ببعض" (النساء:١٥٠)، **﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾** ، قول الله ، **﴿وَأَطَعْنَا﴾** أمره، نسأل ، أو اغفر ،

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة وروى الإمام أحمد عن ابن عباس وابن جرير عنه أيضًا / ١٢ منه. [أخرجه مسلم في الإيمان]

(٢) وصح الرواية بنسخها عن علي وابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم/١٢ منه .

(٣) رواه الترمذي وبن جرير وابن أبي حاتم /١٢ منه. [أخرجه الترمذي (٣١٧٦-أحوذي) بسند ضعيف]

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع بعد الموت ، ﴿لاَ يُكَلِّفُ[1] اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ ما يسعه قدرتها ويتسع فيه طوقها ، لا ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من خير ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: من شر، ولما كان الشر مما تشتهيه النفس ، وهي أَجَدُّ وأَعْمَلُ فيه ، جعلت لذلك مكتسبة فيه بخلاف الخير ، فإنها لما لم تكن فيه كذلك وصفت بما ليس فيه الاعتمال ، فقال: كسبت ، ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا[2] أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ سألوا[3] الله التجاوز عنهما فأجاب ، ففي[4] الحديث "وضع عن أمتي الخطأ والنسيان" ، وأما دعاؤنا حينئذ بهما ، فيمكن أن يكون لإدامة الوعد ، وأن يجعلنا ممن وعد له التجاوز عنهما ، ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾: تكاليف شاقة ، تأصر صاحبه: تحبسه في مكانه، وإن أطقناها ، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ ، مثل الذي حَمَّلْتَهُ إياهم فيكون صفة إصرا وهو التكاليف الشاقة وما أصابهم من المحن ، ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾:

---

(١) ولما أخبر سبحانه عن عقائدهم وتضرعهم في المسألة بحيث يبان منه رضاؤه ، استأنف بخبر معه ، أنه سبحانه لا يكلف عباده من أفعال القلوب وأفعال الجوارح إلا بما هو وسع المكلف، " لا يكلف " الآية / ١٢ .

(٢) قيل الخطأ: والنسيان قلما يتفقان ، إلا عن تقصير سابق ، فالمراد من الدعاء عدم المؤاخذة به / ١٢ منه .

(٣) ودعاؤنا بعد وضع الخطأ والنسيان عنا، كالدعاء بألاّ تؤاخذنا بتفريط، أو أفعال تفضي إلى خطأ أو نسيان، أو الغرض من الدعاء تذكر الفضل بالعفو عنهما والتذلل بين يديه / ١٢ وجيز .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه، [وكذا البيهقي بسند صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧١١٠)، وراجع الإرواء (ح٨٢)] وفي مسلم عن أبي هريرة وابن عباس "قال الله: قد فعلت" / ١٢ منه .

من المصائب، والتشديد هاهنا لتعديته إلى مفعول ثان ، ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾: امـــح عنـــا ذنوبنا ، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾: واستر لنا عيوبنا ، ﴿وَارْحَمْنَا﴾ في الدنيا ، فـــلا توقعنـــا في ذنب[1] آخر ، ﴿أَنْتَ مَوْلانَا﴾: ولينا وناصرنا ، ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ، وفي الحديث: "في آخر كل دعوة[2] من هذه الدعوات ، قال الله تعالى: فعلت ونعم" ، وفي الحديث ، "فضلنا على الناس بثلاث: أوتيت هؤلاء الآيات مـــن آخـــر ســـورة البقرة[3] من بيت[4] تحت العرش، لم يعطها أحد قبلي و لم يعطها أحد بعدى[*].

والحمد لله حق[5] حمده .

---

(١) عن بعض السلف، المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه، وأن يستره عـــن عباده فلا يفضحه ، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره / ١٢ منه .

(٢) الظاهر أن دعاءه عليه السلام بهذه الدعوات قراءته بهذه الآية ، ويحتمل أن يكون قـــد دعا بها، فترلت الآية حكاية / ١٢ منه .

(٣) وفي مسلم أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا / ١٢ منه .

(٤) كناية وتمثيل لما فيه من كثرة الخير والبركة والثواب / ١٢ منه .

(*) أخرجه بنحوه أحمد والطبراني والبيهقي عن حذيفة مرفوعا بلفظ: "أعطيت هذا الآيات من آخر سورة البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي" وانظـــر صحيـــح الجـــامع (١٠٦٠).

(٥) روى ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال : لا أدرى أن أحدًا يعقل لغة الإســـلام ينام، حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، فإنها من كتر تحت العرش/١٢ .

سورة آل عمران

وآياتها مائتان وركوعاتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾

﴿الـــم﴾ قد مر تفسيرها[1]، فلا نعيده ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ المتفـــرد بالألوهيـــة

---

(١) قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به منها، وكان بعضهم يجعلها أقسامًا، وكان بعضهم يجعلها حروفًا مأخوذة من صفات الله تعالى يجتمع بها في المفتتح الواحد صفات كثيرة، كقول ابـــن =

﴿الحَيُّ﴾ الذي يصح أن يعلم أو يقدر ﴿القَيُّومُ﴾ دائم الحفظ للكائنات ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ

= عباس في "كهيعص": إن الكاف من كاف، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، وقال الكلبي: هو كتاب كاف هاد حكيم عالم صادق، ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن ونرجو ألا يكون ما أريد بالحروف خارجا منها إن شاء الله.

فإن كانت أسماء للسور فهى أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء، وتفرق بينها فإذا قال القائل: قرأت "المص" أو قرأت "ص"، أو "ن" دل بذلك على ما قرأ كما تقول: لقيت محمدًا، وكلمت عبد الله فهى تدل بالاسمين على العينين، وإن كان قد يقع بعضها مثل "حم"، و"الم" لعدة سور -فإن الفصل قد يقع بأن تقول "حم السجدة" و"الم البقرة" كما يقع الوفاق في الأسماء فتدل بالإضافات وأسماء الأباء والكنى.

وإن كانت أقسامًا فيجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، فقال: "الم" وهو يريد جميع الحروف المقطعة كما يقول القائل: تعلمت "أ ب ت ث" وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنه لما طال أن يذكرها كلها اجتزأ بذكر بعضها، ولو قال: تعلمت "حاء طاء صاد" لدل أيضًا على حروف المعجم كما دل بالقول الأول، إلا أن الناس يدلون بأوائل الأشياء عليها فيقولون: قرأت "الحمد لله"، يريدون فاتحة الكتاب فيسموها بأول حرف منها هذا الأكثر وربما دلوا بغير الأول أيضًا، أنشد الفراء:

لما رأيت أنها في حطى   أخذت منها بقرون شمط

يريد في "أبى جاد"، فدل بحطى كما دل غيره بأبى جاد.

وإنما أقسم الله بحروف المعجم لشرفها، وفضلها، ولأنها مبانى كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأصول كلام الأمم بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدون.

وقد أقسم الله في كتابه بالفجر، والطور، وبالعصر، وبالتين والزيتون وهما جبلان ينبتان التين والزيتون - يقال لأحدهما: طور زيتا، وللآخر: طور تينا بالسريانية - من الأرض المقدسة، فسماهما بما ينبتان.

﴿الْكِتَابَ﴾ : القرآن. **﴿بِالْحَقِّ﴾**: بالصدق، أو بالعدل؛ وهو حال **﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** من الكتب أنه من عند الله **﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ﴾** على موسى **﴿وَالإِنجِيلَ﴾** على عيسى **﴿مِن قَبْلُ﴾** من قبل تنزيل القرآن **﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾** في زمانهما **﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾** الفارق بين الحق والباطل، وهو جنس[1] الكتب الإلهية عم بعد ما خص ذكر الثلاثة، أو القرآن[2] كرر ذكره بوصفه تعظيمًا له **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾** يوم القيامة **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾** غالب لا يغلب **﴿ذُو انتِقَامٍ﴾** عقوبة على من خالف الرسل **﴿إِنَّ[3] اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ[4] وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾** قيده

= وأقسم بالقلم إعظامًا لما يسطرون، ووقع القسم بها في أكثر السور على القرآن فقال "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" (البقرة:٢،١)، كأنه قال وحروف المعجم لهو الكتاب لا ريب فيه. و"الم الله لا إله إلا هو" أي: وحروف المعجم لهو الله لا إله إلا هو. و"المص كتاب أنزل إليك" (الأعراف:٢،١)، أي: وحروف المعجم لهو كتاب أنزل إليك و"يس والقرآن الحكيم" (يس:٢،١) [وفي الأصل: ياسين]، و"ص والقرآن ذى الذكر" (ص:١)، و"ق والقرآن المجيد" (ق: ١)، كله أقسام/ مـــ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

(١) فإن الكتب السماوية كلها فارقة بين الحق والباطل، قيل: فيه إشارة إلى أن للقرآن تنزيلاً وإنزالا بخلاف الكتابين فهما إنما نزلا جملة واحدة لا منجما أي: المراد من الفرقان القرآن، وفائدة التكرير وصف القرآن بالإنزال والتنزيل، فإنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا ثم منه نزل منجمًا إلى الأرض بخلاف سائر الكتب فإنه أنزلها جملة على الرسل لا منجما/١٢.

(٢) وهو قول قتادة /١٢.

(٣) وصف ذاته الأقدس بالحياة، والقيومية، وإنزال الكتب، وإعداد العذاب للكافر، والعزة والانتقام المتفرع على الألوهية من غير شركة ووصفه أيضًا بالعلم فقال: "إن الله لا يخفى"/ ١٢.

(٤) يعنى عبر عن العالم بالسماء، والأرض لما أنهما العالم كله في النظر الظاهر١٢/.

بهما، إذ الحس لا يتجاوز عنهما ﴿هُوَ[1] الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الصـــور المتنوعـــة ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ[2]﴾ الغالب في الأمور ﴿الحَكِيمُ﴾ في الأفعال ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾[3]

---

(١) ولما قدم صفة العلم أتبعه صفة القدرة، والتدبير فقال: "هو الذي" إلخ/١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر من الصفات الحسنى ما دل على أنه هو المتفرد بالإلهية، وهو الغالب الحاكم ذكر نتيجته فقال: "لا إله إلا هو العزيز الحكيم".

(٣) قال صاحب الفتح: "والأولى أن يقال: إن المحكم هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه أو لا يظهر دلالته لا باعتبار نفسه، ولا باعتبار غيره وإذا عرفت هذا عرفت أن الاختلاف الذي قدمناه ليس كما ينبغي، وذلك لأن أهل كل قول عرفوا المحكم ببعض صفاته وعرفوا المتشابه بما يقابلها ثم نقل تحت قوله تعالى: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به" أقوال العلماء في أن الراسخين في العلم هل يعلمون معنى المتشابهات أم لا؟ إلى أن قال: وأقول هذا الاضطراب الواقع في مقالات أهل العلم أعظم أسبابه اختلاف أقوالهم في تحقيق معنى المحكم والمتشابه، وقد قدمنا ما هو الصواب في تحقيقهما ونزيدك هاهنا إيضاحًا وبيانًا، فنقول: إن جملة ما يصدق عليه تفسير المتشابه الذي قدمناه – فواتح السور فإنها غير متضحة المعنى، ولا ظاهرة الدلالة لا بالنسبة إلى أنفسها لأنه لا يدرى من يعلم بلغة العرب ويعرف عرف الشرع ما معنى الم، المر، حم، طس، طسم ونحوها، لأنه لا يجد بيانها في شيء من كلام العرب، ولا من كلام الشرع فهي غير متضحة المعنى لا باعتبارها نفسها ولا باعتبار أمر آخر يفسرها ويوضحها ومثل ذلك الألفاظ المنقولة عن لغة العجم، والألفاظ العربية التي لا يوجد في لغة العرب ولا في عرف الشرع – ما يوضحها، وهكذا ما استأثر الله به كالروح، وما في قوله: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام" إلى آخر الآية (لقمان:٣٤)، ونحو ذلك وهكذا ما كانت دلالته غير ظاهرة لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره كورود الشيء محتملا لأمرين احتمالا لا =

واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ[1]﴾ أصله يرد إليها[2] غيرها، وهن ناسخ القرآن، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه"[3] وما يؤمن به، ويعمل به أو قوله: "قل تعالوا" (آل عمران:٦١)، والآيتان بعدها، وقوله: "وقضى ربك" (الإسراء:٢٣)، إلى ثلاث آيات بعدها، والآيات كلها في تكاملها كآية[4] واحدة، أو كل واحدة منهن أم الكتاب.

= يترجح أحدهما على الآخر باعتبار ذلك الشيء في نفسه، وذلك كالألفاظ المشتركة مع عدم ورود ما يبين المراد من معنى ذلك المشترك من الأمور الخارجة وكذلك ورود دليلين متعارضين تعارضًا كليًّا بحيث لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر باعتبار نفسه، ولا باعتبار أمر آخر يرجحه، وأما ما كان واضح المعنى باعتبار نفسه بأن يكون معروفا في لغة العرب أو في عرف الشرع أو باعتبار غيره، وذلك كالأمور المجملة التي ورد بيانها في موضع آخر في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة والأمور التي تعارضت دلالتها ثم ورد ما يبين راجحها من مرجوحها في موضع آخر من الكتاب والسنة أو سائر المرجحات المعروفة عند أهل الأصول المقبولة عند أهل الإنصاف، فلا شك ولا ريب أن هذه من المحكم لا من المتشابه، ومن زعم أنها من المتشابه فقد اشتبه عليه الصواب فاشدد يديك على هذا فإنك تنجو به من مضائق ومزالق وقعت للناس في هذا المقام حتى صارت كل طائفة تسمى ما دل لما تذهب إليه محكمًا وما دل على ما يذهب إليه من يخالفها متشابها سيما أهل علم الكلام، ومن أنكر هذا فعليه بمؤلفاتهم/١٢.

(١) عن سعيد بن جبير: إنما سماهن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب/١٢.

(٢) أي: يرجع إليها غيرُها فإن لم يكن مخالفا لها تقبل، وإلا فيحكم ببطلان ما فهمنا منه/ ١٢منه.

(٣) الأول: قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة والضحاك، والسدي وغيرهم، والثاني: رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسعيد بن جبير/١٢.

(٤) يعني القياس أن يقال هن أمهات الكتاب فأفرد على أن الكل بمنزلة آية واحدة أو على تأويل كل واحدة/١٢منه.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فيها اشتباه في الدلالة لكثير من الناس إلا للمهرة من العلماء، وبهذا يظهر فضلهم، وهن المنسوخة، والمقدم والمؤخر منه، والأمثال والأقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به، أو الحروف التي في أوائل السور[1] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ عدول عن الحق، كاليهود، وقالت: الحروف المقطعة بيان مدة أجل هذه الأمة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يتعلقون به ليترلوه على مقاصدهم الفاسدة، وأما المحكم فتركوه لأنه لا نصيب لهم فيه. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: الإضلال. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ على ما يشتهونه أو بطلب[2] حقيقته وما يئول أمره إليه. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ[3]﴾ أي ما هو

---

(١) روى عن ابن عباس ومقاتل بن حيان/١٢منه.

(٢) هذا قول مقاتل والسدي/١٢منه.

(٣) ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى ولم يترل الله شيئًا من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى أراده. فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعلة.

وهل يجوز لأحد أن يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه، وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله" ـــ جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، فقد علم عليًّا التفسير، ودعا لابن عباس فقال: "اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين"[أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٥٣٦/٣)، وهذا لفظه، وهو في الصحيحين بلفظ: "اللهم فقهه في الدين وعلمه الكتاب"]، وما روى عبد الرزاق عن إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: "كل القرآن أعلم إلا أربعًا [في الأصل: ربعاً] غسلين وحنانًا والأواه والرقيم" ـــ كان هذا من قول ابن عباس في وقت ثم علم ذلك بعد/مــ تأويل مشكل القرآن بتصرف.

الحق، أو حقيقته. ﴿إِلاَّ اللَّهُ[1] وَالرَّاسِخُونَ[2] فِي الْعِلْمِ﴾ اختلفوا في الوقف على "الله" عند أكثر السلف أن تأويل بعض الآيات لا يعلمه أحد إلا الله، ومن القراء من يقف على قوله: "والراسخون في العلم"، وهو قول مجاهد وربيع بن أنس، وروى عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ خبر الراسخون إن جعلته مبتدأ، وإلا فهو استئناف أوحال. ﴿كُلٌّ﴾ : من المتشابه، والمحكم. ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ وما يتعظ بالقرآن ولا يفهمه إلا ذوو العقول السليمة، وفى الحديث(*) حين سئل عن الراسخين: "من برت يمينه وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم".

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: من مقال الراسخين أي: لا تملها عن الحق إلى اتباع لمتشابه بتأويل غير مراد الله. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: إلى الإيمان بالمحكم، والمتشابه. ﴿وَهَبْ لَنَا

---

(١) وبعض الأحاديث يؤيدهم، وفى قراءة ابن مسعود إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون، وكذا في قراءة أبي بن كعب/ ١٢منه، وهو المتبادر إلى الفهم من سوق كلام الله/ ١٢ وجيز.

(٢) قال بعض العلماء: التأويل يطلق على المعنيين.

أحدهما: حقيقة الشيء وما يئول إليه أمره كقول الله حكاية عن يوسف: "هذا تأويل رؤياى من قبل" (يوسف:١٠٠)، وقوله: "يوم يأتى تأويله" (الأعراف: ٥٣).

والثانى: التفسير والبيان فإن أريد به الأول فالوقف على الله، وإن أريد به الثانى فالوقف على قوله: "والراسخون في العلم" /١٢ منه.

(*) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٦/٣٢٤) وقال: "رواه الطبراني وعبدالله بن يزيد ضعيف".

من لدنك رحمة﴾ تثبت بها قلوبنا **﴿إنك أنت الوهاب[1]﴾** : لكل سؤل. **﴿ربنا إنك جامع الناس[2] ليوم﴾**: لجزاء يوم أو في يوم. **﴿لا ريب فيه﴾**: في وقوعه. **﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾**.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ

---

(١) أخرج الهروى في ذم الكلام عن الإمام الشافعي قال: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في ضبيع[كذا في الأصل، والذي في تفسير القرطبي والقاموس (صبغ) صبيغ] أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب قال: "إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخنسوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله، وأخرج نصر المقدسي في الحجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القرآن هذا يترع بآية، وهذا يترع بآية فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: "ألهذا خلقتم أم بهذا أمرتم؟ ، أن تضربوا كتاب الله بعضا ببعض! انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا". وأخرج ابن الضريس ونصر المقدسي في الحجة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر ما عرفتم فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"١٢/ در منثور[ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (٣٤٨/١) من طريق أبي يعلى الموصلي وقال: "إسناد صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة".

(٢) إضافة الجامع إلى الناس إضافة إلى المفعول وليوم متعلق به على حذف المضاف لأن الجمع ليس لليوم نفسه أو للام بمعنى في، والأول أظهر فلا حاجة إلى تقدير/١٢منه.

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

﴿إِنَّ[١] الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أو المراد يهود قريظة والنضير.

---

(١) ولما استعاذوا من الزيغ لخوف الجزاء في القيامة بين تعالى حال بعض الزائغين ومـــــآلهم فقال: ﴿إن الذين﴾ الآية/١٢.

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لا يدفع عنهم شيئًا[1] من عذاب الله أو ما أجزأ عنهم وما كفاهم من رحمة الله شيئًا من الإجزاء على أن يكون شيئًا مصدرًا . ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾: حطبها.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بلن تغني أي: لن تغني عنهم كشأن آل فرعون يعني: مثل ما لم تغن عنهم، أو استئناف أي: صنيعهم[2] وسنتهم كصنيع آل فرعون. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطف على آل فرعون. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: حال بإضمار قد أو استئناف، وقيل: الذين من قبلهم مبتدأ وكذبوا خبره﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تهويل وتشديد للمؤاخذة.

﴿قُل﴾: يا محمد. ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ : في الدنيا. ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ جهنم وهو استئناف أو تمام ما يقال لهم لما رجع[3] (رسول الله صلى الله عليه وسلم) من بدر حذر اليهود أن ينزل عليهم ما نزل على قريش، فقالوا: لا يغرنك أن قتلت أغمارًا لا يعرفون القتال ولو قاتلتنا لعرفت الناس فنزلت إلى قوله: "لعبرة لأولى الأبصار"(*)، وقيل: الخطاب لقريش.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾: أيها اليهود وقيل: أيها المشركون والمؤمنون. ﴿آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ : يوم بدر. ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ

---

(١) ويصح أن يكون مفعولا به؛ لأن معنى أغنى عنه كفاه، فشيئًا ثاني مفعوليه كقوله تعالى "وكفى الله المؤمنين القتال" (الأحزاب:٢٥)، /١٢.

(٢) يعني صنيع هؤلاء الكفرة الذين لا يؤمنون بك/١٢.

(٣) رواه محمد بن إسحاق عن ابن عباس وعن عاصم بن عمر بن قتادة رضي الله عنهم/ ١٢منه.

(*) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس مرفوعًا، وفيه عنعنه ابن إسحاق وهو مدلس. وانظر الدر المنثور (٢/١٦).

يَرَوْنَهُم[١] **مِّثْلَيْهِمْ﴾** الجملة[٢] حال، وتقاتل خبر لفئة أو صفة لها، والجملة خبرها أي: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلى عدد المسلمين أو المشركين، ليحصل لهم الرعب، والمسلمون كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر، وهم ما بين تسع مائة إلى ألف، وهذا في أول الأمر وأما في حال القتال فكل من المسلمين والكافرين قللوا الآخر كما قال تعالى: "وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم" (الأنفال: ٤٣)، إلخ. لتقدموا[٣] عليهم، ويقضى الله أمرًا كان مفعولا أو يرى المسلمون الكافرين مثلى عدد المسلمين مع أنهم أكثر ليقوى قلوبهم بوعد الله، وهو قوله: "وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين" (الأنفال:٦٦). أو مثلى عدد المشركين ليتوكلوا أو يطلبوا الإعانة من الله، وحين القتال قللهم الله في أعينهم حتى سأل[٤] بعض المسلمين بعضهم: هل تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة. **﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾** : رؤية ظاهرة معاينة. **﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾** : نصره **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾** : أي: التقليل والتكثير وغلبة القليل عليهم. **﴿لَعِبْرَةً﴾** : عظة. **﴿لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾** : لذوى البصائر.

---

(١) وقراءة نافع في قوله: "ترونهم" بالتاء محمول على الالتفات على ما قدرنا إلا على قول من قال الخطاب في "قد كان لكم" إما للمشركين أو للمؤمنين، فإنه لا يكون من باب الالتفات/١٢منه [والالتفات هو تحول الكلام من صيغة إلى أخرى كما في قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين بعد قوله: الحمد لله رب العالمين...إلخ، فقد تحول الكلام من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب لغرض بلاغي هو استحضار مقام العبودية، وتجلي الذات الإلهية] د/هنداوي مراجعه.

(٢) أي جملة يرونهم/١٢منه.

(٣) أي ليقدموا كل منهما على الآخر/١٢.

(٤) السائل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه/١٢.

﴿زُيِّنَ[1] لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ أي: المشتهيات سماها شهوات مبالغة. ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ القناطر[2] المال الكثير. ﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾ ذكرت للتأكيد كبدرة مبدرة أو القنطار ألفا أوقية أو ألف دينار أو ألف ومائتا دينار، وقيل غيرها. ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ﴾: عطف على النساء. ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾: الراعية[3]، والمطهمة[4] الحسان أو الغرة والتحجيل وقيل غيرهما. ﴿وَالأَنْعَامِ﴾ الإبل، والبقر، والغنم. ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ[5]﴾ : إشارة إلى ما ذكر. ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : وهي فانية. ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ أي: المرجع والثواب وفيه تزهيد من الدنيا.

﴿قُلْ﴾: يا محمد. ﴿أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ﴾ أأخبر بخير مما زين للناس؟! ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ[6] تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾: من تحت أشجارها. ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض وسائر الدنس. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ

---

(١) لما ذكر أنه لا يغني أولادهم ولا أموالهم من الله شيئًا فصل الأموال والأولاد وغيرهما مما هو شاغل عن ذكر الله فقال: "زين للناس"/١٢.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه[المستدرك (١٧٨/٢) وأقره الذهبي] والثاني قول أنس وابن عباس والحسن البصرى وغيرهم والثالث قول الضحاكُ من العرب من يقول القنطار ألف ومائتا دينار وعن أبي سعيد الخدرى ملء مسك الثور ذهبا/١٢منه.

(٣) كذا فسره ابن عباس وأكثر السلف، والثاني قول مكحول/١٢منه.

(٤) أي: تام الخلق سمينة/١٢.

(٥) فإفراده وتذكيره مع أنه للإشارة إلى جميع ما ذكر نظرًا إلى المذكور، وقد جوزوا في الضمير الإفراد، والتذكير، والتأنيث بالنظر إلى الخبر/١٢منه.

(٦) الظاهر أن "جنات" مبتدأ، و"للذين اتقوا" خبره وقيل: جاز أن يكون للذين متعلقا بخير، وجنات خبر مبتدأ محذوف أي: هو جنات/١٢منه.

﴿اللّٰهِ﴾: فلا يسخط عليهم أبدًا. ﴿وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ بأعمالهم وأحوالهم، فيعطيهم ما يستحقونه.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: مرفوع أو منصوب[1] بالمدح. ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: بإيماننا لك. ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. ﴿الصَّابِرِينَ﴾: على الشرع. ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: في اللسان. ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾: المطيعين الخاضعين. ﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾: من أموالهم في جهات الخير. ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ[2] بِالأَسْحَارِ﴾ فإنها وقت الإجابة، أو المصلين، قيل: هو الذي يصلى الصبح بالجماعة ﴿شَهِدَ[3]

---

(١) قيل: جاز أن يكون مجرورًا صفة للذين اتقوا وهذا بعيد جدًّا، وأما جعله صفة للعباد فالبعد من جهة المعنى، حيث خص كونه بصيرًا بالعباد المخصوصين/١٢منه.

(٢) عن ابن عباس قال:"أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستغفر بالأسحار سبعين مرة"، وعن سعيد الجريرى قال: "بلغنا أن داود عليه السلام سأل جبريل أي الليل أفضل؟ قال: يا داود ما أدرى إلا أن العرش يهتز في السحر وقد ثبت في الصحيحين، وغيرهما عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له"[أخرجه البخاري في "التهجد" (١١٤٥)، وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في "صلاة المسافرين"] وفى الباب أحاديث، وفيه وفى أمثاله مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره، ونفى الكيفية عنه وهو الحق/١٢فتح.

(٣) ولما بين أن المتقين هم القائلون بوحدانية ربهم أتبعهم ما يدل على صدق مقالهم، وأنهم مندرجون في زمرة الشهداء الذين هم الملائكة، والأنبياء، والأولياء فقال: "شهد الله" الآية/١٢وجيز.

﴿اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾:[١] بأن نصب أدلة التوحيد أو بين الله أو حكم الله ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو العِلْمِ[٢]﴾ بالإقرار، وهذه مرتبة جليلة للعلماء. ﴿قَائِماً[٣] بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل في أحكامه، وهو حال من الله. ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾: كرره تأكيدًا، وليبنى عليه قوله ﴿العَزِيزُ﴾فلا يرام جنابه عظمةً. ﴿الحَكِيمُ[٤]﴾ فلا يصدر عنه شيء إلا على وفق الاستقامة. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ[٥]﴾ جملة مؤكدة للأولى أي: لا دين مقبول عنده سوى الإسلام، وهو اتباع سيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ مطلقًا

---

(١) أخرج ابن عدى والطبرانى في الأوسط، والبيهقى في شعب الإيمان وضعفه والخطيب في تاريخه وابن النجار عن غالب القطان قال: "أتيت الكوفة فترلت قريبا من الأعمش، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر، فقام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية" شهد الله أنه لا إله إلا هو" إلى قوله: "إن الدين عند الله الإسلام" فقال: "وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهى لى وديعة عند الله" قالها مرارًا، نقل هذه القصة السيوطى في الدر المنثور[٢/٢١] قال "المحشى محمد بن عبد الله الغزنوى: وأنا أشهد مرارًا وأنادى بهذه الشهادة على رءوس الأشهاد جهارًا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى وديعة عند الله أشهد أن لا إله إلا هو قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، ثم أشهد ، ثم أشهد إلى يوم أموت ويوم أبعث حيا/١٢.

(٢) من الأنبياء والأتقياء بأن أقروا واعترفوا وبينوا أدلة التوحيد وكفى للعالمين هذه المرتبة الجليلة/١٢وجيز.

(٣) نصب قائمًا على أنه حال من فاعل شهد وجاز لأنه لا لبس نحو رأيت السلطان وعبيده راكبًا/١٢وجيز.

(٤) قال المحرر: وأنا على ذلك من الشاهدين/١٢.

(٥) قال بعض المحققين: الإسلام انقياد الرسل وأتباعهم في كل حين حتى ختم بسيد الرسل الذي سد جميع الطرق إلى الله إلا من جهته/١٢.

أو اليهود في دين الإسلام بأنه حق أو باطل ﴿**إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العِلْمُ**[١]﴾: بحقية الإسلام. ﴿**بَغْيًا**﴾: حسدًا. ﴿**بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ بما أنزله في كتابه ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ**﴾ المجازاة.

﴿**فَإنْ حَاجُّوكَ**﴾: جادلوك في الدين، والتوحيد. ﴿**فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ**[٢]﴾: أخلصت نفسى وعبادتى له. ﴿**وَمَنِ اتَّبَعَنِ**[٣]﴾: عطف على الضمير المتصل[٤] يعنى: ديني دين التوحيد الذي ثبت عندكم أيضًا وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني. ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ**﴾: الذين لا كتاب لهم من العرب ﴿**ءَأَسْلَمْتُمْ**﴾ لما وضحت الحجة لكم أم أنتم بعد على الكفر؟ وفى هذا النوع من السؤال تعيير[٥] لهم،

---

(١) فإنهم علموا من كتبهم حقية الإسلام وقرءوا فيها نعته صلى الله عليه وسلم فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم/١٢منه.

(٢) أي: انقدت لله بلسانى، وعقدى والوجه زيادة كما قال: "كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص:٨٨)، يريد إلا هو، وقوله تعالى: "إنما نطعمكم لوجه الله" (الإنسان:٩)، أي: لله، قال زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية:

أسلمت وجهى لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرًا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا

(٣) ولا يبعد أن يكون المراد كفانى إسلام أصحابى، فإن أسلمتم فلكم، وإن كفرتم فعليكم، وما عليَّ إلا البلاغ، ولهذا قال: "وقل للذين أوتوا الكتاب" الآية/١٢ وجيز.

(٤) وجاز للفصل/١٢.

(٥) بمعاندتهم وعدم إنصافهم كما إذا أوضحت مسألة على أحد، ثم تقول له: هل فهمت؟! توبيخًا له على البلادة/١٢.

وقيل: استفهام بمعنى الأمر ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾: وقد بلغت وليس عليك هداهم. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: وعد ووعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ كأهل الكتاب كفروا بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم. ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ**﴾: كبنى إسرائيل قتلوا أربعين نبيًّا في ساعة من أول النهار وفعل آباؤهم فعلهم، وذلك لأن الأنبياء على طريقتهم راضون عن فعلهم[(١)]. ﴿**بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾: أي: عندهم أيضًا وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى. ﴿**وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ**﴾: بالعدل ﴿**مِنَ النَّاسِ**﴾: قام[(٢)] مائة وسبعون رجلا من بنى إسرائيل أمروا على من قتل الأنبياء بالمعروف فقتلوا في آخر النهار. ﴿**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ اعلم أن من لم يجوز[(٣)] الفاء في خبر إن قال: خبره "أولئك الذين" نحو قولك زيد فافهم رجل صالح.

﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾: بطلت. ﴿**فِي الدُّنْيَا**﴾ لأنها لم تحقن دماءهم وأموالهم ﴿**وَالْآخِرَةِ**﴾: ما استحقوا ثوابًا ﴿**وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾ : ليدفعوا عنهم العذاب.

---

(١) الدائرون حول قتل سيد الأنبياء، فكأن الأسباط هم الأسلاف فالبشارة بالعذاب للأسباط؛ ولهذا أورد قبائح أجدادهم بصيغة المضارع لأنها بمنزلة فعل أسباطهم وليتذكروها كأن أفعالهم شاهدة/١٢وجيز.

(٢) هكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢منه[ذكره ابن كثير في "التفسير" (٣٥٦/١) من طريق ابن أبي حاتم، وفي سنده ضعف].

(٣) والصحيح جواز دخول الفاء في خبر إن إذا كان اسمها متضمنا معنى الشرط نحو: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم" الآية (الأحقاف:١٣)، "إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات" الآية (البروج:١٠)، "إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله" الآية (محمد :٣٤)، /١٢وجيز.

﴿أَلَمْ تَرَ[1] إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: كاليهود ومن للتبعيض. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: التوراة أو القرآن. ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ قيل: نزلت في الرجم سألوا محمدًا عليه الصلاة والسلام حد المحصن فحكم بالرجم فما صدقوه فطلب التوراة، فلما أتوا بها ستروا آية الرجم بأكفهم، وابن السلام[*] رفع كفهم عنها وقرأها على اليهود فغضبوا وانصرفوا، أو نزلت لما قالوا: كان إبراهيم يهوديا. فلما قيل لهم هلموا التوراة فأبوا، وعن ابن عباس وقتادة إنهم دعوا إلى القرآن فأعرضوا عنه. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾، ثم لاستبعاد توليهم مع العلم. ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ قوم عادهم الإعراض أو معرضون عن كتابهم. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الإعراض. ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: قلائل، أربعين يومًا بعدد أيام عبادة العجل أو سبعة أيام بإزاء كل ألف سنة يوم أي: الإعراض بسبب تسهيلهم عذاب الله ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ كقولهم: "لن تمسنا النار" وأن الله وعد يعقوب أن لا يعذب ذريته. ﴿فَكَيْفَ﴾: يكون حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾: لجزاء يوم. ﴿لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾: لاشك في وقوعه مع أنهم كذبوا رسلهم، وقتلوهم، وافتروا. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاءه. ﴿وَهُمْ﴾ أي: كل نفس لأنه في معنى كل إنسان. ﴿لاَ يُظْلَمُونَ﴾ بنقصان الحسنات وتضعيف السيئات. ﴿قُلِ[2] اللَّهُمَّ﴾: يا الله. ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾: لك الملك كله وهو نداء ثانٍ عند من يجعل الميم مانعًا من الوصفية. ﴿تُؤْتِي

---

(١) ألم تخبر وكذلك أكثر ما في القرآن/١٢.

(*) المشهور أنه: ابن سلام.

(٢) ولما بين ضلال أهل الكتاب، وحال مآلهم بعد الموت أشار إلى مآلهم في الدنيا بأن لهم الذل وانتزاع ديارهم وملكهم منهم، وعز المسلمين وانتقال ملك أهل الضلال إليهم فقال: "قل اللهم مالك الملك" الآية/١٢وجيز.

﴿الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾: كمحمد وأصحابه أو الملك بمعنى النبوة. **﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾**: أن تنزع منه كاليهود، وصناديد القريش. **﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾**: إذلاله كاليهود والمشركين. **﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾** اكتفى بالخير، لأنه المرغب فيه أو لأن الكلام في الملك والنبوة وهما خير، أو لأن الخير مقضى بالذات إذ ما من شر إلا وفيه أنواع الخير أو لمراعاة الأدب في الخطاب وتقديم الخبر للحصر. **﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾**: من الخير والشر. **﴿قَدِيرٌ﴾** ، وهذه الآية إرشاد إلى شكر نعمه، من تحويل الملك والنبوة والعز للمسلمين، والذل لليهود، وقيل: نزلت لما فتح مكة ووعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح ملك فارس والروم وقالت اليهود والمنافقون: هيهات.

﴿تُولِجُ[1]﴾ تدخل أي: بالتعقيب أو بالزيادة والنقص. **﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾**: كالحيوان من النطف والنطف منه، والبيض من الطير وعكسه أو كالمؤمن من الكافر وعكسه.

﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ : فمن قدر على مثل ذلك قدر على كل شيء.

﴿لاَ يَتَّخِذِ[2] الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: نهوا عن موالاتهم بصداقة، أو قرابة أو غيرهما **﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** إشارة إلى أنهم الحقيق[*] بالمحبة. **﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾**: اتخاذهم أولياء بأن يظهر عليهم أسرار المسلمين. **﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾**: من دين الله

---

(١) ولما ذكر أنه على كل شيء قدير بين ذلك بقوله "تولج" إلخ/١٢.

(٢) ولما بين أن الخير كله بيده، وهو القادر على كل شيء وهو الرزاق فعلى عبيده أن يتوكلوا في جميع أمورهم على ربهم ولا يتجاوزوا بوجه من الوجوه وحال من الأحوال عن طاعة مولاهم ولا يركنوا إلى أعداء الله – حذر من الركون إليهم فقال: "لا يتخذ المؤمنون" الآية/١٢وجيز.

(*) في النسخة (ن): الأحقاء.

وولايته. ﴿فِي شَيْءٍ﴾: فإن محبتي متعادين لا تجتمعان. ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا[1] مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا أن تخافوا من جهتهم ما يجب أن يتقى فيكون تقاة مفعولاً به وجاز أن تضمن تتقوا معنى تحذروا فيكون معدى بمن، وتقاة مصدر نهوا عن الموالاة في جميع الأوقات إلا وقت المخافة فإنه جازت المداراة حينئذ باللسان. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يعني عن عقاب يصدر عن نفسه، وهذا غاية التحذير كما يقال: احذر غضب السلطان نفسه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاحذروا كل الحذر.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: من ولايتهم وغيرها، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ قيل: إن تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تظهروه بحربه، ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ : يحفظه الله حتى يجازيكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: فكيف لا يعلم سركم وجهركم؟! ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدر على عقوبة متخذى الولاية لهم كأنه قال: "يحذركم نفسه" فإنه متصف بعلم ذاتي محيط[*] بجميع الكون وقدرة ذاتية تعم المقدورات. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بعيدًا﴾ أي: جزاء ما عملت أو صحائفه. وعامل يوم "تود" أي: تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم أمدًا يوم تجد الخير والشر حاضرين عنده، ولو للتمني وجملة "لو أن بينها" كالبيان للتمني أو تقديره: اذكر يوم تجد، وتود حال من فاعل عملت أو ما عملت مبتدأ لا عطف على ما عملت

---

(١) وتتقوا من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهذا الالتفات في غاية الحسن؛ لأنه حين نهاهم عما لا يجوز جعلهم غائبين، ولما حصل الإذن في بعض ذلك واجههم إيذانًا بلطف الله، وتشريفًا بخطابه إياهم/١٢وجيز.

(*) وفي نسخة (ن): يحيط.

وتود خبره، وحينئذ ضمير "بينه" لما عملت. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كـــررە تـــأكيدًا ليكون على بال منه. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ : ومن رأفته بهم حذرهم بنفسه.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾: نزلت[1] حين سجدوا للأصنام[*] زعما منهم أن الباعث لعبادتهم حب الله، وقيل: نزلت لما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا نعبد المسيح حبًّا لله. ﴿يُحْبِبْكُمُ[2] اللَّهُ﴾ أي: يرض

---

(١) منقول عن ابن عباس ذكره البغوى والواحدى وغيرهما/١٢منه.

(*) في الأصل: الأصنام.

(٢) قوله تعالى: " إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله" فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله فإنه جزم قوله "يحببكم الله" فجزمه جوابًا للأمر وهو في معنى الشرط تقديره: إن تتبعونى يحببكم الله ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول، والمنازعون منهم من يقول: ما ثم محبة ، بل المراد ثوابًا مخلوقًا، ومنهم من يقول: بل ثم محبة قديمة أزلية إما الإرادة وإما غيرها والقرآن يدل على قول السلف، وأئمة السنة المخالف للقولين وكذلك قوله: "ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه" (محمد:٤٧)، فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته فهى سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها وكذلك قوله: "فلما آسفونا انتقمنا منهم" (الزخرف:٥٥)، وكذلك قوله: "إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم" (الزمر:٧)، علق الرضى بشكرهم وجعله مجزومًا جزاءً له وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده، وكذلك قوله: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (البقرة:٢٢٢)، ويحب المتقين، ويحب المقسطين، و"يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا" (الصف:٤)، ونحو ذلك فإنه يدل على أن المحبة بسبب هذه الأعمال، وهى جزاء لهذه الأعمال، والمسبب والجزاء إنما يكون بعد العمل والسبب (.....) [ما بين القوسين رموز غير مفهومة لعلها تشير إلى أنه من كلام شيخ الإسلام كما أوضح فى الموضع الذى أشار فيه بعد] شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى قدس الله روحه وسيأتى بعض ما يتعلق بالمحبة في تفسير قوله تعالى ﴿وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ (آل عمران:١٤٦)، إن شاء الله تعالى.

عنكم ويثبكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: والجزم لجواب الأمر يعني يحصل لكم فوق ما طلبتم[١] كما قيل: "ليس الشأن أن تحِب إنما الشأن أن تحَب" ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ : باتباعكم للرسول.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن الطاعة. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ[٢]﴾ : لا يرضى عنهم أتى بالظاهر بدل المضمر[*] دلالة على أن التولى كفر.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى[٣]﴾: بالرسالة ﴿آدَمَ وَنُوحًا﴾ ونوح أول رسول بعثه لما عبد الناس الأوثان. ﴿وآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ منهم سيد البشر عليه الصلاة والسلام ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾: هو والد[٤] مريم أو والد موسى وهارون. ﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾ : ومن العالمين الملائكة.

---

(١) فإنهم طلبوا مرتبة المحبية فيحصل لهم مرتبة المحبوبية، ومن أين إلى أين /١٢.

(٢) فيه دلالة على أن التولي كفر، وعلى أن مرتكب السيئات يحوم حول وادي الكفر، ولما أوجب طاعة الرسل وبين أنها الجالب لمحبة الله عقبه ببيان مناقبهم تحريضًا على طاعتهم، فقال: "إن الله اصطفى آدم" الآية/١٢.

(*) وذلك لأن أصل السياق أن يقول "فإن تولوا فإن الله لا يحبهم" فلما قال "إن الله لا يحب الكافرين" بإيقاع الاسم الظاهر "الكافرين" مكان الضمير "هم" علم أن الله تعالى قد سمى المتولى أى المعرض عن طاعة الله ورسوله كافرا. د/هنداوي.

(٣) عام يراد به خاص و لم يصطفهم على محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا أممهم على أمته ألا تراه يقول: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" (آل عمران:١١٠)، وإنما أراد عالمى أزمنتهم هذا كقوله سبحانه: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا " (الحجرات:١٤)، وإنما قاله فريق من الأعراب، وقوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون" (الشعراء:٢٢٤)، لم يرد كل الشعراء/١٢.

(٤) هذا قول محمد بن إسحاق، والثاني قول قتادة/١٢منه.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ حال أو بدل من نوح والآلين أي: إنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوال الناس، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيصطفى مستقيم القول والعمل.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ مفعول لاذكر، قيل: ظرف لسميع وعليم أي: سميع عليم بقول امرأة عمران وبنتها إذ قالت ﴿امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾: هي أم مريم. ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ أوجبت على نفسي أن يكون ما في بطني لك لا أستخدمه، ﴿مُحَرَّرًا﴾ حال أي: معتقًا مخلصًا للعبادة قيل: كانت لا تحمل فرأت طائرًا يُطعم فرخه؛ فاشتهت الولد؛ فدعت؛ فاستجيب دعاؤها، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾: ما نذرت، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: بقولي، ﴿الْعَلِيمُ﴾ : بنيتي.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ تأنيث الضمير لأن ما في البطن كان أنثى. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ قالته تحسرًا وعذرًا مما نذرت فإنها ترجو ذكرًا، ولذلك حررته، وأنثى حال عن مفعول وضعت. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: هو قول الله تعظيما لموضوع كان آية للعالمين، وقرئ: "وَضَعْتُ" فيكون من كلامها تسلية لنفسها لعل لله فيها سرًّا، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ فيما نذرت لما فيها من الحيض والنفاس وعدم القوة، وقيل: هو قول الله أيضًا أي: ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا[1] مَرْيَمَ﴾: عطف على إني وضعتها أنثى قيل: معنى المريم في لغتهم العابدة. ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾: أجيرها بحمايتك، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ[2]﴾: المطرود، في الحديث: "ما من مولود يولد؛ إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه إياه،

---

(١) أشار بقولها إني سميتها مريم إلى أن تفاءلت باسمها حتى يكون فعلها مطابقًا لاسمها/١٢منه.

(٢) وذكرت ذلك لربها تقربا إليه وطلبًا لأن يصحبها[تصحفت فى الأصل إلى (يصبحها)] حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها/١٢.

إلا مريم وابنها"(*) ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: رضى بها مكان الذكر. ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: بوجـــه[1] حسن يقبل به النذائر، ﴿وَأَنْبَتَهَا﴾: رباها، ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ بشكل مليح، ومعرفة وطاعـــة بالله وكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾؛ لتقتبس منه علمًـــا وعملاً، وكان[2] زوج خالتها أو زوج[3] أختها وقرئ بتشديد الفاء ونصب زكريا على أن يكون مفعولاً ثانيًا والفاعل هو الله. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ[4]﴾ أي الغرفـة التي بنى لها في المسجد، ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: فاكهة الصيف في الشتاء وبـــالعكس، أو

(*) أخرجه البخاري في "الأنبياء" (٣٤٣١)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل" (٢٣٦٦)

(١) الظاهر أن يقال فتقبلها قبولاً لأنه مصدر فاحتجنا لتصحيح معنى الباء إلى حمل القبـــول على الاختصاص المذكور الذي هو ما يقبل به الشيء بجعله بمعنى المفعول بالواسطة أعني ما يقبل به وهو قريب من الآلة/١٢.

(٢) كما ذكره ابن اسحق، وابن جرير، وغيرهما/١٢.

(٣) كما ورد في الصحيح [يعني في حديث المعراج، وقوله فيه: "فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة"].

(٤) أخرج ابن المنذر عن السدى: المحراب: المصلى، وأخرج الطبرانى والبيهقى في سننه عـــن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا هذه المذابح" يعنى: المحاريب[أخرجـــه البيهقى فى "الكبرى" (٢/٤٩)، وقال الهيثمى في "المجمع" (٨/٦٠): "رواه الطبرانى وفيه عبدالله بن مغراء وثقه ابن حبان وغيره وضعفه ابن المدينى فى روايته عن الأعمش وليـــس هذا منها"]، وأخرج ابن أبي شيبه في المصنف عن موسى الجهنى قال قال رســـــول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذبح كمذابـــــح النصارى"/١٢ در منثور[الدر المنثور (٢/٣٧)]، وفى الفتح: قد رويت في كراهية ذلك آثار كثيرة من الصحابة/١٢.

صحفا[1] فيها علم والأول أصح، ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾: من أين لك في غير أوانه والأبواب مغلقة؟! ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، فلا يستبعد قيل: هي كعيسى تكلمت صغيرة، وقيل: لم ترضع ثديًا ويأتي رزقها من الجنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ؛ لكثرته وسعة جوده، وهو يحتمل أن يكون من كلام الله، أو من كلامها.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان أو الوقت الذي رأى الأشياء في غير أوانها، وعلم مترلتها، وكرامتها على الله، ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾: طمع في الولد من العاقر، ورغب في أن يكون له ولد. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: من غير أسباب ظاهرة[2] ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لأم مريم العجوز العاقر ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ مجيبه.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ﴾ أي : جنس الملائكة فإن المنادى جبريل وحده، ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾: في الصلاة،[3] ﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ[4]﴾ أي: بأن الله، ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ أي: بولد من صلبك اسمه يحيى سمى به لأنه أحياه الله بالإيمان، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى سمى بالكلمة لأنه أوجده بخطاب كن دون أب، وهو أول من صدق عيسى، كانا ابنى خالة، وكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك، وقيل بكلمة من الله أي: بكتاب الله، ﴿وَسَيِّدًا﴾: حليمًا يفوق في الخلق والكرم والدين، ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يأتي النساء أو الذي لا يولد له أو الذي لا يترل الماء وقيل

---

(١) الأول لمجاهد وعكرمة وقتادة وجم غفير من السلف وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أنه صحفا من علم/١٢.

(٢) فإن زوجته أيشاع كانت عاقرًا عجوزا، وكانت أختها حنة أم مريم كذلك /١٢.

(٣) خبر بعد خبر، أو صفة لقائم، أو حال/١٢منه.

(٤) ومن قرأ "إن" بكسر الهمزة فعلى إرادة القول أي: فنادته الملائكة وقالت: "إن الله" أو لأن النداء نوع من القول/١٢منه.

والدين، ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يأتي النساء أو الذي لا يولد له أو الذي لا يترل الماء وقيل حصورًا في حبس النفس عن الشهوات(*)، وفى الحديث(١): "كل ابن آدم يلقى الله بذنب إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيدًا وحصورًا" ثم أهوى النبى صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها فقال: "كان ذكره مثل هذه القذاة"(**). ﴿وَنَبِيًّا﴾: ناشئا، ﴿مِّنَ(٢) الصَّالِحِينَ(٣)﴾ أو كائنا ممن لم يأت ذنبًا. ﴿قَالَ رَبِّ(٤) أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ استبعاد من حيث العادة واستعظام أو استفهام عن كيفية حدوثه، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي

(*) هذا هو الأرجح لأن الفضيلة لا تتم إلا بحبس النفس عن المعصية مع توفر داوعيها.د/هنداوي

(١) رواه ابن أبي حاتم بروايات متنوعة، وابن المنذر في تفسيره وقد صح عن كثير من الصحابة أنه لم يأت النساء إما لحبس نفسه عن الشهوات أو لأنه عنين، وقد منعه قاضى عياض في الشفاء بأن العنة عيب ونقيصة لا يليق بالأنبياء وقال: "بل معناه أنه معصوم عن الفواحش"، وقال ابن كثير في الحديث المرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام: في هذا المعنى نظر، والموقوف إلى الصحابة أقوى إسنادًا من المرفوع/١٢منه.

(**) ذكره الحافظ ابن كثير فى "التفسير" (٣٦٢/١) من طريق ابن أبى حاتم واستغربه، وهو كذلك إذ إن العنة -وهى عدم الميل إلى النساء- صفة نقص وذم منافية لصفات الكمال التى جبل الأنبياء عليها، فضلا عن أنها قادحة فى رجولتهم وفحولتهم، وقد ثبت أن سليمان -عليه السلام- طاف على سبعين امرأة وفى رواية: مائة امرأة فى ليلة واحدة، وكذا نبيا -صلى الله عليه وسلم- طاف على نسائه التسع فى ليلة واحدة.

(٢) فمن للابتداء فإنه كان من أصلاب الأنبياء/١٢.

(٣) قال الزجاج: الصالح الذي يؤدى لله ما افترض عليه وللناس حقوقهم/١٢فتح .

(٤) قيل لما وعده الله تعالى جاءه الشيطان وقال: "إن الصوت الذي سمعت ليس من الله بل من الشيطان" فقال: "رب أنى يكون لى غلام" دفعًا للوسوسة فلذلك طلب الآية/١٢منه.

﴿وَامْرَأَتِي[1] عَاقِرٌ﴾: لا تلد. ﴿قَالَ﴾: أي الملك، ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل[2] ذلك الفعل، فكذلك متعلق يفعل وقيل: "كذلك الله[3]" مبتدأ وخبر و"يفعل ما يشاء" بيان أو تقديره: الأمر كذلك، و"الله يفعل" بيان. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ علامة أستدل على وجود الولد، فأزيد في العبادة شكرًا لك، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: لا تقدر عليه مع أنك سوى صحيح تقدر الحمد والتسبيح، ﴿ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا[4]﴾: إشارة بنحو يد ورأس وحاجب، والاستثناء متصل جعله من جنس الكلام؛ لأنه فهم من الرمز ما يفهم من الكلام أو منقطع[5] ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾: في أيام الحبسة، ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ[6]﴾: آخر النهار. ﴿وَالإِبْكَارِ﴾ : أول النهار.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ

(١) أيكون من هذه المرأة أم من امرأة أخرى أو صيرت صغيرًا ولودًا وهذا قول الحسن رحمه الله لكن قوله: "قال كذلك الله يفعل ما يشاء" مشعر بالوجه الأول كما لا يخفى/١٢منه.

(٢) وهو إيجاد الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر/١٢منه.

(٣) أي على نحو هذه الصفة الله/١٢منه.

(٤) الرمز تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين، ولا يكون كتابًا/١٢م.

(٥) كذا ذكره ابن جريج، والسدي عن ابن عباس، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم/١٢منه.

(٦) أي ما بين زوال الشمس إلى غروبها، فصلاة الظهر والعصر صلاة العشى/١٢منه.

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ
كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ
فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ
أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ
أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ
وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ أي: جبريل وهو من جنس الملك، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك أولا لشرفك[1]، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: من الأكدار والوساوس، وقيل من الحيض أو من تهمة اليهود ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ[2]﴾ : مطلقًا أو على عالمي زمانها، ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي[3] لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أمرت بالخشوع والطاعة وغاية الخضوع والصلاة مع الجماعة، وجماعة الرجال أفضل أو كوني[4] معهم، قيل ركدت[5] في محرابها راكعة وساجدة وقائمة حتى نزل الماء الأصفر في قدميها، ﴿ذَلِكَ﴾: القصص، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: من الغيوب التي لا تعرفها إلا بالوحي، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ﴾: ليعلموا، ﴿أَيُّهُمْ[6] يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في كفالتها وذلك أن أمها يوم ولدتها أتت به سدنة بيت المقدس وقالت: "دونكم هذه النذيرة فإني حررتها فتنافس الأحبار

---

(١) حين تقبلك من أمك وأبيك/١٢منه.

(٢) روى الترمذي وصححه قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله اصطفى من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله، وآسية امرأة فرعون"، ورواه ابن مردويه أيضًا/١٢منه[وهو صحيح، انظر صحيح الترمذي (٣٠٥٣) ولفظه: "حسبك من نساء العالمين...].

(٣) عن مجاهد قال: "لما قيل لها اقنتي لربك" قامت حتى ورمت قدماها/١٢در منثور.

(٤) في عدادهم لا في عداد غيرهم /١٢.

(٥) قاله الأوزاعي/١٢.

(٦) لا يمكن تعلق "أيهم يكفل مريم" بيلقون؛ لأنه ليس من الأفعال التي تعلق بالاستفهام، فلابد من تقديره ليكون الاستفهام في موقع مفعوله وهو ليعلموا فإنه لابد أن يكون من أفعال القلوب، ويدل عليه يلقون أقلامهم/١٢منه.

فيها لأنها ابنة إمامهم فأقرعوا بالأقلام التي يكتبون بها التوراة عليها؛ فخرجت القرعة لزكريا فكفلها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ أي: جبريل بدل من إذ يختصمون على أن الاختصام[1]، والبشارة في زمان متسع أو من إذ قالت، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ[2]﴾: من الله أي: عيسى، ﴿اسْمُهُ[3]﴾ ذكر ضمير الكلمة؛ لأن المسمى مذكر، ﴿الْمَسِيحُ[4]﴾ معرَّب مسيحا بالعبرية أي: المبارك قال بعض السلف لكثرة سياحته سمي به، أو لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برئ، ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبه إلى أمه حيث لا أب له، ﴿وَجِيهاً﴾: له وجاهة ومكانة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ نصب وجيهًا ومن المقربين على الحال من كلمة؛ لأنها نكرة موصوفة، ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾، عطف

---

(١) فإن وقت الاختصام ظاهر أنه قبل البشارة بمدة فاحتيج في جواز الإبدال إلى أن يعتبر زمان ممتد يقع الاختصام في بعض أجزائه والبشارة في بعض آخر ليصح بالنظر إلى ذلك الزمان أنهما في زمان واحد كما يقال: وقع القتال والصلح في سنة واحدة/١٢منه.

(٢) وفى تفسير أبي السعود في سورة النساء يحكى أن طبيبًا حاذقًا نصرانيا جاء الرشيد فناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له:" إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله"، وتلا هذه الآية أي قوله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ فقرأ له الواقدي: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه﴾ وقال: "إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزء منه سبحانه؛ فانقطع النصراني وأسلم، وفرح الرشيد فرحًا شديدًا وأعطى الواقدي صلة فاخرة/١٢فتح.

(٣) الاسم أحد الثلاثة، وهو عيسى، والمسيح لقبه، وابن مريم صفته والمراد من الاسم هذه العلامة التي بها الامتياز، وهي مجموع الثلاثة لا واحد أو كل واحد علامة مميزة، وليس المراد بالاسم هو العلم المقابل للقب، والكنية فافهم/١٢.

(٤) أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله لا على طريق الأبناء الآخر من مادة، وأب، ومدة/١٢.

على وجيها، ﴿فِي الْمَهْدِ[1]﴾: طفلاً وهو آية ﴿وَكَهْلاً﴾ بالمرة، وقيل إنه رفع شابًّا فامراد (*) كهلاً بعد نزوله فهو آية أخرى قيل: في ذكر "وكهلاً" بشارة لمريم ببقائه أو إشارة إلى أنه لا يصل إلى سن الشيخوخة أو إلى أن كلامه في الحالتين من جنس واحد، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في قوله وعمله عطف على وجيهًا أو على في المهد.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ استبعاد عادى؛ لأنها كانت محررة لله والمحررة لا تتزوج أبدًا. ﴿قَالَ﴾: جبريل، ﴿كَذَلِكِ[2] اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي يخلق مثل ذلك الأمر، ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: احدث فيحدث، كان تامة، والمراد تمثيل حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف أو القول حقيقي، ﴿وَيُعَلِّمُهُ[3]

(١) الظاهر أن في المهد ظرف لغو ليكلم لا حال، لكن عطف كهلاً عليه يدل على أنه حال/١٢.

(*) كذا في الأصل.

(٢) جاز في إعرابه الأوجه الثلاثة التي مرت في "كذلك الله يفعل ما يشاء" وأختار نصبه بأنه صفة لمفعول مطلق؛ لأنه يتبادر إلى الذهن/١٢منه.

(٣) أخرج ابن المنذر بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما ترعرع عيسى جاءت به أمه إلى الكتاب فدفعته إليه فقال: "قل" بسم، فقال: بسم الله، قال المعلم قل: الرحمن، قال عيسى: الرحيم، فقال المعلم قل أبوجاد، فقال: هو في كتاب الله، فقال عيسى أتدرى ما ألف؟ قال: لا قال: آلاء الله، أتدرى ما باء قال لا، قال بهاء الله أتدرى ما جيم؟ قال، لا قال جلال الله أتدرى ما اللام قال لا قال: لا إله إلا الله، فجعل يقرأ على هذا النحو فقال المعلم كيف أعلم من هو أعلم مني؟! قالت: فدعه يقعد مع الصبيان فكان يخبر الصبيان بما تدخر لهم أمهاتهم في بيوتهم هكذا نقل السيوطي في الدر المنثور وصححه[٢/٤٦] لكن لا أثق بتصحيحه فالعهدة عليه والله أعلم/١٢[الخبر ليس بصحيح لانقطاعه].

﴿الكِتَابَ﴾ أي: الكتابة أو جنس الكتب المترلة وهو عطف على يبشرك أو وجيها[1] أو كلام مبتدأ من تمام بشارة مريم، **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**: الفهم أو معاني كلام الله وقد مر، **﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾** نزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى، وكان يحفظهما. **﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾** تقديره ويجعله[2] رسولاً مخبرًا بأني قد جئتكم أو عطف على وجيهًا أو كهلاً[3] وطفلاً مضمنا معنى النطق كأنه قال: وناطقا بأني، وتخصيص بني إسرائيل بتخصيص بعثته بهم أو للرد على من قال: إنه ليس مبعوثًا إليهم، **﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم﴾** أقدر وأصور **﴿مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾**:مثل صورته بدل من "أني قد جئتكم" أو من آية أو تقديره: هي أني أخلق **﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾** أي: في المثل، فالضمير له كاف **﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** أي: حيًّا طيارًا بإذن الله، **﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾**: من[4] ولد أعمى، وقيل من يبصر نهارًا لا ليلاً، وقيل بالعكس، **﴿وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** تكرار "بإذن الله" لدفع وهم الألوهية فإن الإحياء ليس من فعل البشر، **﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾**: الآن، **﴿وَمَا**

---

(١) التوجيه الآخر في العطف هو الأولى؛ لأن قراءة من قرأ و"نعلمه" بالنون يرد الباقي إلا أن يقدر إن الله يبشرك بعيسى، ويقول نعلمه الكتاب وأما حديث الالتفات فما لا يلتفت إليه فتأمل/١٢منه.

(٢) قيل: تقديره وأرسلت رسولا بأني على تقدير القول أي: ويقول أرسلت ليكون عطفا على يعلمه/١٢منه.

(٣) لا يجوز أن يكون معطوفًا على المعطوفات المتقدمة؛ لأنها في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لتعلق قوله: إني قد جئتكم فلم يصح بعث الله عيسى مصدقًا أنا، ولكن مصدقًا هو فلذلك وجه بوجهين/١٢منه.

(٤) الوجهان الأخيران هما قولان لبعض السلف فأوردناهما/١٢.

﴿تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: للغد، **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** : مصدقين للحق.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ منصوب بفعل[١] مقدر أي: وجئتكم مصدقًا **﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾**: لكتاب أنزل من قبلي، **﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم﴾** تقديره: وقد جئتكم لأحل، قيل عطف على معنى مصدقًا نحو: جئتك معتذرًا ولأطيب قلبك[٢]، **﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾**، في شرع موسى كالشحوم، ولحوم الإبل، وغيرهما، وفيه دلالة على أن شرعه نسخ بعض شرع موسى، وهو الصحيح من القولين، **﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾**: حجة على صدقي، **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾** : فيما أقول.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: لما أظهر المعجزة شرع في الدعوة، وقيل الآية قوله: "إن الله ربي وربكم" فإنه المجمع عليه بين الأنبياء والفارق بين النبي والساحر، **﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾** أي: طريق مشهود له بالا ستقامة، **﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾**: تحقق عنده تحقق المحسوسات، **﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾** أي: من يتبعني إلى الله أو إلى بمعنى[٣] مع وقيل بمعنى في أو اللام أو تقديره: من أنصارى ذاهبًا إلى الله أو في الدعوة إلى الله، **﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾** من الحور، وهو البياض الخالص، وحوارى الرجل خالصته، وقيل: كانوا قصارين سموا بذلك لبياض أثواهم، وقيل: ملوكًا لا يلبسون إلا البيض، **﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾** أي: أنصار دينه، **﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا**

---

(١) لا أنه معطوف على رسولا والأحوال قبله لأنه وجب أن يقول لما بين يديه فافهم.

(٢) يمكن عطفه على محذوف أي: جئتكم مصدقًا لأهديكم ولأحل لكم/١٢منه.

(٣) أي: مع الله، والعرب تقول: "الذود إلى الذود إبل" أي: مع الذود أ والذود قطيع من الإبل الثلاث إلى التسع/١٢م.

﴿مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمة[1] محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: مع الأنبياء فإنهم شهداء لأتباعهم، وقيل: مع الشاهدين بوحدانيتك، **﴿وَمَكَرُوا﴾** أي: الذين أحس منهم الكفر في قتل عيسى، **﴿وَمَكَرَ[2] اللَّهُ﴾**: جازاهم[3] على مكرهم حين رفع عيسى، وألقى شبهه على أحد، فأخذوه، وقتلوه، **﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** أقواهم وأقدرهم.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ

---

(١) نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وصححه، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس/١٢منه.

(٢) المكر في العبد حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة، ولا يسند إلى الله إلا على سبيل المقابلة ووصف تعالى نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده بهما لكن ليس المكر كالمكر والكيد كالكيد، ولله المثل الأعلى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى:١١) /١٢.

(٣) هذا من باب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه، والمعنيان مختلفان نحو قول الله تعالى: "إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم" (البقرة:١٤،١٥)ـ أي: يجازيهم جزاء الاستهزاء وكذلك "سخر الله منهم" (التوبة:٧٩)، "ومكروا ومكر الله" ، "وجزاء سيئة سيئة مثلها" (الشورى:٤٠)، هي من المبتدئ سيئة، ومن الله جل وعز جزاء وقوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (البقرة:١٩٤)، فالعدوان الأول ظلم والثاني: جزاء والجزاء لا يكون ظلمًا وإن كان لفظه كلفظ الأول، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "اللهم إن فلانا هجاني وهو يعلم أني لست بشاعر اللهم العنه عدد ما هجاني أو مكان ما هجاني"[لا يصح، انظر العلل لابن أبي حاتم (٢٢٨٣)]، أي: جازه جزاء الهجاء، وكذلك قوله تعالى "نسوا الله فنسيهم" (التوبة:٦٧)/١٢م.

مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف لمكر الله، ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ المراد من الوفاة ها هنا النوم[1]، وعليه الأكثرون أو في الآية تقديم وتأخير تقديره إني رافعك إلى ومتوفيك يعني بعده أو توفاه الله ثلاث ساعات حين رفعه إليه أو سبع[2] ساعات ثم أحياه أو متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت أي: قابضك من الأرض وافيًا لم ينالوا منك شيئًا من توفيت مالى، ﴿وَرَافِعُكَ[3] إِلَيَّ[4]﴾ إلى محل كرامتي، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

---

(١) صرح بذلك الحسن، وغيره نقله ابن أبي حاتم/١٢.

(٢) قال ابن إسحاق: النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه/١٢منه والإجماع على أنه حي في السماء يترل، ويقتل الدجال، ويؤيد الدين/١٢وجيز.

(٣) الرفع النقل من أسفل إلى علو/١٢وجيز.

(٤) قوله: "ورافعك إلى" هذه الآية الشريفة دلت بظاهرها على أن الله تعالى فوق سماواته، =

....

= وكذلك قوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (النساء:١٥٨)، وقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ (النحل:٥٠)، وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ (السجدة:٥)، وقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ (الملك:١٦)، وقوله تعالى: ﴿ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (المعارج:٤)، وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحًا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبًا﴾ (غافر:٣٧،٣٦)، يعنى: أظن موسى كاذبا في أن إلهه في السماء ولو لم يكن موسى عليه السلام يدعوه إلى إله في السماء لما قال هذا إذ لو كان قال له إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء لكان هــذا القــول من فرعــون عبثا، وكان بناؤه القصر جنونًا.

وقال الحافظ شمس الدين بن القيم في إغاثة اللهفان: والأساطين قبله -يعنى أساطين الفلاسفة قبل أرسطو- كانوا يقولون بحدوثه يعنى: بحدوث العالم، وإثبات الصانع ومباينته للعالم وأنه فوق العالم، وفوق السماوات بذاته كما حكاه أبو الوليد رشيد في كتاب مناهج الأدلة وهو أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم، فقال: فيه القول في الجهة وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشاعرة كأبي المعالى ومن اقتدى بقوله إلى أن قال: والشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تترل الملائكة بالوحى إلى النبيين وأن من السماوات نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبى صلى الله عليه وسلم، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالعقول، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم إلى أن قال: فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأن إبطاله إبطال الشرائع، ولم تزل أساطينهم معظمين للرسل والشرائع معترفين بأن ما جاءوا به طورًا آخر وراء طور العقل، وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلمون باب الكلام =

كَفَرُوا﴾ : من سوء جوارهم، **﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾**: هم المسلمون من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ومن تبعه من النصارى. أو الحواريون، **﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى**

= إلى الرسل، ويقولون علومنا إنما هي الرياضيات، والطبيعيات، وتوابعها إلى آخر ما ذكر.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في النقض على المريسي: وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتاب شعار الإيمان: إن إنكار الفوقية شئ سرقه المتأخرون من الفلاسفة، وفى ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله انتهى.

وقال الإمام البخاري في كتاب خلق الأفعال: قال ابن المبارك: "لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض هاهنا بل على العرش استوى، وقيل له كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه انتهى ذكره شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني/١٢.

وقال الإمام أبو عبدالرحمن بن حنبل رحمه الله: ما فطر العباد إلا على أن ربهم في السماء/١٢ وقال شاه ولى الله رحمه الله في رسالته الذب عن تقي الدين بن تيمية: والحق في هذا المقام أن الله أثبت لنفسه جهة الفوق وأن الأحاديث متظاهرة على ذلك، وقد نقل الترمذي ذلك عن الإمام مالك ونظرائه انتهى/١٢.

قال شيخ الإسلام بن تيمية في الأجوبة المصرية ولهذا تنوع أهل السنة في اسم الجهة فمنهم من يقول: هو في جهة، ومنهم من يقول: لا أطلق لفظ الجهة وربما قال بعضهم: ليس بجهة، وذلك لأن هذا اللفظ بعينه ليس بمنصوص عن الشارع [تحرفت في الأصل إلى: الشارح (بالحاء)] حتى يتفقوا ومعناه محتمل فمن أثبته أراد به أنه فوق العرش ومن نفاه أراد به أنه ليس في نفس الخلق فلفظ الجهة فيه اشتراك وإجمال انتهى/١٢. وسيأتي إيضاح ذلك في سورة يونس تحت قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ (يونس:٣)، إن شاء الله تعالى.

﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: بالغلبة والعزة وإلى الآن لم تسمع غلبة[1] اليهود، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾:أيها التابعون والكافرون، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[2]﴾ من أمر عيسى ودينه.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالسبى والقتل والجلاء وهو بيان حال الفريقين لا تفصيل الحكم الأخروى؛ لأنه ينافيه قوله: في الدنيا، ﴿وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: بلا نقص، ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: لا يرحمهم فهو سبحانه لا يظلم.

﴿ذَلِكَ﴾: ما سبق من القصص، ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ﴾: حال من مفعول نتلو، أو خبر ذلك ونتلوه حال والعامل معنى الإشارة أو خبر بعد خبر، ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ أي من القرآن المحكم الممنوع عن الباطل أو من اللوح المحفوظ، أو من الذكر المشتمل على الحكم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: شأنه الغريب كشأنه، ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ أي: خلق قالبه من تراب، والجملة مفسرة للتمثيل، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن﴾: بشرا، ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية شبه الغريب وهو ما لا أب له بالأغرب وهو ما لا أمّ ولا أبَ له ليكون أحسم لمادة شبهة الخصم. ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هو الحق أو الحق المذكور من الله، ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمراد ثباته وهى غيره عن الشك.

---

(١) وشردهم الله تعالى أى تشريد ليس لهم مدينة يختصمون بها وهم مفرقون في أقطار تحت قهر اليهود والنصارى/١٢وجيز.

(٢) ثم فصل المحكوم بينهم إلى مؤمن وكافر وذكر جزاء كل منهما فقال: ﴿فأما الذين كفروا﴾ الآية/١٢وجيز.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلْمِ﴾، بأنه عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: هلموا، ﴿نَدْعُ أَبْنَاءنَا و أَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ﴾ ، أنفسنا: رسول الله، وعلى بن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام(*)، والعرب تسمى ابن عم الرجل نفسه، وأبناءنا: الحسن، والحسين، ونساءنا: فاطمة رضى الله عنهم هكذا[1] ذكره السلف، وقيل: معناه يدع كل منى ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة، وقدم الأبناء والنساء على النفس؛ لأن الرجل يقدمهم على نفسه ويفدى بنفسه لهم، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع في الدعاء أو نتلاعن من الابتهال الالتعان ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ الفاء على المعنى الأول ألصق، وسبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة في وفد[2] نجران النصارى يحاجون في عيسى يزعم بعضهم أنه وهو الله، وبعضهم أنه ولد الله وبعضهم أنه ثالث ثلاثة، فأنزل الله فيهم صدر هذه السورة إلى بضع وثمانين آية، فخرج[3] رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى ودعاهم إلى المباهلة فقالوا: دعنا

(*) كذا قال، والأولى أن يقال: على بن أبي طالب -رضي الله عنه- كسائر أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن اختصاصه دونهم بالصلاة والسلام عليه، قد يوهم ما عليه من يعتقد نبوته من الشيعة. د/هنداوي.

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن بعض الصحابة وقال: صحيح على شرط مسلم وهو المروى عن ابن عباس والبراء وغيرهم من أكثر السلف/١٢منه.

(٢) وفد نجران وهم ستون راكبا وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وعلمائهم/١٢.

(٣) رواه ابن مردويه، والبيهقى، والنسائى كل منهم من[كذا بالأصل، و"مِن" تأتى بمعنى "عن" انظر همع الهوامع للسيوطى بتحقيق د/عبدالحميد هنداوي] أحد من الصحابة وروى البخارى، ومسلم[أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤٣٨٠)، ومسلم فى "الفضائل" (٢٤٢٠)]، والترمذى بعض هذا الذي نقلناه وذكره ابن إسحاق في سيرته بتفصيل، وتطويل/١٢منه.

ننظر، فاستشاروا فقال كبيرهم: ما لاعن قوم نبيًا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنى أراهم وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزال، فأتوا وقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألاَّ نلاعنك، ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ونبذل لك الخراج.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أى: قصص عيسى ومريم، **﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾**: دون ما ذكروه، **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ﴾**: رداً على النصارى فى تثليثهم، **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** فلا أحد يساويه فى القدرة، والحكمة، فلا إله غيره، **﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾** عما أوحيت إليك، **﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ[1]﴾** ، وضع المظهر موضع المضمر، دلالة على أن الإعراض من[*] التوحيد والحجج إفساد للدين .

---

(١) فيه دلالة على أن الإعراض عن التوحيد والحجج إفساد الدين، ولما أتم الحجة أمر بندائهم إلى إذعان النتيجة، فقال: ﴿قل يأهل الكتاب تعالوا﴾ الآية/١٢وجيز.

(*) كذا فى الأصل، وسبق التنبيه عليه آنفا.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قُلْ يأَهْلَ الكِتَاب﴾: اليهود، والنصارى، ومن جرى مجراهم، **﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾**: مستوية، **﴿بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ﴾**: لا يختلف فيها رسول، ولا كتاب، والكلمة تطلق على الجملة وتفسيرها قوله: **﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ﴾**: نوحده بالعبادة، **﴿وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾**: فى استحقاق العبادة، **﴿وَّلاَ يَتَّخِذَ**[1] **بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾**:

(١) اختلفوا فى معنى اتخاذهم إياهم أربابا بعد الاتفاق على أنه ليس المراد أنه جعلوهم آلهة فقال أكثر المفسرين المراد أنهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم ثم نقل حديث عدى بن حاتم الذى رواه الترمذى أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿اتخذوا =

لا[1] يطيع بعضنا بعضًا فى معصية الله، أو لا نسجد لأحد، قيل: كما اتخذت النصارى عيسى واليهود عزيزًا، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن إجابة التوحيد، ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا[2] بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: مقرون بالتوحيد دونكم.

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ[3] تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تنازعت نصارى نجران، وأحبار اليهود فى أن كلاً منهما ادعوا أن إبراهيم منهم، ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ﴾، الجملة حالية أى: اليهودية والنصرانية حدثتا بتروهما على موسى وعيسى،

= أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ قال: "إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه"[وهو حديث حسن، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١)] نقله بلفظ آخر وذكرت هنا لفظ الترمذى، ثم ذكر قول الربيع أنه قال: قلت لأبي العالية كيف كانت الربوبية فى بنى إسرائيل؟ فقال: إنهم ربما وجدوا فى كتاب الله ما يخالف قول الأحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم، وما كانوا يقبلون حكم الله تعالى قال العلماء: إنما يلزم له تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج؛ لأن الفاسق وإن كان يقبل دعوة الشيطان إلا أنه يلعنه، ويستخف به بخلاف أولئك الأتباع المعظمين قال الإمام فخر الدين الرازي: قد شاهدت من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله فى مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا إليها، وكانوا ينظرون إليّ كالمتعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها، ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريًا فى عروق الأكثرين انتهى ما فى التفسير النيسابورى.

(١) كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله﴾ (التوبة:٣١) /١٢منه.

(٢) يعنى لزمتكم الحجة فوجب عليكم الاعتراف بإسلامنا وهذا كما يقول الغالب للمغلوب اعترف بأني أنا الغالب/١٢وجيز.

(٣) و"لم" أصله "لما" حذفت الألف وما استفهامية/١٢.

وإبراهيم قبلهما بدهر طويل، فكيف يكون عليهما؟!! ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾: فتدعون المحال.

﴿هَأَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: ها: حرف تنبيه، وقيل: أصله أأنتم على الاستفهام التعجبى، فقلبت هاء وأنتم مبتدأ خبره هؤلاء، والجملة التى بعده مبينة للأولى، وقيل: هؤلاء بمعنى الذين، وحاججتم صلته، وقيل: هؤلاء نداء أى: أنتم يا هؤلاء الحمقى جادلتم عنادًا فيما وجدتموه فى كتابكم، ولكم به علم، ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: و لم يذكر فى كتابكم من دين إبراهيم، فإنه ربما يجادل الرجل فيما يعلم عنادًا لكن فيما لا يعلم لا يبحث عنه إلا فهمًا وطلب علم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: شأنه، ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا﴾، صرح بما دلت عليه الحجة، ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل إلى الحق، ﴿مُّسْلِمًا﴾: منقادًا لله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض لهم لإشراكهم به عزيرًا والمسيح ورد على مشركى قريش فى زعمهم أنهم على دين إبراهيم، ﴿إِنَّ أَوْلَى[1] النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾، أقربهم وأحقهم به، ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: على دينه، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: من المهاجرين والأنصار، ومن بعدهم فى[2] الحديث: "إن لكل نبى ولاة من النبيين وإن وليى منهم أبى وخليل ربى" ثم قرأ[3] الآية، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ينصرهم لإيمانهم برسله.

---

(١) مشتق من الولى وهو القرب/١٢منه.

(٢) رواه الترمذى والبزار وغيرهم/١٢منه [وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢١٥٨)].

(٣) قال الرازى: الأصول واحد فى الجميع وأما الفروع فالمخالفة فيها بين دين محمد ودين إبراهيم عليهما السلام قليلة جدًا/١٢وجيز.

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ أى: اليهود حين دعوا بعض الصحابة إلى اليهودية **﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾** لو بمعنى أن، **﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾**، فإن المؤمنين لا يقبلون قولهم، ويحصل لهم إثم **﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** اختصاص ضرره بهم.

﴿يَأَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: من التوراة والإنجيل أو القرآن، **﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾**: صدقها.

﴿يَأَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: تخلطونه بما تخترعونه حتى لا يميز بينهما، أو لم تجعلونه ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبون فى خلاله أو تخلطون الإيمان بعيسى بالكفر بمحمد، **﴿وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ﴾**: نعت محمد عليه الصلاة والسلام، **﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**: عالمون بحقية ما تكتمون.

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ

مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾، أوله سمى وجهًا لأنه أول ما يواجهه الناظر، **﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾** أى: المؤمنين **﴿يَرْجِعُونَ﴾**: عن الإسلام، أطلع الله نبيه على مكيدة اليهود، فإنهم اشتوروا أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا؛ ليقول المسلمون: ما رجعهم إلى دينهم إلا اطلاع نقيصة فى ديننا ولعلهم يرجعون عن الإسلام.

﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: لا تعترفوا، ولا تظهروا التصديق إلا لأشياعكم، **﴿قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾**: يهدى من يشاء، **﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ**[1] **عِندَ رَبِّكُمْ﴾**، متعلق بلا تؤمنوا أى: لا تعترفوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم، والمعجزات، ولا بأن يغالبوكم بالحجة يوم القيامة إلا لأشياعكم[2]،

(١) قال الواحدي: وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيرًا وإعرابًا ولقد تدبرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولا يطرد فى الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النظم/١٢فتح.

(٢) قال بعض المفسرين: معناه لا تظهروا ما بأيديكم من العلم إلا لأتباعكم لا إلى المسلمين ليساووكم فيه ويحاجوكم به عند الله وعلى هذا "أن يوتى" علة للنهى كأنه قيل: لا =

ولا تفشوه لا إلى المسلمين ولا إلى المشركين يعنى: إن علمكم بذلك حاصل، لكن لا تظهروه وأوثر فى العطف كلمة "أو" ليفيد العموم مثل: "ولا تطع منهم آثما أو كفورًا" (الإنسان:٢٤)، وقوله: "إن الهدى هدى الله"جملة معترضة دالة على أن كيدهم لا طائل تحته، وقيل: قد تم الكلام عند قوله: "إلا لمن تبع دينكم"، والمعنى على الوجهين الأولين الآتيين ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر، وهو إيمانكم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم قبل ذلك ثم أسلم لعلهم[1] يرجعون، فإن رجوعهم أرجى عندكم، وأشجى لحلوق المسلمين حينئذ، ففى موقع "أنْ" يؤتى ثلاثة أوجه:

الأول: أن يتعلق بفعل مضمر على حذف اللام أى وقل فعلتم ما فعلتم من الكيد لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يترتب من غلبتهم بالحجة يوم القيامة، أى: لم يكن لكم داع إلى هذا الكيد سوى الحسد، ووجه العدول عن الواو إلى حينئذ الإشارة إلى أن كلا من الأمرين مستقل بكونه سببًا للحسد.

الثانى: أن يكون الخبر إن الهدى وهدى الله بدل من الهدى وحين أو بمعنى إلى أن يعنى حتى يحاجوكم فيدحضوا حجتكم.

الثالث: أن ينتصب بفعل مضمر تقديره[2] قل إن الهدى هدى الله ولا تنكروا أن يؤتى أحد أو يكون لأحد وسيلة غلبة عليكم عند الله، ويدل على هذا المضمر لا تؤمنوا إلا

= تظهروا سركم وما عندكم؛ لأن يكون لكم المزية والغلبة فى الدنيا والآخرة وقوله: "قل إن الهدى هدى الله" معترضة دالة على أن من يعلمه ويفضله فهو الهادي وهو الذى هدى المسلمين وفضلهم/١٢.

(١) وحقيقة المعنى أنه لم يكن لكم باعث على هذا الكيد سوى علمكم بأن الإيتاء والمحاجة المذكورين كائنان ألبتة/١٢.

(٢) هو من جملة مقول الطائفة، وحاصله أظهروا الإيمان بدين المسلمين لكن كونوا على دينكم واستمروا عليه ولا تبدلوا دينكم فقيل: "قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى".

لمن تبع دينكم؛ لأن معناه حينئذ لا تقروا بحقية دين لأحد إلا لمن هو على دينكم فإنه لا دين سواه يماثله، وهذا إنكار لأن يؤتى أحد مثل دينهم، وقد بسطت الكلام هنالك فاستفده، ﴿قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَّشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾: بكل شيء.

﴿يَّخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَّشَاءُ﴾: لحكمته، ﴿وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ هذا كله رد وإبطال لزعمهم الفاسد.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّه إِلَيْكَ﴾، كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية من ذهب، فأداه، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّه إِلَيْكَ﴾، كفنحاص بن عازوراء أودع دينارًا فجحده، ﴿إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾: إلا مدة دوامك قائمًا على رأسه مبالغًا بالتقاضى أو الترافع، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ أى: ترك الأداء بسبب أنهم قالوا: ليس علينا فى شأن العرب ذم وعتاب، وأحل الله أموالهم لنا ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾: اخترعوا، واختلقوا، وليس فى التوراة شيء مما قالوا، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: إنهم كاذبون.

﴿بَلَى﴾ أى: بلى عليهم فيهم سبيل، وقوله: ﴿مَنْ أَوْفَى﴾ إلى آخره استئناف، ﴿بِعَهْدِهِ﴾ أى بعهد الله الذى عهد[1] إليه فى التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وأداء الأمانة أو بعهد[2] نفسه، ﴿وَاتَّقَى﴾ أى: الكفر والخيانة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ أى: يحبه فإنه متق، وقيل: بلى بمعنى لكن.

---

(١) أى: بعهد عهد أى: عهد كان فعلى هذا ضمير بعهده راجع إلى من /١٢.

(٢) وفى بعهده فالله يحبه فإن من عهده مع الله أن لا يشرك به شيئًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ[1] بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: يستبدلون بما عاهدوا من الإيمان برسله، ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾، وبما حلفوا من قولهم: والله لنؤمنن به، ولننصرنه، ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾: من الدنيا رشوة فى تحريف التوراة، وتبديلُ نعتِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ﴿أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ﴾: لا نصيب، ﴿لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: بما يسرهم، ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: نظر رحمة ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يثنى عليهم أو لا يطهرُهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فعلى هذا الآية فى اليهود أو نزلت[2] فى ترافع بين صحابي ويهودى فى أرض فتوجه الحلف على اليهودي، أو فى رجل أقام سلعة فى سوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها أحدًا من المسلمين[*].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾: من اليهود، والنصارى، ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم[3] بِالْكِتَابِ﴾ يميلونها عن المترل إلى المحرف ويفتلونها عنه، فالباء للاستعانة أو الظرفية، والمضاف محذوف أى:

---

(١) واعلم أن هذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد؛ وذلك لأن الطاعات محصورة فى أمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا؛ لأن ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله، ولما أمر الله به كان الوفاء به تعظيمًا لأمر الله؛ فثبت أن هذه العبارة مشتملة على جميع أنواع الطاعات، والوفاء بالعهد كما يمكن فى حق الغير يمكن أيضًا فى حق النفس، لأن الوافى بعهد النفس هو الآتى بالطاعة والتارك للمحرمات؛ لأن عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب/١٢ كبير.

(٢) رواه البخارى عن العوام وابن أبى حاتم عن عبد الله بن أبى أوفى/١٢ [أخرجه البخاري فى "الأيمان والنذور" (٦٦٧٦)، وفي مواضع كثيرة من صحيحه، وكذا أخرجه مسلم فى "الأيمان" عن ابن مسعود] وليس عن أبى أوفى.

(*) أخرجه البخارى فى "الشهادات" (٢٦٧٥)، وفي غير موضع من صحيحه عن ابن أبى أوفى.

(٣) قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: كيف يمكن إدخال التحريف فى التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس؟ والجواب لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف، ثم إنهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون =

بقراءة الكتاب ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾، أيها المؤمنون، وضمير المفعول لما حصل باللى وهو المحرف، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: تأكيد لقوله وما هو من الكتاب، وتشنيع عليهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: ما ينبغى له، وما يتأتى منه، ﴿أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾: الحكمة أو إمضاء الحكم من الله، ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾، رد على اليهود حين قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك بعثنى؛ فنزلت[*]، أورد على النصارى حيث قالوا: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا فنزلت، ﴿وَلَكِن[1]﴾: يقول[2]، ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾:[3] حكماء،

= هذا التحريف ممكنا والأصوب عندى فى تفسير الآية وجه آخر، وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر، وتأمل القلب، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين، واليهود كانوا يقولون: مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه لا ما ذكرتم، فكان هذا هو المراد بالتحريف، وبلىّ الألسنة وهذا مثل ما أن المحق فى زماننا إذا استدل بآية من كتاب الله تعالى فالمبطل يورد عليه الأسئلة والشبهات، ويقول: ليس مراد الله ما ذكرت فكذا فى هذه الصورة، انتهى بلفظه/١٢.

(*) أخرجه البيهقى فى "دلائل النبوة" (٣٨٤/٥)، وفي سنده محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع.

(١) والمعنى: ما استقام لبشر أن يؤتيه الله الكتاب، ثم يترتب عليه أن يقول للناس كونوا عبادًا لى، ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا فالخطاب فى" ولا يأمركم" التفات/١٢.

(٢) لما كان يقول تذكيرًا وإعادة ليقول المذكور ينبغى أن يكون بالنصب/١٢.

(٣) دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًا فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه، وخاب عمله، وكان مثله مثل من غرس =

وحلماء وعلماء، أو فقهاء، أو من يرب[1] علمه بعمله أو منسوب[2] إلى الرب بزيادة الألف والنون ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ[3]﴾: أى: بسبب كونكم معلمين الكتاب[4] ودارسين له.

= شجرة حسناء مونقة بمنظرها، ولا منفعة بثمرها، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع) /١٢تفسير كبير[أخرجه مسلم فى "الذكر والدعاء" (٥/٥٦٩) ط الشعب].

(١) وقيل: الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره/١٢.

(٢) وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته؛ لأن الشيء إنما ينسب إلى من اشتهر أو ما اشتهر به سيما وزيادة الألف والنون تؤذن بمبالغة زائدة هذا قول طاوس[فى الأصل: طاؤس] والحسن البصرى وقتادة/١٢منه.

(٣) وفى هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل وأن من أعظم العمل بالعلم تعليمه، والإخلاص لله سبحانه، والدراسة مذاكرة العلم والفقه فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع عمله وخاب سعيه، وحاصل الكلام أن العلم والتعليم والدراسة توجب على صاحبها كونه ربانيًّا، والسبب لا محالة مغاير[فى الأصل: مغائر] للمسبب فهذا يقتضي أن يكون كونه ربانيًّا أمرا مغايرًا لكونه عالمًا ومعلمًا ومواظبا على الدراسة وما ذاك إلا أن يكون بحيث يكون تعلمه لله، وتعليمه ودراسته لله، وبالجملة أن يكون الداعى له إلى جميع الأفعال طلب مرضات الله، والصارف له عن كل الأفعال الهرب عن عقاب الله، وإذا ثبت أن الرسول يأمر جميع الخلق بهذا المعنى ثبت أنه يمتنع منه أن يأمر[كذا العبارة فى الأصل] الخلق بعبادته وحاصل الحرف شيء واحد وهو أن الرسول هو الذى يكون منتهى جهده وجده صرف الأرواح والقلوب عن الخلق إلى الحق فمثل هذا الإنسان كيف يمكن أن يصرف عقول الخلق عن طاعة الحق إلى طاعة نفسه وعند هذا يظهر أنه يمتنع فى أحد من الأنبياء صلوات الله عليهم أن يأمر غيره بعبادته/١٢ تفسير كبير.

(٤) أى حافظين قارئين له، وجاز أن يكون معناه يدرسون على الناس والأول أولى فافهم/١٢.

﴿ولاَ يَأْمُرَكُمْ﴾: بقراءة النصب عطف على "ثم يقول"، ولا لتأكيد معنى النفي، وبالرفع استئناف، وقيل حال، **﴿أَن تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾**: كما فعلت النصارى، **﴿أَيَأْمُرُكُم﴾**، استفهام تعجب،والضمير للبشر، **﴿بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**: منقادون لله.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: كل[1] نبي بعثه من لدن آدم، ﴿لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أى رسول كان واللام لتوطئة القسم، وما شرطية، وقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾، جواب القسم والشرط أو موصولة[2] أى: للذى آتيتكموه، وقرئ بكسر اللام وحينئذ ما مصدرية أى: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب، ثم مجيء مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به أو المراد من النبيين أنبياء بنى إسرائيل، والمراد من رسول مصدق محمد عليه الصلاة والسلام، أو النبيين عام كما تقدم، لكن المراد من رسول محمد عليه الصلاة والسلام كما صح[3] عن على، وابن عباس رضى الله عنهم ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾: بالإيمان والنصر، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: عهدى، ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ﴾: الله، ﴿فَاشْهَدُوا﴾: ليشهد بعضكم على بعض بالإقرار أو قال الله تعالى للملائكة: "اشهدوا" ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على إقراركم وتشاهدكم.

---

(١) وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل أى أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء على أممهم وقيل: المراد ما يعمهم والأمم لكن استغنى بذكرهم عن ذكر الأمم/١٢منه.

(٢) الموصولة مبتدأ ولتؤمنن به ساد مسد جواب القسم وخبر المبتدإ، وقدرنا الضمير فى آتيتكم لامتناع خلو الصلة عن العائد، وأما على تقدير الشرط فهى مفعوله/ ١٢ منه.

(٣) رواه عبد الرزاق عن ابن طاوس[فى الأصل: ابن طاؤس] عن أبيه مثل قول على، وابن عباس/١٢منه.

﴿فَمَن تَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الميثاق، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الإيمان.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، عطف جملة على جملة، والهمزة توسطت للإنكار، وقدم المفعول؛ لأنه المقصود بالإنكار قيل: نزلت فى أهل الكتاب حين اختصموا فزعم كل فريق أنه على دين إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ "كل منكم برئ من دينه" فقالوا: لا نرضى بقضائك ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقاد، ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا﴾: الملائكة والمسلمون، ﴿وَكَرْهًا﴾: الكفرة حين البأس[1] أو لأنهم مسخرون تحت حكمه وسلطانه أو خوف السيف والسبى أو المراد[2] منه الأسير يجاء به فى السلاسل[3] قيل هذا يوم الميثاق حين قال لهم: "ألست بربكم" (الأعراف:١٧٢)، فقال بعضهم: "بلى" (الأعراف:١٧٢) كرهًا، ونصبهما على الحال أى: طائعين، ومكرهين، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ[4]﴾ وعيد لهم أى: أيبغون غير دين الله مع أن المرجع إليه.

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: من الصحف والوحي، ﴿وَالأَسْبَاطِ﴾: هم بطون بنى إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾: أمر للرسول أن يخبر

---

(١) قال تعالى: "فلم يك ينفعهم إيمانهم" (غافر:٨٥) /١٢.

(٢) وعلى هذا المعنى الرابع نقل الطبرانى حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[انظر تخريجه فى الهامش الذى بعده] ثم اعلم أن المراد بمن فى السماوات والأرض عموم الخلائق، وعلى التفسيرين المتوسطين لا يبقى عمومه فافهم/١٢منه.

(٣) يقادون به إلى الجنة وهم كارهون هكذا ورد فى الحديث/١٢منه[ذكره الهيثمى فى "المجمع" (٦/٣٢٦) وقال: "رواه الطبرانى وفيه محمد بن محصن العكاشى وهو متروك"].

(٤) من قرأ بالياء المنقوطة من تحت فظاهر، ومن قرأ بالتاء فلأن الباغين هم المتولون والراجعين جميع الناس فناسب الخطاب/١٢منه.

عن نفسه ومتابعيه أو أن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك تعظيمًا له، ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: بالتصديق، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: لله، ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ﴾: غير الانقياد، والتوحيد، ﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بإبطال فطرته السليمة.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾، استفهام إنكار ﴿قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ عطف[1] على ما في إيمانهم من معنى الفعل؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ البراهين على صدق ما جاء به الرسول ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين وضعوا الكفر موضع الإيمان.

﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ[2] أَجْمَعِينَ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر نظر رحمة إليهم. ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: الارتداد، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لذنبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾: فيقبل توبتهم، الآية في رجل من الأنصار[3]

---

(١) وقيل: حال بتقدير قد من فاعل كفروا، وليس عطفًا على كفروا؛ لأن الظاهر تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه، وشهادتهم هذه لم يكن بعد إيمانهم بل معه أو قبله/١٢.

(٢) قيل: المراد بالناس المؤمنون، أو العموم فإن الكافر يلعن كل كافر حتى نفسه يوم القيامة كما ورد في الحديث، وقيل: الكافر في الدنيا يلعن منكر الحق فهو يلعن نفسه لكن لا يعرف/ ١٢.

(٣) كما رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد/١٢وجيز[أخرجه النسائي في "السنن" (٤٠٦٨)، وفي "التفسير" ، وابن حبان (١٨٢٨)، والحاكم (١٤٢/٢) وصححه وأقره الذهبي، وغيرهما، وانظر صحيح النسائي (٣٧٩٢)].

آمن ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا هـل لى مـن توبـة؟ فـنزلت فرجـع وأسلم، وقيل: فى اليهود آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه ثم كفـروا لمـا بعث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾؛ لأن توبتـهم حين إشرافهم على الموت، **﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾** نزلت فى اليهود كفروا بعيسـى عليه السلام بعد ما آمنوا بموسى، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد عليه الصلاة والسـلام،أو فى اليهود والنصارى، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن قومًا أسـلموا ثم ارتـدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون فنزلت: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا﴾**: نصب على التمييز، **﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾** أى: لا يقبل منهم ذلك بوجه من الوجوه من التصدق وغيره ولو كـان بوجـه الافتداء(1)، وقيل: الواو مقحمة، **﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـاصِرِينَ﴾** فى رفع العذاب، وفى الحديث (يقال للرجل يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما علـى الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ يقول: نعم، فيقال له: قد أردت منك شيئًا أهـون من ذلك وأقل فأبيت، فيرد إلى النار)(*).

---

(1) الذى ليس فيه منة نحو: "أعطوا السائل ولو جاء على فرس" و"ردوا السائل ولو بظلـف محرق"[الحديث الأول ضعيف، كما في ضعيف الجامع (١٠٤٣)،والضعيفـة (١٣٧٨)، والثانى صحيح، كما فى صحيح الجامع (٣٥٠٢)] كأن هذه الأشياء مما كان لا ينبغـى أن يؤتى به، لأن السائل إذا كان على فرس مشعر غناه فلا يناسب أن يعطى فقولـه: "لو" على سبيل الفرض لأنه لا يمكنه أن يأتى بمـلء الأرض ذهبًـا وهـذا أحسـن التوجيهات، بل هو المتحتم/١٢وجيز.

(*) أخرجه البخارى فى "الأنبياء" (٣٣٣٤)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "صفة القيامة والجنة والنار" (٥/٦٧١) ط الشعب.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿لَن[1] تَنَالُوا البِرَّ﴾: الجنة، أو التقوى، أو كمال الخير، **﴿حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** أي: بعضه، والمراد منه أداء الزكاة أو صدقة السنة، ويدل على الثاني أن كثيرًا من الصحابة تصدقوا بأراضيهم، وأعتقوا جواريهم حين نزلت، أو المعنى: لن تنالوا البر حتى

---

(١) ولما أخبر أنه لا يقبل ممن مات على الكفر ملء الأرض ذهبًا على سبيل الفرض حض المؤمنين على الصدقة النافعة فقال: ﴿لن تنالوا البر﴾/١٢وجيز.

تنفقوا وأنتم أصحاء أشحاء، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازى بحسبه.

﴿كُلُّ[1] الطَّعَامِ[2]﴾ أى: المطعومات، ﴿كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى: حلالا لهم، ﴿إِلاَّ مَا حَرَّمَ﴾، وهو لحمان الإبل، وألبانها، أو العروق ﴿إِسْرَائِيلُ﴾: وهو يعقوب، ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ لنذر: نذر فى مرض لئن عافاه الله لا يأكل أحب الطعام والشراب ولحم[3] الإبل ولبنه أحب إليه، أو نذر لا يأكل العروق لأن وجعه عرق النسإ[*]، أو العروق تضره فاتبعه بنوه فى إخراج العروق من اللحوم ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ جاز أن يتعلق بحرم أو بحلا[4] نزلت ردًّا على اليهود حين طعنوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان حراما عليه أشياء من لحم، ولبن الإبل أو العروق وأنت تحلله فنزلت إن كل المطعومات حلال على الخلائق قبل نزول التوراة، وبشؤم ذنوبهم حرم فى التوراة ما حرم ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن لحم ولبن الإبل أو العروق حرام على الأنبياء كلهم فلما قال لهم بهتوا.

---

(١) ولما بين أن نيل البر بإنفاق المحبوب من المال ذكر أن إسرائيل حرم على نفسه للتقرب إلى الله أحب الطعام إليه فقال: (كل الطعام) الآية/١٢وجيز.

(٢) أى الذى كان مباحًا لإبراهيم عليه السلام فإن الميتة والختزير ما كانا مباحين لأحد كما قاله القفال/١٢وجيز.

(٣) على ذلك حديث رواه الإمام أحمد والترمذى، وقال حديث حسن/١٢وجيز[بل هو صحيح، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٩٢)، والصحيحة (١٨٧٢)].

(*) كذا في الأصل مهموزًا، والذي نص عليه في مختار الصحاح مادة (نسا) أنه مقصور.

(٤) أما تعلقه بحرم فهو خلاف الأولى فإن بين بنى إسرائيل ونزول التوراة مدة مديدة فيكون من توضيح الواضحات/١٢وجيز.

﴿فَمَنِ افْتَرَى﴾: ابتدع، ﴿عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ بأن الله حرم لحم ولبن الإبل عليهم، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ما علم أن التحريم إنما كان من جهة يعقوب ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أو الآية رد على اليهود حيث زعموا أن كل ما هو حرام عليهم كان حراما على الخلائق قبلهم لا أن الله حرم عليهم بشؤم ظلمهم، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾: فى جميع ما أخبر، وكذبتم أنتم، ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل، وهى ملة الإسلام التى فى الأصل ملته أو مثل ملته، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض على اليهود.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ[1] وُضِعَ﴾ أى: أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض قبل خلق الأرض بألفي عام، أو بيت بناه ملائكة هم سكان الأرض قبل آدم عليه السلام أو بناه آدم أو أول بيت وضع لعبادة الله، وكانت البيوت قبله، وهو قول[2] على رضى الله عنه، قيل سبب نزوله أن اليهود قالوا: قبلتنا أفضل وأقدم فأنزل الله، ﴿لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ أى: للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة أو مكة من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء، أو هى البيت والمسجد، وما وراءه مكة أو موضع البيت، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير حال من ضمير الظرف، ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ فإنه قبلتهم ومتعبدهم، ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كلُّ جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل قهره، ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أى من جملتها أو بدل من الآيات بدل البعض وأثر قدميه فى المقام آية بينة، ﴿وَمَن دَخَلَهُ﴾ أى: مكة، ﴿كَانَ آمِنًا﴾: من القتل، والغارة ما دام فيه لكن لا يطعم ولا يسقى حتى يخرج فيؤخذ بذنبه، أو من دخله

---

(١) ولما أمر باتباع ملة إبراهيم ومن ملته حج بيت الله تعالى أخذ فى ابتداء أمره إلى منتهاه
• فقال: ﴿إن أول بيت﴾ الآية/١٢وجيز.

(٢) رواه ابن أبى حاتم، وصح الرواية عنه/١٢.

معظمًا[1] له أمن يوم القيامة من العذاب قيل: جملة شرطية عطف على مقام من حيث المعنى أى أمْنُ من دخله من جملتها.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ أى: قصده على وجه مخصوص، ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ كل مأتى إلى الشيء فهو سبيله، وهو بدل من الناس مخصص له والاستطاعة ألا يكون عاجزًا بنفسه يقدر على الركوب بلا مشقة شديدة وله راحلة وزاد رواح ورجوع فاضل عن نفقة من يلزم عليه نفقته وكسوته، ثم إن[2] اليهود حين أمروا بالحج قالوا: ما وجب علينا فتزل قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أى: جحد فرضّيته، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أى: من وجد ما يحج به، ولم يحج حتى مات فهو كفر[3] به وقيل: وضع كفر موضع لم يحج تغليظا، ﴿قُلْ[4] يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: النقلية، والعقلية الدالة على صدق القرآن، ومن أنزل عليه، ﴿وَاللَّهُ﴾، الواو للحال، ﴿شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ ، فلا ينفعكم التحريف، والكتمان.

---

(١) هو قول بعض من الصحابة روى البيهقى قال عليه الصلاة والسلام "من دخل البيت دخل فى حسنة، وخرج من سيئة، وخرج مغفوراً له" فعلى هذا ضمير من دخله للبيت/١٢منه[الحديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٥٨٤) والضعيفة (١٩١٧)].

(٢) كذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد من السلف/١٢منه.

(٣) هكذا نقله أبو بكر بن مردويه عن على، وروى الترمذى عن غيره من الصحابة، وروى أبو بكر الإسماعيلى الحافظ عن عمر بن الخطاب مثل هذا المعنى/١٢منه[ولفظ كلام عمر: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا" وصحح سنده ابن كثير فى التفسير (١/٣٨٧)].

(٤) ولما فرغ من بيان البيت، والحج وأهل الكتاب لا يحجون - أعرض عن خطابهم إيذانا بشدة الغضب عليهم، فقال مخاطبًا لرسوله: ﴿قل يـأهل الكتـاب﴾ الآيـة/١٢ وجيز.

﴿قُلْ يأَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه، وكانوا يحتالون لصدهم عن الإسلام، **﴿مَنْ آمَنَ﴾**، مفعول تصدون، **﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾**: حال من فاعل تصدون أى: طالبين لسبيل الله اعوجاجًا بتلبيسكم على الناس وتغييركم صفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحريشكم بين المؤمنين، وهو متعد إلى مفعوليه بلا واسطة، **﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾** أن الصد عن الإسلام ضلال، وكتمان أمر محمد غواية، **﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**، ولما كان إنكارهم للقرآن مجاهرة منهم قال: (والله شهيد)، ولكن الصد عن الإسلام والتحريف من أسرارهم قال: (وما الله بغافل).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ[(١)] آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾: ثانى مفعولى يرد فإنه بمعنى التصيير، نزلت إلى قوله (لعلكم تهتدون) فى الأوس والخزرج حين ذكرهم اليهود الحروب وعداوات الجاهلية؛ ليفتتنوا ويعودوا[(٢)] لمثل ما فيهم من الجاهلية **﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾**: القرآن، وغيره، **﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ[(٣)]﴾**: الزاهر الباهر السراج الظاهر عليه الصلاة والسلام، **﴿وَمَن يَّعْتَصِم بِاللَّهِ﴾**: يلتجئ إليه ويتمسك بدينه، ويؤمن به، **﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** طريق واضح لا اعوجاج له .

---

(١) ناداهم بوصف الإيمان تنبيها على تباين ما بينهم/١٢.

(٢) هكذا نقله محمد بن إسحاق، وغيره من الثقات/١٢.

(٣) وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال يومًا لأصحابه (أى المؤمنين أعجب إليكم إيمانًا قالوا: الملائكة قال: (وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم) قالوا: فالأنبياء قال: فكيف لا يؤمنون والوحى يترل عليهم؟ قالوا فنحن قال وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قالوا فمن؟ قال: (قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها) /١٢وجيز ومنه[صحيح، وله شواهد].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾
وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ
أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾
وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ
وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ[١] **آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾**، أصله وقاة فقلبت الواو تاء كتؤدة وتخمة، وهو أن يطاع ولا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر[٢] فلا ينسى، وكثير من

(١) ولما حذرهم من إضلال أعدائهم أمرهم بجامع الطاعات التي بالحقيقة هي الترهيب إذ التقوى إشارة إلى التخويف من عذاب الله ثم أردف الرهبة بالرغبة وهي قوله (واذكروا نعمة الله) وأعقب الأمر بالتقوى بنهي هو من تمام الاعتصام فقال (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) الآية/١٢وجيز.

(٢) هكذا رواه الحاكم، وابن أبي حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢وجيز[أخرجه الحاكم (٢/٢٩٤) مرفوعًا، وموقوفًا عن ابن مسعود، والموقوف أصح، كما قال ابن كثير في "التفسير" (١/٣٨٩)].

السلف قالوا: هذه الآية نسوخة بقوله تعالى: "فاتقوا الله ما استطعتم" (التغابن:١٦)، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إنها لم تنسخ لكن حق تقاته أن يجاهد فى سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم فى الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم، وأبنائهم، ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أى لا تكونن على حال سوى الإسلام إذا أدرككم الموت فهو فى الحقيقة أمر بدوام الإسلام، ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾: واستمسكوا، ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ أى: بدين الله أو بالجماعة أو بعهد الله أو بالقرآن، ﴿وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ أمرهم أن يكونوا على الحق مجتمعين ثم نهاهم عن التفرقة كما افترق أهل الكتاب، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: التى من جملتها الإسلام والتألف، ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾: أيها الأوس والخزرج ﴿أَعْدَاءً﴾: وقع بينكم القتال والخوف، ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: متحابين، ﴿وَكُنتُمْ﴾: فى الجاهلية ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: مشفين[1] على الوقوع فى جهنم لكفركم[2] وشفا بمعنى الطرف، ﴿فَأَنقَذَكُم﴾: أنجاكم ﴿مِّنْهَا﴾: بالإسلام، والضمير للشفا، أو للحفرة أو للنار، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادة ثباتكم على الهدى.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾، من للتبعيض؛ لأن الأمر بالمعروف من فروض الكفايات وللمتصدى له شروط قال الضحاك: هم الصحابة، والمجاهدون، والعلماء، والخطاب للجميع؛ لأنه لو تركوه أثموا جميعا أو للتبيين كما ورد (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)(*) ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿يَدْعُونَ﴾: الناس، ﴿إِلَى

---

(١) أى مشرفين/١٢.

(٢) لو أدرككم الموت فى تلك الحالة لوقعتم فيها/١٢.

(*) أخرجه مسلم فى "الإيمان" .

﴿الخَيْرِ﴾: اتباع[1] القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، **﴿وَيَأْمُرُونَ[2] بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾**، عطف الخاص على العام لشرفه[3]؛ لأن الخير أعم، **﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** المخصوصون بكمال الفلاح، **﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ[4]**

---

(١) الدعاء إلى الخير عام فيما فيه صلاح ديني أو دنيوي، فعطف الأمر بالمعروف عليه للإيذان بشرفه كقوله: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ (البقرة:٢٣٨)، والأمر بالمعروف من فروض الكفايات فالخطاب عام، والمطلوب التصدى من بعض من له قابلية فلو ترك الكل أثموا وقيل من للتبعيض، وفي صحيح مسلم (من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[سبق تخريجه في الصفحة السابقة] ، وعدم الاستطاعة لتقصيره في حق التقوى فصدق أنه أضعف الإيمان/١٢وجيز.

(٢) وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها، ويرتفع سنامها/١٢فتح.

(٣) فإن الدعاء إلى الخير عام فيما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف عليه للإيذان بشرفه كقوله: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" (البقرة:٢٣٨)/١٢.

(٤) منهم اليهود والنصارى فقد تفرق كل منهما فرقا، واختلف كل منهما باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات النافعة وتحريفها لما أخلدوا إليه من حطام الدنيا قيل: النهي عن التفرق مختص بالمسائل الأصولية، وأما المسائل الفروعية الاجتهادية فالاختلاف فيها جائز، وما زال الصحابة فمن بعدهم مختلفين، وفيه نظر فإنه مازال في تلك العصور المنكر للاختلاف موجودا وتخصيص بعض المسائل بجواز الاختلاف فيها دون البعض الآخر ليس بصواب، فالمسائل الشرعية متساوية الأقدام في انتسابها إلى الشرع، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الأمر بالكون في الجماعة، والنهي عن الفرقة/١٢.

﴿تَفَرَّقُوا[1] وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الحجج المبينة للحق كالأمم السابقة، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وعيد لهم وتهديد للتشبه بهم، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود[2] وجوه أهل البدعة أو المؤمنين والكافرين أو المخلصين والمنافقين، قيل: البياض والسواد كنايتان عن بهجة السرور وكآبة الحزن، والأصح أنهما علامتان حقيقيتان، والظرف لمتعلق لهم أو نصب بإضمار اذكر ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يوم الميثاق أو هم المرتدون أو هم المنافقون تكلموا بالإيمان أو هم أهل الكتاب، والهمزة للتوبيخ، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: جنته عبر عنها بالرحمة إشارة إلى أنه لا ينالها من ينالها إلا برحمته، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أخر ذكرهم ليكون أول الكلام وآخره صفة المؤمنين.

---

(١) بسبب استخراج التأويلات الفاسدة من تلك النصوص، ثم اختلفوا بأن حاول كل واحد منهم نصرة قوله ومذهبه، وتفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الأحبار رئيسًا فى بلد، ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل وأقول: إنك إذا أنصفت علمت أن أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله الرحمة والعفو/١٢كبير.

(٢) من فسر سواد الوجوه بسواد وجوه أهل البدعة، فالمراد الخوارج المرتدون كما نقل الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد فى مسنده أن أبا أمامة رأى رءوسًا من الخوارج منصوبة على درج دمشق فقال: (هذا كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه) ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الآية، ثم قال: (لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا حتى عد سبعا ما حدثتكموه/١٢منه[وهو حديث حسن صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٣٩٨)، وصحيح سنن ابن ماجه].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: حججه، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾: متلبسة بـه لا شبهة فيها، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ[1]﴾ ؛ لأنه حكم عدل لا يجرى فى ملكه إلا ما يشاء فلا يحتاج إلى ظلم لأحد فلهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ[2] مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ فيجازى بما وعد وأوعد وأما بحث إنه على الظلم قادر لكن لا يظلم كما دل عليه القرآن والأحاديث أو ليس بقادر؛ لأنه محال فى حقه — فقد أفردناه فى رسالة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

---

(١) أى: لا يريد شيئًا من الظلم على أحد من العالمين فإن التنكير للتقليل بقرينة المقام والجمع المعرف فى سياق النفى لعموم النفى لا لنفى العموم بقرينة المقام أيضًا/١٢ منه.

(٢) ملكا وخلقًا وعبيدًا حتى يسألوه، ويعبدوه ولا يعبدوا غيره/١٢ فتح.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾ أى: فيما مضى بين الأمم أو فى اللوح المحفوظ أو فى علم الله تعالى، ﴿**أُخْرِجَتْ**﴾: أظهرت ﴿**لِلنَّاسِ**﴾: يعنى هم خير الناس للناس وأنفع الناس للناس، والأصح أنه عام وأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) خير الأمم كلهم، ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ استئناف بين به خيريتهم، ﴿**وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ أخر الإيمان إشعارا بأن أمرهم ونهيهم للإيمان بالله وإظهار دينه، ﴿**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ**﴾: بمحمد، ﴿**لَكَانَ**﴾: الإيمان، ﴿**خَيْرًا**[1] **لَّهُم مِّنْهُمُ**[2] **الْمُؤْمِنُونَ**﴾: كعبد الله بن سلام،

---

(١) لأنهم لو آمنوا لكان لهم مع الرياسة وحظوظ الدنيا التى آثروها، النجاة من العذاب المقيم والفوز بالنعيم المؤبد/١٢. ولا يضرب عليهم الذلة/١٢.

(٢) هذه الجملة والتى بعدها أعنى (لن يضروكم) واقع على سبيل الاستطراد/١٢منه.

﴿وأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾: المتمردون. روى أن اليهود قالت -مع عصابة من الصحابة- نحن أفضل، وديننا خير، فنزلت (كنتم خير أمة) إلخ، ﴿لَن يَّضُرُّوكُمْ إلاَّ أَذًى﴾: ضررًا يسيرا قيل: قصدت اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه فنزلت: ﴿وَإن يُّقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ﴾: ينهزموا، ولا يضروكم بالقتل، ﴿ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾: ثم لا يكون لهم النصر أبدًا، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ ألزمهم الله المذلة والصغار، ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾: أينما وجدوا وكانوا، ﴿إلاَّ بِحَبْلٍ[1] مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ أى: ضربت عليهم الذلة فى كل حال إلا معتصمين بذمة الله، وعهده، وأمان المسلمين وعهدهم، وهو عقد الذمة، وضرب الجزية والمعاهدة والمهادنة أى: لا عز لهم[2] قط إلا هذه الحالة الواحدة[3] ﴿وَبَاءوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا به مستوجبين، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ﴾: الجزية أو الفقر والتذلل كضرب القبة، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: ضرب المسكنة، والذلة، والبوء بالغضب، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بسبب كفرهم بآية الرجم، وأمثالها، وقتل الأنبياء بسبب الحسد وهم يعلمو أنه غير حق، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: الكفر، والقتل، وقيل: هذا أيضًا إشارة إلى المشار إليه بذلك الأول أى: الصغار والهوان له سببان ﴿بِمَا[4] عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: بسبب

---

(١) قوله: "بحبل من الله" فى محل النصب على الحال/١٢.

(٢) لما كان استقامة معنى المفرغ عند التحقيق راجعة إلى تقدير النفى أشرنا إليه بقولنا: لا عز لهم إلخ/١٢منه.

(٣) هكذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن، والسدى، وغيرهم فيكون الحبلان واحدا من باب "الله ورسوله أحق أن يرضوه" (التوبة:٦٢)/١٢.

(٤) جعل علة الكفر وقتل الأنبياء هى المعصية، وذلك لأنهم لما توغلوا فى المعاصى والذنوب فكانت ظلمات المعاصى تتزايد حالا فحالا ونور الإيمان يضعف حالا فحالا، ولم يزل كذلك إلى أن بطل نور الإيمان، وفضلت ظلمة الكفر، وإليه الإشارة بقوله: "كلا بل =

عصيانهم واعتدائهم فی[1] حدود الله فإن الإصرار[2] والمداومة على الذنوب يفضی إلی الكفر ومقت الله تعالی.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: نزلت فی اليهود حين قالت: ما آمن بمحمد إلا شرارنا،وأرادوا به عبد الله بن سلام وأصحابه[*] أی: ليس أهل الكتاب علی حد مستو. **﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ﴾**، استئناف بيَّن نفی الاستواء، **﴿قَائمَةٌ﴾**: علی الحق مستقيمة، وقيل: قائمة فی الصلاة **﴿يَتْلُونَ[3] آيَاتِ اللَّهِ﴾**: يقرءون القرآن، أو يتبعونها **﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾**: ساعاته، **﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾** يصلون التهجد أو العشاء[4] فإن أهل الكتب لا يصلونها، **﴿يُؤْمِنُونَ[5] بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**

= ران علی قلوبهم ما كانوا يكسبون" (الطففين:١٤)، فقوله: "ذلك بما عصوا" إشارة إلی علة العلة ولهذا المعنی قال أرباب المعانی: من ابتلی بترك الآداب وقع فی ترك السنن، ومن ابتلی بترك السنن وقع فی ترك الفريضة، ومن ابتلی بترك الفريضة وقع فی استحقار الشريعة، ومن ابتلی بذلك وقع فی الكفر/١٢كبير.

(١) ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفی عن ابن إسحاق/١٢.

(٢) قوله: فإن الإصرار والمداومة مرتب علی كلا التفسيرين فافهم/١٢.

(*) ذكره الهيثمی فی "المجمع" (٣٢٧/٦)، وقال: "رواه الطبرانی ورجاله ثقات".

(٣) عبر بقوله: "يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون" عن التهجد والعشاء/١٢.

(٤) فی مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام أخر صلاة العشاء ثم خرج إلی المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، ثم قرأ (ليسوا سواء من أهل الكتاب)/١٢[أخرجه أحمد والنسائی والبزار وأبو يعلی وابن جرير وابن المنذر وابن أبی حاتم والطبرانی بسند حسن عن ابن مسعود مرفوعًا كما فی الدر المنثور للسيوطی (١١٦/٢)].

(٥) قوله: يتلون ويؤمنون صفتان لأمة/١٢.

﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، وصفهم بما ليس فى اليهود إلا نقيضه كإلحاد فى صفاته ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته، وهم مداهنون فى الحق متباطئون عن الخير، ﴿وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: ممن صلحت أحوالهم عند الله، فاستحقوا رضاه ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: لا يضيع عند الله، ولا ينقص ثوابه، ولتضمنه معنى الحرمان عدى إلى مفعولين، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ لم يقل عليهم بهم إشعارًا بأنهم موصوفون بالتقوى أيضًا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾: لن تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: من عذابه، ﴿شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: ملازموها، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾: مثل ما ينفق الكفار، وقيل: نفقة اليهود على علمائهم، ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ[١]﴾: برد شديد، أو سموم[٢] حارة ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾: زرع، ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر والمعاصى، ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: فلم ينتفعوا بحرثهم لدى احتياجهم إليه، فكذا أعمال الكفار، وتقديره: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ليطابق المثلان، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾، بأن فعل بهم ما ليسوا أهلاً له، ﴿وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ[٣] يَظْلِمُونَ﴾ لأنهم ارتكبوا ما استحقوا العقوبة.

---

(١) قال الزمخشرى: الصر: الريح الباردة ففيه إشكال لأنه يلزم أن يقال ريح فيها ريح باردة وتوجيهه أنه نعت وصف به البرد للمبالغة كبرد بارد أو هو مصدر فى الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله أو من باب التجريد انتزع من الريح الباردة ريحًا مبالغة فى بردها/١٢منه.

(٢) هذا قول ابن عباس، ومجاهد، قيل: هذا يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد فيها نارية تحرق الثمار والزروع/١٢.

(٣) تقديم المفعول لرعاية الفاصلة لا للاختصاص أى: ما ظلمناهم، ولكن ظلموا أنفسهم/١٢منه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ بطانة الرجل خاصة أهله الذى يطلعه على أسراره، ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: من دون المسلمين، متعلق بلا تتخذوا أو صفة بطانة أى لا تتخذوا أولياء أصفياء من غير أهل ملتكم، ﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ[1] خَبَالاً﴾: لا يقصرون فى الفساد، وخبالا مفعول ثان لتضمين معنى المنع، والجملة مستأنفة أو صفة بطانة، وكذا[2] الجملتان بعده، ﴿وَدُّوا[3] مَا عَنِتُّمْ﴾: تمنوا شدة ضرركم، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾: ظهرت علامة العداوة، ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: فلتات[4] كلامهم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾: من البغضاء ﴿أَكْبَرُ﴾ أكثر مما بدا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾: الدالة على صلاح أحوالكم، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما بيّن لكم، نزلت فى مواصلة اليهود لما بينهم من القرابة[5] أو فى مصافاة المنافقين، ﴿هَأَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ﴾ أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاتهم، والجملة بعده بيان خطئِهم أو أولاء نداء أو بمعنى الذين كما مر، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أى: بجنس الكتاب حال[6] من مفعول لا يحبون

---

(١) ألا فى الأمر قصر ثم لتضمين معنى المنع عدى إلى مفعولين كما يقال لا آلوك نصحا، والخبال الفساد/١٢منه.

(٢) أعنى ودوا، وقد بدت تحتمل كل منهما أن تكون صفة، ومستأنفة للتعليل عن نهى اتخاذهم بطانة/١٢منه.

(٣) ما مصدرية أى ودوا عنتكم، والعنت شدة الضرر/١٢.

(٤) يقال: كان الأمر فلتة بلا تدبر وتفكر/١٢صراح.

(٥) يعنى الآية نزلت فى منع مواصلة المؤمنين اليهود مطلقًا بلقائهم المنافقين من اليهود/١٢منه.

(٦) وجاز العطف على تحبونهم، ففيه التنبيه على موقع الخطإ أيضًا على معنى هأنتم هؤلاء تؤمنون بالكتاب كله، وهم لا يؤمنون بشيء من الكتاب لأن إيمانهم، كلا إيمان فأين جامع المحبة/١٢منه.

أى: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضًا، وهم لا يؤمنون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾: نفاقا، ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: خلا بعضهم مع بعض، ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾: أى: من أجله تأسفا حيث لم يجدوا سبيلا إلى الغلبة عليكم، وهذا يدل على أن الآية للمنافقين، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء عليهم بدوام غيظهم وزيادته بتضاعف[1] أهل الإسلام حتى يموتوا به، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ[2] الصُّدُورِ﴾: بما فيها من خير وشر، فيجازيكم، وهو يحتمل أن يكون من المقول.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾: خير ومنفعة، ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تحزهم، ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: ضر وشدة، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾، فهم فى نهاية العداوة معكم، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾: على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ موالاتهم أو ما حرم الله، ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ[3] كَيْدُهُمْ شَيْئًا[4]﴾: كنتم

---

(١) وقوتهم وعزهم، وذل اليهود وخزيهم/١٢.

(٢) ذات هاهنا تأنيث بمعنى صاحبة الصدور/١٢فتح.

(٣) يعنى لا يضركم فعل مضارع وقع جزاء، وجزاء الشرط فى غير المضاعف مجزوم وفى مشدد المضاعف مفتوح، فلا بد أن يقال ضمة الراء لاتباع الضاد كضمة مد /١٢منه.

(٤) معنى الآية أن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى، وألقى كل ما نهى الله عنه كان فى حفظ الله فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين وتحقيق الكلام فى ذلك هو أنه سبحانه إنما خلق الخلق للعبودية، كما قال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(الذاريات:٥٦) فمن وفى بعهد العبودية فى ذلك فالله سبحانه أكرم من أن لا يفى بعهد الربوبية فى حفظه عن الآفات والمخافات وإليه الإشارة بقوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق: ٢،٣) إشارة إلى أنه يوصل إليه كل ما يسره، وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فاجتهد فى اكتساب الفضائل/١٢.

فى كنف الله؛ فلا يضركم كيدهم، وضمة الراء فى لا يضر كضمة مد للاتباع؛ لأنه جزاء شرط مضارع مضاعف، فجاز فيه أربعة أوجه، وقرئ لا يضركم بكسر الضاد من ضاره بمعنى ضره ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: علمه فيجازيهم بما هم أهله .

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ أى: واذكر إذ غدوت ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: منزل عائشة رضى الله عنها ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تسوى وتهيئ لهم، ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: مواقف وأماكن له، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائركم وأحوالكم، هذه وقعة أحد، وقيل[1] يوم

---

(١) رواه ابن جرير عن الحسن البصرى، وهو غريب فإن ما بعده إلى قريب من آخر السورة فى وقعة أحد فلا يعول على هذا القول/١٢.

الأحزاب، ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾، بدل من إذ غدوت أو متعلق بسميع عليم، وهما بنو حارثة، وبنو سلمة، ﴿أَن تَفْشَلَا﴾: تجبنا وتضعفا، فإنهم هموا بالانصراف عن الحرب، لكن عصمهم الله، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما فعصمهم عن اتباع الخطرة أو قباهما[*] تفشلان، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: لا على العَدَد والعُدَد.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير بقصة إفادهم التوكل، وهو موضع بين المكة[**]، والمدينة، ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: بقلة العدد والسلاح، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى الثبات، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ عاقبته بمزيد الإنعام، و قيل معناه اتقونى فإنه شكر نعمتى، ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لنصركم، وهو فى بدر، أو بدل ثان من إذ غدوت، وهو فى أحد، وقالوا: لم يحصل الإمداد يوم أحد لا بخمسة آلاف ولا بثلاثة؛ لأن المسلمين لم يصبروا بل فروا، ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾، هو فاعل يكفيكم، ﴿رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾: للنصر، ﴿بَلَى﴾: إيجاب لما بعد لن، أى: بلى يكفيكم، ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى فقال: ﴿إِن تَصْبِرُوا﴾: على العدو، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: مخالفتى، ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا﴾: من غضبهم فإنهم رجعوا لحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، أو من ساعتهم، والمعنى إن يأتوكم فى الحال، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ فى حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، ﴿مُسَوِّمِينَ[۱]﴾: معلمين بسيما الصوف الأبيض أو بالعهن الأحمر فى نواصي خيولهم أو بالعمائم البيض، أو السود أو الصفر[۲] أو بسيما القتال

(*) كذا بالأصل وفي الكشاف (۲۱۵/۱) "فما لهما".

(**) كذا فى الأصل.

(۱) مسومين من السومة، وهى العلامة وفى تعيينها خلاف والله أعلم بالصحيح من ذلك/۱۲وجيز.

(۲) الأول قول على بن أبي طالب رواه بن أبي حاتم، الثانى لأبى هريرة، الثالث لابن عباس، والرابع رواه ابن مردويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[ذكره الهيثمى في "المجمع" =

أنزل الله الملائكة يوم بدر ألفا كما قال: (فاستجاب لكم أني ممدكم بألف) (الأنفال:۹)، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم[1] خمسة آلاف، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد، ﴿إِلاَّ بُشْرَى﴾: بشارة، ﴿لَكُمْ﴾: بالنصر، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: ولتسكن، ﴿قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: لا من عدة وعدد، ﴿الْعَزِيزِ﴾: الذى لا يغالب فى قضائه ﴿الْحَكِيمِ﴾: فى أفعاله، ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أى: لقد نصركم الله ببدر ليهلك طائفة، أو يهدم ركنا من أركان الشرك، أو متعلق بقوله (وما النصر إلا من عند الله) ﴿مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ[2]﴾: يخزيهم[3] وأو للتنويع، ﴿فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: منقطعى الآمال، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر كله إلى الله، نزلت حين[4] قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلعن فيه على قوم قتلوا سبعين رجلا من قراء

= (٣٢٧/٦) وقال: "رواه الطبراني وفيه عبدالقدوس بن حبيب وهو متروك"]، والخامس رواه ابن مردويه عن الزبير[أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن عباد بن عبدالله بن الزبير بلاغا كما فى الدر المنثور (١٢٥/٢)]، السادس لعكرمة وقتادة/ ١٢منه.

(١) فلا منافاة كما صرح بذلك قتادة وغيره، وقوله هاهنا مردفين مشعر بذلك إذ معناه يردفهم غيرهم، ويتبعهم آخرين/١٢.

(٢) وأصل الكبت فى اللغة صرع الشيء على وجهه، والمراد منه القتل، والهزيمة، والإهلاك، واللعن، والخزي/١٢فتح.

(٣) يعنى نصرتكم فى بدر لأنواع من الفوائد: إهلاك بعض، وإذلال بعض بالهزيمة، وتوبة بعض بالإيمان، وتعذيب بعض بالأسر فيمكن أن يقال ليس لك من الأمر شيء نزل لأحد هذا الوجهين المذكورين، ويكون اعتراضًا بين المعطوف والمعطوف عليه، ثم ذكر بقية الأقسام، لكن فيه تكلف/١٢منه.

(٤) رواه البخارى، والنسائى بروايات متعددة/١٢منه[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٠)، وفى مواضع أخر من صحيحه، ومسلم فى "المساجد"].

الصحابة بعثوا ليعلموا الناس، أو نزلت[1] يوم أحد حين شج فى رأسه الأشرف، ويقول (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيّهم؟!) ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، عطف على الأمر بإضمار أن أى: ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو تعذيبهم أو على شيء أى ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة أو تعذيبهم أو بمعنى إلا أن أى: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتفرح بحالهم أو يعذهم فتتشفى منهم، أو عطف على أو يكبتهم، (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض وقع فى البين، وأنت تعلم أن هذا توجيه لو يلائمه. سبب النزول يلائم اللفظ والمعنى، ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: استحقوا التعذيب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: خلقا وملكا فالأمر له لا لغيره، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: غفرانه، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: تعذيبه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فلا تبادر إلى اللعن، والدعاء عليهم .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ

---

(١) رواه البخارى، وأحمد عن أنس/١٢وجيز[هذا يوهم أن الحديث أخرجه البخارى، وليس كذلك وإنما ذكره معلقًا فى المغازى (٤٢٢/٧-فتح)، ووصله مسلم فى "الجهاد"(١٧٩١)].

لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ**[1] **آمَنوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً**[1]﴾، أي: لا تزيدوا زيادات مكررة فإنهم إذا بلغ الدين محله زادوا فى الأجل؛ فاستغرقوا بالشيء الحقير مال المديون، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: راجين الفلاح، ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ**

---

(١) ولما نهى عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، واستطرد لما بينا ذكر بعض المحاربات، والمؤمنون فى أول الإسلام ذوو إعسار والكفار من اليهود وغيره ذوو أيسار، وأكثر مخالطتهم للمديون ومعاملتهم بالربا نهى عن التقدم للمخالطة، والمساهلة للمعاملة، وبين أن ما فى السموات والأرض ملك له لا يجوز التصرف فى شيء من ذلك إلا بالإذن وأكل الربا تصرف فى ماله بغير إذنه نهى عنه، فقال: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾/١٢ وجيز.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: بالتحرز عن متابعتهم، وفيه تنبيه على أن النار بالذات للكافر وبالعرض للعاصي، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَسَارِعُوا﴾: بادروا، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أعمال توجب المغفرة، كالإسلام، والتوبة، وأداء الفرائض، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ أى: عرضها(٢) كعرضهما قيل فيه تنبيه على اتساع طولها كما قال تعالى: (بطائنها من إستبرق)(الرحمن:٥٤) أى: فما ظنك بالظهائر؟! وقيل عرضها كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش، ﴿أُعِدَّتْ﴾: هيّئت، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، فالجنة بالذات للمتقين، وبالعرض لفساق المؤمنين(٣)، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾، صفة مادحة لهم، ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: فى اليسر والعسر أو المراد جميع الأحوال؛ لأنه لا يخلو الإنسان منهما، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾: الكافين عن إمضائه مع القدرة

---

(١) لزيادة التوبيخ والتنبيه على أنهم على هذه الطريقة الرديئة التى يستقبحها من له أدنى مروءة، وليس لتقييد[فى الأصل: للتقييد، بلامين] النهى وقوله: "أضعافا" حال، ومضاعفة صفة لها/١٢وجيز.

(٢) كما فى سورة الحديد ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾(الحديد:٢١) قال الزجاج: لا يراد عرض ولا طول يقول العرب: بلاد عريضة أى: واسعة أو فيه إشارة إلى أن طولها كعرضها لأن الكرة كذلك، وقيل هو من عرضة المتاع للبيع نحو، ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾(الكهف:١٠٠) كما عرضت الدنيا بسمواتها وأرضها على أهل الدنيا، وكل هذه التمحلات لما أشكل عليهم أن جنة عرضها السموات والأرض كيف تسعها السماء! ولا إشكال، فإن الجنة فى الكرسى، والسموات فى جنبه كحلقة فى فلاة/١٢وجيز.

(٣) كما يقال القصر معد للسلطان وفيه غير السلطان بالتبع، وبهذا يندفع كلام الزمخشرى أن فى هذه الآيات بيانا قاطعًا أن المؤمنين على ثلاث طبقات: متقين، وتائبين، ومصرين وأن الجنة للأولين دون الأخير ومن خالف فى ذلك فقد كابر عقله ، وعاند ربه/١٢منه.

عليه، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: التاركين عقوبة من استحقها، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: إشارة إلى أن هؤلاء فى مقام الإحسان، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: قبيحة بالغة فى القبح، نزلت[1] حين قال المؤمنون: (كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا؛ لأنهم إذا أذنبوا ذنبًا أصبحت كفارة ذنوبهم مكتوبة على عتبة أبوابهم، أو نزلت لرجل قبل امرأة وعانقها ثم ندم، وقيل الفاحشة الزنا والكبائر، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالصغائر وما دون الزنا، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: أى: وعيده، أو ذكروه باللسان: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾، استفهام بمعنى النفى معترض بين المعطوف والمعطوف عليه دال على سعة رحمته، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾: لم يقيموا على ذنوبهم، بل أقروا واستغفروا وفى الحديث[2] (ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة) ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنها معصية أو أن الإصرار ضار أو أن الله يملك مغفرة الذنوب، أو أنهم إن استغفروا غفر لهم ﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾، أى: من تحت غرفها وأشجارها ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، خبر للذين إذا فعلوا إن جعلته مبتدأ، وإلا فجملة مستأنفة مبينة لما قبلها، ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ أى: ذلك، يعنى المغفرة والجنات، وكم فرق بين القبيلتين فصل آيتهم بالمحبة والإحسان، وفصل آية هؤلاء بالعمل والأجر، ﴿قَدْ خَلَتْ[3] مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أى: وقائع سنها الله فى الأمم الماضية، وقيل معنى السنن

---

(١) نقلهما محيى السنة، ووافقه الواحدى فى الثانى/١٢منه.

(٢) الذى رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما/١٢[وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٠٠٦)، وضعيف أبى داود].

(٣) قد استطرد لما بينا آية الربا الذى هو حرب مع الله كما قال تعالى: ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ فى سورة البقرة، ثم رجع إلى حكاية الحروب فقال: ﴿قد خلت﴾/١٢وجيز.

الأمم، ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: فتعتبروا ولا تحزنوا على ما وقع عليكم يوم أحد فإني آخذهم أشد الأخذ عاقبة الأمر لما فرغ عن حديث الربا الذى هو حرب مع الله كما قال الله —استأنف حديث الجهاد الأكبر الذى كان الكلام فيه، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ أى: القرآن، وقيل إشارة إلى مفهوم قد خلت، أو فانظروا أى: القرآن بيان الأمور للناس عامة، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أى زيادة بصيرة، وزاجر لهم خاصة، ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾: لا تضعفوا عن الحرب بسبب غلبة الكفار يوم أحد، ولا تحزنوا على ما وقع عليكم، ﴿وأَنتُمُ[1] الأَعْلَوْنَ﴾، والحال إنكم الأعلى والغالب فى الدنيا والآخرة، والعاقبة لكم، والخسار لهم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ متعلق بلا قمنوا أى: لا قمنوا إن صح إيمانكم؛ فإن الإيمان يورث قوة القلب، ويمكن أن يتعلق بأنتم الأعلون أي: غلبتكم، ونصرتكم متحققة إن كنتم

---

(١) فانظر إلى خطاب هذه الأمة خوطبوا كما خاطب موسى عليه الصلاة والسلام إذ قال: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ (طه: ٦٨) بل فى هذا مزيد اعتناء قال: ﴿ولا تحزنوا﴾ أخرج ابن جرير وغيره عن ابن جريج قال: الهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب يوم أحد فسألوا ما فعل النبى صلى الله عليه وسلم وما فعل فلان؟ فنعى بعضهم لبعض وتحدثوا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا فى هم وحزن، فبينما هم كذلك علا خالد بن الوليد بخيل المشركين فوقهم على الجبل، وكانوا على إحدى جنبتي المشركين، وهم أسفل من الشعب فلما رأو النبى صلى الله عليه وسلم فرحوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس أحد يعبدك بهذا البلد غير هؤلاء فلا تملكهم"، فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله، وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله: ﴿وأنتم الأعلون﴾/١٢فتح[أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريج معضلا، كما فى الدر المنثور للسيوطى(٢/١٤٠)].

مؤمنين أى: إن كان إيمانكم متحققًا فالنصرة متحققة، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: جراح وكسر يوم أحد، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾: المشركين، ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: يوم بدر، ولم يجبنوا فأنتم أحق ألا تهنوا، ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ﴾ أى: أيام الدنيا أو أيام الغلبة، ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة، وتارة لهؤلاء، وهو خبر لتلك، والأيام صفتها، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: علم رؤية ومشاهدة أى: ليتميزوا عن المنافقين، وهو عطف على علة محذوفة أى: نداولها ليكون كذا، وكذا ، أو ليعلم الله إشارة إلى تعدد العلة أو تقديره: وليعلم الله الذين آمنوا فعلنا ذلك، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾، وليكرم قومًا بالشهادة فى سبيله، ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: يعنى: غلبتهم لا لمحبتهم بل لما ذكرنا، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: ليطهرهم من الذنوب بما يقع عليهم من قتل وجرح، وجملة "والله لا يحب الظالمين" معترضة، ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: يهلكهم فإنهم إذا ظفروا بغوا فهو سبب هلاكهم أو مغلوبية المؤمنين لتطهيرهم، ومغلوبية الكفار لإهلاكهم فى الدارين، والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: بل أحسبتم ﴿أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ[1] اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ أى: لا تحصل الجنة لكم حتى يرى الله منكم المجاهدين، ويبتليكم بالشدائد أو معناه لا تحصل لكم والحال أنكم لما تجاهدوا كما يقال: ما علم الله فى فلان خيرا، أى: ما فيه خير، ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: ويرى الصابرين على القتال، أو نصبه بإضمار أن، والواو بمعنى الجمع، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أى: الشهادة أو الحرب فإنها من أسباب الموت، ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾: تشاهدوا وتعرفوا شدته، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ

---

(١) لما كان علم الله بالشيء من لوازم تحققه جعل عدم العلم كناية عن عدم ذلك الشيء فصار معنى لم يعلم الله الجهاد لم يجاهد فلما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل/١٢منه.

﴿وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾: رأيتموه معاينين له حين قتل من قتل من إخوانكم فأنتم تمنيتم غلبة الكفار لأنكم تمنيتم الشهادة أو إذا طلبتم لقاء العدو فاصبروا[1] .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: بالموت، أو القتل، فيخلو محمد صلى الله عليه وسلم أيضًا ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: عن الدين، ورجعتم إلى دينكم الأول وذلك لما شاع يوم أحد أن رسول الله صلى الله

(١) وذلك أن طائفة منهم لم يحضروا غزوة بدر، وفاز فى بدر من فى الحرب بما فاز به من كرامة الدنيا والآخرة، فتمنوا لقاء العدو، وليكون لهم يوم كيوم بدر وهم الذين حرضوا على الخروج لأحد، فلما كان حرب أحد وشاع أن محمدا قد قتل انقلبوا فارين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عباد الله فرجعوا، واستعذروا بأن جاءنا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فترلت الآية تلومهم على ما صدر عنهم مع ما قرروا فى أنفسهم من تمنى الموت (وما محمد إلا رسول) الآية/١٢وجيز.

عليه وسلم قد قتل قال المنافقون للمؤمنين: الحقوا بدينكم الأول فـــنزلت[1] ﴿وَمَــن يَّنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: بل يضر نفســـه، ﴿وَسَــيَجْزِي اللَّــهُ الشَّاكِرِينَ﴾: على نعمة الإسلام ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّــهِ﴾ أى: محال أن يموت أحد إلا بقدر الله، ﴿كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾ أى كتب الموت كتابـــا مؤقتـــا لا يتقدم ولا يتأخر فالتأخير عن القتال والإقدام عليه لا يزيد ولا ينقص فى العمر، ﴿وَمَــن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أى: من عمله، ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ إن أردنا، قيل هذا تعريـــض بمـــن شغلتهم الغنائم يوم أحد، وتركوا المركز الذى وقفهم فيه رسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾: كمن ثبت حتى قتل، ﴿نُؤْتِهِ مِنْـــهَا﴾ أى: مـــن ثوابها، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ[2]﴾: الذين لم تشغلهم زينة الدنيا، ﴿وَكَأَيِّن﴾ أصلـــه أىّ دخلت الكاف عليها، وصارت بمعنى كم، وأثبتت النون فى الخط، وهى تنويـــن،

---

(١) رواه البيهقى/١٢.

(٢) أخبر الله تعالى فى هذه الآية أن من طلب الدنيا لابد أن يصل إلى بعض مقصوده ومـــن طلب الآخرة فكذلك، وتقريره قوله عليه السلام ﴿إنما الأعمال بالنيـــات﴾ إلى آخـــر الحديث[أخرجه البخارى فى "بدء الوحى" (ح١)، وفى مواضع أخر مـــن صحيحـــه، واللفظ له، ومسلم فى "الإمارة" (٤/٥٧١) ط الشعب] واعلم أن هذه الآية وإن وردت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الأعمال، وذلك لأن المؤثر فى جلـــب الثـــواب المقصود والدواعى لا ظواهر الأعمال، فإن من وضع الجبهة على الأرض فى صلاة الظهر والشمس قدامه فإن قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك من أعظم دعـــائم الإسلام، وإن قصد به عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفـــر، وروى أبـــو هريرة عنه عليه السلام (أن الله تعالى يقول يوم القيامة لمقاتل فى سبيل الله في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم إن الله تعـــالى يـــأمر بـــه إلى النـــار"/١٢ كبـــير للرازي[والحديث أخرجه مسلم فى "الإمارة" (٥/٥٦٨) ط الشعب].

عليها، وصارت بمعنى كم، وأثبتت النون فى الخط، وهى تنوين، ومعناه كم، ﴿مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أى: جموع[١] كثيرة منسوب إلى الربة وهى الجماعة أو علماء كثير، وفاعل قاتل ربيون[٢] أو ضمير للنبى ومعه ربيون حال عنه، ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: ما فتروا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: من قتل بعضهم أو من قتل نبيهم[٣]، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: عن العدو، ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾[٤]: ما تخشعوا وما ذلوا لعدوهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ[٥] الصَّابِرِينَ﴾ : فينصرهم فى الدين، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾، مع أهم ثابتون

---

(١) فسر بذلك ابن عباس ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن وقتادة، والسدى، وجماعة أخرى/١٢.

(٢) من ربانيون، والكسر والحذف من تغييرات النسب/١٢.

(٣) قال قتادة والربيع ومحمد بن إسحاق والسدى: ما أصابهم من قتل نبيهم/١٢.

(٤) أصل استكن من السكون؛ لأن الخاضع يكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والألف من إشباع الفتحة، ومن استكون من الكون؛ لأنه يطلب من نفسه أن تكون لمن يخضع له/١٢.

(٥) والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد فى طريق الله ولم يظهر الجزع والعجز والهلع - فإن الله يحبه ، ومحبة الله للعبد ثابتة بالكتاب والسنة وكرر فى مواضع من كتابه أثبتها له رسوله وشهد به سلف أمته، فليس لمن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله أن ينكر أو يستبعد ذلك، نعم لمن يتبع الفلسفة أن يفسر ذلك برأيه ثم يحتمل التمحل فى ذلك، أو فينفيه برأسه كقولهم: المحبة مناسبة بين المحب والمحبوب، ومناسبة الرب للخلق نقص، فيقال المناسبة لفظ مجمل فإن أراد بها التوالد والقرابة فيقال هذا نسب فلان ويناسبه إذا كان بينهما قرابة مستندة إلى الولادة، والله سبحانه منزه عن ذلك أو يراد بها المماثلة فيقال: هذا يناسب هذا أى يماثله، والله سبحانه أحد صمد لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد أو يراد بها موافقة فى معنى من المعانى وضدها المخالفة والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة فإن أولياء الله يوافقونه فيما يأمر فيفعلونه، وفيما يحبه فيحبونه، وفيما نهى =

ربانیون مصابون ﴿إِلاَّ أَن قَالُوا﴾ اسم کان ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

= عنه فيتركونه، وفيما يبغضه فيبغضونه، والله وتر يحب الوتر[صح ذلك عنه مرفوعًا—صلى الله عليه وسلم- انظر صحيح الجامع (١٨٢٩)] جميل يحب الجمال[صح ذلك عنه مرفوعًا —صلى الله عليه وسلم- أخرجه مسلم فى "الإيمان"] عليم يحب العلم نظيف يحب النظافة[ورد ذلك فى حديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٥٩٦)] محسن يحب المحسنين مقسط يحب المقسطين إلى غير ذلك من المعانى، بل هو سبحانه يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لراحلته عليها طعامه، وشرابه فى الأرض المهلكة إذا وجدها بعد اليأس، فالله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته كما ثبت ذلك فى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم[أخرجه البخارى فى "الدعوات" (٦٣٠٨)، ومسلم فى "التوبة" (٢٧٤٤)] فإذا أريد بالمناسبة هذا وأمثاله فهذه المناسبة حق، وهى من صفات الكمال كما تقدم الإشارة إليه فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال ولا يحب صفات الكمال وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان ونحو ذلك والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور وبين الجهل والكذب والظلم ونحو ذلك لا يحب هذا، ولا يبغض هذا كان الذى يحب تلك الأمور أكمل من هذا فدل على أن هذه من صفات الكمال والموجود إما ألا يكون له علم كالجماد فالذى يعلم أكمل منه والعالم إما أن يحب المحمود ويبغض المذموم، وإما ألا يحبهما، وإما أن يحبهما ومعلوم أن الذى يحب المحمود ويبغض المذموم أكمل ممن لا يحبهما أو يبغضهما وأصل هذه المسألة هى الفرق بين محبة الله ورضائه وغضبه وسخطه وإرادته كما هو مذهب السلف، ومن ذهب إلى أنه لا فرق بينهما فقوله مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ومجمعون على أنه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين نفوا محبته بنوها على هذا الأصل الفاسد هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى بعض رسائله/١٢.

﴿أَمْرِنَا﴾: صغائرنا، وكبائرنا، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: بحولك وقوتك، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: النصر، والعافية، والغنيمة، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:[1] اليهود، والمنافقين حين قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم **﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾**: يرجعوكم إلى الشرك، **﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾**: مغبونين في الدارين، **﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ﴾**: ناصركم، **﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾**: فلا تستنصروهم، **﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾** لما ارتحل المشركون عن أحد عزموا في أثناء الطريق الرجوع لاستئصال المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فلم يقدروا على الرجوع **﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾**: بسبب إشراكهم، **﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾** أي: أشركوا شيئًا لم ينزل الله بإشراكه حجة ودليلاً **﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾** أي: النار، وضع الظاهر موضع المضمر تغليظًا وتعليلاً، **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾**: بالنصر والظفر بشرط الصبر والتقوى **﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾**: تقتلون المشركين أول الأمر يوم أحد[2] **﴿بِإِذْنِهِ﴾**: بقضاء الله، **﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾**: جبنتم، **﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾** أراد اختلاف الرملة حين انهزام المشركين قال بعضهم ندع مكاننا للغنيمة، وقال بعضهم: نترك الغنيمة، ولا نخالف نبي الله **﴿وَعَصَيْتُم﴾**: الرسول بترك المركز، **﴿مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم﴾**: الله **﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾**: من الغنيمة، وجواب إذا محذوف وهو امتحنكم أو منعكم نصره، **﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾**: وهم من ترك المركز للغنيمة، **﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾**: وهم

---

(١) وذلك حين حسبوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل/١٢.

(٢) قد يستدل بهذه الآية على أن قوله: (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم)(آل عمران: ١٢٤) الآية كان يوم أحد، وهو الوعد بالنصر، لكن بشرط الصبر والثبات والطاعة/١٢.

الثابتون عند المركز، ﴿**ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ**﴾: كفكم عنهم، وردكم بالهزيمة ﴿**لِيَبْتَلِيَكُمْ**﴾: يمتحن ثباتكم، ﴿**وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ**﴾: مخالفة الرسول لندمكم، أو عفا عنكم فلم يستأصلكم، ﴿**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ**﴾: تبعدون فى الهزيمة متعلق بعفا عنكم، أو بصرفكم، أو ليبتليكم، ﴿**وَلاَ تَلْوُونَ**﴾: لا تقفون، ولا تقيمون، ﴿**عَلَى أَحَدٍ**﴾: ولا يلتفت بعض إلى بعض، ﴿**وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ**﴾ أى: فى جماعتكم الأخرى أى المتأخرة[1] يقول: (إليَّ عباد الله فأنا رسول الله من يكر فله الجنة)[*] ﴿**فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ**﴾: جازاكم عن فشلكم غما متصلاً بغم الذنب وظن قتل نبيكم والخوف وظفر المشركين[2] وقيل غمًّا بسبب غم أذقتموه رسول الله بمخالفته، ﴿**لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ**﴾: من الغنيمة[3]، والظفر بعدوكم، ﴿**وَلاَ**﴾: على، ﴿**مَا أَصَابَكُمْ**﴾: من القتل والجراح وقيل معناه لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد؛ فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق، وقيل لا فى لكيلا زائدة، ﴿**وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾: عالم بأعمالكم وقصدكم، ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا**﴾: أمنة[4] مفعول، ونعاسًا[5] بدل منه، وهذا كما قال الزبير: لقد

---

(١) الأول منقول عن كثير من السلف رواه ابن مردويه عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن أبي حاتم عن قتادة/١٢.

(*) سبق تخريجه والتنبيه على ضعفه.

(٢) على الوجه الأول الظرف أعنى بغم مستقر وعلى الثانى متعلق بأثابكم/١٢.

(٣) هكذا فسره ابن عباس، وعبد الرحمن بن عوف، والحسن، وقتادة، والسدى /١٢.

(٤) على أن النعاس الأمنة أو نعاسا مفعول، وأمنة حال مقدم/١٢.

(٥) الحديث الذى ذكرنا فى شرح الآية يدل على أن النعاس بعد الهزيمة حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا أنه لم يُصب والكفار على الرجوع/١٢.

رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل[1] الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه فى صدره، والله لا أسمع قول معتب بن قشير إلا كالحلم لو كان لنا من الأمر شيء[2] ما قتلنا ها هنا، وعن[3] ابن مسعود: النعاس فى القتال من الله، وفى الصلاة من الشيطان، ﴿يَغْشَى﴾: النعاس ﴿طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾، وهم المؤمنون حقا، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ما هم إلا هَمُّ أنفسهم وطلب خلاصها، وهم المنافقون، ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ﴾: نصب غير الحق بالمصدر[4] أى يظنون غير الظن الحق، وظن الجاهلية بدله أو هو مفعول مطلق، وغير الحق مصدر لمضمون الجملة أى يظنون ظن الجاهلية يقولون قولاً غير الحق، وهو أنهم يظنون أنه ما بقى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم شئ، ﴿يَقُولُونَ[5] هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ أى: هل لنا من النصر والغلبة شيء، ونصيب قط؟ وهذا إنكار منهم، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾: النصر والظفر والقضاء والقدر، ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم﴾: من النفاق استئناف، أو حال من فاعل يقولون، ﴿مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ[6]﴾، بدل[7] من يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك أو استئناف أى إذا خلا بعضهم إلى بعض يقولون،: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أى: لو كنا على الحق،

---

(١) رواه ابن إسحاق بن يسار، وابن أبي حاتم/١٢.

(٢) رواه الطبرانى/١٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم/١٢.

(٤) على طريق النوعية دون التأكيد/١٢.

(٥) استفهام إنكاري/١٢.

(٦) فى أنفسهم ما لا يبدون لك/١٢.

(٧) إذ لو قالوا ذلك مع المؤمنين مجاهرة لما كانوا منافقين، ولا يمكن أن يكون بدلا من يخفون إلخ/١٢.

﴿مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾: لما قتل منا فى هذه المعركة، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أى: لخرج الذين قدر القتل عليهم إلى مصارعهم فلم يستطيعوا الإقامة فى المدينة ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾، ليمتحن، ويظهر سرائركم من الإخلاص وعدمه، وهو عطف على محذوف أى برز لنفاذ القضاء وليبتلى، أو علة فعل محذوف أى: فعلنا ذلك، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يكشفه، ويميزه أو يطهره، ويخلصه من الوساوس ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بضمائرها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ[1]﴾: فى أحد، ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ[2] الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أى: انهزم من انهزم لأجل استزلال الشيطان إياهم ببعض الذنوب، وإيقاعهم فيه يعنى اقترفوا ذنوبا لم يستحقوا معها التأييد الإلهي، وتقوية القلب فلذا فروا أو لأجل أنه حملهم على الذلة التى هى الفرار بسبب ذنب هو بمخالفة الرسول أعنى ترك المركز أو بشؤم ذنوب تقدمت لهم فإن المعاصى يجر بعضها بعضًا كالطاعة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ تلك الخطيئة، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للذنوب، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبة العصاة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ

---

(١) المسلمون، والكافرون/١٢.

(٢) استزلهم: طلب منهم الزلل، وإذا قلت استزله بكذا جاز أن يكون الزلل المحرض عليه هو ما دخل عليه الباء وجاز أن يكون غيره، والمعنيان اللذان فى الشرح بناء على ذلك/١٢ منه.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن
مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ
فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ
فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن
يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا
غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ
اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ
دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم
مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ
ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾
الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ
الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ
أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ

بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى: المنافقين، ﴿وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ﴾: لأجل أصحابهم وفيهم، ﴿إِذَا ضَرَبُوا[1]﴾: سافروا أى قالوا لأجل الأحوال العارضة للإخوان إذا ضربوا بمعنى حين كانوا يضربون، ﴿فِي الأَرْضِ﴾: للتجارة وغيرها فماتوا فى تلك السفر: ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾، فقتلوا جمع غاز ﴿لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾، مقول قالوا، ﴿لِيَجْعَلَ[2] اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أى: لا تكونوا مثلهم فى ذلك الاعتقاد ليجعل ذلك الاعتقاد حسرة فى قلوبهم خاصة دون قلوبكم أو معناه قالوا ذلك واعتقدوا ليجعل، وحينئذ اللام لام العاقبة كقولهم: (لدوا للموت وابنوا للخراب) ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أى: المؤثر فيهما هو الله لا الإقامة والسفر، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فلا تكونوا أيها المؤمنون كالكفار، ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ أى: فى سبيله، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، جواب القسم[3] ساد مسد الجزاء أى لو وقع القتل أو الموت فما تنالون من المغفرة بالموت خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ

---

(١) حاصل ما قررنا أن إذا ضربوا ظرف لما يحصل للإخوان أى: الأحوال العارضة لهم فى زمان مفرهم لا ظرف قالوا حتى يلزم أن قالوا ماض وإذا ضربوا مستقبل فلا يصح، وكان ما ذكره الشارح أولى مما ذكره الزمخشرى فانظر فتأمل/١٢.

(٢) فاللام متعلق بلا تكونوا أو بقالوا وعلى الأول ذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد/١٢.

(٣) إشارة إلى أن اللام فى (ولئن قتلتم) هى الموطئة للقسم، وكذا اللام فى (ولئن متم)/١٢ منه.

﴿لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ لا إلى غيره، فلا رجاء ولا خوف إلا منه، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، ما مزيدة للتأكيد أى: برحمة وإحسان منه سهلت أخلاقك يا محمد لهم، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيئ الخلق، ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: قاسيه، ﴿لانفَضُّوا﴾: تفرقوا، ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما لله، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾: فيما تصح المشاورة فيه تطييبًا لقلوبهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: وجزمت على أمر بعد الشورى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى[1] اللَّهِ﴾: فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فينصرهم، ويهديهم، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾: فلا أحد يغلبكم، ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: بغلبة العدو ﴿فَمَن[2] ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد الخذلان، أو من[3] بعد الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فليخصوه بالتوكل[4] عليه لما علموا ألا ناصر سواه، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾:[5] ما ينبغى لنبى أن يخون فى الغنيمة، نزلت فيما قال

---

(١) وفيه إشارة إلى أن التوكل ليس هو إهمال التدبير بالكلية وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل، بل مراعاة الأسباب الظاهرة مع تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه بالقلب/١٢فتح.

(٢) ومن علم أنه لا ناصر له إلا الله سبحانه وأن من نصره الله لا غالب له ومن خذله لا ناصر له فوض أمره إليه، وتوكل عليه ولم يشتغل بغيره/١٢.

(٣) رواه العوفى عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك/١٢.

(٤) وقد وردت فى صفة التوكل أحاديث كثيرة صحيحة، وقد عد النبى المتوكل من سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، كما فى مسلم/١٢فتح[وهو أيضًا فى البخارى أخرجه فى "الطب" (٥٧٠٥)، ومسلم فى "الإيمان"].

(٥) ولما أمر نبيه بالعفو فى سوء أدبهم، والاستغفار فى ذنوبهم بين فى إفراد إساءة الأدب والذنب "وما كان لنبى أن يغل" الآية/١٢وجيز.

المنافقون[1] يوم بدر حين فقد قطيفة حمراء لعل رسول الله أخذها، أو فى ظن الرماة[2] يوم أحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعطيهم الغنيمة، ولهذا اشتغلوا بالغنيمة، وتركوا المركز أو معناه ما كان لنبي أن يكتم شيئًا من الوحى[3] وقرئ على البناء للمفعول أى ينسب إلى الخيانة، أو يخونه أمته فقيل نزلت[4] يوم بدر، وقد غل بعض أصحابه ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: حاملا[5] له على عنقه، وقد[6] ورد أن الحجر ليرمى به فى جهنم فيهوى سبعين خريفًا ما يبلغ قعرها[*]، ويؤتى بالغلول فيقذف معه، ثم يقال لمن غل ائت به فذلك قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاؤه وإذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال لعظم ذنبه بذلك أولى، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾: بنقص الثواب، وازدياد العقاب، ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: بطاعته، ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾: رجع، ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: بمخالفة شرعه، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم، ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾: أى أهل الخير وأهل[7] الشر

---

(١) نقله الترمذى وأبو داود عن عبد الواحد بن زياد، وابن مردويه عن ابن عباس، وابن أبى حاتم وابن جرير عنه أيضًا/١٢وجيز [وهو حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٠٧)، والصحيحة (٢٧٨٨)].

(٢) رواه العوفى عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك/١٢.

(٣) هذا قول محمد بن إسحاق١٢/منه.

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة والربيع/١٢منه.

(٥) والأحاديث التى تدل على هذا توجد فى الكتب الستة، وغيرها/١٢منه.

(٦) رواه ابن مردويه/١٢منه.

(*) أخرجه مسلم فى "الزهد".

(٧) وفى الوجيز: هذا بعيد جدًّا أى إرجاع الضمير لأهل الخير والشر جميعًا إذ لا يقال أن للكافر درجة عند الله تعالى فإن الدرجة ما يتوسل به إلى مكان علو وما سمعناه يستعمل =

درجات أى كدرجات[1] فى التفاوت أو ذو درجات، **﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**، فيجازيهم على حسب الأعمال، **﴿لَقَدْ مَنَّ[2] اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾**: من جنسهم لا من ملك وغيره ليفهموا كلامه، ويتمكنوا من مجالسته والانتفاع به، **﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾** أى: القرآن، **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾**: من دنس الشرك والجهل، **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾**: القرآن، **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**: السنة، **﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾**، إن هى المخففة أى: إن الشأن كانوا قبل بعثته، **﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**: ظاهر، **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ[3]﴾** يوم أحد من قتل سبعين منكم، **﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾**: يوم بدر من قتل سبعين، وأسر سبعين، **﴿قُلْتُمْ[4] أَنَّى هَذَا﴾**: القتل والهزيمة، ونحن مسلمون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، والهمزة متخللة بين المعطوف والمعطوف عليه، وهو ما سبق من[5] قصة أحد

= إلا فيمن له شرف ومكان عال حسن، بل الضمير لمن اتبع فإنه هو المحدث عنه أى هم ذوو درجات، وفى تلك العبارة مبالغة لا تخفى/١٢.

(١) فيكون التشبيه بحذف الأداة/١٢منه.

(٢) ولما بين فضل المؤمنين، وأنهم هم الواصلون إلى رضوانه تعالى، ولهم الدرجات العلى من فضل الله تعالى، وَمِنْه مَنُّهُ عليهم ببعث أشرف خلق الله تعالى منهم فيهم، فقال: (لقد منّ الله) الآية/١٢وجيز.

(٣) ولما من على المؤمنين ببعثة رسول عالم مظهر صلى الله عليه وسلم فربما يذهب وهم واهم إلى أن خذلان المؤمنين فى بعض الأحيان لماذا؟ فقال: (أو لما أصابتكم) الآية/١٢.

(٤) أى كيف أصابنا هذا الكسر، والقتل، ونحن نقاتل أعداء الله تعالى؟ فأنى سؤال عن الحال على سبيل التعجب، ولا يناسب أن يكون أنى بمعنى أين ومتى لأن الاستفهام لم يقع هنا من المكان، والزمان/١٢وجيز.

(٥) من قوله (لقد صدقكم الله وعده) إلى قوله (لفى ضلال مبين) لأن الكل يتعلق بقصة أحد من غير تخلل أجنبى/١٢منه.

للتقرير والتقريع[1] وقلتم جواب لما فإنه ظرف بمعنى حين يستعمل استعمال الشرط مضاف إلى الجملة بعده، وناصبه ما وقع موقع الجزاء، وأنى خبر هذا وقع مقول القول، وقد أصبتم صفة لمصيبة، **﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾**: من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك المركز أو فيما صنعتم من أخذكم[2] الفداء يوم بدر، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: من النصر، ومنعه **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ﴾**: جمع المسلمين، والمشركين يوم أحد، **﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾**: فهو بقضائه، وقدره، **﴿وَلِيَعْلَمَ﴾**، عطف على بإذن الله، **﴿المُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾** أى: ليتميز المؤمنون من المنافقين ويظهر إيمان هؤلاء، وكفر هؤلاء، **﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾** أى: لعبدالله بن أبيّ وأصحابه لما انصرفوا فى أثناء الطريق، عطف على نافقوا أو كلام مبتدأ، **﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾**: عنَّا القوم بتكثيركم سوادنا، وقيل تخيير بين المقاتلة للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال، **﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾**، لكن لا يكون اليوم قتال، ونافقوا فى هذا أيضًا، لأهم ظنوا القتال ورجعوا وقيل معناه لو نعلم أن ما ترتكبونه قتال لاتبعناكم، لكن هو إلقاء الأنفس إلى التهلكة، **﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾**، لانخزالهم وكلامهم، **﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾**: من كلمة الإيمان، وقولهم لو نعلم قتالا على التوجيه الأول، **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾**: من النفاق، **﴿الَّذِينَ﴾**، بدل من فاعل يكتمون أو نصب أو رفع على الذم، **﴿قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ﴾** أى: لأجل أقارهم المقتولين يوم أحد أو قالوا لإخواهم من

---

(١) أى الحمل على الإقرار والتقريع على مضمون المعطوف/١٢منه.

(٢) فإن المسلمين اجتمع رأيهم على أخذ الفداء فأخذوا الفداء قبل أن يأذن الله لهم كما سيجيء، رواه ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب، وابن جرير عن على بن أبي طالب، والترمذى، والنسائى عن محمد بن سيرين١٢/منه.

المنافقين، ﴿وَقَعَدُوا﴾ أى: والحال أنهم قد قعدوا عن الحرب، ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أى: شهداء أحد فى الانصراف، ﴿مَا قُتِلُوا﴾: كما لم نقتل، ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾: ادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً﴾، نزل[1] فى شهداء أحد أو فى شهداء بدر أو فى سبعين من الصحابة قتلوا فى بئر معونة حين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجد، ﴿بَلْ﴾: هم، ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: فى دار كرامته، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: من الجنة حيث شاءا، فإن أرواحهم فى أجواف طيور خضر[2]، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: لوقوع محذور، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ[3]﴾: لفوات محبوب وألا خوف بدل اشتمال من

---

(١) الأول روى الحاكم فى مستدركه، وأبو داود عن ابن عباس[وكذا أحمد بسند صحيح، انظر صحيح الجامع (٥٢٠٥)]، وكذا قال قتادة والربيع والضحاك، والثانى قول مقاتل، ومجاهد،، والثالث روى ابن جرير عن أنس بن مالك/١٢منه.

(٢) ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش/١٢منه.

(٣) أخرج أحمد، وأبو يعلى، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن نعيم بن حماد أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الشهداء أفضل؟ قال (الذين إن يلقوا فى الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا أولئك ينطلقون فى الغرف العالية من الجنة، ويضحك إليهم ربهم وإذا ضحك ربك إلى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه/١٢در منثور[أخرجه أحمد (٢٨٧/٥) بسند رجاله ثقات خلا إسماعيل بن عياش وهو صدوق فى روايته عن أهل بلده، وهذا منها].

قوله صلى الله عليه وسلم (ويضحك إليهم ربهم)..إلخ ضحك الرب عز وجل من صفاته، وقد جاء ذكر الضحك في الأحاديث الصحيحة الثابتة يجب الإيمان به قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية قدس الله سره في بعض فتاواه:

=

الذين أى يستبشرون بعدم الخوف والحزن على الذين خلفهم من المؤمنين بشرهم الله

= وقول القائل: إن الضحك خفة روح ليس بصحيح، وإن كان ذلك قد يقارنه، ثم قول القائل خفة الروح أراد به وصفا مذموما فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه، وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثاني، ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينظر إليكم أذلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب" فقال له أبو رزين العقيلي، يا رسول الله أو يضحك الرب قال: "نعم"، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا، فجعل الأعرابي العقل بصحة فطرته ضحكه دليل على إحسانه وإنعامه فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك وقد قيل في اليوم الشديد العذاب "يوما عبوسا قمطريرا" (الإنسان:١٠)، وقد روي أن الملائكة قالت لآدم حياك الله وبياك أي: أضحكك والإنسان حيوان ناطق ضاحك، وما تميز به الإنسان عن البهيمة صفة كمال فكما النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك، وإذا كان الضحك فينا مستلزمًا لشيء من النقص، فالله تعالى متره عن ذلك، وذلك النقص مختص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقا مقرونة بالنقص كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص، ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم ألا يكون الرب موجودا وألا يكون له ذات ومن هنا ضلت القرامطة الغلاة كصاحب الأقاليد وأمثاله، فأرادو أن ينفوا عنه كل ما يعلم بالقلب أو ينطق به اللسان من نفي وإثبات، فقالوا: لا نقول موجود ولا لا موجود، ولا موصوف ولا لا موصوف لما في ذلك على زعمهم من التشبيه وهذا يستلزم أن يكون ممتنعا، وهو مقتض للتشبيه بالممتنع، والتشبيه الممتنع عن الله أن يشارك المخلوقات في شيء من خصائصها أو أن يكون مماثلا لها في شيء من صفاته كالحياة والعلم والقدرة فإنه وإن وصف به فلا تماثل في صفة الخالق صفة المخلوق كالحدث والموت والفناء والإمكان انتهى.

بذلك أو يسرون[1] بلحوق من لحقهم عن إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من الكرامة قال السدى: يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا، فيسر بذلك كما تسرون بقدوم الغائب، وقال: بعضهم لما قتلوا ورأوا الكرامة قالوا: يا ليت إخواننا[2] يعلمون ما عرفناه، فباشروا القتال بالرغبة، فأخبر الله نبيه بأمرهم، ثم الله أخبرهم بأنى قد أخبرت بأمركم نبيكم، فاستبشروا بذلك فذلك قوله: (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا) إلى آخره **﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾**، كرره تأكيدًا، وليتعلق به قوله: **﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾**، ثوابا لأعمالهم، **﴿وَفَضْلٍ﴾**: زيادة عليها، **﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**، عطف على نعمة أى: استبشروا لما عاينوا من وفاء الموعود .

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ

---

(١) هو قول محمد ابن إسحاق، وهذا الذى نقلنا عن السدى يوافقه/١٢.

(٢) فى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة نزل فيهم قرآن قرأناه زمانا حتى رفع أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنّا وأرضانا[أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤٠٩٠،٤٠٩١)، وفي غير موضع من صحيحه، وحده دون مسلم] وفيما نقله محمد بن جرير أنه لنسخت، ورفعت وأنزل الله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله﴾ الآية/١٢ منه.

شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: الجرح، وهو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾: بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن للتبيين، وهو أى للذين خبر قدم على مبتدئه، والجملة استئنافية أو الذين استجابوا مبتدأ وجملة للذين أحسنوا إلخ خبره، ﴿وَاتَّقَوْا﴾: مخالفته، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ﴾، بدل من الذين، ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾: رسول المشركين، ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾، أى: المشركين، ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾، ذلك القول، ﴿إِيمَانًا﴾ يقينًا وتصديقًا، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: محسبنا وكافينا، ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: الموكول إليه هو، ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، سلامة بدن، ﴿وَفَضْلٍ﴾: ربح مال، ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾: قتل وجرح، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: فى طاعة رسوله، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾، أنعم عليهم بإنعامات جمة دينية ودنيوية نزلت آية (الذين استجابوا إلخ فيمن بقى من غزوة أحد فإنهم أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جراحاتهم فى الخروج عقب المشركين فإنهم إذا رجعوا من أحد ندموا فى أثناء الطريق، وقالوا:

نرجع ونستأصلهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع[1] من كان معه فى أحد فلما سمع المشركون بخروجهم ألقى الله الرعب فيهم فأرسلوا أحدا يخوف المسلمين منهم، والمسلمون يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجعوا فرجع المسلمون بعافية وربح وهو أن[2] عيرًا مرّت فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وربح فيها مالاً وقسم بين أصحابه[3] أو نزلت فيمن خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام القابل من غزوة أحد حين خرج المشركون من مكة وألقى الله الرعب فيهم فى أثناء الطريق، وندموا من الخروج وأرسلوا أحدا يخوف المسلمين فى المدينة، وهم متأهبون للقتال قائلون حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجعوا من الطريق فرجع المسلمون بسلامة وربح فى تجارة من سوق[4] بدر ورضًا من الله، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أى: قائل إن الناس قد جمعوا لكم شيطان يصدكم عن سبيل الله، مبتدأ، وخبر، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾:

---

(١) ولم يأذن فى الخروج معه أحدا غيرهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بنى أبى عتبة، شك سفيان/١٢.

(٢) بمر الظهران/١٢.

(٣) رضى الله عنهم هذا هو المنقول الثابت الذى صححه ابن كثير فى تفسيره والبغوى أيضًا، وهو قول جميع قدماء المفسرين والمؤرخين فالآية جميعها فى غزوة حمراء الأسد المتصلة بغزوة أحد، لا أن بعض الآية، وهو ﴿الذين استجابوا﴾ إلى قوله ﴿أجر عظيم﴾ فى تلك الغزوة وباقيتها وهو الذين (قال لهم الناس) إلى آخر الآية فى غزوة بدر الصغرى التى نذكرها كما قال الرازى وغيره من المتأخرين، فلا تعتمد على الرازى والزمخشرى وغيرهما/١٢منه وجيز.

(٤) وهو المسمى بغزوة بدر الصغرى، فإن المسلمين انتظروا المشركين فى البدر فلم يأتوا فرجع المسلمون من بدر بتجارة وربح ورضًا من الله قال الشيخ المحدث الناقد أبو الفداء عماد الدين بن كثير: الصحيح أن الآية فى غزوة حمراء الأسد لا فى بدر الصغرى/١٢منه.

يخوفكم أولياءه بإيهامكم أنهم ذوو قوة وبأس، ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدقين موقنين، ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أى: لا تهتم، ولا تبال بمن يبادر إلى العناد وكسر[1] الإسلام، وهم كفار قريش أو المنافقون أو هم واليهود، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أى: دين الله، وشيئًا مصدر أو مفعول، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ﴾: نصيبًا من الثواب فيها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، مع حرمان الثواب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ﴾: استبدلوا هذا بهذا ﴿لَن[2] يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، ولكن يضرون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ﴾، ما مصدرية، وإن مع ما فى حيزه مفعول، وفى قراءة: "ولا تحسبن" بالتاء تقديره لا تحسبن يا محمد حال الذين كفروا أن الإملاء أى: الإمهال خير بحذف مضاف أو إنما نملى بدل من المفعول، واستغنى به عن المفعول الثانى ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾، استئناف بما هو علة الحكم قبلها، وما كافة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ نزلت فى مشركى مكة، أو فى قريظة والنضير، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: يا معشر المسلمين من التباسكم بالمنافقين أو يا معشر المؤمنين والمنافقين من الالتباس والاختلاط ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾؛ المنافق من المخلص بالوحى أو بتكاليف لا تذعن لها إلا الخلص كما ميز يوم أحد، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، فتعرفوا قلوب المخلصين والمنافقين، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن[3] رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾، فيخبره ببعض المغيبات

---

(١) بهذا التقرير دفع ما يقال من شأن الرسول أن يحزن بكسر الإسلام فكيف يؤمر بعدم الحزن/١٢منه.

(٢) ومن هذا علم أن حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لله تعالى/١٢وجيز.

(٣) من بيانية، أو تبعيضية/١٢منه.

نزلت حيث قال المشركون: إن كان محمد صادقًا فليخبرنا بمن يؤمن به، ومن يكفر أو لما قال عليه الصلاة والسلام: (عرضت على أمتى وأعلمت من يؤمن لى ومن يكفر بى) قال المنافقون: إنه يزعم عرفان المؤمن من الكافر، ونحن معه ولا يعرفنا، **﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾**: بصفة الإخلاص، **﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾**: حق الإيمان، **﴿وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ﴾**، بقراءة التاء تقديره ولا تحسبن بخل الذين بحذف مضاف، وكذا بقراءة الياء إن كان الفاعل ضمير الرسول وأما إذا كان الذين يبخلون فاعله فتقديره ولا يحسبن البخلاء بخلهم[1] هو خيرا لهم نزلت فى مانعى الزكاة[2] وقيل فى أهل الكتاب[3] بخلوا بما فى أيديهم من الكتب المنزلة، **﴿بَلْ هُوَ﴾** أى: البخل، **﴿شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يجعل ماله الذى لم يؤد زكاته حية يطوق فى عنقه تنهشه من فرقه إلى قدمه، أو يجعل طوقًا من نار، **﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**: يفنى الملاك، وتبقى الأملاك بلا مالك إلا الله، فلا تبخلوا، **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**: من المنع، والإعطاء[4]، **﴿خَبِيرٌ﴾**، فيجازيكم .

---

(١) عند الزمخشرى جاز حذف أحد مفعولى باب علمت عند ظهور القرينة وهاهنا كذلك على أن الفاعل لما اشتمل على ذكر البخل صار هذا فى حكم إيجاد الفاعل، والمفعولين/١٢ منه.

(٢) ففى البخارى ومسلم أنه عليه السلام قرأ بعد أن أوعدهم/١٢ [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٥)، وفى غير موضع من صحيحه دون مسلم].

(٣) رواه ابن جرير عن ابن عباس، والأول أصح/١٢ منه.

(٤) قال الرازى فى التفسير الكبير: إن الإنفاق الواجب أقسام كثيرة منها إنفاقه على نفسه وعلى أقاربه الذين يلزمه مؤنتهم، ومنها ما يتصل بأبواب الزكاة ومنها ما إذا احتاجه المسلمون إلى دفع عدو يقصد قتلهم وماهم فهاهنا يجب عليهم إنفاق الأموال على من =

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

= يدفعه عنهم؛ لأن ذلك يجري مجرى دفع الضرر عن النفس، ومنها إذا صار أحد من المسلمين مضطرا فإنه يجب عليه أن يدفع إليه مقدار ما يستبقى به رمقه فكل هذه الإنفاقات من الواجبات، وتركه يكون من باب البخل، والله أعلم/١٢.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ[1] قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، قالت اليهود لما نزلت: (من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنا)(البقرة:٢٤٥، الحديد:١١) أو لما دعاهم أبو بكر إلى الإسلام قالوا: إن الله إلينا لفقير ونحن عنه أغنياء، ولولا ذلك ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾: فى صحيفة أعمالهم أو سنحفظه ولا نهمله، ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بحسد وعناد قرنه به لأنهما كجنس[2] واحد فى العظم، ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ المحرق أى: ننتقم منهم بأن نقول لهم ذلك ﴿ذَلِكَ﴾ أى: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: بسبب ذنوب صدرت من أنفسكم، وهو من جملة المقول معهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ[3]﴾، عطف على ما قدمت أى: عدلنا يقتضى تعذيبكم، وصيغة المبالغة لكثرة العبيد فإنها جمع محلى باللام، ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ أى: حتى يأتى بتلك المعجزة الخاصة، وهى أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه تنزل نار من السماء تأكلها كما كانت لأنبياء بنى إسرائيل ﴿قُلْ﴾: يا محمد تكذيبًا لهم، وإلزاما؛ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾:

---

(١) لا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد، أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة/١٢منه.

(٢) وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظام، بل هم أصلاء فى الكفر، والكفر منهم ميراث، ورثوه من أجدادهم/١٢.

(٣) وفيه إشارة ظاهرة بأنه لو عفى عن تلك الجرائم العظام التى هى الكفر وأشد الظلم على أفضل الخلائق لكان الله تعالى كثير الظلم، والعجب كل العجب أن فى الآيات القرآنية أكثر من عشرة وعشرين أن تنقيص الحسنات وتضعيف السيئات وتعذيب المحسن والإحسان مع المسيء فى القيامة ظلم من الله تعالى، وهو تعالى بفضله وإحسانه لا يظلم مثقال ذرة وحرم على نفسه الظلم، وصرح بذلك علماء الخلف وعظماء السلف، وليس فى كتب اللغة التى عندنا تفسير الظلم إلا بوضع الشيء فى غير موضعه اللائق ومع هذا كله فضلاؤنا المتأخرون فسروا الظلم بالتصرف فى ملك الغير بغير إذنه قالوا: الظلم على الله محال، وما فطنوا بالفسادات الواردة على ذلك، وقد بينا ذلك فى رسالة مفردة/١٢وجيز للمصنف.

تلك المعجزة الخاصة التي تطلبون مني، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنكم تتبعون من جاء بتلك المعجزة، ثم قال مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: فليس ببدع منهم، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾: الكتب المقصورة على الحكم وعلى المواعظ، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الواضح المعنى المتضمن للشرائع والأحكام، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: وعد للمصدق، ووعيد للمكذب، ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: تعطون تاما جزاء أعمالكم، ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾: جنب، وبعد: ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالبغية، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: زخارفها، ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: كمتاع يدلس به على المستام[1] فيغر ويشتريه فمن اغتر بها وآثرها فهو مغرور، ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي: والله لتختبرن، ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾: بإهلاكه، والأمر بالإنفاق، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾: بالجهاد والقتل، والأمراض، والحقوق كالصلاة، والحج، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى[2] كَثِيرًا﴾، من هجاء الرسول، والطعن، وتشبيب النساء أمرهم بالصبر قبل الوقوع ليوطنوا أنفسهم عليه، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على الأذى، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾: أي الصبر، والتقوى، ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: معزوماتها[3] أي: التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله وأمر وبالغ فيه قال عطاء: من حقيقة الإيمان، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ أي: اذكره، ﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾:[4] بلسان أنبيائهم، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ

---

(١) المشترى/١٢.

(٢) من الطعن وتشبيب النساء، والتشبيب هو ذكر أوصاف الجمال، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف بنساء المؤمنين/١٢فتح.

(٣) يعني أن العزم مصدر بمعنى المفعول أي المعزوم عليه، والفاعل هو العبد أي: يجب عليه أن يعزم على ذلك، والله تعالى أراد وقطع وفرض أن يكون ذلك ويحصل قال الإمام المرزوقي: حقيقة العزم توطين النفس، وعقد التغلب ولذلك لم يجز على الله/١٢.

(٤) والظاهر أن المراد بأهل الكتاب كل من آتاه الله علم شيء من الكتاب أيّ كتاب كان كما يفيده التعريف الجنسي في الكتاب قال الحسن وقتادة: إن الآية عامة لكل عالم وكذا =

﴿لِلنَّاسِ﴾: حكاية لمخاطبتهم أى: والله لتبينن الكتاب بجملته لهم، ﴿وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ﴾ أى: الميثاق، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: هو مثل[1] فى ترك الاعتداد والاعتبار[2]، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ أخذوا بدله قليلاً من حطام الدنيــا، ﴿فَبِئْــسَ مَا يَشْــتَرُونَ[3]﴾: يختارون، ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ[4] تَحْسَبَنَّهُمْ﴾: تأكيد للأول، ﴿بِمَفَازَةٍ[5]﴾: منجاة، ﴿مِّنَ الْعَذَابِ﴾ أى: فائزين بالنجاة منه، ومن قرأ بالياء ففاعله الذين، ومفعوله الأول متصل بالتأكيد[6] ولا

= قال محمد بن كعب، ويدل على ذلك قول أبى هريرة: لولا ما أخذه الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية/١٢فتح.

(١) ونقيضه: جعله نصب عينيه، وألقاه بين عينيه/١٢منه.

(٢) اعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مختصا باليهود والنصارى فإنه لا يبعد أيضًا دخول المسلمين فيه لأنهم أهل القرآن وهو أشرف الكتب/١٢كبير. قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئًا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال أبو هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية/١٢ معالم، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سُئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار) أخرجه الترمذى/١٢فتح[صحيح، أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم من حديث أبى هريرة مرفوعًا، وانظر صحيح الجامع (٦٢٨٤)].

(٣) معناه أنهم أخفوا الحق ليتوسلوا به إلى وجدان شيء من الدنيا، فكل من لم يبين الحق للناس وكتم شيئا منه لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لقلوبهم أو لجر منفعة أو لتقية وخوف، أو لبخل بالعلم دخل تحت هذا الوعيد/١٢تفسير كبير.

(٤) والفاء للإشعار بأن أفعالهم المذكورة علة لمنع الحسبان والنهى عنه قال الزجاج: العرب تعيد إذا طالت القصة فى حسبت وما أشبهها إعلاما بأن الذى جرى متصل بالأول وتوكيد تقول لا تظنن زيدا إذا جاءك وكلمك بكذا أو كذا فلا تظنه صادقًا/١٢منه.

(٥) بمعنى فائزين ثانى مفعولى تحسبن/١٢.

(٦) يعنى: جعل التأكيد وهو لا تحسبن هو الفعل والفاعل إذ ليس المذكور سابقًا إلا الفعل والفاعل، فالضمير المنصوب المتصل بالتأكيد هو المفعول الأول، ولا حذف وهو أولى مما قاله الزمخشرى/١٢.

حذف، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم، وكتمانهم آيات الكتاب، وقد صح[1] أن مروان أرسل أحدًا إلى ابن عباس رضى الله عنهما وقال: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: مالكم وهذه إنما نزلت فى أهل الكتاب، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وأخبروه بغير الواقع، فظنوا أن قد استحمدوا[2] إليه بما أخبروه، وفرحوا بكتمانهم أو نزلت[3] فى قوم تخلفوا عن الغزو، ثم اعتذروا وحلفوا واستحمدوا وقيل فى المنافقين يفرحون بنفاقهم، ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فلا يعجز عن الانتقام .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ

---

(١) روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف/١٢منه[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٨)، ومسلم فى "صفات المنافقين" (٥/٦٤٨)].

(٢) أى: طلبوا الحمد متوسلين إليه بذلك/١٢، أى: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى/١٢[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٣)، ومسلم فى "صفات المنافقين" (٥/٦٤٨) ط الشعب].

بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾، هذه فى ارتفاعها واتساعها مع ما فيها من الكواكب المختلفة، وهذه فى انخفاضها، وكثافتها، وما فيها من البحار، والجبال، والأشجار، والأنهار، والزروع، والثمار. ﴿**وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ تعاقبهما، وتقارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا أو يقصر ذلك، ثم يعتدلان، ثم يطول الذى كان قصيرًا، ويقصر الذي كان طويلاً، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ﴿**لآيَات لأُوْلِي الأَلْبَاب**﴾: دلالات على الوجود، والوحدة والعلم، والقدرة لذوى العقول الخالصة، وقد ورد: "ويل لمن قرأها[1] و لم يتفكر فيها"، ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ**﴾، وصف لأولى الألباب، ﴿**قِيَاماً وَقُعُودًا**[2] **وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾: يصلون قائمين فإن لم يستطيعوا فقعودًا، فإن لم يستطيعوا فعلى جنب، أو المراد مداومة الذكر لأن الإنسان قلما يخلو عن إحدى هذه

---

(١) رواه ابن مردويه وابن حبان فى صحيحه/١٢.

(٢) قوله قيامًا مصدر بمعنى الفاعل، وقعودًا يحتمل أن يكون جمع قاعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطف على ما قبله/١٢ أى على قيامًا وقعودًا/١٢.

الحالات ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما أبدع فيهما استدلالا قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ[1] هَذَا﴾ أى: الخلق، ﴿بَاطِلاً﴾ أى: خلقًا عبثا بل خلقته لحكم عظيمة، ﴿سُبْحَانَكَ﴾: أنزه تنزيها لك من خلق العبث، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: علمنا أنك منزه عن خلق العبث، بل ليجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فقنا عذاب النار بحولك، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾ للخلود فيها فإنه الخزى كما قال تعالى (يوم لا يخزى الله النبى)(التحريم:٨) [2] إلخ، ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ[3]﴾، أهنته غاية الإهانة، وفيه إشعار بأن العذاب الروحانى أفظع، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ[4]﴾: ينصروهم فى الخروج من النار، وضع الظاهر موضع المضمر ليعلم أن سبب الخلود ظلمهم، وهذا دليل على أن المراد بالدخول هاهنا الخلود لأن للداخلين من المؤمنين أنصارا، ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ أى: محمدا عليه الصلاة والسلام أو القرآن، ﴿يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾، والنداء يعدى[5] بإلى، واللام لتضمنه معنى الانتهاء والاختصاص ﴿أَنْ آمِنُوا[6] بِرَبِّكُمْ﴾ أى: بأن آمنوا، ﴿فَآمَنَّا رَبَّنَا

---

(١) هذا إشارة إلى الخلق فى خلق السماوات على أن المراد به المخلوق أو إشارة إلى السماوات والأرض لأنهما فى معنى المخلوق، وباطلا صفة مصدر محذوف كما أشرنا إليه وقيل حال من هذا/١٢منه.

(٢) يعنى هذه الآية تدل على أن الإخزاء لا يكون للمؤمنين، ولا شك أن بعض المؤمنين بشؤم ذنوبهم يدخلون النار مدة أرادها الله فعلم أن المراد من الدخول هنا الخلود كما قال أنس وقتادة وسعيد بن المسيب/١٢منه.

(٣) العار والتخزية يبلغ من ابن آدم فى القيامة بين يدى الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار، روى الحافظ أبو يعلى الموصلى أنه قال عليه السلام/١٢منه.

(٤) قيل: النصرة هى الدفع بطريق الغلبة والشفاعة بطريق المسألة فنفى الناصر لا يدل على نفى الشفيع قال تعالى: (لا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) (البقرة:١٢٣)/١٢ قلت: وإن سلم فالمتبادر من نفى الناصر فى مثل هذا الموقع عدم الخلاص لهم بوجه من الوجوه، تأمل منصفًا/١٢.

(٥) يعنى أن فى الدعاء إلى الشيء والنداء له والهداية إليه اختصاصًا للفعل به وانتهاء إليه فسواء عبرت باللام التى للاختصاص أو بإلى التى لانتهاء الغاية حصل المقصود/١٢.

(٦) فإن مصدرية، وجاز أن يكون مفسرة بمعنى أي/١٢.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: كبائرنا، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: صغائرنا بقبول الطاعات ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾: معدودين فى زمرة الصالحين، ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ أى: على ألسنتهم أو على تصديق رسلك من الثواب فعلى الحقيقة استعاذة من سوء العاقبة مخافة ألايكونوا من الموعودين، ﴿وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾: لا تفضحنا على رءوس الأشهاد، ﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ[1] المِيعَادَ﴾ البعث بعد الموت، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: يعدى بنفسه وباللام ﴿أَنِّي﴾ أى: بأنى، ﴿لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾: بيان[2] عامل، ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾: فى الدين أو كلكم من آدم أو لأن الذكر من الأنثى، والأنثى من الذكر قالت[3] أم سلمة: يا رسول الله لا نسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى (فاستجاب لهم) إلخ. ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: تفصيل للأعمال، ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا﴾: الكفار، ﴿وَقُتِلُوا﴾: فى الجهاد، ﴿لأُكَفِّرَنَّ﴾: لأمحون، ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾: تحت أشجارها، ﴿ثَوَاباً[4] مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أى: لأثيبنهم ثوابًا من عند الله العظيم، ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: على الطاعات.

﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ﴾: من السعة والتبسط فى المكاسب والمزارع والمتاجر قال بعض المؤمنين: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن فى الجهد نزلت فالخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد غيره، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أى: ذلك التقلب متاع قليل لقلة مدته وفى جنب ما أعد الله للمؤمنين، ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ﴾: ما مهدوا

---

(١) قد صح عن ابن عباس أن الميعاد البعث بعد الموت وعدم خلف الميعاد بإثابة المطيع، وعقاب العاصى/١٢.

(٢) يعنى أنَّ مِنْ بيانية فالمراد بالعامل الشخص العامل ليعم الذكر والأنثى/١٢.

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه، وقال: صحيح على شرط البخارى، و لم يخرجه/١٢منه[وهو كما قال وأخرجه أيضًا الترمذى والطبرانى وغيرهما، وانظر صحيح سنن الترمذى(٢٤٢٠)].

(٤) يعنى أن ثوابا مصدر مؤكد فإن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأثيبنكم لا أن تقدر عامله كما يظهر من كلامنا بادى الرأى/١٢.

لأنفسهم، أو الفراش جهنم، ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: هو ما يعد للنازل، ونصبه على الحال من جنات، والعامل الظرف، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾: مما يتقلب فيه الفجار فى الدنيا، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، دخلت اللام على اسم إن للفصل بالظرف نزلت[1] لما توفى النجاشى، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى كما يصلى على الجنائز فقال المنافقون: تصلى على علج[2] مات بأرض الحبشة أو فى ابن سلام وأصحابه، أو فى جمع من الحبشة والروم أسلموا أو فى مؤمنى أهل الكتاب كلهم، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من كتبهم، ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾، حال من فاعل يؤمن، ﴿لاَ يَشْتَرُونَ﴾، حال آخر، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾: لا يأخذونه بدلها كما يفعله المحرفون ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، فالأجل الموعود سريع الوصول إليهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾: على دينكم وعلى أمر الله أو على البلاء، ﴿وَصَابِرُوا﴾: على عدوكم، ﴿وَرَابِطُوا﴾ أنفسكم فى مكان العبادة أى داوموا أو أبدانكم[3] وخيولكم فى الثغور أو المراد انتظار الصلاة بعد[4] الصلاة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى جميع الأمور وفيما بينه وبينكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكى تفلحوا فى الدنيا، والآخرة.

والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وأتمه.

---

(١) رواه ابن مردويه وابن جرير عن قتادة وروى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك/١٢منه[حسن، أخرجه النسائى فى "التفسير"].

(٢) العلج الكافر الضخم/١٢.

(٣) هذا قول مقاتل والسدى وغيرهما/١٢منه.

(٤) هكذا قال ابن عباس وسهل بن حبيب ومحمد بن كعب وغيرهم، وفى مسلم والنسائى (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)/١٢وجيز[أخرجه مسلم فى "الطهارة"].

سورة النساء

وهی مائة وست وسبعون آية وأربعة وعشرون ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا
وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ
وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا
تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ
خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾
وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا
مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ
فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ
ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا
وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾
لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ
ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ
أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا

مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ﴾: [1] هي آدم. ﴿وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء من ضلع من أضلاعها. ﴿وَبَثَّ﴾:نشر. ﴿مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَّنِسَاءً﴾ أي: كثيرًا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ﴾ أي: تتساءلون فيما بينكم حوائجكم به، كما تقولون: أسألك بالله، أدغمت التاء الثانية فى السين، وقرئ بطرحها ﴿وَالأَرْحَامَ[2]﴾ أي: اتقوا الأرحام أن تقطعوها[3] ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً[4]﴾ حافظا مطلعًا فاتقوه.

﴿وَءاتُوا الْيَتَامَى[5] أَمْوَالَهُمْ﴾ نزلت فى رجل معه مال لابن أخ يتيم له فطلبه بعد البلوغ ومنعه ﴿وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: ولا تستبدلوا حرام أموالهم بحلال

---

(١) فلا فخر لأحد على أحد، والقادر على خلق أشخاص مختلفين من شخص واحد قادر على إحيائهم بعد الموت /١٢ وجيز.

(٢) وفيه عظيم مبالغة فى اجتناب قطع الرحم/١٢.

(٣) هكذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وجمع لا يحصى من السلف، وقيل: عطف على محل به فإن العرب كثيرًا مايقولون: أسألك بالله وبالرحم، وقراءة من قرءوا الأرحام بالجر مشعر بذلك/ ١٢ منه، وفى الوجيز لكن الوجه الأول أولى؛ لأنه ليس فى السؤال بالأرحام ترغيب فى تقوى الله، ولا فائدة فى ذكر الأرحام أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها/ ١٢.

(٤) لما أمرهم بالتقوى عن مخالفة أمر الله تعالى الذي هو رقيب على جميع أحوالهم نبأهم عن أقبح شيء منهم فقال: (وآتوا اليتامى) الآية/ ١٢ وجيز.

(٥) أي: آتوا اليتامى إذا بلغوا، وفيه إشارة وحث على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يعلم الإزالة اسم اليتيم عنهم/ ١٢ وجيز.

أموالكم، نقل أنهم كانوا يأخذون الجيد من مال اليتامى ويجعلون مكانه الردى فنزلت، وعلى هذا أيضًا الجيد هو الخبيث باعتبار حرمته فلا يرد عليه شيء ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾: منضمة. ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي[1] : لا تنفقوهما معًا ﴿إِنَّهُ﴾: الضمير للأكل. ﴿كَانَ حُوباً﴾: إثما ﴿كَبِيراً ﴾.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا﴾: تعدلوا. ﴿فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ أى: إن خفتم يا أولياء اليتامى ألاّ تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من[2] الغرائب، وإن خفتم ألاّ تعدلوا فى اليتامى فخافوا أيضًا من عدم العدل بين النساء فانكحوا مقدارًا يمكنكم الوفاء بحقوقه أي: كما تخافون هذا فخافوا ذاك أيضًا، أو كما خفتم من ولاية اليتامى فخافوا من الزنا فانكحوا ما طاب لكم ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ[3] ﴾ أى: اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة حال مما طاب ﴿فَإِنْ

---

(١) قوله: "إلى أموالكم" الأولى ألاّ يكون قيدا احترازيا بل جيء لتقبيح فعلهم نهيا عما صدر عنهم كما في: "أضعافًا مضاعفة".

(٢) المعنى الأول هو الثابت في صحيح البخاري عن عائشة -رضى الله عنها- في سبب نزولها وهو الأوفق بوجوه، والوجه الثانى منقول عن ابن عباس، والثالث عن مجاهد وغيره/ ١٢.[حديث عائشة: أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ (٤٥٧٤)]

(٣) وضع البخاري بابًا فى صحيحه فقال: "باب لا يتزوج أكثر من أربع لقوله تعالى: "مثنى وثلاث ورباع" . وقال على بن الحسين: يعني مثنى أو ثلاث أو رباع، قال ابن حجر فى شرحه فتح الباري: وهذا من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة لكونه من تفسير زين العابدين وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم، وأيضًا قال قبل ذلك بعدة أبواب فى شرح حديث "كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع نسوة" حديث قد اتفق العلماء على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم الزيادة على أربع نسوة يجمع بينهن. انتهى، وعن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة أسلم وله عشر نسوة =

خفتُم أَلاَّ تَعدلُوا﴾: بين هذه الأعداد أيضًا. ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أى: فاختاروها ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوى بين واحدة والسراري من غير تعيين عدد فإنه لاقسم بينهن[1] وعبر عن النساء بما فى الموضعين لنقصان عقلهن أو ذهابًا إلى الصّفة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التقليل، أو اختيار الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾: أقرب ألاّ تميلوا ولا تجوروا.

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾: الخطاب للأزواج أو الأولياء؛ لأهم كانوا يأخذون مهور مولياهم ﴿نِحْلَةً﴾ أي : فريضة أو عطية وهبة عن طيب نفس، مصدر أي: إيتاء نحلة ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ الضمير للصداق أو للإيتاء، ونفسًا تمييز، وعدى الطيب بعن لتضمين معنى التجافي أي: إن وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ هَنَأَ الطعام ومَرَأَ إذا ساغ من غير غص، صفتان أقيمتا مقام المصدر أو صفة مصدر أو حال.

﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ هم النساء والصبيان كما قال[2] ابن عباس: لا تعمد إلى ما جعله الله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو أولادك ثم تنظر إلى مافى أيديهم لكن أمسكه وأصلحه وكن أنت منفقا عليهم[3] ، أو اليتامى فيكون منعا للأولياء من إعطاء

= فأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخير منهن أربعًا. رواه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم وأعله البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم، وذكر هذا الحديث ابن حجر فى بلوغ المرام مع هذا البيان، وقال محي السنة الإمام البغوي في معالم التنزيل: وهذا إجماع أن أحدا من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة. انتهى.

(١) وترك القسم من الكبائر فقد ورد فى الحديث اللعن على تاركه/١٢ وجيز.

(٢) وكثير من السلف/ ١٢ وجيز.

(٣) وعلى هذا السفهاء باعتبار بعض منهم وهو النساء والصغار وغير الراشدين من الأولاد/ ١٢ وجيز.

الذين لا رشد لهم أموالهم، وإضافة المال إلى الأولياء لأنه في تصرفهم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: تقومون وتنتعشون بها، فعلى الثاني تأويله التي من جنس ما جعله الله لكم قيامًا، وسمى ما به القيام قيامًا مبالغة ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ اجعلوا لهم فيها رزقا وكسوة بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ قولا لينا يطيب به أنفسهم.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾: اختبروهم قبل البلوغ في عقلهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كناية عن البلوغ، لأنه عند البلوغ يصلح للنكاح ﴿فَإِنْ آنَسْتُم﴾: أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْداً﴾ صلاحًا في الدين والمال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فدفع المال بعد البلوغ بشرط الرشد ﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً﴾ حال، أو مفعول له ﴿أَن يَكْبَرُوا﴾ أي: مسرفين مبادرين كبرهم مخافة نزعها عن أيديكم عند كبرهم ﴿وَمَن كَانَ غَنِياًّ﴾ من الأوصياء ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: من أكل شيء منها ﴿وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ[1]﴾ أجرة مثله، أو القرض فيجب الأداء، أو لا يأكل إلا أن يضطر كأكل الميتة ويقضي، أو لا يأكل إلا بقدر الحاجة ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ بعد البلوغ والرشد ﴿فَأَشْهِدُوا[2] عَلَيْهِمْ﴾ بقبضهم، وهذا أمر إرشاد لقطع الخصومة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾: محاسبًا فاعدلوا في أموالهم.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ[3] مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ أي: المتوارثون بالقرابة ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل مما ترك

---

(١) وظاهر القرآن أن الوصي الغني لا يجوز له أكل شيء من ماله بوجه من الوجوه، وأن الوصي الفقير جاز أكله قدر أجرة الحفظ ولا تبعة عليه في الدنيا ولا في الدين/ ١٢ وجيز.

(٢) وظاهر القرآن وجوب الإشهاد لكن الأكثرون على أنه أمر إرشاد/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما ذكر حال مال اليتامى كان سائلا يسأل من أين لليتامى مال؟ فقال: للرجال.

﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ مصدر مؤكد، أو بتقدير: أعني، نزلت لما كانوا يجعلــــون المــال للرجال الكبار دون النساء والأطفال[١] .

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: قسمة الميراث ﴿أُوْلُوا الْقُرْبَى﴾: ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَــــامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾: مما ترك، وهو أمر ندب للبلّغ، أو أمر وجــوب علــى الصغير والكبير منسوخ[٢] أو غير منسوخ، أو المراد أن الميت يوصي لهم، أو واجب مما طابت به النفس[٣] ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾: هو أن يدعو لهم ويلطف فى العبارة معهم، وإن كانت الورثة صغارًا اعتذروا[٤] إليهم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُــوا اللَّــهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ أمر لمن حضر الميت بأن يخشوا على أولاد المريض خشـــيتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضرّ بهم بصرف المال عنهم ويســـددوه للصــواب، أو للأولياء بأن يخشوا الله ويتقوه فى أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريـــهم بعد وفاتهم، وأن يقولوا لليتامى بالشفقة وحسن الأدب ولو بما في حيزه صلة للذين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾: ظالمين أو على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ[٥] نَاراً﴾: ملء بطونهم ما يجر إلى النار، وقد نقل أن في القيامة يخرج لهب

---

(١) وقوم من يونان لا يعطون إلا للبنات فرد على الفريقين/ ١٢ وجيز.

(٢) هذا صح عن ابن عباس/ ١٢ منه.

(٣) كثير من السلف على أنه يجب عليهم أن يرزقوهم إذا حضروا بشرط أن يطيـــب بــه نفوس أهل الميراث/ ١٢ منه.

(٤) كأن يقول الولي: إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار ولـــو كـــان لي منـــه شـــيء لأعطيتكم، وإن يكبروا فسيوفون حقكم. هذا هو القول بالمعروف، هكذا نقل عن ابــن عباس/ ١٢ منه.

(٥) حقيقة فقال -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء: "رأيت قوما لهم مشـــافر كمشـــافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج مـــن =

النار من فيه ومسامعه وأنفه وعينه يعرفه من رآه ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ وسيدخلون نارًا.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

= أسافلهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا"./ ١٢ وجيز.[أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٨٧/٤) وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤٨٨٤) من طريق: أبو هاردن العبدي عن أبي سعيد الخدري.]

خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿**يُوصِيكُمُ**[1] **اللَّهُ**﴾: يعهد إليكم ﴿**فِي أَوْلادِكُمْ**﴾ فى شأن ميراثهم ﴿**لِلذَّكَرِ**﴾ منهم ﴿**مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**[2] **فَإِن كُنَّ**﴾ أى: المولودات ﴿**نِسَاءً**﴾ خلصًا ليس معهن ذكر ﴿**فَوْقَ اثْنَتَيْنِ**﴾ صفة نساء ﴿**فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ**﴾ المتوفى منكم ﴿**وَإِن كَانَتْ**﴾ المولودة ﴿**وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**[3]﴾ وللبنتين حكم ما فوقهما، لأنهما أمس[4] رحمًا من الأختين، وقد فرض لهما الثلثين بقوله: فلهما الثلثان مما ترك، وقيل: لفظ الفوق صلة زائدة وما فوق الواحدة جماعة ﴿**وَلأَبَوَيْهِ**[5]﴾ أى: الميت ﴿**لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا**﴾ بدل ﴿**السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ**﴾: للميت ﴿**وَلَدٌ**﴾ ذكر أو أنثى، يعني: بطريق الفرضية ﴿**فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ**﴾ فحسب ﴿**فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ**﴾ يعني: وللأب الباقي وهو الثلثان ﴿**فَإِن كَانَ لَهُ**﴾: للميت ﴿**إِخْوَةٌ**[6]﴾ وحكم الأخوين كحكم الأخوة[7] ﴿**فَلأُمِّهِ**

---

(١) لما أبهم في قوله: ﴿ نصيب مما ترك الوالدان﴾ فى المقدار وأبهم الأقربين بين الكل فقال: ﴿يوصيكم الله﴾/ ١٢ وجيز.

(٢) أنث الضمير مع أنه راجع إلى الأولاد، لتأويل المولودات أو باعتبار الخبر/١٢.

(٣) وفيه دليل على أن الواحد له جميع المال، لأن للذكر مثل حظ الأنثيين وللواحدة النصف/ ١٢ وجيز.

(٤) أقرب ١٢ .

(٥) ولما ذكر الفروع ومقدار ما يرثون أخذ فى ذكر الأصول ومقدار مايرثون فقال: "ولأبوية" الآية/ ١٢ وجيز.

(٦) أعم من أن يكونوا من أب وأم أو من أحدهما، وأعم من أن يكونوا ذكورا أو إناثا/ ١٢ وجيز.

(٧) خلافا لابن عباس فإن الأخوين عنده كواحد خلافًا للجمهور/ ١٢ وجيز.

﴿السُّدُسُ﴾ وإن كانوا لا يرثون مع الأب[1] ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ[2]﴾ أي: هذه الأنصباء للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين، وقدم الوصية على الدين وإن كان الدين مقدمًا حكمًا، لأنها تشبه الميراث شاقة على الورثة ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾: لا تعرفون من أنفع لكم من أصولكم وفروعكم، فاتبعوا ما قررت لكم من الميراث ولا تكونوا على ما كنتم عليه فى الجاهلية من حرمان النساء والأطفال، وعلى ما كان عليه الأمر فى ابتداء الإسلام من كون المال للولد، وللأبوين الوصية ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر يوصيكم الله، لأنه فى معنى: يفرض عليكم أو مصدر مؤكد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾ بالمصالح ﴿حَكِيماً﴾ فيما قضى.

﴿وَلَكُمْ[3] نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وسواء فى الربع والثمن الواحدة والأكثر ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾: منه ﴿[4] كَلاَلَةً﴾

---

(١) لا يرثون مع الأب خلافًا لابن عباس فعنده أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عن الأم، والجمهور على أن الباقي وهو خمسة أسداس للأب/ ١٢ وجيز.

(٢) وليس تعلق الوصية والدين بالتركة سواء، إذ لو هلك من التركة شيء قبل القسمة ذهب من التركة والموصى فيه، ولا يسقط من الدين بهلاك شئ من التركة وأو هنا كأو فى جالس الحسن أو ابن سيرين/ ١٢ وجيز للمصنف.

(٣) لما ذكر ميراث الفروع من الأصول وميراث الأصول من الفروع أخذ في ذكر ميراث المتصلين بالسبب وهو الزوجية فقال: "ولكم نصف" آية.

(٤) كلالة مصدر من تكلله النسب أي: أحاط به، وبه سمي الإكليل لإحاطته بالرأس، وهو الميت الذى لا ولد له ولا والد،، قال ابن كثير: وبه يقول أهل المدينة والكوفة والبصرة،
=

لا ولد له فيورث: صفة رجل من ورث، وكلالة: خبر كان، والرجل هو الميت **﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾** عطف على رجل **﴿وَلَهُ﴾** أي: للرجل، ومنه يعلم حكم المرأة فاكتفي به **﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾** من الأم بالإجماع وهو مذكور فى بعض القراءة **﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا﴾** الضمير لمن يرث، وجمعه محمول على المعنى **﴿أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ﴾** أي: من واحد **﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾** ذكرا كانوا أو أنثى **﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ[1] ﴾** لورثته بحرمان بعضهم أو زيادة أو تنقيص مما قدر من الفريضة، ولا يكون غرضه من الوصية الإضرار بل القربة، حال من فاعل يوصى، وفى قراءة البناء للمفعول ما يدل عليه وهو الفاعل المتروك **﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾** مصدر أو مفعول به لغير مضار **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾**: بالمضار وغيره **﴿حَلِيمٌ﴾** لا يعاجل بعقوبته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي[2] : ما تقدمت من الأحكام شرائعه التي كالحدود التي لا يجوز مجاوزتها **﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾**: من تحت أشجارها **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾** جمعه باعتبار المعنى **﴿وَذَلِكَ﴾** أي: الخلــود فيها **﴿الفَــوْزُ العَظِيمُ﴾**.

= وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد حكى الإجماع غير واحد وورد فيه حديث مرفوع انتهى/ ١٢ فتح.

(١) يعني: غير مضار حال مما يدل يوصى عليه/ ١٢.

(٢) وقد ورد في الترغيب في تعلم علم الفرائض وتعليمها أحاديث وآثار وهو ركن من أركان الشريعة، وذكروا من تخاريج هذا العلم ما لم يكن له مستند إلا محض الرأي، وليس مجرد الرأي مستحقًا للتدوين فلكل عالم رأيه واجتهاده مع عدم الدليل، ولا حجة في اجتهاد بعض أهل العلم على البعض الآخر، ويكفيك منه ما ثبت فى الكتاب والسنة وما عرض لك مما لم يكن فيهما، فاجتهد فيه برأيك عملاً بحديث معاذ –رضي الله عنه– المشهور/ ١٢ فتح.

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ يتجاوزه ﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لأنه لم[1] يرض بما قسم الله وحكم به بل ضاد في حكمه، وخالدين: حال وكذا خالدًا لا صفة جنات ونارًا؛ لأنه لا بد أن يقول حينئذ: خالدين هم وخالدا هو فيها؛ لأنهما جريا على غير من هما له .

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) وفي الحديث الذي ذكره الإمام أحمد وأبو داود في سننه: "أن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى خان في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخله الجنة، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم﴿تلك حدود الله﴾ إلى قوله ﴿عذاب مهين﴾ فدل الحديث على أن الحيف في الوصية يورث سوء العاقبة فلا إشكال، ولما ذكر العصيان وتعدي الحدود وذكر عقبه الفرد الأفحش مع أن الإرث لا يكون إلا فيما هو من نسب النكاح لا من السفاح/١٢.[أخرجه ابن ماجه (٢٧٠٤) وقال الشيخ أحمد شاكر في طتعليقه على المسند" (٧٧٢٨): إسناده صحيح. وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن ماجه" .]

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

﴿واللاتي يأتين﴾:يفعلن **﴿الفاحشة[١]﴾** الزنا **﴿من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾** من رجال المسلمين **﴿فإن شهدوا فأمسكوهن﴾** أجلسوهن **﴿في البيوت حتى يتوفاهن الموت﴾** أي: ملائكة الموت، أو يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن كان ذلك عقوبتهن في بدء الإسلام فنسخ بالحد **﴿أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾** السبيل الذى جعله الله هو الناسخ لذلك.

﴿واللذان﴾ أي: الرجل والمرأة **﴿يأتيانها﴾** أى: الفاحشة **﴿منكم فآذوهما﴾** بالشتم والتعيير والضرب بالنعال وكان الحكم كذلك حتى نسخ، وعن بعضهم: أها نزلت فى الفتيان قبل أن يتزوجوا أو في الرجلين إذا عملا عمل قوم لوط[٢] والظاهر أن الإيذاء

---

(١) هي الزنا بإطباق المفسرين سوى مجاهد فإنها عنده هي المساحقة وفي اللذان يأتيانها عنده اللواطة/ ١٢.

(٢) وظاهر القرآن يناسب قول مجاهد أن اللاتى فى السحاقات واللذان فى اللواط/ ١٢ وجيز.

مشترك بين الرجل والمرأة والحبس خاصة المرأة، فإذا تابا أزيل الإيذاء عنهما وبقي الحبس عليها، وقيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً، وكانت عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد ﴿فَإِن تَابَا﴾ من الفاحشة ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ اتركوا أذاهما ولا تعنفوهما بعدُ بكلامٍ قبيحٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ليس قبول التوبة واجبا على الله بمقتضى وعده لأحد إلا ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ ملتبسين ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ أجمع الصحابة على أن من عصى الله عمدًا أو خطأ فهو بجهالة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ زمان قريب قبل معاينة الموت، أو قبل أن يحيط السوء[1] بحسناته فيحبطها، أو في صحته قبل مرض موته ﴿فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ تاب الله عليه قبل توبته وغفر ذنبه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بنياتهم ﴿حَكِيماً﴾ بأفعاله.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ أي: منفية قبولها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي: لا توبة لهؤلاء الفريقين؛ فإنه كما لا تقبل توبة الآخرة لا تقبل توبة الدنيا حين الاحتضار ﴿أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا[2] لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ الاعتداد: التهيئة.

---

(١) قال الله تعالى: "ولم يصروا على ما فعلوا" ذكر في الإحياء: معناه عن قرب العهد بالخطيئة بأن يندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يدفعها قبل أن يتراكم الذنب على القلب فلا يقبل المحو، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "أتبع السيئة الحسنة تمحها".

(٢) إذا كان المراد من الذين يعملون السيئات المنافقين أو الكفار مطلقًا فلا إشكال، أما إذا أريد الفسقة أعم من أن يكونوا مؤمنين أو كافرين، ففي قوله: "أعتدنا لهم عذابا أليما" إشكال على مذهب أهل السنة إلا أن يقال: لما كان معدًا للأكثرين جعل حكمهم حكم الكل، أو يقال: المراد أعتدنا لهم إن لم نعف عنهم والعفو لا يكون إلا من بعض فساق المؤمنين/ ١٢ فتأمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا[1] النِّسَاءَ﴾: أي: ذواتهن ﴿كَرْهاً﴾ في الجاهلية إذا مات زوج امرأة ورث امرأته من يرث ماله إذا ألقى عليها ثوبا فإن شاء تزوجها بغير صداق، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها، وإن شاء منعها من الأزواج لتموت فيرث، أو لتعطى ما ورثت من الميت، وإن انفلتت قبل أن يلقي عليها ثوبًا نجت فنهى الله عنه، وكرها حال أي: كارهات ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ كان للرجل امرأة كاره هو صحبتها فيقهرها ويضرها لتحل مهرها أو حقا من حقوقها فالخطاب للأزواج، وأصل العضل التضييق، وهو عطف على ﴿أن ترثوا﴾ ولا لتأكيد النفي ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ[2] مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: الزنا أو النشوز والعصيان أو أعم أي: لا تضجروهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة فإنه جاز ضجرها لتخالعه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أجملوا بالقول والفعل معهن ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا عليهن ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ مثل أن يرزق منها ولدٌ ويكون في الولد خير كثير.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ طلاق امرأة وتزوج أخرى ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ الضمير للزوج، لأن المراد منها الجنس[3] ﴿قِنطَاراً[4]﴾ مالا كثيرًا[5] أي:

---

(١) يعني ترثوا عيان النساء وذواتهن/ ١٢ منه.

(٢) تفسير الفاحشة بالزنا قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي وابن سيرين وابن جبير ومجاهد وعكرمة وغيرهم، قالوا: إذا زنت فله استرجاع الصداق وضجرها لتركه، والتفسير الثاني للضحاك وعكرمة أيضًا، والثالث اختيار ابن جرير/ ١٢ ج.

(٣) فجمعه باعتبار معناه/ ١٢.

(٤) تفسير القنطار مع اختلاف فيه قد مر في سورة البقرة/ ١٢ ج.

(٥) واستدل بها على جواز المغالاة في الصداق/١٢ وجيز.

وقد جعلتم صداقهن قنطارا ﴿فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ من القنطار ﴿شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ أي أتأخذونه باهتين آثمين، أو مفعول له نحو: قعدت عن الحرب جبنًا، فإنهم إذا أرادوا طلاق امرأة نسبوها إلى فاحشة لتفتدى صداقها، أو حال من المفعول أي: ظلما وإثما ظاهرًا، وفيه ما لا يخفى[1] من المبالغة.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: شيئًا من الصداق ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ والحال أنه وصل إليه، وهو كناية عن الجماع ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ هو العقد أو ما أخذ الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخذتموهن[2] بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله".

﴿وَلاَ تَنكِحُوا[3] مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم﴾ كان نكاح زوجات الآباء معمولاً به فى الجاهلية ﴿مِّنَ النِّسَاءِ﴾ بيان ما، وعبر بما لأنه أراد به الصفة ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الاستثناء من لازم النهي أي: تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف، أو منقطع أى: لكن ما قد سلف فإنه معفو عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أى: نكاحهن ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ أقبح المعاصى ﴿وَمَقْتاً﴾ وبغضًا شديدًا من الله ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً[4]﴾ وبئس ذلك طريقًا.

---

(١) على الوجه الأخير الذى يكون حالا من المفعول، لأنه جعله نفس الظلم والإثم/ ١٢.

(٢) في صحيح مسلم أنه قال عليه السلام في خطبته في حجة الوداع: "واستوصوا بالنساء خيرًا فإنكم أخذتموهن" إلخ وكلمة الله هي: التشهد في خطبة النكاح.[أخرجه مسلم في "الحج"/ باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٣/٣٣٣) ط الشعب.]

(٣) قال جماعة: المراد به العقد الصحيح لا الزنا، فالمراد مما سلف تعاطي الزنا فإنه جائز لكم ازدواجهن في الإسلام/ ١٢.

(٤) وعن البراء بن عازب قال: "لقيت خالى ومعه راية فقلت: أين تريد؟ فقال: أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن أضرب عنقه" =

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣) * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)﴾

= رواه ابن ماجه وغيره، ونقل ابن خيثمة عن يحيى بن معين أنه حديث صحيح، وهذا محمول على أنه مرتد لاستحلاله ذلك/ ١٢ وجيز.[وأبو داود (٤٤٥٧) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٧٤٤).]

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ أي: حرم نكاحهن ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾ الربيبة بنت زوجته ﴿اللاَّتِي[1] فِي حُجُورِكُم﴾ في تربيتكم وبيتكم، وهذا القيد خرج مخرج الغالب لا أنه تقييد الحرمة، وقد صح عن على كرم الله وجهه أنه جعله شرطًا، وإليه ذهب داود الظاهري وابن حزم، ونقل عن المالك ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي: دخلتم معهن في ستر، وهو كناية عن الجماع، ومن ابتدائية متعلقة بالربائب، وعن عليّ وزيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير ومجاهد وابن عباس رضى الله عنهم أنه قيد لأمهات النساء والربائب فيكون من لاتصال الشيء بالشيء حينئذ لا للابتداء، أي: أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن ﴿فَإِن[2] لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاحهن، وهذا تصريح بالمقصود ﴿وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ لا من تبنيتموه، وأما امرأة ابنه من الرضاعة فيعلم حكمها من حديث "يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب"(*) ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ في النكاح، وكذا جماعهما في ملك اليمين

---

(١) روى ابن أبي حاتم عن مالك بن أوس أنه قال: كانت عندى امرأة فماتت فلقيت علي بن أبي طالب فأخبرته فقال: أليس لها ابنة، فقلت: نعم وهي بالطائف، قال: كانت فى حجركم، قلت: لا هي بالطائف، قال: فانكحها قلت: فأين قوله: "وربائبكم اللاتي في حجوركم" آية قال: إنها لم تكن فى حجوركم، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: إسناده قوي ثابت على شرط مسلم، وهو قول غريب.

(٢) في نكاحهن وهذا التصريح بالمقصود مشعر بأن قوله: ﴿اللاتى فى حجوركم﴾ ليس شرطًا حيث لم يقل: فإن لم يكن فى حجوركم و لم تكونوا دخلتم بهن/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "الشهادات"/ باب: الشهادة على الأنساب (٢٦٤٥) ومسلم في "الرضاعة"/ باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب (٣/٦٢٦) ط الشعب.]

على الصحيح، وهو في محل الرفع عطف على المحرمات ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لكن ما مضى مغفور ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ذوات الأزواج ﴿إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بالسبي فإنها تحل بعد الاستبراء مع أن لهن أزواجًا من الكفار، وعن بعض من السلف أن بيع الأمة طلاق لها من زوجها فتحل لسيدها لعموم الآية ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابًا ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ عطف على حرمت أي: ما سوى المحرمات المذكورات، وما في معنى المذكورات الذي علم بالسنة[1] ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مفعول له أي: أحل ما وراء ذلك لأن تطلبوا ما وراءه بصرف الأموال في المهر والثمن[2] حال كونكم محصنين ناكحين غير مسافحين زانين، ومفعول تبتغوا متروك كأنه قيل: إن تصرفوا أموالكم، أو بدل اشتمال من وراء، والمفعول محذوف ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ موصولة أي: من تمتعتم به من المنكوحات، أو موصوفة أي: ما استمتعتم به منهن من جماع ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿فَرِيضَةً﴾ حال أو مصدر مؤكد أو صفة لمصدر أي: إيتاء مفروضًا، قال بعض السلف[3]: الآية في نكاح المتعة، وقد صح[4] عن علي أن

---

(١) كالجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها/ ١٢ وجيز.

(٢) أي: للسراري/ ١٢.

(٣) حتى أن ابن مسعود وأُبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرءون "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة"/ ١٢.

(٤) في الصحيحين/ ١٢ منه.[أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: غزوة خيبر (٤٢١٦) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "النكاح" / باب: نكاح المتعة (٥٦٢/٣) ط الشعب.]

نكاح[١] المتعة نسخت يوم خيبر ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ﴾ من إبراء الصداق أو بعضه، ومن حمل ما قبله على المتعة فعنده معناه إذا عقدتم إلى أجل بمال وتم الأجل إن شاءت[٢] زادت في الأجل وزاد في الأجر وإلا فارقها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾ بالمصالح ﴿حَكِيماً﴾ في أحكامه.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ[٣] طَوْلاً﴾ فضلاً وزيادة فى المال يبلغ بها نكاح المحصنات، فهو مفعول يستطع[٤] ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: الحرائر متعلق بطولا على حذف حرف الجر أي: إلى أن ينكح ﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ أي: فلينكح أمة غيره ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فلا يجوز نكاح الأمة الكتابية، وقال بعضهم[٥] : طول المحصنات هو أن يملك فراشها على أن النكاح الجماع، وحمل قوله: "من فتياتكم المؤمنات" على الإرشاد بالأفضل فعنده جاز نكاح الأمة الكتابية إذا لم يكن تحته حرة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان والله أعلم بالسرائر ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أنتم وأرقائكم فى النسب والدين متناسبون فلا تستنكفوا عنها عند الحاجة ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: أربابهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بغير نقص ومطل استهانة بهن ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عفائف حال من مفعول

---

(١) ذهب عامة أهل العلم إلى أن نكاح المتعة حرام والآية منسوخة، وكان ابن عباس يذهب إلى أن الآية محكمة وترخص فى نكاح المتعة، وقيل: إن ابن عباس رجع عن ذلك كذا فى المعلم/ ١٢.

(٢) يعنى لا جناح عليكم فيم تراضيتم به من الفراق أو الوصال ومزيد الأجر من بعد الفريضة المال المعين فى الحق/ ١٢.

(٣) وقيل: من طال على الأمر إذا غلبه وتمكن منه، فتقديره: على أن ينكح/ ١٢ وجيز.

(٤) أي: لم يستطع زيادة فى الحال/ ١٢ منه.

(٥) أبو حنيفة وأصحابه/ ١٢ منه.

فانكحوا ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ[1]﴾ مجاهرات بالزنا ﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أحباب يزنون بهن فى السر. كانت العرب تحرم الأولى لا الثانية ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ بالتزوج، ومن قرأ بفتح الهمزة والصاد فمعناه: حفظن فروجهن أو أسلمن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبكار ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحد، والجمهور على أن حد الأمة مزوجة أو بكرا خمسون جلدة؛ ففائدة الشرط نفي ما يتوهم من تفاوت حالهن قبل التزوج وبعده كما في الحرائر[2] وعند بعض السلف أنه لا حد على غير المحصنة منها بل تضرب تأديبًا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأمة ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ[3] مِنكُمْ﴾ أي: خاف الوقوع في الزنا، يعني: المشقة بغلبة الشهوة فلنكاح الأمة شرطان: عدم الطول وخوف العنت ﴿وَأَن تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح الأمة مع العفاف ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لئلا يصير[4] الولد عبدًا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصب ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأن رخص.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ

(١) السفاح مذموم عند الكل لكن الاختصاص بواحد فى السر لايذمه العرب فى الجاهلية/ ١٢ منه.

(٢) فإن حال الحرائر بعد التزوج ليس كحالها قبل التزوج فربما يوهم أن الاماء أيضًا كذلك/ ١٢ منه.

(٣) أصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة/ ١٢ وجيز.

(٤) وفى سنن ابن ماجة قال صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرًا فليتزوج الحرائر" / ١٢ وجيز.[وأخرجه ابن عدي (٢/١٦٤) وعنه ابن عساكر (١/٢٨٤/٤) كما قال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٤١٧).]

أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ**﴾ ما خفي من الشرائع عليكم. واللام زائدة، وأن يبين مفعول يريد ﴿**وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم**﴾ شرائعهم[1] ومناهجهم المحمودة كملة إبراهيم ﴿**وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ**﴾ من المآثم والمحارم ويعفو عنكم ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾ بمصالحكم ﴿**حَكِيمٌ**﴾ فيما قرر وقدر.

﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ**﴾ إن صدر عنكم تقصير ﴿**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ**[2]﴾ الزناة أو اليهود والنصارى أو المجوس الذين يحلون نكاح

---

(١) وعند صاحب البحران "سنن الذين" متعلق بيبين ويهدي على سبيل التنازع/ ١٢ وجيز.

(٢) في التكاليف الشرعية قمع النفس وردها عن مشتهياتها واتباع شهواتها سبب لكل مذمة وكل كافر وفاسق يتبع لها/ ١٢ وجيز.

الأخت وبناهما أو أهل الباطل ﴿أَن تَمِيلُوا﴾ عن الحق ﴿مَيْلاً عَظِيماً﴾ على اتباع الشهوات.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ في شرائعه، ولهذا رخص لكم نكاح الأمة ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ فيناسبه التخفيف لضعفه فى نفسه وضعف همته، أو فى الصبر عن النساء فإنه يذهب عقله عندهن.

﴿يَا أَيُّهَا[١] الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام كالسرقة والقمار ونحوهما ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ لكن كون تجارة صادرة عن تراض بين المتبايعين غير منهى عنه؛ فالاستثناء منقطع، ومن قرأ تجارة بالنصب تقديره: يكون التجارة تجارة، ومن قرأ بالرفع فيكون كان تامة ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ من كان من جنسكم من المؤمنين أو بإلقائها إلى التهلكة[٢] أو أراد قتل المسلم نفسه

---

(١) ولما ذكر أجور المحصنات وأثمان السرارى ومنع الزنا سرًّا وعلانية وأن الإنسان ضعيف لا طاقة له على المشاق أراد أن يوطن انفسهم على صرف بعض المال، ويحذرهم عن بعضه فقال: "يا أيها الذين آمنوا"/ ١٢ وجيز.

(٢) روى ابن مردويه عن ابن عباس: "أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب، فلما قدموا المدينة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن ذلك فقال: يا رسول الله خفت أن يقتلني البرد، وقد قال الله تعالى: " ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما" قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم" نقل الإمام أحمد هذا الحديث بزيادة "تيممت وصليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم" هذا ما فى المنهية وفى الفتح، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني، ومما يدل على ذلك احتجاج عمرو بن العاص بها حين لم يغتسل بالماء البارد حين أجنب في غزوة ذات السلاسل فقرر النبى صلى الله عليه وسلم احتجاجه، وهو في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما/ ١٢.[صححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" .]

كما يفعله بعض الجهلة، أو بارتكاب محارم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ فما نهاكم عن مضاركم إلا من رحمته، أو حيث لم يكلفكم بقتل أنفسكم للتوبة كما كلف بني إسرائيل.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ما سبق من المحرمات أو القتل ﴿عُدْوَاناً﴾[١] ﴿وَظُلْماً﴾ تجاوزاً عن الحد ووضعا للشيء في غير موضعه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾[٢] ﴿نَاراً﴾ ندخله إياها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ لا عسر ولا صارف عنه.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا﴾[٣] ﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ كل ذنب فيه وعيد[٤] شديد ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ نمح عنكم سيئاتكم ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ وهو الجنة، فمحو الصغائر لمن اجتنب الكبائر وعد مقطوع به ومحوها لمن تعاطى الكبائر ليس كذلك بل فى مشيته وإرادته تعالى.

---

(١) من يفعله جهلاً أو نسيانًا أو سفهاً فلا يدخل تحت الوعيد/ ١٢ منه.

(٢) وهذا النوع من الدخول فى النار للكفار كما سنبينه سورة والليل/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما ذكر الوعيد لمرتكب بعض الكبائر ذكر الوعد لمجتنب جميعها فقال: "إن تجتنبوا" الآية/ ١٢ وجيز.

(٤) هذا هو أشهر الأقوال في تعريف الكبائر، وروى النسائى والحاكم فى "مستدركه" وابن حبان في "صحيحه" أنه قال عليه الصلاة والسلام: "ما من عبد صلى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل له: ادخل بسلام" وفسر عليه السلام هذه السبع كما روى فى "الصحيحين" بالشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات/ ١٢ منه وفي الفتح، والأحاديث في تعداد الكبائر وتعيينها كثيرة جدًا فمن رام الوقوف على ما ورد فى ذلك فعليه بكتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر" فإنه قد جمع فأوعى/ ١٢.

﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ نهى الله تعالى عن قولهم: ليت لي مال فلان وأهله، أو نزلت فى أم سلمة حيث قالت: يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث، أو حين قالت امرأة: للرجل مثل حظ الأنثيين فى الميراث وشـــهادة امرأتـــين برجل، أفنحن في الثواب هكذا، أو حين قال الرجال: نريد أن يكون لنا مـــن الأجـــر ضعف النساء، وقالت النساء: نريد أجر الشهداء ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، أو حين قالت النساء عند نزول "للذكر مثل حظ الأنثيين": نحن أحوج فإنا ضعفاء لا نقدر على طلب المعاش ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ من العمل ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّـــا اكْتَسَبْنَ﴾ فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالتمني، أو لهم نصيب من الجهاد ولهن من طاعـــة الأزواج وحفظ الفروج، والكل بعشر أمثالها ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ أى: لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم فإنه أمر محتوم ولا يجدى تمنيه نفعا ولكن سلونى مـــن فضلـــى أعطكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ فهو يعلم من يستحق شيئًا فيعطيه.

﴿وَلِكُلٍّ[1]﴾ منكم ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ ورثة أو عصبة، والعرب تسمي ابن العم مـــولى ﴿مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ مما متعلق بموالي لتضمنه معنى الفعل أي: ورثة ممـــا ترك، يعني: يرث من تركتهم، أو معناه: لكل شيء مما تركوا من المال جعلنـــا مـــوالي وراثا يحرزونه ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ[2] أَيْمَانُكُمْ﴾ عهودكم يأخذ بعضهم بيد بعض علـــى

---

(١) ولما ذكر ما حصل للرجال من اكتسابهم وللنساء من اكتسابهن أخذ فيما حصل لهم من غير اكتسابهم وتعبهم فقال: "ولكل جعلنا" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمى دمك وثأري ثأرك وحربي حربك وســـلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك، فيكون للحليف السدس مـــن مـــيراث الحليف، وكان ذلك ثابتًا فى ابتداء الإسلام وذلك قوله: "فآتوهم نصيبهم" ثم نسخ، أو كان ميراث المهاجري للأنصاري دون ذوى رحمه بالأخوة السابقة، ثم نسخ مطلقًا فـــلا إرث بينهم وقوله: "فآتوهم نصيبهم" يعنى: من النصر والنصيحة والمحبة/ ١٢ منه.

الوفاء، وقرئ عاقدت، أي: عاقدهم أيديكم ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من الإرث وهو السدس كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ وأمروا بأن يوفوا لمن عاقدوا ولا ينشئوا بعد نسخه بقوله: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض" معاهدة فى الإرث لكن يجب الوفاء بالمعاهدة الماضية[1] أو نسخت مطلقًا فلا يجوز إنشاء المعاهدة ولا الوفاء بالعهد السابق للميراث، وقوله: "والذين عقدت أيمانكم" غير منسوخ بمعنى: وآتوهم نصيبهم من النصرة لا من الإرث، أو كان يرث المهاجري[2] الأنصاري دون ذوي رحمه بالأخوة التي آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت: "ولكل جعلنا موالي" نسخت ثم قال: "والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم" أى: من النصر والنصيحة وقد ذهب الميراث ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ فلا تتجاوزوا عما أمركم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ

---

(١) وفى مسلم وغيره لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة/ ١٢.[أخرجه مسلم في "الفضائل" / باب: مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه (٢٥٣٠).]

(٢) نقله البخاري عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.[أخرجه ابن جرير في "تفسيره" من طرق عنه صلى الله عليه وسلم (٥/٣٧-٣٨) وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥٢٤٦) من طريق: أبو سعيد الأشج، ثنا خلف بن أيوب العامري، عن أشعث بن عبد الملك، عن الحسن فذكره، عن علي –رضي الله عنه– كما قال ابن كثير (٤٩٢/١).]

شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿الرِّجَالُ[1] **قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾** قيام الولاة على الرعايا **﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** فضلهم عليهن بكمال العقل والدين والقوة **﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ**[2]

---

(١) لما ذكر أمر الرجال والنساء فى اكتساب النصيب وأمر أن لا يتمنوا بعضهم على بعض أخذ فى جهات فضائل الرجال فقال: "الرجال"/ ١٢.

(٢) قد استدل به جماعة من العلماء على جواز فسخ النكاح إذا عجز الزوج عن نفقة زوجته وكسوتها، وبه قال مالك والشافعى وغيرهما/ ١٢ فتح.

﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ كالمهر والنفقة، اشتكت امرأة عن زوجها بأنه لطمها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام: أردت أمرًا وأراد الله غيره فرجعت بغير قصاص[1] ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ تحفظ فى غيبته نفسها وماله ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ الله إياها فالمحفوظ من حفظه، أو بما حفظ الله لهن من إيجاب حقوقهن على الرجال ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصياهن على أزواجهن ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بعقاب الله فى عصياها ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ بأن يوليها ظهره ولا يجامعها ولا يكلمها، أو معناه لا يضاجعها ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران ضربًا غير شديد[2] ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ بالإيذاء، وقيل: لا تكلفوهن محبتكم فالقلب بيد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِياًّ كَبِيراً﴾ فهو أقدر عليكم منكم على أزواجكم، ويتجاوز عنكم ليلاً ونهارًا.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ خلافًا بين المرء وزوجه، والإضافة إلى الظرف على الاتساع[3] ﴿فَابْعَثُوا﴾ أيها الحكام ﴿حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يحكمان بينهما فيما يرى المصلحة من الجمع والتفريق، والأقارب أعرف ببواطن الأحوال فهم الأولى، وهما من جانب الحاكم ينفذ[4] حكمهما مطلقًا بغير رضى المحكوم عليه على الأصح ﴿إِن يُرِيدَا﴾ أي: يقصد الحكمان[5] ﴿إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين بحسن سعي الحكمين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ بالظاهر والباطن.

---

(١) رواه ابن مردويه عن على وابن جرير عن الحسن البصري/ ١٢ وجيز.

(٢) مما لا يحدث شيئًا ولا يؤذن بالاحتقار/ ١٢ وجيز.

(٣) كأنه مفعول به كيا سارق الليلة/ ١٢ وجيز.

(٤) أى: فى الجمع والتفريق/ ١٢.

(٥) فعن كثير من العلماء ينفذ فى الجمع ولا ينفذ في التفريق/ ١٢ منه.

﴿وَاعْبُدُوا[١] اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا[٢] بِهِ شَيْئاً﴾ من المخلوقات[٣] أو من الإشراك قليلاً وكثيرًا جليًا وخفيًا ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ صاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ من لا يجد ما يكفيه وعياله ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ من جمع بين القرابة والجوار، أو الجار الأقرب أو الجار المسلم ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الأجنبى والذى جواره بعيد، أو أهل الكتاب ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ المرأة، أو رفيق السفر، أو الحضر أيضًا ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر، أو الضعيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ المماليك[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً﴾ متكبرًا ﴿فَخُوراً﴾ يتفاخر[٥] على المسلمين.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله من بر الوالدين والأقربين، بدل ممن كان، أو نصب أو رفع على الذم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أيضًا كاليهود قالوا": لاتنفقوا على محمد فإنا نخشى عليكم الفقر ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ[٦]﴾ يعني: الغنى، وحمل بعض السلف الآية على بخل اليهود بإظهار ما عندهم

---

(١) ولما كان أول السورة إلى هنا مبنيًا على الرفق والصلة والنصح أردف بحث الإرث والإصلاح بين الزوجين بمثل ما تقدم فقال: "واعبدوا"/ ١٢ وجيز.

(٢) لما أمر الله تعالى بالعبادة بقوله: "واعبدوا الله" أمر بالإخلاص فى العبادة بقوله: "ولا تشركوا به شيئًا" لأن من عبد مع الله غيره كان مشركًا ولا يكون مخلصًا ، ولهذا قال الله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"(البينة : ٥)/ ١٢ كبير.

(٣) فإن العبادة مع الشرك مردودة/ ١٢ وجيز.

(٤) من عبيد وإماء وحيوانات إنسية/ ١٢ وجيز.

(٥) بحسب وبنسب فلا ينظر إلى الأقارب والأصحاب والمماليك إلا بنظر شر/ ١٢ وجيز.

(٦) من نعمة أنعم الله عليهم فإن البخيل يسترها ويجحدها، وفى الحديث: "إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه/ ١٢ وجيز.[صححه الشيخ الألباني في =

من العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتمانهم ذلك ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ[1] عَذَاباً مُّهِيناً﴾ أي: أعتدنا لهم فإنهم كافرون بنعمة الله.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ لا لوجه الله، ذكر الباذلين رياء بعد المسكين والمراد اليهود أو المنافقون أو مشركو مكة، وهو عطف على الذين يبخلون ﴿وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ أى فبئس الشيطان قرينا "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين"(*).

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أي تبعة تحيق بهم ﴿لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ في سبيله ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ وعيد لهم.

﴿إِنَّ[2] اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملة صغيرة، أو جزء من أجزاء الهباء إن كان مؤمنًا فله الأجر في الدارين، وإن كان كافرًا فمقصور على الدنيا، أو تخفيف فى عذابه فلا يظلم وهو قادر عليه ﴿وَإِن تَكُ﴾ مثقال الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ أي: ثوابها ﴿وَيُؤْتِ﴾ صاحبها ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ من عنده بفضلـــه ﴿أَجْــراً عَظِيماً﴾ جزيلاً وهو الجنة.

= "الصحيحة" (١٢٩٠) وقال: رواه ابن سعد (٢٩١/٤) والطحاوي في "مشكل الآثار" (١٥١/٤) والبيهقي في "الشعب" (١/٢٢١/٢)].

(١) أي: لمن كفر بنعمة الله ووعظ المسلمين بأخس الرذائل وفى الحديث: "لم يجمع البخل والإيمان في قلب" و أكثر البخلاء موتهم في حال سلب الإيمان، وقد دخل في ذلك بالدخول الأولى اليهود فإنهم مجبولون على البخل دنس الثياب كريهو الرائحة، ولما ذكر المساكين عطف عليهم منفقين لغير وجه الله/ ١٢ وجيز.

(*) الآية من سورة الإسراء.

(٢) ولما أمر بعبادته وبالإحسان والإنفاق وذم البخل ووبخ، أمر سبحانه بعدله فلا يظلم على الجزء على هذه الأمور، ثم قرر إحسانه فقال: "إن الله"/ ١٢ وجيز.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ أي: كيف حال هؤلاء الكفرة إذا جئنا بنبي كل أمة يشهد بصلاحهم وفسادهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلاءِ﴾ على جميع الأمم أو المنافقين أو المشركين ﴿شَهِيداً[1]﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾ لو يدفنون وتبتلعهم الأرض فتسوى، أو لم يبعثوا، أو يكونون ترابًا، والباء للملابسة فهو حال، أو بمعنى: على فظرف لغو ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ بشهادة أيديهم وأرجلهم عليهم، عطف على جملة يود لما رأو أن الجنة خاصة للمسلمين قالوا: "والله ربنا ما كنا مشركين" (الأنعام:٢٣)، كذبوا رجاء زجهم فى المسلمين فختم الله على أفواههم وشهدت عليهم أيديهم وأرجلهم، "ولا يكتمون الله حديثًا" (النساء:٤٢)، أو داخل فى التمنى بمعنى: يتمنون أنهم لم يكونوا كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وأمره.

---

(١) معنى هذا الكلام: كيف ترون يوم القيامة إذا استشهد الله على كل أمة برسولها واستشهدك على هؤلاء، يعني: قومه المخاطبين بالقرآن الذين شاهدهم وعرف أحوالهم، ثم إن أهل كل عصر يشهدون على غيرهم ممن شاهدوا أحوالهم وعلى هذا الوجه قال عيسى عليه السلام: "وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم"/ ١٢ كبير للإمام الرازى، وفى صحيح البخاري عن ابن عباس قال: "خطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا" ثم قال: "كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين" إلى آخر الآية (الأنبياء:١٠٤)، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: "وكنت عليهم شهيدًا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم" (المائدة:١١٧)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم" انتهى من النسخة المطبوعة الأحمدية ــ.[أخرجه البخاري في "الرقاق"/ باب: الحشر (٦٥٢٦).]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا

---

(١) ولما ذكر الوقوف بين يدي الله تعالى فى الآخرة وحذرهم عن التلوث بالخبائث عقبه بأمر الوقوف بين يديه في الدنيا، وأمره بتطهير ظاهره وباطنه فقال: "يا أيها الذين"/ ١٢ وجيز.

تَقُولُونَ[١] ﴾ اجتنبوها حال السكر، نزلت فى جمع من الصحابة شربوا -الخمر قبل تحريمه وتقدم أحدهم للإمامة وقرأ "قل يا أيها[٢] الكافرون أعبد ما تعبدون" قال الضحاك: عنى به سكر النوم لا سكر الخمر ﴿**وَلاَ جُنُباً**﴾ عطف على "وأنتم سكارى" ﴿**إِلاَّ عَابِرِي**[٣] **سَبِيلٍ**﴾ مسافرين حين فقد الماء فإنه جائز للجنب حينئذ الصلاة، أو معنى الآية لا تقربوا مواضع الصلاة فى حال السكر ولا فى حال الجنابة إلا حال العبور فيها فجاز المرور لا اللبث وعليه كلام أكثر السلف ﴿**حَتَّى تَغْتَسِلُوا**﴾ من الجنابة ﴿**وَإِن كُنتُم مَّرْضَى**[٤] ﴾ مرضا يخاف معه من استعمال الماء، وقيل: مطلقًا، قال

---

(١) فلا تقعون في تخليط كلام، وعلم منه أن النهي مستمر إلى هذا الوقت/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح/ ١٢.[أخرجه أبو داود (٣٦٧١) والترمذي (٣٢٢٩) عن علي –رضي الله عنه- قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموني فقرأت ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ ونحن نعبد ما تعبودون ..... الحديث. قال الترمذي "حسن غريب صحيح" وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٢٢).]

(٣) الاستثناء مفرغ واقع موقع الحال من المخاطبين أى: لا تقربوا الصلاة جنبًا كائنين على حال من الأحوال إلا مسافرين، أو مواضع الصلاة كائنين على حال إلا مارين غير لابثين/ ١٢ ج.

(٤) والظاهر أن المرض بمجرده مسوغ للتيمم وإن كان الماء موجودًا إذا كان يتضرر باستعماله فى الحال أو فى المآل، ولا تعتبر خشية التلف فالله سبحانه يقول: "يريد الله بكم اليسر" (البقرة:١٨٥)، ويقول: "وما جعل عليكم فى الدين من حرج" (المائدة:٥)والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الدين يسر" ويقول: "يسروا ولا تعسروا" وقال: "قتلوه قتلهم الله" ويقول: "أمرت بالشريعة السمحة" فإذا قلنا: إن قيد عدم وجود الماء راجع إلى الجميع كان وجه التنصيص على المريض هو أنه يجوز له التيمم والماء حاضر موجود إذا كان استعماله يضره، فيكون اعتبار ذلك القيد فى حقه إذا كان

=

مجاهد: نزلت فى مريض من الأنصار لم يكن له خادم و لم يستطع أن يقوم ويتوضأ ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ طويلاً أو قصيرًا ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المطمئن، وهو كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ جامعتموهن[1] أو ماسستم بشرهن ببشرتكم ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ الظاهر أنه قيد للكل، والمريض الخائف من استعماله أو غير المستطيع أخذه كأنه لم يجد، فالحاصل أن الله تعالى رخص فى التيمم لفاقد الطهرين حال فقدان الماء لخوف عدو أو إرهاف فى موضع لا ماء فيه، أو عدم آلة استقاء أو غير ذلك مما يقع قليلاً، ويمكن أن يكون قيدًا للآخرين ولهذا غير الأسلوب و لم يقل: أوجنبتم وأما المرضى إذا خافوا من استعمال الماء أو لم يقدروا والمسافر إذا احتاج هو أو رفيقه أو حيوان محترم معه حالا أو مالا فلهم التيمم، وأما فاقدوا الطهرين إذا لم يجدوا ماء فلهم التيمم ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ أي: قصدوا ترابًا[2] أو ما يصعد من الأرض طاهرًا أو حلالاً ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ اليد يطلق على ما يبلغ المرفقين كما في الوضوء، وعلى ما يبلغ الكوعين كما في السرقة "فاقطعوا أيديهما" (المائدة:٣٨)، فلذلك اختلفوا أنه يجب المسح[3] إلى المرفقين أو لا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ يسهل ولا يعسر.

= استعماله لا يضره فإن فى مجرد المرض مع عدم الضرر باستعمال الماء ما يكون مظنة لعجزه عن الطلب؛ لأنه يلحقه بالمرض نوع ضعف، وأما وجه التنصيص على المسافر فلاشك أن الضرب فى الأرض مظنة لإعواز الماء في بعض البقاع دون بعض/ ١٢ فتح.

(١) وعليه الجمهور/ ١٢ وجيز.

(٢) طاهرًا كما ورد في الصحيح: "جعلت لنا الأرض مسجدًا وجعل ترابها طهورًا"/ ١٢ وجيز.[أخرجه مسلم في "المساجد"/ باب: مواضع الصلاة .]

(٣) ففي صحيح مسلم: التيمم مسح الوجه ومسح الكفين، وأما الفرق بين مسحت رأسه وبرأسه فبأن الباء لا يزاد إلا أن يكون بيده شيء كالدهن أو الماء أو التراب كما فهم من =

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن

= كلام المهرة من أهل اللغة، وصرح بذلك بعض العلماء من العظماء/ ١٢ وجيز. هذا المسح مطلق يتناول المسح بضربة أو ضربتين، ويتناول المسح إلى المرفقين أو إلى الرسغين، وحاصل ما قال الشوكاني في شرحه للمنتقى: إن أحاديث الضربتين لا يخلو جميع طرقها من مقال، ولو صحت لكان الأخذ بها متعينا لما فيها من الزيادة، فالحق الوقوف على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار من الاقتصار على ضربة واحدة حتى تصح الزيادة على ذلك المقدار. قال الخطابي: لم يختلف أحد من العلماء فى أنه لا يلزم مسح ما وراء المرفقين واحتجوا بالقياس على الوضوء، وهو فاسد الاعتبار. قال الحافظ: إن الأحاديث الواردة فى صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهم وعمار وما عداهما فضعيف أو مختلف فى رفعه ووقفه، والراجح عدم رفعه فالحق مع أهل المذهب الأول حتى يقوم دليل يجب المصير إليه، ولا شك أن الأحاديث المشتملة على الزيادة أولى بالقبول، ولكن إذا كانت صالحة للاحتجاج بها وليس في الباب شيء من ذلك.

تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الكِتَابِ**﴾ ألم تنظر إلى من له حظ يسير من التوراة، أعني: الأحبار ﴿**يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ**﴾ يختاروها على الهدى ﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا**﴾ أيها المؤمنون ﴿**السَّبِيلَ**﴾ طريق الحق.

﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ**﴾ منكم ﴿**بِأَعْدَائِكُمْ**﴾ وقد أعلمكم فاحذروهم ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً**﴾ يلي أمركم ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً**﴾ ينصركم فاكتفوا به عن غيره، والباء في فاعل كفى: للتأكيد.

﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا**﴾ بيان للذين أوتوا أو لأعدائكم أو صلة نصيرا أي: ينصركم من الذين، أو خبر مبتدأ تقديره: من الذين هادوا قوم ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ**[1] **عَن مَّوَاضِعِهِ**[2]﴾ يميلونه عن مواضعه التي أثبته الله فيها بإزالته وإثبات غيره فيها، أو

---

(١) الكلم يفرق بينه وبين الواحد بالتاء، وغلب إطلاق الكلم على الكثير بحيث لا يطلق على الواحد لكن ليس بجمع لما يقال: الكلم الطيب، ورجوع ضمائر المفرد إليه/ ١٢ وجيز. قال الرازي في الكبير: في كيفية التحريف وجوه أحدها أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر إلى أن قال: والثاني أن المراد بالتحريق إلقاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ من معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا الأصح/ ١٢.

(٢) قال الحافظ ابن القيم في إغاثة اللهفان: وقد اختلف العلماء هل التوراة مبدلة أم التبديل وقع في التأويل دون التنزيل على ثلاثة أقوال قالت طائفة: كلها أو أكثرها مبدل، وغلا =

يفسرونه بغير مراد الله على مقتضى هواهم ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أى: اسمع ما نقول لا سمعت، فهو حال من المخاطب أى: مدعوا عليك بلا سمعت، أو اسمع غير مسمع ما ترضى قيل: قولهم وعصينا وغير مسمع قول سرهم ﴿وَرَاعِنَا لَيًّا﴾ فتلا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ﴾ أى: يوهمون أنهم يقولون: أرعنا[١] سمعك وإنما يريدون الرعونة أو السب بلغتهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ أى: لو ثبت هذا مكان ما قالوه لكان قولهم ذلك خيرًا وأعدل لهم ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا يهتدون إلى خيرهم ﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ﴾ إيمانًا[٢] ﴿قَلِيلاً﴾ لا ينفعهم أو إلا قليلاً منهم فهو استثناء من مفعول[٣] لعنهم المرتب عليه فلا يؤمنون فليس المختار فيه الرفع.

= بعضهم حتى قال: بجواز الاستجمار بها، وقالت طائفة من أئمة الفقه والحديث والكلام، إنما وقع التبدل فى التأويل، قال البخاري فى صحيحه: يحرفون يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يتأولونه على غير تأويله هو اختيار الرازي، وتوسطت طائفة فقالوا: قد زيد فيها وقد غير أشياء يسيرة جدًّا واختاره شيخنا فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح قال: وهذا كما فى التوراة عندهم أن الله سبحانه قال لإبراهيم: اذبح ابنك بكرك ووحيدك إسحاق، قلت: والزيادة باطلة من وجوه عشرة: الأول أن بكره ووحيده إسماعيل باتفاق الملل الثلاث إلى آخر ما بين الوجوه العشرة/ ١٢ فتح.

(١) أي: اصرف سمعك إلى كلامنا وأنصت لحديثنا وتفهم/ ١٢ كبير.

(٢) هو إيمانهم ببعض الكتاب/ ١٢.

(٣) يعني: لو كان استثناء من فاعل لا يؤمنون يكون اتفاق القراء على غير المختار مع أن المراد من فاعل لا يؤمنون الملعونون، والقليل الذين آمنوا ليسوا منهم يعني: لو كان استثناء من فاعل لا يؤمنون فيكون الرفع فيه هو المختار مع أن المراد من فاعل لا يؤمنون الملعونون، والقليل الذين آمنوا ليسوا من الملعونين، فلا يجوز أن يكون مستثنى منه/ ١٢.

﴿يَا أَيُّهَا[1] الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وَجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ نحو العين والأنف ونجعلها من قبل الأقفية فلهم عينان[2] من القفى يمشون قهقرى، أو نجعلها كالأقفاء بلا عين وأنف، أو بأن نجعلها منابت[3] الشعور كالقردة، أو أن نطمس وجوها عن صراط[4] الحق فنردها على أدبارها فى الضلالة، أو نردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز، فالمراد إجلاؤهم من أوطانهم، والطمس والمسخ يكونان لهم قبل[5] القيامة[6] أو لهم هذا فى القيامة، أو مشروط بعدم الإيمان وقد آمن بعضهم ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ الضمير للذين على طريقة الالتفات ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ[7] السَّبْتِ﴾ نخزيهم بالمسخ فنجعلهم قردة وخنازير كما فعلنا بأصحاب السّبت ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ لا راد لحكمه.

---

(١) لما أعلم أن بعضهم غير ملعونين خاطب الجميع ليأتمر من لم يتطوق على أعناقه اللعن فقال: "يا أيها الذين أوتوا الكتاب أمنوا" الآية (آل عمران:٤٧) / ١٢ وجيز.

(٢) قاله ابن عباس/ ١٢ وجيز.

(٣) فيكون تقديره: نردها على هيئة أدبارها فإن منابت شعور الآدميين فى أدبار وجوههم/ ١٢.

(٤) فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها فى الضلالة/ ١٢ منه.

(٥) عند نزول عيسى كذا ثبت عن السلف/ ١٢ وجيز.

(٦) هذا جواب عما يقال: إن الله تعالى قد أوعدهم بالطمس والمسخ و لم يقع أحد منهما/ ١٢ منه.

(٧) ولما سمع عبد الله بن سلام هذه الآية جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه فأسلم، وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أنى أصل إليك حتى تحول وجهى فى قفاى/ ١٢ وجيز.

﴿إِنَّ[1] اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ لا يغفر لعبد لقيه مشركًا ويغفر ما دون الشرك صغيرًا أو كبيرًا لمن يريد تفضلاً ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ يحتقر دونه الذنوب.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ[2] أَنفُسَهُمْ﴾ بقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو بما قال اليهود: إن أبناءنا ماتوا وهم لنا قربة سيشفعون ويزكوننا، أو يقدمون أطفالهم في الصلاة لعصمتهم ويزعمون أن المأموم يصير مثلهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ المرجع في ذلك إلى الله فإنه عالم بالحقائق ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً[3]﴾ ما يكون في شق النواة أو ما فتلت بين أصابعك من الوسخ أي: لا ينقص ثواهم مقدار الفتيل.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ في تزكيتهم أنفسهم ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ بالافتراء ﴿إِثْماً مُّبِيناً﴾ ظاهرًا لا يخفى. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً﴾ حظًا قليلاً ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ السحر والشيطان، أو الأوثان وشياطينها، أو الكاهن والساحر، أو الساحر والكاهن بلسان الحبشة، أو الجبت شيطان بلسان الحبشة والطاغوت كل ما يعبد من دون الله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قريش ﴿هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ سأل قريش عن أحبار

---

(١) وبعد ما لعن اللعن المطلق واللعن المقيد حكم بالحكم البت المحكم فقال: " إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ " الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وفى "الصحيحين": أنه عليه الصلاة والسلام سمع رجلاً أثنى على رجل فقال: ويحك قطعت عنق صاحبك، ثم قال: إن كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل: أحسبه فلا يزكى على الله "احدًا"/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "الأدب"/ باب: ما يكره من التمادح (٦٠٦١) ومسلم في "الزهد والرقاق"/ باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (٣٠٠٠).]

(٣) نصب فتيلا بأنه صفة مفعول مطلق/ ١٢.

اليهود: ديننا خير أم دين محمد؟ فقالوا: دينكم خير وأنتم أهدى وقيل: سجدوا[1] لأصنامهم حين حالفوا قريشًا في حرب المؤمنين ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ يمنعه من الطرد والخسار ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أم منقطعة والهمزة لإنكار ملكهم كما يزعمون أن الملك سيصير لهم، ومعناه الإضراب عن ذمهم بتزكيتهم أنفسهم إلى ذمهم بالبخل والحسد اللذين هما شر خصلتين. ﴿فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ أي إن كان لهم ملك فإذن لا يؤتون أحدا ما يوازى نقيرًا، وهو النقرة في ظهر النواة يعنى: هذا إكمال بخلهم في حال ملكهم وغناهم فما ظنك بحال فقرهم وذلهم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل يحسدون محمدًا أو أصحابه، أضرب عن البخل إلى الحسد الذى هو شر[2] منه ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ النبوة والكتاب والنصرة وكثرة النساء، وقالوا: لو كان نبيًا لشغله أمر النبوة عن النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كداود وسليمان كتابهم ونبوتهم ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ ملك داود وسليمان وما أوتى من النساء[3] لهما ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ بهذا الإيتاء والإنعام ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرض عنه وسعى في صد الناس عنه مع أنهم من جنسهم من بنى إسرائيل، فكيف بك يا محمد ولست من بنى إسرائيل؟ أو معناه: هم يحسدون عليكم وقد آتينا آل إبراهيم الذين هم من أسلافك يا محمد

---

(١) نقل أنه خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبًا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشًا على عداوة المؤمنين، فقال قريش: نحن لا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فإنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فإن أردتم أن تطمئن خواطرنا فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا.

(٢) فإنه بخل ما في يد الغير مع شبه اعتراض على من هو كامل في الحكمة عادل في القسمة/ ١٢ منه.

(٣) فإنه لسليمان ألف امرأة ثلاث مائة مهرية والباقية سرية ولداود مائة امرأة/ ١٢ منه.

من فضلنا فلا يبعد أن يؤتيك الله مثل ما آتاهم، ثم قال: فمن اليهود من يؤمن بمحمد ومنهم من صد عنه و لم يؤمن به ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ نارا مسعورة يعذبون بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ غير الجلود المحترقة، ويحتمل أن يعاد ذلك الجلد بعينه إلا أنه على صورة أخرى ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وقد ورد أنه في الساعة الواحدة عشرون ومائة مرة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً﴾ غالبًا لا يغلب ﴿حَكِيماً﴾ فتعذيبه وفق حكمته لا ظلمًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والأذى ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ دائمًا لا حر فيه، والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيده كليل أليل وشمس شامس.

﴿إِنَّ[١] اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ الآية كما قال السلف عامة: لكل بر وفاجر ودخل فيها حقوق الله وحقوق الناس، وإن نزلت في رد مفتاح الكعبة على عثمان[٢] بن طلحة حين أخذ منه والتمس على أو عباس رضى الله عنهما أن تكون له الحجابة والسقاية ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أي:

---

(١) لما أمر بالسخاء والسماحة، وإلقاء الراحة للقلوب، وترك البخل الذى هو من أخس الرذائل والذنوب، ودفع الحسد الذى هو بخل عن ما في يد الغير، وهو عند نهاية الغور جور تبعه برد الأمانات والعدل فقال: "إن الله يأمركم" الآية/ ١٢.

(٢) أي: عثمان بن طلحة ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذى بيده الحجابة في زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، وأما عمه عثمان بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافرًا وقد اشتبه هذا على كثير من المفسرين/ ١٢ منه.

وأن تحكموا بالإنصاف إذا حكمتم ﴿إِنَّ اللَّهَ[1] نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ أي: نعم شيئًا يعظكم به، فما موصوفة منصوبة بيعظكم، أو نعم الشيء الذي يعظكم به فيكون مرفوعة موصولة، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعما يعظكم به ذاك وهو أداء الأمانات والعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ بالأقوال والأحكام في الأمانات وغيرها.

﴿يَا أَيُّهَا[2] الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ[3] مِنكُمْ﴾ السلاطين والأمراء فيما وافقوا الحق، وأهل العلم والدين ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ أنتم وأولو

---

(١) هذه الآيات من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع، لأن الظاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس قاطبة في جميع الأمانات وورودها على سبب لا ينافي ما فيها من العموم، فالاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، قال الواحدى: أجمع المفسرون عليه. انتهى، ويدخل الولاة في هذا الخطاب دخولاً أوليا فيجب عليهم تأدية ما لديهم من الأمانات ورد الظلامات، وممن قال بعموم هذا الخطاب البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، واختاره جمهور المفسرين ومنهم ابن جرير وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار كما قال ابن المنذر، وأخرج أبو داود والترمذى والحاكم والبيهقى عن أبي هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك".[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٠١٨).]

(٢) لما أمر الولاة والرعاة بالعدل أمر الرعية بطاعة الولاة فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية /١٢ كبير.

(٣) هم الحكام والسلاطين إذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وإن أمروا بمباح إن كان فيه مصلحة عامة وجب القبول، وإن كان المصلحة بينه وبين الله، أو بينه وبين الخلق فيه خلاف/ ١٢ وجيز.

الأمر ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ﴾ فراجعوا[١] فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ في زمانه وسنته بعده ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ﴾ أي: الرد ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ مآلا وعاقبة.

---

(١) قال مجاهد وغير واحد من السلف: هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء ينازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق كما قال تعالى: "فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله" (الشورى: ١٠)، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق "فماذا بعد الحق إلا الضلال" (يونس: ٣٢)، ولهذا قال: "إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" أي: ردوا وتحاكموا إليهما إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فدل على أن من لا يتحاكم في محال النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله ليس مؤمنا بالله واليوم الآخر، فالرد إلى الكتاب والسنة واجب لصريح الأمر وتعليق الإيمان عليه هكذا قال الشيخ محمد بن محسن عطاس صاحب تنزيه الذات والصفات قال الإمام الرازى: هذه الآية دالة على أن الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقًا فلا يجوز ترك العمل بهما بسبب القياس، ولا يجوز تخصيصهما بسبب القياس البتة سواء كان القياس جليًا أو خفيًا، وسواء كان ذلك النص مخصوصًا قبل ذلك أم لا ثم بين ذلك، وحقق كما هو حقه وأثبت ذلك بالوجوه العشرة التى لا يسعها المقام، وفى الفتح: ومن جملة ما استدل به المقلدة قوله تعالى: "وأولى الأمر" قالوا: هم العلماء، لكن أين هذا من الدلالة على مراد المقلدين فإنه لا طاعة لأحدهما أي: العلماء والولاة إلا إذا أمروا بطاعة الله على وفق سنة رسوله وشريعته، وأيضًا العلماء إنما أرشدوا غيرهم إلى ترك تقليدهم ونهوهم عن ذلك كما روى عن الأئمة الأربعة وغيرهم، فطاعتهم ترك تقليدهم، ولو فرضنا أن في العلماء من يرشد الناس إلى التقليد ويرغبهم فيه لكان يرشد إلى معصية الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق انتهى ملخصًا/ ١٢.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الطاغوت ههنا ما سوى كتاب الله وسنة رسوله من الباطل، نزلت في يهودى ومنافق اختصما فقال اليهودى: بيني وبينك محمد،

وقال المنافق بيننا كعب بن الأشرف، أو في جماعة من المنافقين أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ بالطاغوت ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ لا يمكن لهم الرجوع إلى الحق أبدًا. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ حال كونهم ﴿يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ صُدُوداً فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ احتاجوا إليك في دفعها ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب شؤم ذنوبهم ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ حين يصابون للعذر، عطف على إصابتهم ﴿يَحْلِفُونَ﴾ حال ﴿بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ ما أردنا من تحاكمنا إلى غيرك ﴿إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾ مداراة ومصانعة لا اعتقادا منا تلك الحكومة، أو إحسانا لخصومنا وتوفيقا بين الخصمين لا مخالفتك، وبعضهم على أن الكلام تم عند قوله: "بما قدمت أيديهم" و"ثم جاؤك" عطف على "يصدون" وما بينهما اعتراض ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تعنفهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ وانصحهم بلسانك ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ سرًّا ليس معهم غيرهم ﴿قَوْلاً بَلِيغاً﴾ وقيل: في أنفسهم متعلق بليغًا أي: قل لهم قولا بليغًا في أنفسهم مؤثرًا في قلوبهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ فيما حكم لا ليطلب الحكم من غيره ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بسبب إذن الله في طاعته، فالإذن بمعنى الأمر والرضا، أو بتيسير الله وتوفيقه في طاعته، فالإذن بمعنى التوفيق ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بمثل التحاكم إلى غيرك ﴿جَاءُوكَ[1]﴾ خبر إن، وإذ ظلموا متعلق به ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ بالإخلاص ﴿وَاسْتَغْفَرَ

---

(١) وهذا المجيء يختص بزمان حياته صلى الله عيه وسلم، وليس المجيء إليه يعني إلى مرقده المنور بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما يدل عليه هذه الآية كما قرره في الصارم المنكى، ولهذا لم يذهب إلى هذا الاحتمال البعيد أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا من التابعين ولا ممن تبعهم بإحسان/ ١٢ فتح.

﴿لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ عدل عن الخطاب تعظيمًا لشأن الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ﴾ صادفوه[1] حال كونه ﴿تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ أو لعلموه قابلاً لتوبتهم ﴿فَلاَ[2] وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ لا مزيدة لتأكيد القسم، أو معناه: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلف واختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً﴾ ضيقًا أو شكًا ﴿مِّمَّا[3] قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا[4]﴾ إنقادوا لأمر رسوله ﴿تَسْلِيماً﴾ نزلت حين خاصم الزبير رجلاً فقضى

---

(١) يعني إن كان وجد بمعنى صادف فتوابا حال، وإن كان بمعنى علم فهو مفعوله الثاني/ ١٢ ج.

(٢) اعلم أن قوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون" قسم من الله على أنهم لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط، أولها: قوله تعالى: "حتى يحكموك فيما شجر بينهم" وهذا يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمنًا. الشرط الثاني: قوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت" قال الزجاج: لا تضيق صدورهم من أقضيتك، واعلم أن الراضي بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام قد يكون راضيا به في الظاهر دون القلب، فبين في هذه الآية أنه لا بد من حصول الرضاء به في القلب. الشرط الثالث: قوله: "ويسلموا تسليمًا" واعلم أن من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقًا قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد، أو يتوقف في ذلك القبول، فبين تعالى أنه كما لا بد في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب فلا بد أيضًا من التسليم معه في الظاهر، فقوله: "ثم لايجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت" المراد به: الانقياد في الباطن، وقوله: "يسلموا تسليمًا" المراد منه الانقياد في الظاهر والله أعلم/ ١٢ كبير.

(٣) جاز أن يكون ما مسدرية، أو موصولة/ ١٢ منه.

(٤) ظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص، النص بالقياس؛ لأنه يدل على أنه يجب متابعة قوله وحكمه على الإطلاق، وأنه لا يجوز العدول منه إلى غيره، ومثل هذه المبالغة المذكورة في هذه الآية قلما يوجد في شيء من التكاليف، وذلك يوجب تقديم عموم =

رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير[1] فقال الرجل: قضى له لأنه ابن عمته[*]، أو اختصم رجلان فقضى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذى قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب فلما أتيا إليه قالا: قضى لنا رسول الله صلى الله عيه وسلم ثم جئنا إليك لتقضى بيننا، فقال عمر: مكانكما فخرج بالسيف وقتل من لم يرض بحكم رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن[**] [2] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كما كتبنا على بنى إسرائيل، وأن[3] مصدرية ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ كما أمرناهم من ديار مصر ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوب، أو الضمير لمصدر أحد[4] الفعلين ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم

= القرآن، والخبر على حكم القياس، وقوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت" مشعر بذلك لأنه متى خطر بباله قياس يفضى إلى نقيض مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى أنه لا يكمل إيمانه إلا بعد أن لا يلتفت إلى ذلك الحرج ويسلم النص تسليمًا كليًّا، وهذا الكلام قوى حسن لمن أنصف/ ١٢ كبير.

(١) رواه البخاري عن عروة/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ (٤٥٨٥).

(**) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسير" (٥٥٦٠) قال: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أنبأ ابن وهب، أخبرني عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود.....فذكره. وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٢٢/١) وقال: وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود به. وهو أثر غريب مرسل، وابن لهيعة ضعيف والله أعلم.

(٢) فأنزل الله تلك الآية فبرأ عمر على قتله ظلمًا رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه والحافظ المقدسى/ ١٢ وجيز.

(٣) جاز أن يكون أن مفسرة لأن كتبنا بمعنى: أمرنا/ ١٢.

(٤) أي: اقتلوا أو اخرجوا/ ١٢ منه.

المخلصون، نزلت حين افتحز صحابى ويهودى فقال اليهودى: لقد كتب الله علينا القتل فقتلنا أنفسنًا، فقال الصحابى: لو كتب الله علينا لقتلنا[1] **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾** من مطاوعة النبى ومتابعته طوعًا **﴿لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾** في الدارين **﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾** لإيمانهم وتصديقهم **﴿وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً﴾** كأنه قيل: ما يكون لهم بعد التثبيت، فقال: وإذًا والله لآتيناهم فإن إذا جواب وجزاء **﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾** بسلوكه يصلون إلى الفلاح. **﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾** في الفرائض والسنن **﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾** نزلت[2] حين قال بعض[3] الصحابة: إنى محزون، لأنى لا أطيق فراقك يا محمد وإنى إن دخلت الجنة أكون في مترلة دون مترلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، وفى الحديث أن الأعلين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياضها ويترل لهمرة(*) أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون فهم في روضة يحبرون **﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾** الرفيق كالصديق يطلق على الواحد والجمع أو المراد كل واحد منهم ونصبه على التمييز أو الحال وهو كلام في معنى التعجب. **﴿ذَلِكَ﴾** أي: ما أعطى المطيعين من مرافقة المنعم عليهم **﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾** الأول صفة ذلك أو خبره والثانى خبره أو حال **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾** بمن أطاع الله ورسوله فلا يضيع أجرهم.

---

(١) وعلى هذا الآية مدح لهذا الصحابى أنه من القليل الذين لهم الإخلاص/ ١٢ منه.

(٢) قد ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من طرق متواترات عن جماعة من الصحابة أنه سئل عليه الصلاة والسلام عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال: "المرء مع من أحب، قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث"/ ١٢ وجيز.

(٣) كما رواه ابن جرير وابن مردويه والحافظ المقدسى/ ١٢ وجيز.

(*) وردت في الأصل مصحفة: يترلهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿**يَا أَيُّهَا**[1] **الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ**﴾ من عدوكم أي: استعدوا للحرب واحذروا من الأعداء ﴿**فَانفِرُوا**﴾ أخرجوا إلى الجهاد ﴿**ثُبَاتٍ**﴾ جماعة بعد جماعة متفرقين ﴿**أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً**﴾ مجتمعين أي بادروا إلى الجهاد كيفما أمكن من غير أن تلقوا أنفسكم إلى التهلكة. ﴿**وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَّيُبَطِّئَنَّ**﴾ يتثاقلن ويتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ لازم أو ليبطئن غيره منقولا من بطأ والخطاب لعسكر الرسول. والبعض: المنافقون

(١) ولما ذكر أنه لو كتب عليهم قتل أنفسهم وأطاعوا لهم الأجر العظيم وإن إطاعة الله سبب للرفاقة مع هؤلاء السعداء أمرهم بالجهاد الذى قد ينجر إلى القتل وحذرهم عن الغفلة، فقال: "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم"/ ١٢ وجيز.

واللام الأولى للابتداء والثانية جواب قسم تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ من قتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطئ ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً﴾ حاضرا. ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكد تنبيها على فرط تحسرهم ﴿كَأَن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ منصوب بجواب التمني ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾ نصيبًا وافرًا من الغنيمة يعني أن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وليس من أهل دينكم فإن الحظ من المال غاية بغيتهم لا إعانتكم وأجرهم ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ معناه: إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل الذين يبيعون دنياهم بآخرتهم وهم المؤمنون حقًا أو معناه ليغير ما بهم من النفاق فليقاتل الذين يشترون الدنيا الفانية بالآخرة الباقية فعلى الأول حث المؤمنين على القتال وعلى الثاني حث المبطئين على ترك ما هم عليه ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ له الأجر الجزيل غَلَبَ أو غُلِبَ. ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حال، يعاتبهم على ترك الجهاد ويحرضهم عليه ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن أيدى العدو أو في المستضعفين[1] على حذف المضاف أي في تخليصهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بيان للمستضعفين الذين هم بمكة تحت أيادى المشركين ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ[2] أَهْلُهَا﴾ أرادوا مشركى مكه ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً﴾ يلى أمرنا ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ

---

(١) فهو إما عطف على المضاف إليه من غير تقدير، أو على المضاف على تقديره/ ١٢.

(٢) في القرآن نسبة الظلم إلى القرية كثيرة لكن نسب ههنا إلى أهلها تعظيمًا لأم القرى وتعليمًا/ ١٢ وجيز.

﴿نَصِيراً﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءهم يسر لبعضهم الهجرة إلى المدينة وفتح مكة على نبيه عليه الصلاة والسلام فنصرهم وتولاهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيما يصلون به إلى الله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ[1]﴾ فيما يبلغ هم إلى الشيطان[2] ﴿فَقَاتِلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ أي: مكره المؤمنين بالنسبة إلى مكر الله للكافرين ضعيف فلا تخافوهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ

(١) وهذه الآية دالة على أن كل من كان غرضه في فعله رضاء غير الله فهو في سبيل الطاغوت، لأنه تعالى لما ذكر هذه القسمة وهي أن القتال إما أن يكون في سبيل الله أو في سبيل الطاغوت، وجب أن يكون ما سوى الله طاغوتًا/ ١٢ كبير.

(٢) وهو مع حزبه في النار/ ١٢.

غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال المشركين حين التمسوا قتالهم في مكة وهم ضعفاء[1] قليلون **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾** واشتغلوا بما أمركم الله **﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾** في المدينة وهم أقوياء كثيرون **﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾** إذا للمفاجأة جواب لما **﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾** الكفار خبر فريق ومنهم صفته **﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾** إضافة المصدر إلى المفعول أي: خشية مثل خشيتهم **﴿لله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾** عطف على كخشية الله أي: أو خشية أشد تلك الخشية خشية من خشيتهم لله بأن جعل الخشية خاشيًا كجد جده أو كخشية الله حال من ضمير الجمع أي: حال كونهم مثل

---

(١) فإنهم يلقون من المشركين أذى كثيرًا يستأذنون في القتال ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنا لم نؤمر بالقتال أمرنا بالعفو فكفوا أيديكم"/ ١٢ وجيز.

أهل خشية الله أو أشد خشية من أهل خشية الله **﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾** هلا **﴿أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾** أي: الموت يعنى هلا تركتنا نموت بآجالنا قيل: القائلون منافقون أو مؤمنون وقالوه خوفًا وحرصًا على الحياة ثم تابوا، أو مؤمنون تخلفوا ونافقوا لما فرض عليه القتال **﴿قُلْ﴾** يا محمد **﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾** سريع التقضى **﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾** لا ينقص من ثوابكم مثل فتيل النواة **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾** حصون مرفوعة منيعة عالية قيل: نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا **﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾** المنافقين واليهود **﴿حَسَنَةٌ﴾** كخصب ورزق من ثمار وأولاد **﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾** كجدب ونقص من هلاك ثمار وموت أولاد **﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾** قالوا: ما هى إلا بشؤم محمد وأصحابه **﴿قُلْ كُلٌّ﴾** من الحسنة والسيئة **﴿مِّنْ عِندِ[1] اللَّهِ﴾** بإرادته وقضائه يبسط ويقبض **﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ**

---

(١) وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية فقالوا: نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: وما أصابك من سيئة فمن نفسك، ولا متعلق لهم فيه؛ لأنه ليس المراد من الآيات حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصى بل المراد منه ما يصيبهم من النعم والمحن، وذلك ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم و لم ينسبها إليهم فقال: ما أصابك ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابنى إنما يقال: أصبتها ويقال في المحن: أصابنى بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابًا فهو كقوله تعال: " فإذا جاءهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه" (الأعراف:١٣١)، فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه ووعد عليها الثواب والعقاب فقال: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها" (الأنعام:١٦٠)، وقيل معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: بذنب نفسك من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن قيل: كيف وجه الجمع بين قوله: "قل كل من عند الله" أي:
=

﴿لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ أي: القرآن فإنه لو فهموه لعلموا أن الكل[1] منه تعالى، أو حديثًا ما كبهائم لا أفهام لهم **﴿مَا أَصَابَكَ﴾** يا إنسان **﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾** من نعمة **﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾** تفضلاً منه **﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾** بلية **﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾** بسبب شؤم ذنوبك[2] وإنما كتبتها عليك فالحسنة إحسان، والسيئة مجازاة يصل الكل من الله تعالى **﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾** يا محمد **﴿لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾** حال قصد به التأكيد ويجوز تعلق للناس به فحينئذ قصد به التعميم أي: رسولاً للناس كلهم **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾** على رسالتك **﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا

= الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: فمن نفسك أي: وما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى: "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" (الشورى:٣٠)، يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ (وما أصابك من سيئة فمن نفسك"، وأنا كتبتها عليك) وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبله والقول فيها مضمر تقديره "فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا" يقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، قل: كل من عند الله / ١٢ معالم.

(١) أي: لا فاعل سواه تعالى ولا واسطة في البلايا سوى: أنفسهم دون النبي على ما زعموا، فتمام الرد عند قوله: "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" وبهذا اندفع ما قيل إنهم لم يجعلوا النبي فاعلاً للبلايا بل واسطة كما في قوله تعالى: "يطيروا بموسى" (الأعراف:١٣١)، فلا يكون جعل المبدأ الفاعلي هو الله وحده ردًا لمقالتهم فافهم/ ١٢ج.

(٢) يعني إن نظرت إلى المبدأ الفاعلي فالكل منه، وإن نظرت إلى الواسطة والسبب فما هي إلا شؤم أنفسهم لا النبي ، بل هو الواسطة لدفع المصائب ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، ما أرسلنك إلا رحمة للعالمين، وأما قوله: "قل كل من عند الله" فلدفع وهم ينشأ من قوله: "وما أصابك من سيئة فمن نفسك/ ١٢ وجيز.

وحی یوحی، نزلت حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أطاعني وأحبني أطاع الله تعالى وأحبه فقال المنافقون: يريد أن نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى عليه السلام ﴿وَمَن تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ عن المعاصي إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿طَاعَةٌ[1]﴾ أي: أمرنا وشأننا طاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أي: قدر وبدل ليلاً وسرًّا خلاف ما قلت لهم أو خلاف ما قالت طائفة من الطاعة ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ يثبت في صحائف أعمالهم ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ ما يسرون ويقدرون ليلاً ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فاصفح عنهم ولأتوا خذهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ سيما في شأنهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ يكفيك شرهم قيل: الآية منسوخة بآية القتال ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ[2] الْقُرْآنَ﴾ لا يتفكرون فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ كما زعم الكفار والمنافقون ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ تفاوتًا وتناقضًا لا يكون كله في طبقة البلاغة، ويكون في إخبار الغيب بما كان ويكون خلاف واقع ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ مما يوجب أحدهما ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتحهم أو هزيمتهم يفشونه قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه مضار كثيرة وهم المنافقون وقيل: ضعفة المؤمنين وأذاع جاء متعديًا بنفسه وبالباء ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ ذلك الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ ذوى الرأى من أصحابه أو أمراء السرايا ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

---

(١) وأصلها النصب أي: أطعنا طاعة والرفع للثبات كسلام عليك/ ١٢ وجيز.

(٢) لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم، وكان كل ذلك لأجل أنهم ما كانوا يعتقدون كونه محقًا في ادعاء الرسالة صادقًا فيه، بل كانوا يعتقدون أنه مفتر متخرص، فلا جرم أمرهم الله تعالى بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال: "أفلا يتدبرون القرآن" الآية (النساء:٨٢، محمد:٢٤) / ١٢ كبير.

يستخرجونه ويستعملونه من معادنه يعني: لو سكتوا لحصل لهم العلم به من الرسول وأولى الأمر، ولا ضر فيه أو لو ألقوا ذلك الخبر إليهم لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم على أي وجه يذكر من إفشاء ما فيه المصلحة وكتمانه، وقد صح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجد الناس يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فجاء إليه وسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام: لا فنادى عمر بأعلى صوته: لم يطلق، ونزلت هذه الآية فقال عمر: أنا الذى استنبطت ذلك الأمر[*] ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿**لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ ممن تفضل عليه بعقله الصائب فاهتدى به كورقة بن نوفل وقيل: إلا اتباعًا قليلاً نادرًا ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ ولو كنت وحدك ﴿**لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ**[1]﴾ إلا فعل نفسك فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فالله ناصرك ﴿**وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي: على القتال فما عليك إلا التحريض ﴿**عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: شدة المشركين بتحريضك إياهم على القتال، وقد فعل بأن ألقى الرعب في قلوبهم فرجعوا عن الطريق في البدر الثاني ﴿**وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً**﴾ صولة وشدة من قريش ﴿**وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾ عقوبة ﴿**مَن**[2] **يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً**﴾ تجوز في الدين قُبلت أو لا ﴿**يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾ وهو ثواب الشفاعة ﴿**وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً**﴾ لا يجوز أن يشفع فيه ﴿**يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا**﴾ نصيب من

(*) أخرجه مسلم في "الطلاق"/ باب: بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية (٦٧٩/٣) ط الشعب.

(١) واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بعد حرب أحد في بدر الصغرى الخروج، فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت/ ١٢ منه.

(٢) ولما كان بين المؤمنين والمشركين من قريش القرابة الموجبة للتواد والتعاطف والإشفاق عليهم بمثل الشفاعة في مصائبهم بين سبحانه شفقة على المؤمنين أن الشفقة على أي غاية جائزة فقال مستأنفًا: "من يشفع" الآية/ ١٢ وجيز.

وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً ﴾ مقتدرًا أو حفيظًا ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم[1] بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ أي: إذا سلم عليكم فأجيبوا بزيادة أو ردوا كما سلم فإذا قال أحد: السلام عليك ورحمة الله فزد عليه: وبركاته، والزيادة سنة، والرد واجب، وقال قتادة: الزيادة للمسلمين والرد لأهل الذمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾ يحاسبكم ويجازيكم. ﴿اللَّهُ[2] لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة أو ليجمعنكم في القبور إلى يوم القيامة ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم أو في الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ[3] حَدِيثاً ﴾ وعدًا ووعيدًا .

---

(١) ولما قسم الشفاعة قسمين وما هي إلا من لوازم التواد والتعاطف، ذهب وهم واهم إلى أن التحية والسلام كالشفاعة فدفعه وقال: "إذا حييتم بتحية" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما ذكر فرضية القتال وأمر بالتحريض عليه والشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة وتعليم السلام، وأنه حسيب على كل شيء أخبر بأنه يجمعهم للمجازاة فقال: "الله لا إله إلا هو" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) قوله حديثا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: سائر أهل السنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف شاء، وقد سمى الله القرآن حديثا ومحدثا فقال: "الله نزل أحسن الحديث" وقال: "من أصدق من الله حديثًا" وقال: "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" (الأنبياء:٢)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما شاء" وهذا مما احتج به البخارى في صحيحه وغير صحيحه واحتج به غير البخارى كنعيم ابن حماد وحماد بن زيد، ومن المشهور عن السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق منه يبدأ وإليه يعود انتهى.

قال البخارى في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية باب قول الله: "كل يوم هو في شأن" (الرحمن:٢٩)، و"ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" (الأنبياء:٢)، وقول الله: "لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا" (الطلاق:١)، وإن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين =

....

= لقوله: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى:١١). وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء وأن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة" انتهى ووقعت هذه العبارة في صحيح البخارى، وأيضًا قال فيه في باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق: وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق ومن كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مخلوق مكون. انتهى وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية قدس الله روحه: و أفعال الله عز وجل نوعان: متعد ولازم.

فالمتعدى مثل الخلق والإعطاء ونحو ذلك. واللازم مثل الاستواء والنزول والمجيء والإتيان قال تعالى: "هو الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش" (الحديد:٤)، فذكر اللفظين المتعدى واللازم وكلاهما حادث بقدرته ومشيئته، وهو متصف وتسمى هذه الأفعال أفعالاً اختيارية التي يسميها الجهمية المعتزلة حلول الحوادث وهى كثيرة جدًّا بل الآيات التى تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جدًّا، وهذا كقوله تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" (الأعراف:١١)، فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم لم يأمرهم في الأزل وكذلك قوله تعالى: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران:٥٩)، فإنما قال له كن بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل، وكذلك قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام "فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها" (النمل:٨)، "فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين" (القصص:٢٠)، فهذا بين في أنه إنما ناداه حين جاء، ولم يكن النداء في الأزل كما تقوله الكلابية يقولون: إن النداء قائم بذات الرب في الأزل وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال مناديًا له لكنه لما أتى خلق فيه إدراكًا لما كان موجودًا في الأزل إلى أن قال: والقرآن والسنة وكلام السلف قاطبة يقتضى أنه إنما ناداه وناجاه حين أتى لم يكن النداء موجودًا قبل ذلك فضلاً عن أن يكون قديما أزليًّا، وقال تعالى: "فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما =

....

= وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين" (الأعراف:٢٢)، وهذا يدل على أنه لما أكلا منها ناداهما لم ينادهما قبل ذلك وقال تعالى: "ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين"(القصص:٦٥). "ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون" (القصص:٧٤)، فجعل النداء في يوم معين وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن، وهو حينئذ يناديهم لم ينادهم قبل ذلك وقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد" فبين أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد ويأمر بما يريد، فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهى متعلقًا بإرادته وهذه أنواع الكلام فدل على أنه يأمر بإرادته وينهى بإرادته، ويحلل بإرادته، ويحرم بإرادته، إلى أن قال: ومثل هذا كثير في القرآن، وكذلك في الإرادة والمحبة كقوله تعالى: "إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون" (يس:٨٢)، وقوله: "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله" (الكهف: ٢٣،٢٤)، وقوله: "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين" (الفتح:٢٧)، وقوله: "وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له" (الرعد:١١)، وقوله: "وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً" (الإنسان:٢٨)، وقوله: "ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك" (الإسراء:٨٦)، وأمثال ذلك في القرآن، فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال مثل إن وأن، وكذلك إذا ظرف لما يستقبل من الزمان فقوله تعالى: "وإذا اراد الله" (الرعد:١١)، و"أن يشاء الله" (الكهف:٢٤)، ونحو ذلك يقتضى حصول إرادة مستقبلة ومشيئة مستقبلة وكذلك في المحبة والرضى قال تعالى: "إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله"(آل عمران:٣١)، إن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله فإنه جزم قوله يحببكم اللّه، فجزمه جوابا للأمر وهو في معنى الشرط تقديره: إن تتبعونى يحببكم الله، ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم الرسول، وقد مر بعض هذه العبارة بعينها في صفحة متقدمة فلا نعيده. =

....

= وأطال رحمه الله وبين وفصل وميز الحق عن الباطل والصواب من الخطأ إلى أن قال: وكذلك كونه خالقًا ورازقًا ومحسنًا وعادلاً فإن هذه أفعال فعلها بمشيئته وقدرته إذ كان يخلق بمشيئته ويرزق بمشيئته ويحسن بمشيئته ويعدل بمشيئته والذى عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلق غير المخلوق فالخلق فعل الخالق والمخلوق مفعوله، ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ بأفعال الرب وصفاته كما في قوله: "أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك". فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه، وقد استدل أئمة السنة كأحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق، لأنه استعاذ به فقال صلى الله عليه وسلم من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه، فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوق، لأنه استعاذ به والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقه؛ فإنها نتيجة معافاته، وإذا كان الخلق فعله والمخلوق مفعوله وقد خلق الخلق بمشيئته دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته، وقد حكى البخارى إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق، وعلى هذا يدل صريح المعقول فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن وأن الله الفرد بالقدم والأزلية إلى أن قال: فالسلف يقولون: لم يزل متكلما إذا شاء وكما شاء وقد قال تعالى: "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا" (الكهف:١٠٩)، فكلمات الله لا نهاية لها وهذا تسلسل جائز كالتسلسل في المستقبل، فإن نعيم الجنة دائم لا نفاد له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية إلى أن قال: والمقصود هاهنا أن القرآن يدل على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع أما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب كما في الصحيحين عن زيد بن خالد: أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه صلاة الصبح ثم قال: أتدرون ماذا قال ربكم الليلة الحديث................ وفى الصحاح في حديث الشفاعة فيقول كل من الرسل: إن ربي قد غضب اليوم عضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا =

﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ تفرقتم في أمرهم فرقتين، "فئتين" حال، وعاملها لكم "وفي المنافقين" متعلق بما دل عليه فئتين أي: متفرقين فيهم نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه حين رجعوا عن طريق أحد فبعض المسلمين قالوا: نقتلهم، وفرقة تقول: لا فإنهم مسلمون.

= يغضب بعده مثله فقال كل منهم: إن ربي قد غضب اليوم، وهذا بيان أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله وفى الصحيح إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماوات كجر السلسلة على الصفوان" فقوله: إذا تكلم الله بالوحى يسمع يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون، وذلك ينفى كونه أزليًا إلى آخر ما تركناه لضيق المقام انتهى مختصرًا ملتقطًا/ ١٢.

أو في قوم من العرب نزلوا المدينة وأسلموا ثم أصابتهم حمى المدينة فخرجوا ولحقوا المشركين وكتبوا إلى المسلمين إنا على دينكم فقال: بعضهم نافقوا و قال بعضهم: هم مسلمون.

أو في قوم كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين وقعدوا عن الهجرة **﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾** ردهم إلى الكفر بسبب عصيانهم أو أهلكهم **﴿أَتُرِيدُونَ﴾** أيها المؤنون **﴿أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾** تجعلوه من المهتدين **﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾** إلى الهدى **﴿وَدُّوا﴾** تمنوا هؤلاء **﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** أنتم **﴿كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾** أنتم وهم[1] **﴿سَوَاءً﴾** في الضلال وهو عطف على تكفرون **﴿فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾** لا توالوهم **﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** فتحققوا إيمانهم **﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾** عن الهجرة وأظهروا الكفر **﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِياً وَلاَ نَصِيراً﴾** لا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة **﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾** استثناء من مفعول[2] واقتلوهم أي: لا تقتلوا الذين يلجأون وينتهون إلى قوم عاهدوكم واجعلوا حكمهم كحكمهم وهم الأسلميون، فإنه عليه الصلاة والسلام وادع لهلالاً الأسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل إليه فله من الجوار مثل ما له، أو بنو بكر بن زيد مناة أو خزاعة **﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾** عطف على الصلة **﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾** حال أي: قد ضاقت عن **﴿أَن يُقَاتِلُوكُمْ﴾** أو لأن أو كراهة أن **﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾** هؤلاء قوم آخرون من المستثنين عن الأمر بقتلهم وهم الذين يخشون المصاف وصدورهم كارهة عن قتالكم

---

(١) مستوى الضلال يعنى أنتم ترجون هدايتهم، وهم يرجون ضلالكم فقد تباعدتم في المذاهب وتباينتم في المقاصد/ ١٢وجيز.

(٢) وليس استثناء من قوله: "ولا تتخذوا منهم وليًّا" وإن كان أقرب لأن اتخاذ الولى منهم حرام بلا استثناء ما داموا في الكفر/ ١٢.

ولا يهون عليهم أيضًا أن يقاتلوا قومهم معكم لا عليكم ولا لكم، كجماعة خرجوا يوم بدر من بنى هاشم مع المشركين وكرهوا القتال كعباس ونحوه وقيل: معناه أن يقاتلوا قومهم أي: إذا أسلموا وقيل عطف على صفة قوم أي: إلا الذين يلجأون إلى قوم جاءوكم كافين عن القتال **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾** تسليطهم **﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾** أي: من لطفه بكم أن أذلهم عندكم وضيق صدورهم عن قتالكم فكفوا عنكم **﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ[1] السَّلَمَ﴾** الصلح والانقياد **﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾** في أخذهم وقتلهم **﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾** هم أسد وغطفان أو بنو عبد الدار أظهروا الإسلام مع المسلمين ليأمنوا عندهم على دمائهم وأموالهم وحققوا الكفر مع قومهم **﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الفِتْنَةِ﴾** دعوا إلى الشرك وقيل: إلى القتال مع المسلمين **﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾** انهمكوا فيها **﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾** لم يصلحوا **﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾** عن قتالكم **﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾** حجة بينة في قتالهم لظهور عداوتهم وعدم وفائهم .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

---

(١) لا يكفى كف الأيدى عن الأيدى في نفى التعرض بل لابد منه مع الصلح ونبذ العهد/ ١٢منه.

مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ**﴾ ما صح له وليس من شأنه ﴿**أَن يَّقْتُلَ مُؤْمِنًا**﴾ في شيء من الأحوال ﴿**إِلاَّ خَطَئًا**(١)﴾ أي: حال الخطأ أو إلا قتلاً خطأ وقيل: الاستثناء منقطع، وما كان نفي بمعنى النهي أي: لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر ﴿**وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ**(٢)﴾ أي: فعليه إعتاقها(٣) ﴿**وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ**﴾ مؤداة إلى

---

(١) وقيل: الاستثناء منقطع وهذا بناء على أن المتصل دال على جواز القتل خطأ ولا يدل لأن حاصله أن من شأن المؤمن ألاّ يقتل إلا خطأ/ ١٢ وجيز.

(٢) هذا إذا كان المقتول مؤمنًا وعند كثير من العلماء: كذا إن كان كافرًا أيضًا والقرآن لا يدل عليه/ ١٢ وجيز.

(٣) اختلف العلماء في الرقبة المؤمنة قيل: هي التي صلت وعقلت الإيمان فلا تجزئ الصغيرة، وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي وقتادة وغيرهم. أخرج عبد بن حميد وأبو داود والبيهقي عن أبي هريرة: "أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية =

ورثته يقسموها قسمة الميراث ﴿إِلاَّ أَن يَّصَّدَّقُوا﴾ يعفوا وسمى العفو عنها صدقة ترغيبًا عليه أي: فعليه التحرير والدية في جميع الأحيان إلا حين أن يتصدق أهله بالدية فحينئذ تسقط الدية ﴿فَإِن كَانَ﴾ المؤمن المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ كفار محاربين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ و لم يعلم القاتل إيمانه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ دون الدية لأهله لأنه لا وراثة بين مسلم وكافر ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ ككفار معاهدين أو أهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي: فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية إن كان المقتول مؤمنًا وكذا إن كان كافرًا أيضًا عند كثير من العلماء ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة و لم يجد ثمنها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ أي: فعليه ذلك ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مفعول له أي: شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بحاله ﴿حَكِيماً﴾ فيما حكم عليه ﴿وَمَن يَّقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ عشرة من كبار[1] السلف بل أكثر على أنه لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدًا ويؤيدهم بعض الأحاديث كقوله عليه الصلاة والسلام: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا[2] " والجمهور على أنه له توبة

= سوداء فقال: يا رسول الله إن على عتق رقبة مؤمنة فقال لها أين الله؟ : فأشارت إلى السماء بأصبعها فقال لها: فمن أنا فأشارت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى السماء أي: أنت رسول الله فقال: أعتقها فإنها مؤمنة"، وقد روى من طرق وهو في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمى/ ١٢ فتح.[أخرجه مسلم في "المساجد"/ باب: تحريم الكلام في الصلاة (٢/ ١٧٠) ط الشعب.]

(١) بالنقل الصحيح منهم/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي والبزار/ ١٢ وجيز.[أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/ ٩٩) والحاكم في "المستدرك" (٤/ ٣٥١)، والنسائي (٣٧١٩) من طريق ثور عن أبي عوف، =

ويدل عليه الآيات والأحاديث فقال بعض السلف: هذا جزاؤه إن جوزى عليه[١] لكن قد يكون لذلك الجزاء معارض من عمل صالح أو عفو، وقيل الإخلاف في الوعيد ليس بخلف وذم، أو المراد بالخلود المكث الطويل، أو الخلود لمن يستحله فإنه نزلت في رجل خرج من المدينة وقتل مؤمنًا وارتد. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذهبتم للغزو وسافرتم ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ اطلبوا بيان الأمر ولا تعجلوا فيه ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ﴾ لمن حياكم بتحية الإسلام، ومن قرأ السلَم فمعناه: الانقياد وقيل: معناه: قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ وإنما فعلت ذلك متعوذا ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تطلبون حطام الدنيا، هو حال من فاعل لا تقولوا ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ ربما يغنيكم عن قتل من أظهر الإسلام لما له ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تخفون إيمانكم أو لم تكونوا مؤمنين أو محصونة دماؤكم بمجرد كلمة الشهادة ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان أو بالهداية ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ لا تبادروا ظنًّا بأنهم دخلوا في الإســـلام اتقاءً وخوفًا. تأكيد لما تقدم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ عالمًا بالغرض من القتل فاحتاطوا. نزلت في رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فقتلوه وأخذوا غنيمته[٢]، أو في

= عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت معاوية يخطب فذكره. قال الحاكم: "صحيح الإسناد" وأقره الذهبي. وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" .]

(١) قال الشيخ ابن كثير: الأصح أن هذا القول موقوف على أبى هريرة وقيل: إنه تعالى يسيء عاقبته ولا يوفقه للتوبة النصوح لشؤم هذا الذنب، وقد ثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلى الذى قتل مائة نفس ثم تاب الله عليه، وإذا كان في بنى إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة المرحومة توبتهم بطريق الأولى/ ١٢ وجيز.

(٢) كما رواه البخارى والترمذى عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ (٤٥٩١).]

رجل له[1] مال كثير بقى من قوم كافرين أرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم السرية وقد تفرقوا فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فأهوى إليه أحد من المسلمين فقتله، فأنزل الله الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقاتل: "كان رجل مؤمن يخفى إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته وكذلك كنت تخفى إيمانك بمكة قبل" ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الحرب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ صفة القاعدون، فإنه ما أراد به قومًا معينًا فهو كالنكرة أو بدل، ومن قرأ منصوبا فهو حال أو استثناء، نزلت أولاً "لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله" إلخ فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ثم سرى عنه فقرأ: "لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر[2]"[*] ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ يعنى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الحرب من غير عذر ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ غير أولى الضرر صرح به ابن عباس والحديث الصحيح يدل عليه ﴿دَرَجَةً﴾ الجملة موضحة، لما نفى الاستواء فيه ونصب درجة بنزع الخافض أي: بدرجة عظيمة تندرج تحت الدرجات أو على المصدر، لأنه تضمن معنى

---

(١) رواه الحافظ وفى البخارى بعض منه/ ١٢ وجيز.[ذكره الحافظ في "الفتح" (١٠٧/٨) وابن كثير في "تفسيره" (٥٤٠/١) وعزاه للبزار من طريق: حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... فذكر القصة. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥٧/٣) وعزاه للبزار والدارقطني والطبراني.]

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله﴾ (٤٥٩٤) ومسلم في "الإمارة"/ باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين (٥٦١/٤) ط الشعب.

التفضيل ﴿وَكُلاًّ﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى[١]﴾ الجنة والجزاء الجزيل ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ[٢] عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ بمعنى آجرهم أجرًا عظيمًا ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ كل واحد بدل من "أجرًا" كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه إجمالا وتفصيلاً قيل: الدرجة: ارتفاع مترلتهم عند الله، والدرجات: منازلهم في الجنة، وقال بعض المفسرين: القاعدون الأول هم الأضراء خلاف ما صرحناه فإنهم أفضل بدرجة واحدة؛ لأن لهم نية بلا عمل ولهم نية وعمل، والقاعدون الثاني: هم غير أولى الضرر فإن بينهم درجات كثيرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لما فرط عنهم ﴿رَّحِيماً﴾ بأن جعل نية المؤمن كعمله.

---

(١) وفى البخارى أن بالمدينة أقواما ما تسيرون من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه، قالوا: كيف وهم بالمدينة؟! قال صلى الله عليه وسلم: حبسهم العذر/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "الجهاد"/ باب: من حبسه العذر عن الغزو (٢٨٣٩).]

(٢) واعلم أن الجهاد في الجملة فرض غير أنه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية، ففرض العين: أن يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم حرًّا كان أو عبدًا غنيًّا كان أو فقيرًا دفعًا عن أنفسهم وعن جيرانهم، وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية فإن لم يقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم، وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الأبعدين على طريق الاختيار، ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قادرين في بلادهم فعلى الإمام أن لا يخلى سنته عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلاً والاختيار لمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره أن لا يقعد عن الجهاد، ولكن لا يفترض، لأن الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال: "وكلا وعد الله الحسنى" فلو كان فرضا على العين لاستحق القاعد العقاب لا الثواب/١٢ معالم التتريل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ يحتمل أن يكون ماضيًا ومضارعًا ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ ملك الموت وأعوانه ولا يبعد أن يقال معناه: قتلهم الملائكة فإن الملائكة محاربون يوم بدر ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وبالخروج مع المشركين ﴿قَالُوا﴾: الملائكة، توبيخًا لهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر الدين حيث ما هاجرتم وما أظهرتم دينكم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ عاجزين من الخروج عن مكة إلى المدينة ﴿قَالُوا﴾: الملائكة، تبكيتا لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا [١] فِيهَا﴾ إلى جانب وبلد آخر ﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ لمساعدتهم الكفار وهو خبر إن و"قالوا فيم كنتم": حال بإضمار قد أو خبر بحذف العائد أي: قالوا لهم وحينئذ فأولئك عطف على الجملة قبلها مستنتجة منها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ جهنم[٢] نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام و لم يهاجروا وخرجوا مع

(١) إلى جانب وأرض يمكن لكم التمسك بالشرائع وإقامة الدين/ ١٢.

(٢) حاصل معنى الآية أن من مات على ترك الهجرة مع قدرته عليها وإقامته بين المشركين غير متمسك بالشرائع فهو في جهنم/ ١٢ وجيز.

المشركين فقتلوا يوم بدر ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ استثناء منقطع ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الصبيان أو المماليك وذكر الصبيان إن أراد المراهقين فظاهر وإلا فللمبالغة والإشارة إلى أن على القوم أن يهاجروا بهم ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أسباب السفر من قوة أو مال حال عن المستضعفين أو صفة له إذ لا تعيين في الألف واللام ﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ لا يعرفون طريقًا ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ هم وإن كانوا عاجزين لكن ربما تمكنوا من الهجرة وقتا ما بنوع ما و لم يدروا ولهذا أطمعهم في العفو وليعلم أن تلك الهجرة أمر خطير من شأنه أن لا يأمن المعذور فكيف بغيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُوراً وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً﴾ تمتعا يراغم به الأعداء، وعن كثير من السلف أن المراغم التحول من أرض إلى أرض وعن بعضهم متزحزحًا عما يكره ﴿وَسَعَةً[1]﴾ في الرزق أو من الضلالة إلى الهدى ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ثبت أجره عند الله نزلت في ضمرة بن جندب شيخ كبير مصاب البصر هاجر من مكة فمات في الطريق ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً[2]﴾ فبرحمته يجعل الناقص كالتام.

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا

---

(١) كما ورد سافروا تغنموا رواه الطبراني/ ١٢ وجيز.[وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة".]

(٢) فبرحمته يكمل الناقص ولما أوجب السفر بالهجرة والجهاد وفي السفر مشقات ولهذا قيل: السفر قطعة من نار السقر خفف في صلاة السفر فقال: "وإذا ضربتم"/ ١٢ وجيز.

كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ سافرتم **﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** حرج **﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ﴾** هذه العبارة تدل على جواز القصر لا على وجوبه، لكن أكثر السلف على وجوبه، وقال كثير منهم: هذه الآية في صلاة الخوف، فالمراد: أن تقصروا من جميع الصلوات بأن تجعلوها ركعة واحدة أو من كيفيتها لا من كميتها، والآية التي بعدها تبيين وتفصيل لها كما سنذكر، سئل ابن عمر رضى الله عنهما أنا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافر؟ فقال ابن عمر: إنا وجدنا نبينا يعمل فعملنا به(*) وما يدل على ذلك كثير ولهذا لما عقد البخاري كتاب صلاة

(*) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٥٥/٥، ١٥٦) من طريق: ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لعبد الله بن عمر .... فذكره. وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٤٧/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٢٧٣/٣).

الخوف[*] صدره بهذه الآية وعلى هذا قوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن[١] يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَـرُوا﴾ شرط[٢] له لا باعتبار الغالب في ذلك الوقت ويعتبر ولا يعتبر مفهومه فإن الإجماع على

(*) الفتح (٤٩٧/٢).

(١) إن كان المراد من الآية صلاة الخوف فهذا شرط لا يجوز قصر الخوف بدون هـذا، وإن كان المراد قصر السفر فهذا بيان واقع غالب أسفارهم ونظير ذلك وربائبكم اللاتـي في حجوركم كما بينا، وفى مسلم: "سئل عمر إن شرط قصر الصلاة في القرآن الخـوف وقد أمن؟ الناس فقال عمر: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما سألتم عنه فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته/ ١٢ وجـيز.[أخرجـه مسـلم (٣٣٧/٢) ط الشعب.]

(٢) ظاهر الآية يدل على جواز القصر في مطلق السفر، وأن قليل السفر وكثيره سـواء في حصول الرخصة، لأن قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكـم جنـاح أن تقصروا من الصلاة" جملة مركبة من شرط وجزاء الشرط هو الضرب في الأرض والجزاء هو جواز القصر، وإذا حصل الشرط وجب أن يترتب عليه الجزاء لا يقال فهذا يقتضـى حصول الرخصة،عند انتقال الإنسان من محلة إلى محلة، ومن دار إلى دار؛ لأنا نقـول الانتقال من محلة إلى محلة لا يسمى ضربا في الأرض لا شرعا ولا عرفـا، وأن قولـه تعالى:"وإذا ضربتم في الأرض" يدل على جعل الضرب في الأرض شرطا لحصول هـذه الرخصة فلو كان الضرب في الأرض اسما لمطلق الانتقال لكان ذلك حاصلاً دائمًا امتنـع جعله شرطًا لثبوت هذا الحكم، فلما جعل الله الضرب شرطًا لثبوت هذا الحكم علمنـا أنه مغاير لمطلق الانتقال، وذلك هو الذى يسمى سفرًا، ومعلوم أن اسم السفر واقع على القريب والبعيد فعلمنا دلالة الآية على حصـول الرخصـة في مطلق السـفر وأيضًـا اضطراب أقوال الفقهاء في ذلك يدل على أنهم لم يجدوا في المسألة دليلاً قويًا في تقديـر المدة، إذ لو حصل في المسألة دليل ظاهر الدلالة لما حصل هذا الإضطراب، وأما سكوت سائر الصحابة عن حكم هذه المسألة فلعله إنما كان لأنهم اعتقدوا أن هذه الآية دالة على ارتباط الحكم بمطلق السفر، فكان هذا الحكم ثابتًا في مطلق السفر بحكم هذه الآية، وإذا

=

جواز القصر في السفر من غير خوف ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ أيها الرسول، علمه طريق صلاة الخوف ليقتدى الأئمة بعده به[1] عليه

= كان الحكم مذكورًا في نص القرآن لم يكن بهم حاجة إلى الاجتهاد والاستنباط، فلهذا سكتوا عن هذه المسألة وأيضًا السفر واقعة تعم الحاجة على معرفة حكمها، لأن الحاجة إليها عامة لأن أكثر الصحابة كانوا في أكثر الأوقات في السفر وفى الغزو، فلو كانت رخص السفر مخصوصة بسفر مقدر كانت الحاجة إلى مقدار السفر المقيد للرخص حاجة عامة في حق المكلفين ولو كان الأمر كذلك لعرفوها ولنقلوها نقلاً متواترًا لاسيما وهو على خلاف ظاهر القرآن وأيضًا دلائل الشافعية ودلائل الحنفية صارت متقابلة متدافعة، وإذا تعارضت تساقطت فوجب الرجوع إلى ظاهر القرآن والله أعلم/ ١٢.

وفى معالم التنزيل اختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة: يجوز القصر في السفر الطويل والقصير روى ذلك عن أنس وقال عمر بن دينار: قال لى جابر بن زيد: أقصر بعرفة، أما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر في السفر القصير، واختلفوا في حد ما يجوز به القصر فقال الأوزاعى: مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد وهى ستة عشر فرسخًا، وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق ولكن قول الحسن والزهرى قريب من ذلك قالا: مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعى قال: مسيرة ليلتين قاصدتين وقال في موضع: ستة أربعون ميلاً بالهاشمى، وفى الكبير قال مالك والشافعى: أربعة برد كل بريد أربعة فراسخ كل فرسخ ثلاثة أميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قدر أميال البادية كل ميل اثنا عشر ألف قدم وهى أربعة آلاف خطوة فإن كل ثلاثة أقدام خطوة/ ١٢.

(١) فلا يدل على عدم جوازه إذا لم يكن هو صلى الله عليه وسلم فيهم وعند من يقول: قوله :"إذا ضربتم" الآية في صلاة السفر فقد تم وقوله "وإذا كنت فيهم" شروع في بيان صلاة الخوف/ ١٢.

الصلاة والسلام ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ أي: اجعلهم طائفتين فلتقم أحداهما معك فصل بهم ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي: الباقون وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم أو المصلون حزمًا ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المصلون ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: غير المصلين ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ أي الذين كانوا من ورائهم يحرسوهم ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا[1]﴾ أي: الذين صلوا قبل أو الذين أتوا ﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فجمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ روى في طريق صلاة الخوف ستة أوجه أو سبعة، وأنا أذكر بعضها.

أحدها: أن يجعلهم صفين[2] ويصلى بهما إلى أن يرفعا رأسهما من الركوع سجد وسجد الصف الأول والصف الآخير قيام يحرسوهم فلما قام الصف الأول إلى الركعة الثانية سجد الصف الثانى، ثم يقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وهؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم ركع وركعوا جميعًا ورفعوا من الركوع ثم سجد وسجد الصف الذى يليه والآخر قيام يحرس فلما جلسوا سجد الصف الثانى وتشهد الكل وسلموا.

---

(١) وظاهر القرآن أن الضمير للمصلين المقتدين فإنهم مظنة طرح السلاح للصلاة/ ١٢.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وهذه صلاته بعسفان، وهذه مذكورة أيضًا في البخارى بعبارة أخصر من ذلك، وظاهر القرآن كثير الملائمة مع تلك الطريقة/ ١٢ منه.

وفى الفتح: وقد وردت صلاة الخوف في السنة المطهرة على أنحاء مختلفة وصفات متعددة وكلها صحيحة مجزية من فعل واحدة منها فقد فعل ما أمر به، ومن ذهب من العلماء إلى اختيار صفة دون غيرها فقد أبعد عن الصواب/ ١٢.[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١٠٩٦) من حديث أبي عياش الزرقي –رضي الله عنه–]

والثانية: أن يصلى بالطائفة الأولى ركعة وينتظر قائمًا حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلى المصاف، وتأتى الأخرى فيتم به الركعة الثانية وينتظرهم قاعدًا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم(*).

والثالثة: قال جابر عن عبد الله الركعتان في السفر تمام إنما القصر واحدة عند القتال، وهو أنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام صف قبله وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا مقام أصحابهم وجاء أولئك حتى قاموا خلفه مقام هؤلاء، فصلى بهم ركعة وسجدتين، ثم سلم وسلموا فكانت للنبى صلى الله عليه وسلم ركعتين ولهم ركعة ركعة(**) وهذا الطريق مروى عن كثير من الصحابة بروايات متعددة صحيحة.

والرابعة: أن يصلى بكل من الطائفتين ركعتين فيكون للإمام أربع ركعات وللمأمومين ركعتان• **﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾** بالقتال فلا تغفلوا عنها **﴿وَلاَ جُنَاحَ﴾** لا وزر **﴿عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾** هذا يدل على أن الأمر بأخذ السلاح للوجوب، وهو قول بعض العلماء، وأكثرهم على أنه سنة مؤكدة **﴿وَخُذُوا**

(*) أخرجه البخاري في "المغازي"/ باب: غزوة ذات الرقاع (٤١٢٩) ومسلم في "صلاة الخوف" (٤٩٣/٢) ط الشعب. من حديث صالح بن خوات -رحمه الله- وهو تابعي ثقة ليس له في البخاري إلا هذا الحديث الواحد. (محققه)

(**) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٦٣/٢) وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٥٠/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٣٧٤/٢) وقال ابن كثير: ورواه النسائي من حديث شعبة ولهذا الحديث طرق عن جابر رواه جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد.

(•) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير"/ باب: من علق سيفه بالشجر في السفر عن القائلة (٢٩١٠) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "صلاة الخوف" (٤٩٣/٢) ط الشعب. من حديث جابر -رضي الله عنه-.

﴿حِذْرَكُمْ﴾ أي: لا بد من التيقظ وعدم الغفلة في أي صفة وحال كنتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ وعد للمؤمنين بالنصر وإشارة على أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم، بل لأن الواجب في الأمور التيقظ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ﴾ فرغتم من صلاة الخوف ﴿فَاذْكُرُوا[1] اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ أي: في سائر أحوالكم وكثرة الذكر عقب صلاة الخوف آكد لما فيها من التخفيف ومن الرخصة في الذهاب والإياب، وغيرها قيل: معناه إذا أردتم الصلاة واشتد الخوف فصلوها كيف ما أمكن ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ سكنت جآشكم من الخوف ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ عدلوا أركانها واحفظوا شرائطها ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ مفروضًا محدودًا أو منجما كلما مضى وقت جاء وقت ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب قتال الكفار ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ من الحرج ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ فضرر القتال لا يختص بكم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ ولكم هذا المزيد رجاء المثوبة والنصر والتأييد، فينبغي أن تكونوا أصبر على الحرب وأرغب ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بضمائركم ﴿حَكِيماً﴾ فيما حكم.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا

---

(١) والمعنى: ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع إليه، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه، أخرجه الشيخان/ ١٢ فتح.[أخرج البخاري معلقا (٢/١٣٥-الفتح) ووصله مسلم (١/٦٧٤) ط الشعب.]

أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿إِنَّا أنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ[(١)] بِالحَقِّ﴾ في الحكم لا بالتعدي فيه ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ بما عرفك وأوحى به إليك نزلت[(٢)] في طعمة بن أبيرق سرق درعًا فجاء صاحبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن طعمة سرق درعى فلما رأى السارق ذلك ألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته: إني ألقيتها في بيت فلان فانطلقوا ليلاً إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إن صاحبنا بريء وسارقها فلان فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذره وقيل: هم أن يبرئه فنزلت ﴿وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ لأجلهم ﴿خَصِيماً[(٣)]﴾ للبراء

---

(١) ولما أمر ونهى ووعد ونصح ووعظ في أمور الدنيا والدين عقب بتلك الآية المحكمة تعليمًا وتقوية لعضد نبيه فقال "إنا أنزلنا إليك الكتاب"الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) روى الترمذى وغيره/ ١٢ وجيز. [من حديث قتادة بن النعمان وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٢٤٣٢).]

(٣) وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق/ ١٢ فتح.

﴿وَاسْتَغْفِرِ[1] اللَّهَ﴾ من موافقتهم في نسبة السرقة إلى البرىء أو من ذلك الهم والقصد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ لمن استغفر ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، لأن الضرر راجع إليهم أي: لا تجادل عن كل من خان[2]﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ[3] مَن كَانَ خَوَّاناً﴾ مبالغًا في الخيانة ﴿أَثِيماً﴾ منهمكًا في الإثم ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ يسترون سرقتهم ﴿وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو أحق أن يستحي ويخاف ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ لا يخفى عليه شيء فطريق إخفاء شيء عنه عدم فعله ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون وأصله أن يكون[4] بالليل ﴿مَا لاَ يَرْضَى﴾ الله ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ رمى البرىء وشهادة الزور ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ فيجازيهم. ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ﴾ مبتدأ وخبر ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ خاصمتم عن طعمة وقومه. جملة هي مبينة لوقوع أولاء خبرًا، أو صلته عند من يقول: إنه موصول ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا أخذهم بعذابه ﴿أَم مَّن[5] يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾

---

(١) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار قال ابن جرير إن المعنى: استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين، وقيل: واستغفر الله للمذنبين من أمتك والمخاصمين بالباطل والأول أرجح/ ١٢ فتح.

(٢) فسره بقوله: أي لا تجادل عن كل من خان ليعلم أن جميع الخائنين داخل في الحكم والنهى الثانى عام لا يختص بقصة دون قصة فلا تكرار/ ١٢ منه.

(٣) فلا تكن ظهيرًا لمن لا يحبه/ ١٢ منه.

(٤) فإن التبييت تدبير وتزوير وقع في الليل، ثم استعمل في التزوير أعم من أن يكون ليلاً أو نهارًا/ ١٢ منه.

(٥) وأم في مثل هذه المواقع أعنى إذا وقع بعدها اسم استفهام يكون بمعنى بل لا منقطعة بمعنى بل والهمزة؛ ولا متصلة قاله العلامة التفتازانى/١٢ وجيز.

فيروج دعواهم ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً﴾ يسوء به غيره[1] أو صغيرة أو إثما دون الشـــرك ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بما لا يتعداه أو بكبيرة أو بالشرك ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِـدِ اللَّـهَ غَفُوراً[2] رَّحِيماً﴾ فيه عرض التوبة على طعمة لكن كما قيل: ما تاب بل ارتد ﴿وَمَـن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ولا يتعدى ضرره إلى غيره، لا تـــزر وازرة وزر أخرى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ فمن علمه وحكمته أنه لا يأخذ أحدًا بذنب آخر ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة، أو ذنبًا بينه وبين الله ﴿أَوْ إِثْماً﴾ كبيرة، أو مـا بينه وبين الناس ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ بأحدهما ﴿بَرِيئاً﴾ كما رمي طعمة ﴿فَقَـدِ[3] احْتَمَـلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ برمي البرىء وتتريه الخاطئ.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن

---

(١) كالحلف الكاذب/ ١٢ وجيز.

(٢) الظاهر تعليق الغفران والرحمة للعاصى على مجـــرد الاســتغفار إلا أن يقــال: المــراد من الاستغفار التوبة وفى لفظ: "يجد الله" مبالغة في الغفـــران كأنـــه معـــد لطالبـــه مهيأ لـــه متى طلبه وجده، وفيه لطف عظيم، ووعـــد كـــريم للعصـــاة، عـــن ابـــن مسعود أنها من أرجى آيات، لكن ما استغفر طعمة بـــل ارتـــد هكـــذا نقـــل/ ١٢ وجيز.

(٣) في الافتعال معنى التسبب فهو أبلغ من حمله/ ١٢ وجيز.

يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ**﴾ بإعلام ما وقع منهم ﴿**لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ**﴾ من قوم طعمة ﴿**أَن يُضِلُّوكَ**﴾ عن القضاء بالحق، وليس المراد نفى همهم بل المراد أن من فضل الله عدم تأثيرهم فيك ﴿**وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ**﴾ لأن الله عصمك وهم ارتكبوا خطايا ﴿**وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ**﴾ شيئا من الضر فإن الله عاصمك من الناس ﴿**وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ القرآن والسنة ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾ قبل نزول ذلك من خفيات الأمور ﴿**وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾ فإنه لا فضل أعلى من النبوة ﴿**لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ**﴾ النجوى سر بين اثنين ﴿**إِلاَّ**﴾ نجوى ﴿**مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ**﴾ هو كل ما يستحسنه الشرع ﴿**أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ خصه لشرفه، والاستثناء بدل من كثير وقيل: منقطع أي: لكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير ﴿**وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ**﴾ أي: الأمر بالصدقة ﴿**ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾ أي: مخلصا محتسبا ثوابه عند الله ﴿**فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ فإن من فعل خيرًا رياءً لم يستحق جزاءً أصلا، لأن كل جزاء من الله عظيم في جنب أغراض الدنيا وقيل: قوله "ذلك إشارة إلى الصدقة والمعروف والإصلاح، لا إلى الأمر بها فالأول حكم الدال على الخير، والثاني حكم فاعله ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**﴾ يخالفه ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى**﴾ ظهر له الحق بوقوفه على المعجزات ﴿**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**[1]﴾ غير

(١) ولا حجة في الآية على حجية الإجماع، لأن المراد بغير سبيل المؤمنين هنا هو الخروج من دين الإسلام إلى غيره كما يفيده اللفظ ويشهد به السبب، فلا يصدق على عالم لم اجتهد في بعض المسائل فأداه اجتهاده إلى مخالفة من بعصره من المجتهدين فإنه إنما رام السلوك في سبيل المؤمنين وهو الدين القويم والملة الحنيفية ولم يتبع غير سبيلهم/ ١٢ فتح.

طريقهم ﴿نُوَلِّه مَا تَوَلَّى﴾ ندعه وما اختار ونزينه له وقيل نكله في الآخرة لما تولى وأعرض في الدنيا ﴿وَنُصْلِه جَهَنَّمَ﴾ ندخله فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ جهنم نزلت في طعمة حين حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يده فهرب إلى مكة مرتدًا وخالف[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾

---

(١) ذكره محيي السنة والواحدى/١٢ وجيز.

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ لمن لقيه مشركا ﴿وَيَغْفِرُ[1] مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ غفرانه ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ فإنه أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الثواب قيل: نزلت في طعمة أيضًا فإنه مات مشركًا، أو في شيخ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إنى شيخ منهمك في الذنوب إلا أنى لم أشرك بالله شيئًا، و لم أوقع المعاصى جرأة على الله وما توهمت طرفة عين أنى أعجز الله هربًا، وإنى لنادم تائب مستغفر، فما حالى؟ ﴿إِن يَدْعُونَ مِن[2] دُونِهِ﴾ ما يعبدون من دون الله ﴿إِلاَّ[3] إِنَاثاً﴾ اللات والعزى ومناة، لأن لكل حى صنمًا يسمونه أنثى بنى فلان، أو لأن مع كل صنم جنية، أو لأن الإناث كل شيء ميت لا روح فيه من شجر أو حجر، أو المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾ المريد المارد: الخارج بالكلية عن طاعة الله، فإنه أمرهم بعبادتها فعلى الحقيقة هم يعبدونه ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته صفة ثانية للشيطان ﴿وَقَالَ﴾ إبليس ﴿لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ لأن أغويهم وأضلهم ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ معينًا معلومًا عطف على لعنه الله، أي: يعبدون شيطانا ماردًا مطرودًا عدوًا لكم غاية العداوة ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الصواب ﴿وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ إدراك الآخرة مع المعاصى وطول الحياة، يأمرهم بالتسويف والتأخير أو أنه لا جنة ولا نار ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ﴾ يشقوها ويجعلون ركوب تلك الأنعام حرامًا ويسموها بحائر: ما يجيء في المائدة وهو إشارة إلى تحريم كل حلال

---

(١) أما المظالم فإن أراد الله غفرانه ألقى في قلب مظلومه عفوه وهو الله سبحانه يغفره كما ورد في الأحاديث/ ١٢ وجيز.

(٢) أي: ما يعبدون من دون الله تعالى ومن عبد شيئًا دعاه عند حوائجه أي: ما يدعون أحدا/ ١٢ وجيز.

(٣) قال الراغب: لما كانت الأصنام أشياء منفعلة غير فاعلة بكتهم الله تعالى أنهم مع كونهم فاعلين من وجه ما يعبدون إلا منفعلا من كل وجه/ ١٢ وجيز.

﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ[1] خَلْقَ اللَّهِ﴾ هو الخصاء[2] أو الوشم أو دين الله ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِياً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ فيطيعه ولا يطيع الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾ إذ ضيع بالكلية رأس ماله وباع الجنة بالدنيا ﴿يَعِدُهُمْ﴾ ولا ينجز ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا يدركون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ هو إيهام النفع فيما فيه الضرر ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ﴾ مرجعهم ﴿جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾ معدلا ومهربًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ تحت

---

(١) صورة وصفة ويندرج فيه فقأ عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواطة والسحق ونحو ذلك/ ١٢ وجيز.

(٢) كالخصاء والوشم وغيرهما والخصاء من الشيطان في كل شيء من آدمى وغيره صرح بذلك عظماء السلف/ ١٢ وجيز.

وفى الكبير: ولهذا كان أنس يكره إخصاء الغنم، وفى الفتح: ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور حملاً شموليًا أو بدليًا، وقد رخص طائفة من العلماء في خصى البهائم إذا قصد بذلك زيادة الانتفاع به سمن أو غيره، وكره ذلك آخرون، وأما خصى بنى آدم فحرام بلا اختلاف: أخرج ابن أبى شيبة والبيهقى "عن ابن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خصى البهائم والخيل" [أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢٢٥/١٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢٤/١٠)، وقال البيهقي: والصحيح الموقوف. وعبد الله بن نافع فيه ضعف يليق به رفع الموقوفات. والله أعلم. وذكره الهيثمي في "الجمع" (٣٦٥/٥) وقال: رواه أحمد وفيه عبد الله بن نافع وهو ضعيف.]، وأخرج ابن المنذر والبيهقى "عن ابن عباس رضى الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صبر الروح وإخصاء البهائم" [أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (٢٤/١٠) وذكره الهيثمي في "الجمع" (٣٦٥/٥) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.]، وفى معالم التتريل فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرم بعضهم الخصاء وجوز بعضهم في البهائم لأن فيه غرضا ظاهرًا/ ١٢.

غرفها وأشجارها ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً﴾ مصدران الأول مؤكد لنفسه، والثاني لغيره ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ جملة مؤكدة مقابلة لمواعيد الشيطان ﴿لَّيْسَ[1] بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ أي: ليس الدين بالتمني نزلت في المسلمين واليهود حين افتخروا فقال اليهود: نبينا وكتابنا قبل ونحن أولى منكم بالله، وقال المسلمون: نحن أولى نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على جميع الكتب، وقال مجاهد قالت العرب: أي: المشركون لن نبعث ولن نعذب، وقالت اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى فنزلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ ما في الدنيا أو في الآخرة، وقد صح المصائب[2] والأمراض في الدنيا جزاء ﴿وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً[3]﴾ يواليه وينصره من عذاب الله ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ من للبيان حال من ضمير يعمل وليس

---

(١) ولما بين أن الشيطان يعدهم ويمنيهم، ومن أمنيته المشركين: أن لا عذاب ولا حساب ومن أمنيته أهل الكتاب: أنهم أحباء الله تعالى آيسهم عن كواذب تمنيتهم فقال: "ليس بأمانيكم"/ ١٢ وجيز.

(٢) لما نزلت قال الصديق: ما أشد هذه الآية جاءت قاصمة الظهر فقال صلى الله عليه وسلم: "إنما هي المصيبات في الدنيا" رواه الترمذي وأحمد وابن حبان/ ١٢ وجيز.[هذا لفظ ابن جرير في "تفسيره" كما قال السيوطي في "الدر المنثور" (٤٠٢/٢) وليس لفظ الترمذي وأحمد وابن حبان.]

(٣) قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرًا ينصره، فإن قلنا: إن هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر، وإن قلنا: إنها في حق كل عامل سوء مسلم وكافر، فإنه لا ولي لأحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر، فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله، وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله فليس يمنع أحد أحدًا من الله/ ١٢لباب التأويل للشيخ علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن/ ١٢/ وشفاعة الأنبياء والملائكة في حق العصاة إنما تكون بإذن الله وإذا كان كذلك فلا ولي لأحد إلا الله سبحانه وتعالى/ ١٢ كبير.

للابتداء ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ شرط للجزاء المرتب ﴿فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ مقدار النقير، وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر بأن ينقص من فضله على المطيع وهو أرحم الراحمين فمعلوم أنه لا يزيد[1] في عقاب العاصي ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص العمل لربه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ[2]﴾ تابع للشرع في علمه أو

---

(١) لأن ثواب المطيع في الآخرة ليس إلا فضل موعود وجعل نقصان فضله بكمال رحمته ظلمًا، فكيف يجوز أن يزيد عقاب العاصي من قدر الجزاء ولما كشف زورهم وبين فجورهم أخذ في كذب زعمهم فقال: "ومن أحسن"/ ١٢ وجيز.

(٢) اعلم أن دين الإسلام مبنى على أمرين: الاعتقاد والعمل.

أما الاعتقاد فإليه الإشارة بقوله: "أسلم وجههُ" ذلك لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع والوجه أحسن أعضاء الإنسان فالإنسان إذا عرف بقلبه ربه وأقر بربوبيته وبعبودية نفسه فقد أسلم وجهه لله.

وأما العمل فإليه الإشارة بقوله: "وهو محسن" فيدخل فيه الحسنات وترك السيئات فتأمل في هذه اللفظة المختصرة واحتوائها على جميع المقاصد والأغراض وأيضًا فقوله: "أسلم وجهه لله" يفيد الحصر معناه أنه أسلم نفسه لله، وما أسلم لغير الله، وهذا تنبيه على أن كمال الإيمان لا يحصل إلا عند تفويض جميع الأمور إلى الخالق وإظهار التبرى من الحول والقوة، وأيضًا ففيه تنبيه على فساد طريقة من استعان بغير الله، فإن المشركين كانوا يستعينون بالأصنام ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، والدهرية والطبيعيون يستعينون بالأفلاك والكواكب والطبائع وغيرها، واليهود كانوا يقولون في دفع عذاب الآخرة عنهم أهم من أولاد الأنبياء والنصارى كانوا يقولون: ثالث ثلاثة، فجميع الفرق قد استعانوا بغير الله، وأما المعتزلة فهم في الحقيقة ما أسلمت وجوههم لله يرون الطاعة الموجبة لثوابهم من أنفسهم فهم في الحقيقة لا يرجون إلا أنفسهم، ولا يخافون إلا أنفسهم، وأما أهل السنة الذين فوضوا التدبير والتكوين والخلق إلى الحق سبحانه انقطع نظرهم عن كل شيء سوى الله/ ١٢ كبير.

أخلص نفسه له لا يعرف لها ربًا سواه ثم يعمل الحسنات ويترك السيئات أو خضع في عبادته وهو موحد **﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾** الموافقة لدين الإسلام **﴿حَنِيفاً﴾** مائلا عن سائر الأديان حال من إبراهيم، أو من فاعل اتبع، أو من ملة **﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾** صفيا خالصا ليس في محبته خلل، روى أنه لما نزلت ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب آلخ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء فترلت "ومن يعمل من الصالحات" "ومن أحسن دينا" آلخ فتبجح[1] به المسلمون **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** خلقًا وملكًا **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ[2] مُّحِيطاً﴾** بعلمه وقدرته فيجازيهم على الخير والشر.

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ فِي يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ

---

(١) بجحته فتبجح أي: فرحته ففرح/ ١٢ صراح.

(٢) بالعلم والقدرة فلا يفوت منه شيء ويجازيهم، ولما ذكر أهم يعبدون إناثا ويجعلون لما يعبدون نصيبًا من أموالهم إذعانا لأمر الشيطان المريد الملعون الذى هو في غاية عداوهم ويقولون: ميراثنا ليس إلا للذكور الذين هم حامو بيضتنا، لا للإناث الضعفاء، فتكرر من بعض الصحابة سؤال ميراث الإناث اللاتى هن أحق بالإعانة والشفقة والمال ليس إلا لمن له ما في السماوات والأرض وقد فرض لهن فريضة بينها وشرحها مع طريق معاشرهن، ثم أعاد لتكرر سؤالهم فقال: "ويستفتونك"/ ١٢.

ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾ ۞ ﴾

﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ**﴾ في طريق المعاشرة مع اليتامى، نزلت في كل من عنده يتيمة هو وليها ووارثها فيرغب في نكاحها إن كانت جميلة ويأكل مالها، وإن كانت دميمة يعضلها حتى تموت فيأخذ ميراثها، أو في ميراث بنات أم كجّة من أبيهن فإن العرب كانت لا تورث النساء والصبيان وحينئذ معناه في ميراث النساء ﴿**قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ**﴾ الإفتاء تبيين المبهم ﴿**وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ**﴾ عطف على لفظ الله أو على الضمير في يفتيكم والإفتاء مسند إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى" إلخ أو من قوله: "يوصيكم الله في أولادكم" إلخ على ما ذكرنا من اختلاف سبب النزول على طريقة قولهم: أغناني زيد وكرمه ﴿**فِي يَتَامَى النِّسَاءِ**﴾ صلة يتلى أو بدل من فيهن والإضافة بمعنى من ﴿**اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ**﴾ من صداقهن أو ميراثهن ﴿**وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ**﴾ أي: عن أن تنكحوهن لدمامتهن فنهاهم الله عن عضلهن طمعا في ميراثهن، كما ذكرنا في قوله: "وإن خفتم

ألا تقسطوا" إلخ أو معناه: ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن ومالهن ولا تعطون صداقهن وتأكلون مالهن ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الوِلْدَانِ﴾ عطف على يتامى النساء، فإن العرب لا يورثونهم كما لا يورثون البنات ﴿و أَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ أي: العدل عطف على يتامى النساء أيضًا أي: يفتيكم في أن تقوموا أو منصوب بإضمار فعل أي: ويأمركم أن تقوموا، أو عطف على فيهن بإضمار في ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً﴾ فما ينساه ويجزيكم ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره قوله ﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾ علمت منه ﴿نُشُوزاً﴾ تجافيا عنها ومنعا لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضاً﴾ بأن يقل مجالستها ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على المرأة والزوج ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً﴾ بأن تحط له بعض المهر أو القسم أو النفقة، وصلحا مصدر، وبينهما مفعول به ومن قرأ: يصالحا فمعناه: يتصالحا ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة وسوء العشرة ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ يعني أن النفس مطبوعة على البخل لا يغيب عنها، فلا تكاد المرأة تسمح بحط شيء من مهرها وقسمها ولا الزوج يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها إذا لم يردها، وهو وقوله: "الصلح خير" اعتراض للترغيب في المصالحة وتمهيد العذر في المماكسة ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز ونقص الحق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان ﴿خَبِيراً﴾ فيثيبكم ﴿وَلَن[1] تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ أي تساووا بينهن من جميع الوجوه فإنه لا بد من التفاوت في

---

(١) ولهذا كان يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"، رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن المنذر عن عائشة وإسناده صحيح [وضعفه الشيخ الألباني في "الإرواء (٢٠١٨)"]. قال ابن مسعود: العدل بين النساء الجماع، وقال الحسن الحب وكذا المحادثة والمجالسة والنظر إليهن والتمتع/ ١٢ فتح.

المحبة والشهوة والجماع ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل ﴿فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى واحدة منهن فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: الواحدة الأخرى كالتي ليست بذات بعل ولا مطلقة ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل الجور فيها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ يغفر لكم ما كان من ميل إلى واحدة ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ بالطلاق و لم يصلحا بينهما ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ﴾ منهما عن صاحبه ﴿مِّن سَعَتِهِ[1]﴾ فضله الواسع وقدرته ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً﴾ واسع[2]

---

(١) قال الحسن بن على رأيت الله تعالى علق الغنى بأمرين فقال: "وأنكحوا الأيامى" الآية (النور:٣٢)، وقال: "وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته"/ ١٢ وجيز.

(٢) وجملة حكم الآية أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهن في القسم، فإن ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة، أما في الجماع فلا لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه ولو كانت في نكاحه حرة وأمة، فإنه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الأمة ليلة واحدة، وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبت عندها سبع ليال على التوالى إن كانت بكرًا وإن كانت ثيبا فثلاث ليال، ثم يسوى بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالى للقديمات، عن أنس رضى الله عنه قال: من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا ثم قسم، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا ثم قسم، قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنسا رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وإذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له أن يحمل بعض نسائه مع نفسه بعد أن يقرع بينهن فيه، ثم لا يجب عليه أن يقضى للباقيات مدة سفره وإن طالت إذا لم يزد مقامه في بلد على مدة المسافرين، والدليل عليه: ما روى عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها"، أما إذا أراد سفر نفلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها/ ١٢ معالم.

الفضل ﴿حَكِيماً﴾ فيما حكم وأمر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ فله السعة وكمال القدرة ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ متعلق بأوتوا أو بوصينا ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ عطف على الذين ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: بتقوى الله وجاز أن يكون أن مفسرة، فإن التوصية في معنى القول ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ أي: وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ مالك الملك كله لا يضره كفركم كما لا ينفعه شكركم فما الوصية إلا لحاجتكم وصلاحكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنياًّ﴾ عن الخلق ﴿حَمِيداً﴾ في ذاته حمد أو لم يحمد ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى[1] بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ فتوكلوا عليه فكأنه قال له ما في السماوات وما في الأرض فاقبلوا وصيته وله ذلك فهو الغنى فاسألوا الله وله ذلك فاتخذوه وكيلاً لا غيره ﴿إِن يَشَأْ﴾ إذهابكم ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يفينكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ يوجد قومًا آخرين ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ الإعدام والايجاد ﴿قَدِيراً﴾ بليغ القدرة وهذا تقرير لغناه وتهديد لمن كفر ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ[2] ثَوَابَ

---

(١) فإن قيل: فأى فائدة في تكرار قوله تعالى: "لله ما في السماوات وما في الأرض" قيل: لكل واحد منها وجه أما الأول: فمعناه لله ما في السموات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى، فاقبلوا وصيته.

وأما الثاني فيقول: فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكفى غنيا أي: هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون.

وأما الثالث: فيقول: ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً أي له الملك فاتخذوه وكيلاً ولا تتوكلوا على غيره/ ١٢ معالم.

(٢) يعنى من كان يريد بعمله عرضًا من الدنيا نزلت في مشركى العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن الله تعالى خالقهم ولايقرون بالبعث ليوم القيامة، وكانوا يتوبون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها/ ١٢.

الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ فلا يقتصرن قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط، أو معناه فيعطيه ما يريد وليس له في الآخرة من نصيب **﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾** فلا يخفى عليه خافية ويجازى بحسب قصده.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مواظبين على العدل لا تعدلوا عنه يمينًا ولا شمالاً **﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾** ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله **﴿وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾** أي[1]: ولوعاد ضررها على نفسك أو عليهم أو تقول[2] الإقرار شهادة على نفسه **﴿إِن يَكُنْ﴾** المشهود عليه **﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾** أي: بالغني والفقير منكم فكلوا أمرهما إليه فلا ترحم فقره ولا ترهب غناه، وضمير التثنية لما دل عليه المذكور وهو جنس الغني والفقير لا إليه وإلا لوحد[3] **﴿فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا﴾** أي: لأن تعدلوا عن الحق **﴿وَإِن تَلْوُوا﴾** أي: تحرفوا الشهادة وتغيروها **﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾** عن أدائها **﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾** فيجازيكم عليه **﴿يَا أَيُّهَا**[4] **الَّذِينَ آمَنُوا﴾** خطاب للمؤمنين كلهم أو لمؤمني أهل الكتاب حين قالوا: يا رسول الله آمنا بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه، أو خطاب لليهود والنصارى **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** اثبتوا عليه أو آمنوا بمحمد كما آمنتم بموسى وعيسى **﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾** القرآن **﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن**

---

(١) ابتدأ بنفسه، لأنه لا شيء على الإنسان أعز من نفسه، ثم ذكر الوالدين لأهما أقرب إليه، وسبب نشأته، والأقربين فإهم مظنة التعصب، وإذا كان الأمر فيهم القسط فالأجنبي أحرى بذلك/ ١٢ وجيز.

(٢) قوله: أو نقول يعني الشهادة على الوالدين والأقربين أن يقول: أشهد أن لفلان على والدي أو على أقاربي كذا وأما الشهادة على نفسه فهي الإقرار لأنه في معنى الشهادة، والوجه الأول أن يشهد من يتوقع ضرره من ظالم/ ١٢ منه.

(٣) يعني الظاهر أن يقال: أولى به، لأن المرجع به مذكور بأو لكن ثنى الضمير لإرجاعه إلى المدلول لا إلى المذكور/ ١٢ منه.

(٤) ولما أمر المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة لله أمرهم بالرسوخ في الإيمان فإنه لا يأتمر بالأمر إلا الراسخ فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية/ ١٢ وجيز.

﴿قَبْلُ﴾ يعني جنس الكتاب لا بكتاب دون كتاب ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي: بشئ من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن المقصد بحيث لا يكاد يعود على سواء السبيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتوراة ﴿ثُمَّ[1] كَفَرُوا﴾ بها بعبادة العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بها بعد عود موسى إليهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام واستمروا عليه حتى ماتوا ﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ طريقا إلى الهدى، ولا فرجا ولا مخرجا، فإن الكافر إذا أسلم يغفر الله كفره السابق، لكن من تقرر منه الإيمان والكفر ثم استمر على الكفر لا يغفر الله كفره اللاحق والسابق.

أو نزلت في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا مرارًا لا في اليهود فقيل معناه: من تكرر منه الإيمان فالكفر لا يغفر الله له لاستبعاد التوبة منه، لأن قلوبهم طبعت على الباطل فلا يثبت على الحق، وعن علي رضي الله عنه يقتل ولا يقبل توبته ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ من باب[2] التهكم ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ فإنهم أيضًا آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن مرارًا، ثم استمروا بالإصرار على النفاق ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مرفوع أو منصوب بالذم ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ العِزَّةَ﴾ والغلبة على المسلمين أو يتعززون بموالاتهم ﴿فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ[3] جَمِيعاً﴾ أي: له القوة والغلبة لا يعز إلا من أعزه

---

(١) الظاهر أنه في شأن المنافقين فإنهم في أوائل البعث والنبوة كانوا مذبذبين ثم اتفقوا على الباطل ورسخوا في كفرهم، ويدل على ما قلنا قوله في عقبه: "بشر المنافقين" والمراد في قوله: "ولا ليهديهم سبيلا" لا يوفقهم على سلوك سبيل الحق لرسوخ قدمهم في الباطل فلا يتوبون/ ١٢ وجيز.

(٢) عند من لا تكون البشارة إلا في السرور/ ١٢.

(٣) والفاء لما في الكلام من معنى الشرط، أي: إن تبتغوا العزة من هؤلاء فإن العزة لله جميعًا ونصب جميع على الحال/ ١٢ وجيز.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ﴾ في القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من الآيات ﴿فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ مع من يكفر ويستهزئ ﴿حَتَّى[1] يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ الاستهزاء، وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله "وإذا رأيت الذين يخوضون في ءاياتنا" الآية (الأنعام:٦٨)، ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ﴾ في الكفر إن رضيتم بذلك، أو في الإثم فإنكم قادرون على الإعراض والإنكار، وقيل: هي منسوخة بقوله: وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء إلخ ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ينتظرون وقوع أمر بكم، بدل من الذين أو مبتدأ وخبره ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ ففى الدين والنصرة فأسهموا لنا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر فإن الحرب سجال ﴿قَالُوا﴾ للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فما فعلنا شيئًا من ذلك ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن ثبطناهم عنكم بتخييلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم، أو معناه نصرفكم عن الدخول في جملتهم، فإن

---

(١) قال الضحاك عن ابن عباس دخل في الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة، نقله محى السنة وفى الفتح: والآية بعموم اللفظ دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية كما يقع لكثير من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبق في أيديهم سوى قال إمام مذهبنا كذا أو قال فلان من أتباعه بكذا وإذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوى سخروا منه ولم يرفعوا إلى ما قاله رأسًا ولا بالوا به بالة وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع وخطب شنيع وخالف مذهب إمامهم الذى نزلوه منزلة معلم الشرائع بل بالغوا وجعلوا رأيه مقدما على كتاب الله وسنة رسوله، فإنا لله وإنا إليه راجعون/ ١٢ فتح.

المنافقين حذروا الكافرين ومنعوا الإسلام ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ بما يعلمه منكم من البواطن ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ حجة في الآخرة أو ظهور أو استيلاء كليًّا في الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بزعمهم الباطل كما يحلفون يوم القيامة أنهم على الاستقامة ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ يجازيهم على خداعهم أو يعاملهم معاملة المخادع في الدنيا بإمهالهم واستدراجهم في طغيانهم، وفى الآخرة بأنهم يعطون نورًا يوم القيامة، فإذا مضوا قليلاً يطفأ[1] نورهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ متثاقلين كالمكره ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ ليحسبوهم مؤمنين لا لإخلاص ومطاوعة أمر الله، صفة كسالى أو مستأنفة ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً[2]﴾ لأنهم يفعلونه رياءً ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان[3] كثيرًا وقيل: لأن ذكرهم باللسان فقط وقيل المراد من الذكر الصلاة أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا على ندرة ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ[4] ذَلِكَ﴾ مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان حال من واو الجمع أي: يروهم غير ذاكرين إلا قليلاً مذبذبين ﴿لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ﴾ لا منضمين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾

---

(١) قال تعالى: "يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم" الآية (الحديد:١٣)، وقال في الفتح: بعد ما نقل هذا القول عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم، ولا أدرى من أين جاء لهم هذا التفسير فإن مثله لا ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) قال صاحب الكشاف: وهكذا نرى كثيرًا من المتظاهرين بالإسلام، لو صحبته الأيام والليالى لم تسمع منه تمليلة ولا تسبيحة، لكن حديث الدنيا يستغرق به أيامه وأوقاته لا يفتر عنه/ ١٢ كبير.

(٣) كما قال ابن عباس/ ١٢ وجيز.

(٤) قال في الكشاف: وحقيقة المذبذب: الذي يذب ويدفع من كلا الجانبين مرة بعد أخرى أي: يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه/ ١٢.

إلى الصواب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن مصاحبتهم[١] ومصادقتهم وإسرار المودة إليهم صنيع المنافقين فلا تكونوا مثلهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾ حجة بينة في عقابكم بموالاتكم إياكم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ هو الطبقة التي في قعر جهنم، أو توابيت من حديد مقفلة في النار أو بيوت مقفلة عليهم توقد من تحتهم وفوقهم ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ يخرجهم منها ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ العمل ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به والتجأوا إليه ﴿وَأَخْلَصُوا[٢] دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من شوائب الرياء فلا يعملون إلا لله ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ[٣]﴾ في زمرتهم يوم القيامة ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ فيشاركونهم فيه ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ أيدفع به ضرًّا أو يستجلب به نفعًا وهو الغني المتعالى لا كالملوك فمن أخرج نفسه عن خساستها الباعثة للمذلة فلا تهان ولا تخذل، قيل: تقديم الشكر لأن الناظر بأدنى نظر في النعم يعرف أن لها منعمًا فيشكر وإن لم يعرفه زيادة معرفة، ثم يفضي به إلى زيادة النظر في معرفته، والتصديق به قدر ما يجب على العبد، فالشكر المبهم أصل التكليف من الإيمان وغيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً﴾ يرضى بالقليل ﴿عَلِيماً﴾ بظاهركم وباطنكم.

---

(١) قال القفال: المراد من الكفار المنافقون يعني: قد بينت لكم أخلاق هؤلاء المنافقين فلا تتخذوا منهم أولياء/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما كان المنافق متصفًا بنقائض هذه الأوصاف من الكفر وفساد العمل والموالاة للكافرين والاعتزاز بهم والمراءاة للمؤمنين شرط في توبتهم ما يناقض ذلك الأوصاف/ ١٢ وجيز.

(٣) حكم بأنهم مع المؤمنين لا أنهم منهم تنفيرًا لما كانوا عليه وتفظيعًا بحال من كان متلبسا به وأخلص الأجر للمؤمنين فيرشح أجرهم إليهم فاقتهم/ ١٢ وجيز.

﴿لاَ يُحِبُّ[1] اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ أي: إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم، وقيل: هو من يشتمك فتشتمه بمثله فالبادئ ظالم، والأصح أنها نزلت[2] فيمن ضاف أحدا فلم يؤد إليه حق ضيافته، فلما خرج أخبر الناس فرخص الله شكايته ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ بفعل الظالم ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾ عمل بر ﴿أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ يأتيكم من أخيكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ لمن عفى ﴿قَدِيرًا﴾ على الانتقام وهو إشارة إلى حث المظلوم على العفو وإن جاز له الشكاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا به ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ أي: ببعض الأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ أي: بعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: الإيمان والكفر ﴿سَبِيلاً﴾ وسطًا ولا واسطة بين الكفر والإيمان وهم اليهود والنصارى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ الكاملون في الكفر، ما نقص ذاك الإيمان من كفرهم شيئًا ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لغيره ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ في الإيمان[3] به ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم.

---

(١) ولما أمر عباده بالشكر وقد ثبت أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله أخذ يبين موضع جواز الشكاية عن خلقه فقال: "لا يحب الله الجهر" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه عبد الرزاق ومحمد بن إسحاق وغيرهما عن مجاهد/ ١٢ وجيز.

(٣) في الإيمان لا في التفضيل فقد قال تعالى: "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" (البقرة:٢٥٣)، وقد مر أن أحدًا يستوى فيه المفرد والجمع، ولذلك جاز دخول بين عليه/ ١٢.

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قالت اليهود: إن كنت صادقًا فأتنا بكتاب من السماء جملة أو صحفًا مكتوبة بخط سماوى **﴿فَقَدْ سَأَلُوا**

مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ أي: إن استعظمت ما سألوك، فقد سألوا موسى أعظم من ذلك، وهذا السؤال وقع من آبائهم لكنهم تابعون لهذيهم وقوم مثل ذلك لا يستغرب عنهم **﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾** أي: أرنا الله نره عيانا قيل معناه قالوا جهرة لا سرًّا وخفية **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾** نار من السماء **﴿بِظُلْمِهِمْ﴾** أي: بسبب ظلمهم وهو تعنتهم في السؤال وطلب ما يستحيل في تلك[1] الحال لهم **﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ﴾** إلهًا **﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ[2]﴾** معجزات موسى عليه السلام **﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ﴾** و لم نستأصلهم بالكلية وقبلنا توبتهم **﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾** يعني هم إن بالغوا في العناد معه لكن نصرناه وعفونا عن قومه، ففيه إشارة ببشارة المصطفى عليه الصلاة والسلام **﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ[3]﴾** عند امتناعهم قبول شريعة التوراة

---

(١) وذلك لا يستلزم امتناعها يوم القيامة فقد جاءت بذلك الأحاديث المتواترة ومن استدل بهذه الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد غلط غلطا بينًا/ ١٢ فتح.

(٢) على أن الله وحده لا شريك له / ١٢ وجيز.

(٣) والطور اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن موسى جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من آثار الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل بقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم، وقال لهم: إن قبلتم وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا لا يقال: إنه إلجاء فيمنع التكليف، لأنا نقول إنه إكراه، وهو معدم للرضاء لا للاختيار/١٢ كمالين قال ابن عطية: والذى لا يصح سواه أن الله سبحانه اخترع وقت سجودهم الإيمان لا أنهم آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة انتهى.

وهذا تكلف ساقط حمله عليه المحافظة على ما قد ارتسم لديه من قواعد مذهبية قد سكن قلبه إليها كغيره وكل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه، ونحن نقول: أكرههم الله على الإيمان فآمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان، وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عمن تكلم بكلمة الإسلام والسيف مصلت قد هزه حامله على رأسه، وقد ثبت في الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرًا عن قتله بأنه قالها تقية و لم يكن عن =

﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوه ﴿وَقُلْنَا﴾ بلسان نبيهم ﴿لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ متواضعين منحنين ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ لا تظلموا في اصطياد السمك فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ على ذلك ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما مزيدة للتأكيد ﴿مِّيثَاقَهُمْ﴾ فعلنا هم ما فعلنا ﴿وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللَّهِ﴾ المعجزات الباهرات ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بعناد وتشهى نفس ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ في غطاء لا نسمع ما تقول أو أوعية للعلم ولا نحتاج إلى شيء آخر ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ على الأول معناه: نعم صدقوا فيما ادعوا من عدم السماع لكن بختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، وعلى الثاني: عكس عليهم ما ادعوه من أن قلوبهم أوعية للعلم ﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ إلا إيمانًا قليلاً لا ينفعهم أو إلا قليلاً منهم ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾ نسبتها إلى الزنا ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: من يزعم أنه رسول الله أو سموه رسولاً استهزاء، فالذم بسبب جرأهم على الله تعالى وتبجحهم بقتله بعد ما أظهر المعجزات ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ[1] لَهُمْ﴾ أي: لكن وقع لهم التشبيه بين

= قصد صحيح: "أأنت فتشت عن قلبه" وقال: "لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس". قال القفال: إنه ليس إجبارًا على الإسلام، لأن الجبر ما سلب الاختيار بل كان إكراها وهو جائز ولا يسلب الاختيار كالمحاربة مع الكفار، فأما قوله: "لا إكراه في الدين" (البقرة: ٢٥٦)، وقوله: "أفأنت تكره الناس" (يونس:٩٩)، فقد كان قبل الأمر بالقتال ثم نسخ ذكره الشهاب/ ١٢ فتح.

(١) روى النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رهطًا من اليهود اجتمعوا على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأنصاره: أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل فيكون معي في الجنة؟ فقال شاب منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب، وعلى هذا معناه لكن وقع لهم التشبه بين عيسى والمقتول، وفي رواية: أن المقتول منافق دل اليهود على عيسى فألقى الله تعالى شبه عيسى على المنافق بعد ما رفع عيسى فقتلوه، =

عيسى والمقتول فقتلوا شابا من أنصاره حسبوه عيسى، أو شبه لهم من قتلوه بأن ألقى الله على رجل من اليهود شبهه فقتل ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ في شأن عيسى فإنهم لما قتلوا ذلك الرجل قال بعضهم: عيسى، وقال بعضهم: ليس بعيسى وجهه وجه عيسى والبدن بدن غيره، وقال بعضهم: كذاب قتلناه وقال بعضهم: ابن الله رفع إلى السماء ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ تردد من قتله ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ لكنهم يتبعون الظن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ يقينا تأكيد لـ"ما قتلوه" نحو: ما قتلوه حقًا أي: حق انتفاء قتله حقًا قيل: "ما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين ﴿بَل رَّفَعَهُ[1] اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ فإن السماء محل ظهور سلطانه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً﴾ لا يغلب إراداته ﴿حَكِيماً﴾ فيما دبر ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: أحد منهم ﴿إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: قبل موت عيسى بعد نزوله عند قيام[2] الساعة فيصير الملل واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية، أو قبل موت الكتابى إذا وقع في الباس حين لا ينفعه إيمانه ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ يشهد عليهم أنه قد بلغ الرسالة وأقر على نفسه بالعبودية، قيل: يشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ[3] أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ أي: ما استمر

= أي: شبه لهم من قتلوه فشبه مسند إلى ضمير المقتول الدال عليه "إنا قتلنا" "ولهم": فاعل شبه/ ١٢ فتح.

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال: رفعه الله إليه فهو عنده في السماء/ ١٢ منثور.

(٢) أي: قربها كما ورد في حديث رواه البخارى/ ١٢ كمالين.[كذا قال وأخرجه مسلم (٧٥٣/٥) ط الشعب.]

(٣) قال الواحدى: وأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف كان ومتى كان وعلى لسان من حرم فلم أجد فيه شيئًا انتهى إليه فتركته. قال الخازن: ولقد أنصف الواحدى فيما قال؛ فإن هذه الآية في غاية الإشكال انتهى/ ١٢ فتح.

تحريمها إلا بظلم عظيم منهم، "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر" الآية (الأنعام:١٤٦)، ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ صدًّا كثيرًا أو ناسًا كثيرًا ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشوة وغيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ دون من آمن وتاب ﴿عَذَاباً أَلِيماً لَكِنِ الرَّاسِخُونَ[١] فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ منهم وقيل أي: الصحابة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبر المبتدأ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾ نصب على المدح، وهو شائع في كلام الفصحاء، وقيل: مخفوض عطف على ما أنزل أي: آمنوا بإقامة الصلاة أي بوجوبه، أو المراد بالمقيمين: الأنبياء ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ[٢] بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ قدم الإيمان بالقرآن والكتب، لأنه المقصود من الآية ﴿أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

(١) الثابتون فيه وهم في الحقيقة المستدلون، لأن المقلد يكون بحيث إذا شُكك يشك، وأما المستدل فإنه لا يتشكك البتة، فالراسخون هم المستدلون/ ١٢ كبير.

(٢) يعنى الظاهر تقديم الإيمان بالله واليوم الآخر على الإيمان بالقرآن والكتب، لكن المقصود من الآية: وصفهم بصفة أنهم آمنوا بك وبجميع الأنبياء قبلك فإن أهل الكتب مؤمنون بالله لكن لا يؤمنون ببعض الأنبياء/ ١٢ منه.

حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا[1] **إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** يعني شأنك في الوحي كشأن الأنبياء فمالهم والعناد معك **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾** أي: أولاد يعقوب **﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾** خصهم بالذكر؛ لأنهم أشرف الأنبياء **﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**

(١) الوحي إعلام في خفاء وخص نوحًا حال كونه أول نبي شرعت على لسانه الشرائع وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعائه وكان أبا البشر كآدم وأطول الأنبياء عمرًا وصبر على أذى قومه طول عمره/ ١٢.

﴿وَرُسُلاً﴾ نصب على مضمر يدل عليه أوحينا أي: أوحينا إليك وأرسلنا رسلاً أو على مضمر يفسره قوله: ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في السور المكية ﴿وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ[1] اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلاً﴾ نصب على المدح أو على الحال أو على تقدير أرسلنا ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالثواب على الطاعة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب على المعصية ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولا يعلمنا الدين متعلق: بـ"أرسلنا" وبـ"منذرين" ومبشرين وأحد المجرورين خبر كان، والآخر حال والظرف لحجة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ فيما أراد ودبر ﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ استدراك عما فهم[2] من قبل من تَعَنُّتِهِمْ بأنهم لا يشهدون ﴿بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن الدال على نبوتك ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ متلبسا بعلمه الذى

---

(١) أخبر بأنه شرف موسى بكلامه وأكده بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على المجاز/ ١٢ وجيز.

قال الفراء: إن العرب تسمى ما وصل الإنسان كلامًا بأى طريق وصل ما لم يؤكد بمصدر، فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام، قال النحاس: وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا فيه، رد على من يقول: إن الله خلق كلامًا في محل فسمع موسى ذلك الكلام، أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذى في نوادر الأصول وابن حبان في صحيحه والحاكم وابن عساكر عن أبي ذر قال: "قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا. قلت: كم الرسل منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جم غفير"، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم عن أبي أمامة مرفوعًا إلا أنه قال: "والرسل ثلاث مائة وخمسة عشر"، وأخرج أبو يعلى والحاكم بسند ضعيف عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فيمن خلا من إخوانى من الأنبياء ثمانية آلاف نبى ثم كان عيسى ثم كنت أنا بعده/ ١٢ فتح.

(٢) لأنه متعلق بحجة لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه/ ١٢ منه.

أراد أن يطلع عباده من صفاته ومغيباته وأوامره ونواهيه، أو أنزله عالمًا بأنك أهل لانزاله إليك ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضًا بنبوتك نزلت في جماعة من اليهود قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك"[*] ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ فإنه أقام الحجج والبينات الواضحة على صحة نبوتك ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً﴾ فإنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ محمدًا صلى الله عليه وسلم بكتمان نعته أو الناس بصدهم أو أنفسهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ[1] لَهُمْ﴾ بعد ما ماتوا عليه أو هذا فيمن علم أنه يموت على الكفر ﴿وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ إلى النجاة ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ استثناء منقطع أو متصل على السخرية ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: عدم الغفران والخلود ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَا أَيُّهَا النَّاسُ[2] قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ لما قرر أمر النبوة واوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة ﴿فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ﴾ أي: إيمانًا خيرًا لكم أو ائتوا أمرًا خيرًا لكم مما أنتم عليه أو يكن الإيمان خيرًا لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فهو الغني عنكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيماً﴾ فيما أراد لكم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ النصارى تجاوزوا الحد في عيسى عليه السلام بل في الأحبار، كما قال: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا" (التوبة: ٣١)، ﴿وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ لاتفتروا عليه ﴿إِلاَّ الْحَقَّ﴾ لكن قولوا الحق فنزهوه عن شريك وولد ﴿إِنَّمَا

(*) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢٢/٦) وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٩٠/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٤٣٩/٢) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في "الدلائل" عن ابن عباس -رضي الله عنه-.

(١) في هذه العبارة مبالغة في عدم غفرانهم، كأن غفرانهم منافية لعظمته تعالى/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما قرر أمر النبوة وأوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة فقال: "يا أيها الناس"/ ١٢ وجيز.

المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أوجده بكلمة كن **﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾**[1] يعني خلقه بالكلمة التي أرسل الله بها جبريل إلى مريم فنفخ في جيب درعها فترلت حتى ولجت فرجها بمترلة إلقاح[2] الأب[3] الأم **﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾** أي: صدر منه بغير مادة وإضافة الروح إلى الله للتشريف **﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ﴾** أي: آلهتنا ثلاثة الله والمسيح ومريم **﴿انتَهُوا﴾** عن التثليث وائتوا أمرا **﴿خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾** لا تعدد فيه أصلاً **﴿سُبْحَانَهُ﴾** أي: أسبح سبحانه من **﴿أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** ملكًا وخلقًا لا يماثله شيء حتى يكون له ولد **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾** فلا يحتاج إلى ولد؛ لأن الولد وكيل والده وهو وكيل كل شيء.

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا

---

(١) عن أبي موسى أن النجاشي قال لجعفر: "ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر فتناول عوداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان! ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه"، وعن ابن مسعود بأطول من هذا وأخرج البخارى عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله" وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل" أخرجه الشيخان/ ١٢ فتح.

(٢) يقال: ألقح الفحل الأنثى فلقحت/ ١٢ .

(٣) صرح بذلك ابن عباس وغيره/١٢ وجيز.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

﴿لَن يَسْتَنكِفَ[١] ٱلْمَسِيحُ﴾ لن يأنف من ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ فإن عبوديته شرف، قيل: نزلت حين "قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تعيب عيسى تقول: إنه عبد الله؟ قال: إنه ليس بعار أن يكون عبدًا لله قالوا بلى" ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ[٢]﴾ عطف على المسيح أي لا يستنكفون مع أن ما بعثكم في دعوى الإلهية

(١) اصله من نكفت الدمع: إذا نحيته عن خدك بأصبعك كي لا يرى أثره عليك/ ١٢ وجيز.

(٢) قد استدل بهذا القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء وقرر صاحب الكشاف وجه الدلالة بما لا يسمن ولا يغني من جوع، وادعى أن الذوق قاض بذلك، ونعم الذوق العربي إذا خالطه محبة المذهب وشابه شوائب الجمود كان هكذا أو كل من يفهم لغة العرب يعلم أن من قال لا يأنف من هذه المقالة إمام ولا مأموم ولا كبير ولا صغير ولا جليل ولا حقير، لم يدل هذا على أن المعطوف أعظم شأنًا من المعطوف عليه، وعلى كل حال فما أبرد الاشتغال بهذه المسألة، وما أقل فائدتها وما أبعدها عن أن يكون مركزًا من مراكز الدينية وجسرًا من الجسور الشرعية.

لعيسى أقوى وأشد[١] فيهم لا أب ولا أم لهم ولهم قوة لا تفيء بها طاقة البشر كقلع الجبال والتصرف في الأهوال والأحوال وهم مع ذلك لا يستنكفون ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ الاستنكاف تكبر مع أنفة والاستكبار بدونه ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ مجازاة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ وهذا تفصيل للمجازاة العامة[٢] الدال عليها فحوى الكلام، وإن لم يجر سوى ذكر المستنكفين فكأنه قال: ومن استنكف ومن آمن فسيحشرهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ[٣] قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ[٤] مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: محمدًا عليه الصلاة والسلام أو القرآن وقيل: المعجزات ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ أي: القرآن ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ جمع بين مقامي العبادة والتوكل على الله أو اعتصموا بالقرآن ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ زائد على قدر أعمالهم ﴿وَيَهْدِيهِمْ

---

(١) هذه الآية على ما قدرنا وفسرنا لا تدل على تفضيل الملك نعم تدل على كثرة قوهم وغلبتهم/ ١٢ منه.

(٢) جواب عن سؤال وهو أن التفصيل وهو قوله: فأما الذين آمنوا وأما الذين استنكفوا مشتمل على ذكر الفريقين المستنكفين وغيرهم والمفصل أي: المجمل الذى فصل وهو المذكور بقوله: "ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم" إنما اشتمل على ذكر فريق المستنكفين فقط وحاصل الجواب أن ذكر الفريق الآخر مطوى في المفصل/ ١٢ منه.

(٣) ولما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى وأجاب عن جميع شبهاهم دعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإلى الإيمان بالكتاب الذى أنزل معه والاعتصام به فقال: "يا أيها الناس قد جاءكم برهان" الآية/ ١٢ كبير.

(٤) والبرهان ما يبرهن به على المطلوب قال قتادة: البرهان البينة وقال مجاهد: الحجة/ ١٢ فتح.

﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله ﴿صِرَاطًا[1] مُّسْتَقِيمًا﴾ في العلم والعمل فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة، وفي الآخرة على صراط مستقيم يفضي إلى روضات الجنات، وصراطًا: إما بدل من إليه أو مفعول يهديهم وإليه حال مقدم ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: عن الكلالة ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ نزلت في جابر[2] بن عبد الله حين "سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني مريض وكللة، فكيف أصنع في مالي؟" ﴿إِنِ امْرُؤٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ما بعده ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أصلاً ولا والد أيضًا فإن الأخت لا ترث مع الأب، وهو صفة لاغير[3] ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ أي: من الأبوين أو الأب، فإن ذكر ولد الأم مضى حكمه في أول السورة ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ أي المرء ﴿يَرِثُهَا﴾ أي الأخت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا[4] وَلَدٌ﴾ أي إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للأخ إن لم يكن لها ولد أصلا ولا والد ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي: الأختان ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ فصاعدا ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً﴾ أصله: وإن كانوا أخوة وأخوات فغلب الذكر ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الحق كراهة ﴿أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المعاش والمعاد.

والحمد لله حق حمده

---

(١) وفي الدعاء المأثور: "إن ربي على صراط مستقيم فمن سلكه فهو واصل إليه"، ولما قال: واعتصموا بالقرآن ومن جملة الاعتصام السؤال عما أشكل عليهم، وهذه السورة بينة للمواريث، وقد استفتوا في الكلالة اختتم السورة في بيانها فقال: "ويستفتوك في الكلالة" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كما في الصحيحين/ ١٢ وجيز.

(٣) رد على القاضي حيث قال: إما صفة أو حال/ ١٢ منه.

(٤) فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها/ ١٢.

سورۃ المائدۃ مدنیۃ

وھی مائۃ وعشرون آیۃ وستۃ عشر رکوعًا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا[1] بِالْعُقُودِ﴾ أى: العهود وهو ما حد فى القرآن كله ﴿أُحِلَّتْ لَكُم[2] بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ تفصيل للعقود والإضافة بيانية وهى الإبل والبقر والغنم وألحق بها الظباء وبقر الوحش ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه أو إلا محرم ما يتلى عليكم وهو قوله: "حرمت عليكم الميتة" (المائدة: ٣) ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من ضمير[3] لكم أو من ضمير أوفوا ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من ضمير محلي يعنى أحلت لكم جميع الأنعام إنسيًّا ووحشيًّا وإحلالها عن عمومها مختص بحال كونكم غير محلين للصيد فى الإحرام إذ معه تحريم البعض وهو الوحشى أو الأول: حال من الفاعل الحقيقى المتروك لأحلت، والثانى: حال من ضمير لكم المقدر أى: أحللنا حال كوننا غير محلين الصيد لكم فى حال إحرامكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من تحليل وتحريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: مناسك[4] الحج أو محارم الله أو الهدايا المعلمة للذبح بمكة ﴿وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بعدم تعظيمه والقتال فيه والجمهور على أنه منسوخ يجوز ابتداء القتال مع أهل الشرك فى أشهر الحرم ﴿وَلاَ الْهَدْيَ﴾: ما أهدى إلى

---

(١) الوفاء والإيفاء هو القيام بمقتضى العهد/ ١٢ وجيز.

(٢) نقله البغوى عن الحسن وقتادة ثم قال: وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: بهيمة الأنعام هى الأجنة. ومثله عن الشعبى قال: هى الأجنة التى توجد ميتا فى بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله، ثم ذكر حديث أبى سعيد وحديث جابر "ذكاة الجنين ذكاة أمه"/ ١٢ معالم.

(٣) عليه كلام الجمهور وذهب إليه الزمخشرى وتعقب وأجيب/ ١٢ فتح.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد، والثانى لعطاء، والثالث لأبى عبيدة كذا قال البغوى/ ١٢.

الكعبة بأن تتعرضوا له ﴿وَلاَ القَلاَئِدَ﴾: ذوات القلائد من الهدى ذكرها لأنها أشرف الهدى، قال بعضهم: معناه لا تتركوا الإهداء إلى البيت، ولا تتركوا تقليدها فى أعناقها ﴿وَلاَ آمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ﴾ أى: لا تستحلوا قتال قوم قاصدين إلى بيت الله ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ﴾: رزقا بالتجارة حال من ضمير آمين ﴿وَرِضْوَاناً﴾ بزعمهم؛ لأن الكافرين ليس لهم نصيب من الرضوان، نزلت فيمن أغار على سرح المدينة، فلما كان من العام المقبل اعتمر من البيت فأراد بعض الصحابة أن يتعرضوا عليه فى طريقه إلى البيت، وهذا الحكم منسوخ الآن فيهم. قال بعضهم: أهل الجاهلية يقلدون أنفسهم بالشعر والوبر فى سفر الحج فى غير أشهره وإبلهم من لحا شجر الحرم فيأمنون به، فنهى الله التعرض لهم بقوله: "ولا القلائد" وهو أيضًا منسوخ وقيل: معناه يتقلدون من لحا شجر الحرم فنهى الله عن قطع شجرة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ إذن فى الاصطياد بعد الإحرام ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: بغضهم ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ أى: لأن صدوكم ﴿عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ وقرئ إن فحرف الشرط معترض بين العامل والمعمول ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ بالانتقام وهو ثانى مفعولى يجرمنكم فإنه يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب، نزلت حين أراد الصحابة صد بعض المشركين عن العمرة انتقاما من أصحابهم لما صدوهم عن البيت بالحديبية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ﴾ المأمورات عطف على لا يجرمنكم ﴿وَالتَّقْوَى﴾ عن المنهيات ﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ﴾: المعاصى ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظلم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ أى: المسفوح[1] ﴿وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ[2] بِهِ﴾ لقوله عند الذبح: بسم اللات والعزى، والإهلال: رفع الصوت

---

(١) أى: المصبوب السائل/ ١٢.

(٢) فإنه وإن ذكر معه اسم الله فقد عارض المطهر فيه المنجس مع نجاسته بالموت وإن لم يذكر فقد زيد فى تنجيسه/ ١٢ تبصير الرحمن.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: التى ماتت بالخنق ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هى التى تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت، وذلك من عادات الجاهلية ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التى أطيحت[1] من موضع فماتت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ كشاتين تناطحتا فماتتا أو ماتت إحداهما، والتاء فيها للنقل ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: منه فمات ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وفيه حياة[2] مستقرة فإنه حلال ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ[3] ﴾ هى حجارة حول

---

(١) تطاوحت بهم النوى أى: ترامت/ ١٢ صراح.

(٢) قال الشوكانى: وأما البنادق المعروفة الآن وهى بنادق الحديد التى يجعل فيها البارود والرصاص ويرمى بها فلم يتكلم عليها أهل العلم لتأخر حدوثها، فإنها لم تصل إلى الديار اليمنية إلا فى المائة العاشرة من الهجرة وقد سألنى جماعة من أهل العلم عن الصيد بها إذا مات ولم يتمكن الصائد من تزكيته حيًّا، والذى يظهر لى أنه حلال لأنها تخرق وتدخل فى الغالب من جانب منه وتخرج من جانب الآخر، وفى الحديث الصحيح فى الصحيحين: "إذا رميت بالمعراض فخرق فكله" فاعتبر الخرق فى تحليل الصيد/ ١٢ فتح.[أخرجه البخاري (٥٤٧٧) ومسلم (٤/٥٩٠) ط الشعب].

(٣) وإن لم يسمع فيه إهلال غير الله وزعم صاحبه أنه ذبح لله فلا يسمع منه. هذا ما فى تبصير الرحمن، والأنصاب: جمع نُصُب بضمتين أو جمع نَصْب بالفتح والسكون، وهو كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك، هذا فى مجالس الأبرار، وقال الشيخ ولى الله الدهلوى فى الترجمة الفارسية: المشهور بفتح الرحمن وحرام است انچه ذبح كرده باشيد برنشا نهائى معبود باطل مترجم گويد يعنى برصورت وقبر والله أعلم، وفى الحديث الذى رواه أبو داود: "لا عقر فى الإسلام قال أبو داود: قال عبدالرزاق: كانوا يعقرون عند القبر يعنى ببقرة أو بشيء، وقال الشوكانى: قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة؛ لأنها إما هدى أو أضحية أو نسك، وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب حلال فهو عبادة لا تكون إلا لله فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله ودليل الكبرى قوله تعالى: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"(هود:٥٠) و"فإياى فاعبدون"(العنكبوت:٥٦) و"وإياك نعبد"(الفاتحة:٥) و" قضى

البيت يذبحون عندها وينضحونها بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب، فحرم الله أكل هذا اللحم وإن ذكر عليها اسم الله لما فيه من الشرك، وقال بعضهم: هى الأصنام ومعناه: ما ذبح على النصب، وعلى هذا هو وما أهل لغير الله واحد ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ﴾ أى: حرم الاستقسام بالأزلام وهى عبارة عن قداح مكتوب فى بعضها افعل وفى بعضها لا تفعل، وبعضها غفل لاشيء عليه، يستقسمون بها فى الأمور فإذا خرج الأمر فعلوه وإذا خرج الناهى تركوه وإذا خرج الغفل أجالوها ثانيا ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أى: تعاطيه فسق وضلالة وجهالة ﴿الْيَوْمَ﴾ أريد به الأزمان الحاضرة ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾: من إبطاله بأن ترجعوا إلى دينهم ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾: بعد ما أظهرت دينكم ﴿وَاخْشَوْنِ﴾: أخلصوا الخشية لى

غيره"(هود: ٥٠) و"فإياى فاعبدون"(العنكبوت:٥٦) و"وإياك نعبد"(الفاتحة:٥) و" قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"(الإسراء:٢٣) "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"(البينة:٥) انتهى. أقول: ودليل الصغرى قوله تعالى: "فصل لربك وانحر"(الكوثر:٢) "إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين"(الأنعام:١٦٢) وفى حديث مسلم: "لعن الله من ذبح لغير الله"، وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب قال: "مر رجلا، على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شيئًا فقالوا لأحدهم: قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار قالوا للآخر قرب فقال: ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة. وفى حديث آخر رواه أبو داود: "اذبحوا لله فى أى شهر" كان قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل العتيرة وفى التفسير النيسابورى قال العلماء: ولو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا ذبيحته ذبيحة مرتد، وفى الدر المختار ذبح لقدوم الأمير ونحوه كواحد من العظماء يحرم لأنه أهل به لغير الله ولو ذكر اسم الله تعالى عليه ومثل هذا فى القاضى خان والعالمكيرية وفتاوى الإبراهيم الشامى وقد ذكرنا عبارة الصراط فى البقرة فارجع إليها تجدها شافية مغنية فى المسألة/ ١٢.

﴿اليَوْمَ﴾ قيل المراد يوم النزول يوم عرفة فى حجة الوداع ﴿أَكْمَلْتُ[1] لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فلا زيادة بعده و لم ينزل بعده حرام ولا حلال ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: بالهداية وإكمال الدين ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ من بين الأديان فلا أسخطه أبدًا، ودينا، إما حال أو تمييز ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى تناول شيء من هذه المحرمات وهو متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ﴾ غير مائل لمعصية بأن يأكلها تلذذًا أو مجاوزًا حد الرخصة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث رخص فلا يؤاخذه به ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ نزلت حين سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن الله قد حرم الميتة فماذا يحل لنا؟ وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ[2]﴾ أى: الذبائح الحلال، وقيل: كل ما يستطيبه العرب من غير أن ورد بتحريمه نص ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الجَوَارِحِ[3]﴾ يعنى

---

(١) إذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملا وإذا حصل النص في الوقائع وفى الآية دلالة على بطلان القياس وعلى أنه تعالى قد نص على الحكم فى جميع الوقائع إذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملا وإذا حصل النص في جميع الوقائع فالقياس إن كان على وفق ذلك النص كان عبثا وإن كان على خلافه كان باطلاً، وقد أجاب مثبتو القياس عن هذا بما لا يكفى فى الجواب والله أعلم بالصواب/ ١٢ فتح البيان.

(٢) كل ما تستطيبه العرب من غير أن ورد بتحريمه نص والعبرة فى الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروة والأخلاق الجميلة من العرب، فإن أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى: "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"(الأعراف:١٥٧) فإن الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم/ ١٢ فتح.

(٣) والحق أنه يحل صيد كل ما يدخل تحت عموم الجوارح من غير فرق بين الكلب وغيره وبين الأسود وغيره وبين الطير وغيره ويؤيد هذا أن سبب نزول الآية سؤال عدى بن أبي حاتم [كذا بالأصل ، والمشهور أنه عدى بن حاتم] عن صيد البازى/ ١٢ فتح.

أحل لكم صيد ما علّمتم من كواسب الصيد على أهلها من سباع وطيور ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال كونكم معلمين إياه الصيد وذكرها للمبالغة فى التعليم ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال أو استئناف ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: من طرق التأديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ كثير من السلف على أن الجوارح إذا أخذت الصيد وأكلت شيئًا منه و لم يدركه صاحبه حيا فيذبحه فهو حرام، وبعض آخر منهم على وابن عباس على حلته وإن أكل منه ثلثيه ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: على ما علمتم أى عند إرساله إلى الصيد وهذا الأمر على الندب عند الأكثرين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى الحرام ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيؤاخذكم بما كسبت أيديكم ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: الذبائح على اسم الله ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى يعنى ذبائحهم ﴿حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ بمعنى حل وجاز لكم أن تطعموهم[1] من ذبائحكم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: الحرائر العفائف أو الحرائر أو العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أكثر السلف على أنه لا يجوز تزوج الذمية الزانية، وهو يعم كل كتابية عفيفة، وقيل: المراد بها الذميات دون الحربيات، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما-: لما نزلت "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن"(البقرة: ٢٢١) حجر الناس عنهن حتى نزلت والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فنكح الناس نساء أهل الكتاب ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن وتقييد الحل به لتأكيد وجوبها[2]، وقيل المراد بإيتائها: التزامها محصنين ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفاء بالنكاح ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مجاهرين بالزنا ﴿وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ مسرين به والخدن: الصديق. بعض السلف ذهب إلى أنه لا يصح نكاح البغية من عفيف وعقد

---

(١) فالخطاب مع المسلمين حقيقة؛ لأن أهل الكتاب كفار من زماننا لا يأمرون بحلال وحرام/ ١٢ وجيز.

(٢) فلا ينبغى دخول زوج بزوجة إلا بعد بذل مهرها/ ١٢ وجيز.

الفاجر على عفيفة حتى يتوبا وسيأتي الكلام[1] فيه **﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ﴾**: بالله الذى يجب الإيمان به، قيل: أراد بالكفر الإنكار، وبالإيمان: الشرائع والإسلام **﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾**[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ

(١) قوله تعالى: "الزانى لا ينكح إلا زانية"(النور:٣)/ ١٢ منه.

(٢) ولما افتتح بالأمر بإيفاء العقود وذكر تحريمًا وتحليلا فى المطعم والمنكح اللذين هما رأس المستلذات الجسمانية استطرد منها المعاملات الأخروية وابتدأ بالطهارة فقال: "يا أيها الذين آمنوا"/ ١٢.

ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾ أى: إذا أردتم القيام إليها وهو مطلق أريد به التقييد أى: إذا قمتم إليها[1] محدثين وقيل: الأمر شامل للمحدثين على الإيجاب وللمطهرين على وجه الندب وقال بعضهم: إن الآية نزلت إعلاما من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى صلاة دون غيرها من الأعمال؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ ﴿فَاغْسِلُوا[2] وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أى مع المرافق فالجمهور على دخول المرفقين فى المغسول، قيل: ومنه علم وجوب النية كما إذا قلنا إذا رأيت الأمير فقم أى: فقم له ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ نصبه نافع والكسائى وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم، وجره الباقون وعلى الإنصاف ظاهر قراءة النصب على وجوب الغسل وظاهر الثانية على وجوب[3] المسح، فإن جر الجوار وإن كان بابًا واسعًا فهو خلاف[4] الظاهر، والأحاديث الصحاح تدل على وجوب الغسل دلالة لا

---

(١) والدال على هذا مقابلته بقوله: "وإن كنتم جنبا" كأنه قال: إن كنتم محدثين الحدث الكبر فاغسلوا جميع الجسد/ ١٢ وجيز.

(٢) الفاء دال على أن أول واجب فى الوضوء غسل الوجه/ ١٢ وجيز.

(٣) وحمل قراءة الجر على الجوار للسنة الشائعة وعمل الصحابة والتحديد بقوله: "إلى الكعبين" لأن المسح غير محدود وفائدته التنبيه على منع الإسراف/ تبصير الرحمن.

(٤) مع أن جر الجوار إن وقع فى فصيح فهو بدون الواو فظاهر القرآن المسح على قراءة الجر ونعم ما حققه الزمخشرى أن الرجل من الأعضاء المغسولة مظنة إسراف الماء فعطف على الممسوح تنبيها على وجوب الاقتصاد فى صب الماء، فإن المسح والغسل متقاربان فسهل

=

....

= عطف أحدهما على الآخر نحو: متقلدًا سيفًا ورمحًا فعدل إلى المجاز للإيجاز وقرينة المجاز أنه يجيء بالغاية إلى الكعبين فإن المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة، والمراد: فاغسلوا أرجلكم غسلاً خفيفًا واختصر بعطفه على الممسوح، وفى باب التيمم "فامسحوا بوجوهكم"(المائدة:٥): وجوب استيعاب جميع الوجه بالتراب، فالمسح بالماء فى الأرجل كذلك والأحاديث الصحاح التى قاربت التواتر على وجوب الغسل والوعيد على تركه فالقول ما قالت حذام/ ١٢ وجيز.

اختلف العلماء فى هذا الحكم، وهل فرض لرجلين المسح أو الغسل فروى عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضًا، ويروى عن أنس أنه قال: نزل القرآن بالمسح، والسنة بالغسل، وعن عكرمة قال: ليس فى الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح، وعن الشعبى أنه قال: إنما هو المسح على الرجلين ألا ترى أن ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل، ومذهب الإمامية من الشيعة أن الواجب فى الرجلين المسح. وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والأئمة الأربعة وأصحابهم: إن فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى: يجب الجمع بينهما، وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى: المكلف مخير بين الغسل والمسح، والحق ما قال الجمهور؛ لأنه قد ثبت فى السنة المطهرة بالأحاديث الصحيحة من فعل النبى –صلى الله عليه وسلم– وقوله وعمل أصحابه وقولهم والتابعين وقولهم هذا ما فى لباب التأويل المعروف بالخازن مع ضميمة من الفتح/ ١٢.

وأما من جعل كسر اللام فى الأرجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم: جحر ضب الخرب وقال: الخرب نعت للجحر لا للضب، وإنما أخذ إعراب الضب للمجاورة فليس بجيد؛ لأن الكسر على المجاورة إنما يحمل لأجل الضرورة فى الشعر أو يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس؛ لأن الخرب لا يكون نعتًا للضب بل للجحر ولأن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف، أما مع حرف العطف فلم يتكلم به العرب/ ١٢ باب التأويل.

محيص عنها ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ [1] فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم [2] مِّنْهُ﴾ قد مر تفسيره فى سورة النساء ولعل فائدة التكرار بيان أنواع الطهارة هنا أيضًا ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم﴾: بما فرض من الغسل والوضوء والتيمم ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيق ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: من الإحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ ببيان ما هو مطهرة للقلوب والأبدان عن الآثام والإحداث ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمتى فأزيدها عليكم ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: من القديم والحديث لأجل الدين والدنيا ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حين بايعوا النبى -صلى الله عليه وسلم- على السمع والطاعة فى منشطهم ومكرهم أو الميثاق الذى أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، وقيل: هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من العهود فى متابعة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى نقض عهده ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بخفياتها فضلاً عن جلياتها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ أى: قائمين بالحق لله لا للرياء ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل لا بالجور ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ عداوتهم ﴿عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ بل الزموا العدل مع العدو والصديق ﴿اعْدِلُوا هُوَ﴾ أى: العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ اللام للاختصاص واستعمل أفعل التفضيل فى محل

---

(١) لما ذكر الطهارة الصغرى أعقب بالطهارة الكبرى والظاهر أن الجنب مأمور بالاغتسال، ولهذا قال ابن مسعود: لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء والجمهور على أنه يتيمم؛ ونقل أنه رجع إلى ما عليه الجمهور للحديث/ ١٢ وجيز.

(٢) قد مر تفسير الآية فى سورة النساء إلا أن فى هذه الآية زيادة منه وهى دالة على أن يمسح بعضه ولا يتيمم بصخرة لا تراب عليه/ ١٢ وجيز.

ليس فى الجانب الآخر منه شيء كقوله تعالى: "أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلا" (الفرقان: ٢٤) وكم مثله فى كلام البلغاء ﴿واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مستأنفة مبنية لثانى مفعولى وعد أو وعد واقع على تلك الجملة كأنه قال: وعدهم هذا القول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فلا ينفكون عنها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ﴾ متعلق بنعمة الله ﴿قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ رد مضرتها عنكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فمن توكل عليه كفاه الله أربه، نزلت لما أراد قوم من العرب أن يكبوا على رسول الله وأصحابه صلى الله عليه وسلم إذا اشتغلوا بصلاة العصر، فأخبرهم جبريل وجاء بصلاة الخوف. أو فى قوم من اليهود صنعوا طعامًا ليقتلوهم فأوحى الله إليه بشأنهم. أو فى بنى النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأسه عليه الصلاة والسلام الرحا إذا جلس تحت الجدار فأطلعه على كيدهم، أو فى قوم أرسلوا أعرابيًا لقصده فجاءه وهو صلى الله عليه وسلم راقد تحت شجرة فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى؟ فقال الله فأسقطه جبريل من يده وأخذه الرسول(*).

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ

(*) لفظ المصنف ذكره الحافظ في "الفتح" (٤٩٢/٧) وأصل الحديث أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: غزوة ذات الرقاع (٤١٣٦) ومسلم في "صلاة المسافرين وقصرها" / باب: صلاة الخوف (٤٩٣١٢).

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟
حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ
جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ
ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ
وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم
بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ
جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ۞

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لما أمر المؤمنين بالوفاء بعهده وأمرهم بالحق والعدل وذكرهم نعمه شرع يبين لهم كيفية أخذ العهود على من كان قبلهم وطردهم ولعنهم لما نقضوها ليتعظ المؤمنون ﴿وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً[1] ﴾ كفيلاً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالعهد ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿لَئِنْ﴾ أى: والله لئن ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي﴾ صدقتموهم بما جاءوا به ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم وعظمتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ بأن تنفقوا فى سبيل الخيرات نصب بالمصدر أو بالمفعول الثانى ﴿لأُكَفِّرَنَّ﴾ جواب القسم سد مسد جواب الشرط ﴿عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ تحت غرفها ﴿الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ صراط الحق فإن الضلال بعده أظهر وأعظم وأقبح ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ يابسة غليظة لا تنتفع بالمواعظ وقرئ قسية أى: مغشوشة[2] ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ كلام الله ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ يبدلون نعت محمد أو يأولون الآيات بسوء تأويل ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تركوا نصيبهم من التوراة فلم يعملوا بها أو زلت بعض آياتها عن حفظهم

---

(١) لما هلك فرعون واستقر بنو إسرائيل فى مصر أمرهم الله بالمسير إلى أرض الشام والجهاد مع سكانه، وكان مسكن الجبابرة، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيبًا يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا فاختار موسى اثنى عشر نقيبا، وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنوا أرض الشام بعث النقباء لتجسس الجبابرة فرأوا أجرامًا عظيمة وشوكة فرجعوا ونهى أكثر قومهم عن الجهاد وخوفوهم مع أن موسى نهى النقباء أن يحدثوا قومهم بحكايات الجبابرة وأخبارهم/ ١٢ منه.

(٢) نحو درهم قسى من القسوة، فإن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيها يبس وصلابة/ ١٢ وجيز.

﴿وَلاَ تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ[1] ﴾ خيانة وغدر فاعل بمعنى المصدر ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا استثناء من ضمير منهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ نسخ بآية السيف، وقيل: معناه إن تابوا أو عاهدوا والتزموا الجزية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[2] ﴾ تعليل للأمر بالعفو ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى[3] أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا من اليهود، سموا أنفسهم نصارى ادعاء لنصرة الله ﴿فَنَسُوا حَظًّا﴾: نصيبًا وافيًا ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من اتباع محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ ألصقنا وأوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ﴾ بين اليهود والنصارى أو بين فرق[4] النصارى وهم كذلك ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بشنيع صنيعهم بأقطع جزاء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ عام لكل كتابى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كآية الرجم وبشارة عيسى بأحمد ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ لا يتعرض لكثير مما حرفوه وأخفوه لأنه لا يحتاج إلى بيانه ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ أى: قرآن أو محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ﴾ أى: بالنور والكتاب المبين، فإنهما واحد أو فى حكم

---

(١) يعنى هذا دأبهم وعادة آبائهم من خيانة الرسل وقتلهم الأنبياء فهم لا يزالون يخزنونك ويظاهرون عليك أعداءك/ ١٢ وجيز.

(٢) ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة" يعنى لا تدعوا الإحسان فى شيء حتى فى القتل/ وجيز.[أخرجه مسلم (٤/٦٢٢) ط الشعب]

(٣) لأنهم من قرية بالشام تسمى ناصرة، وظاهر سوق العبارة مشعر بأن هذا الاسم من عند أنفسهم وزعمهم أنهم أنصار الله، وأما من قال "نحن أنصار الله"(الصافات:١٤) فهم الحواريون وهم مؤمنون حقا وليس منهم الاختلاف، وجاء الاختلاف ممن يدعى تبعيتهم/ ١٢ وجيز.

(٤) وهو الظاهر/ وجيز.

الواحد ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: من آمن منهم ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾ طرق السلامة والنجاة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أنواع الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ إلى الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ[١]﴾: يوصلهم إلى رحمة الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ[٢] ابْنُ مَرْيَمَ﴾ اليعقوبية من النصارى قالوا: المسيح هو الله ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾: من يستطيع إمساك[٣] شيء من قدرة الله ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ أى: هو وجميع الخلائق مقهور تحت قدرته قابل للفناء فلا يكون إلهًا ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على إيجاد شيء من غير أصل ومادة ولا أب وأم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أى: هو كالأب لنا فى العطوفة أو وجدوا فى التوراة يا أبناء أحبارى فبدلوا بيا أبناء أبكارى، وقيل: نحن أبناء رسل الله وقيل: جمع ابن الله للابن وأشياعه والابن بزعم الفريقين عزير وعيسى كقول أقارب الملك: نحن الملوك ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾: فى الدنيا والآخرة، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه أقبح[٤] لتعذيب والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه ويزكيه ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾: كسائر المخلوقات ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ وهو من آمن برسله ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ من مات

---

(١) عليه الرب سبحانه كما ورد "إن ربى على صراط مستقيم"/ ١٢ وجيز.

(٢) قيل: ما صرح أحد من النصارى بذلك لكن لما اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة، واعترفوا بأن الله موجود لزمهم القول بأن الله هو المسيح لا غير/ ١٢ منه.

(٣) حقيقة الملك الضبط والحفظ عن حزم يقال: ملكت الشيء إذا دخل تحت ضبطك دخولاً تاما ولا أملك رأس البعير إذا لم تستطعه/ ١٢.

(٤) فإن المسخ والخسف تعذيب البتة وليس بتأديب/ ١٢ منه.

على الكفر لا مزية لكم على سائر الخلق ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ**﴾ فيجازى المحسن والمسيء ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ**﴾: الدين ﴿**عَلَى فَتْرَةٍ**[1] **مِّنَ الرُّسُلِ**﴾ أى جاء على حين فتور من الوحى أو حال من ضمير يبين ﴿**أَن تَقُولُوا**﴾ كراهة أن تقولوا ﴿**مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ**﴾ فتعتذروا به ﴿**فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ**﴾ أى: لاتعتذروا فقد جاءكم ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**[2]﴾ فقادر على إرسال الرسل تترى، وعلى الإرسال على فترة، وعلى عقاب العاصى وثواب المطيع.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا

---

(١) أما الفترة بين أحمد وعيسى صلوات الله وسلامه عليهما خمسمائة وستون، وقيل: سبع مائة، وقيل غير ذلك، وذكر ابن سعد فى الطبقات عن ابن عباس والزمخشرى عن الكلبى عن الفترة بين عيسى وموسى عليهما السلام ألف وسبعمائة وسنة/ ١٢.

(٢) ولما ذكر تمردهم وكذبهم أخذ يذكر تمرد أسلافهم على موسى مع تذكيره إياهم بنعم الله تعالى حتى لا يطمع محمد صلى الله عليه وسلم فى إخلاصهم فقال: "وإذ قال موسى لقومه" الآية/ ١٢ وجيز.

مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ *﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ كلما هلك نبى قام فيكم نبى من لدن إبراهيم حتى ختم بعيسى **﴿وَجَعَلَكُم[1] مُّلُوكاً﴾** أصحاب خدم وحشم وهم أول من ملك الخدم أو كان الرجل من بنى إسرائيل إذا كان له مترل وخادم سمى ملكا، قيل: ملكوا أنفسهم بعد ما كانوا مملوكين فى أيدى القبط **﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ العَالَمِينَ﴾** من فلق البحر والمن والسلوى أو من الفضل والشرف على عالمى زمانهم **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ﴾** بيت المقدس أو الطور وما حوله أو الشام، فإنه مقر الأنبياء مطهر من الشرك **﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾**: وعدكموها الله أنه وراثة من آمن منكم **﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾** لا ترجعوا مدبرين خوفًا من الجبابرة وجاهدوهم فإنكم غالبون **﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾** ثواب الدارين **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾** متغلبين أقوياء **﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلاَنِ﴾** يوشع وكالبُ[2] **﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾** أمر الله وعقابه وقيل: هما من الجبابرة أسلما واتبعا موسى فمعناه يخافون أى بنو إسرائيل منهم **﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾** بالعصمة هو الثبات صفة ثانية لرجلين أو

---

(١) فالامتنان بأن منهم سادة الدين وقادة الدنيا/ ١٢ وجيز.

(٢) عن ابن عباس وغيره أهما يوشع ابن أخت موسى وكالب ختن موسى على أخته مريم بنت عمران وهما من النقباء الكامنين ما اطلعا عليه من حال الجبابرة/ ١٢ وجيز.

اعتراض ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ﴾ باب قريتهم أى: ازحفوا عليهم ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ لما جربنا ضعف قلوبهم ولتيقُن انجاز وعد الله فى نصرة نبيه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[1]﴾ به مصدقين لوعده ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً﴾ تعليق للنفى المؤكد بالدهر[2] المتطاول ﴿مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ بيان للأبد ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾: الجبارين ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ قال بعض الصحابة يوم[3] بدر: "إنا لا نقوله كما قالت بنو إسرائيل،بل نقول اذهب أنت وربك إنا معكم مقاتلون"﴿قَالَ﴾: موسى لبث الحزن إلى الله ﴿رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي[4]﴾ عطف على نفسى ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ اقض بيننا وبينهم بما نستحق أو خلصنا من صحبتهم[5] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَإِنَّهَا﴾ أى: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: دخولها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرف لمحرمة فيكون التحريم مؤقتا فقد نقل عن بعض

---

(١) وكثيرًا يأتى معمول ما بعد الفاء متقدما عليها لما رأيا بنى إسرائيل قد عصوا فى الإقدام على الجهاد مع وعد الله فى قوله: "التى كتب الله لكم" استرابا فى إيمانهم فقالا "إن كنتم مؤمنين"/ ١٢ منه.

(٢) لا أبد الآبدين على ما هو الظاهر من التأبيد لدلالة البيان أعنى: ماداموا فيها على ذلك/ ١٢ منه.

(٣) رواه البخارى فى المغازى والإمام أحمد والنسائى/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ (٤٦٠٩).

(٤) لما رأى موسى تمردهم وسوء أدبهم وكفرهم مع الله ولم يبق معه من يثق به إلا هارون بث حزنه إلى الله تعالى والشكوى إليه وقوله "وأخى" عطف على نفسى يعنى أملك أمر نفسى وأمر أخى، والباقون متمردون عنى، وكأنه عليه السلام ما اعتد بالرجلين المؤمنين كما روى عن على كرم الله وجهه أنه خطب فى الكوفة مستنجدا على قتال الشام فلم يجبه إلا رجلان فقال: أين تقعان مما أريد/ ١٢ وجيز.

(٥) فالفرق على الأول حكمى، وعلى الثانى مكانى/ ١٢ منه. رحمة وروح لهما/ ١٢.

السلف أن موسى سار بمن بقي من التيه بعد الأربعين ففتح بيت المقدس أوظرف لقوله **﴿يَتِيهُونَ﴾** أى: يسيرون متحيرين **﴿فِي الأَرْضِ﴾** فيكون التحريم مؤبدًا وقد نقل عن كثير من السلف أن موسى وهارون ماتا فى التيه(١) و لم يبق أحد من أهل التيه ــ سوى يوشع و كالبُ ــ إلا مات فيه، ويوشع سار بأولادهم وفتح الشام **﴿فَلاَ تَأْسَ﴾**: لا تحزن **﴿عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ(٢)﴾** هذا تسلية لموسى فإنهم مستحقون لما عاملناهم.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ

(١) والتيه خرق عادة فقالوا عرضه وطوله ثلاثون فرسخا، وكانوا إذا ساروا جميع الليل أصبحوا فى المكان الذى رحلوا منه/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما كان من آخر كلامهم لموسى "اذهب أنت وربك" وهذا من جبنهم وعدم وثوقهم بقول الله تعالى، وفى قصة ابنى آدم جسارة عظيمة فقابيل أول عاص بتلك المعصية التى لم تعهد وبنو إسرائيل أول من خاطب رسولهم بهذا القول الشؤم عقب قصتها بقصتهم فقال "واتل" الآية/ ١٢ وجيز.

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾: هابيل وقابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أى: تلاوة متلبسة بالصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً﴾ ظرف للنبأ. والقربان: اسم لكل ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة وغيرها ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ قابيل كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه فبينما هما قاعدان فقالا: نقرب قربانا فقرب هابيل خير غنمه وقرب الآخر أبغض زرعه، فجاءت نار من السماء وأكلت الشاة وتركت الزرع وكان هذا علامة القبول والرد وهذا الكبش هو الذى فدى به إسماعيل أتى به من الجنة فحسد قابيل أخاه(*) ﴿قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾ هابيل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أى: لم تقتلنى ولا ذنب لى وإنما أتيت من قبل نفسك بتركك التقوى ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ لا أقابلك[1] على صنيعك الفاشل بمثله ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ كان هابيل أشد وأقوى لكن

(*) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٤٨٤) وعزاه لابن جرير عبد الله بن عباس –رضي الله عنه–.

(١) هذا استسلام للقتل من هابيل كما ورد فى الحديث "إذا كانت الفتنة فكن كخير ابنى آدم" وتلا النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية/ ١٢.[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٤٨٧) أحاديث وآثار بهذا المعنى فليراجع هناك.]

منعه الورع ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلى[1] ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الذى عملته قبل ذلك فلم يتقبل من أجله قربانك أى: ترجع متلبسا بالإثمين حاملا لهما وقيل: معناه إثمى لو بسطت يدى إليك وإثمك ببسطك يدك إلىّ ونحوه المستبان[2] ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد[3] المظلوم فإن على البادى إثم سبه ومثل إثم صاحبه، لأنه الباعث، والإثم محطوط عن صاحبه؛ لأنه دافع مكافئ عن عرضه إذا لم يخرج عن حد المكافأة ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا الكلام من هابيل موعظة لأخيه وزجر له، قال ابن عباس رضى الله عنهما: خوفه بالنار فلم ينته و لم يترجر، وقيل: هو يعلم أن أخاه ظالم وإرادة جزاء الظالم حسن ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ سهلته ووسعت له ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ[4]﴾: فى الدنيا والآخرة ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً

---

(١) وهذا يوافق معناه معنى ما ثبت فى صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بالظالم والمظلوم فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد فى حسنات المظلوم حتى ينتصف، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه ومثله قوله تعالى: "وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم"(العنكبوت:١٣)/ ١٢ فتح.[أخرجه مسلم (٤٤٣/٥) ط الشعب.]

(٢) المستبان مبتدأ وقوله: ما قال فعلى البادى الخ جملة شرطية خبر له وقوله ما لم يعتد أى مادام لم يظلم و لم يتجاوز حد المساواة/ ١٢ منه.

(٣) فالآية محمولة على أن ملك إثمى المقدر الذى كان يثبت ببسط اليد إلى قابيل، وأما فى الحديث فكل من المستبان ساب فى نفس الأمر/ ١٢ منه.[أخرجه مسلم (٤٤٨/٥) ط الشعب]

(٤) ثبت فى الحديث "ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها" لأنه أول من سن القتل. رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حيث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه/ ١٢.[أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء" (٣٣٣٥) ومسلم في "القسامة" (١٦٧٧) ولفظة "لا تقتل نفس ظلما .....الحديث"]

﴿يَبْحَثُ[1] فِي الأَرْضِ﴾ لما قتله تحير في أمره لم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابًا إلى غراب ميت فبحث عليه من التراب حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُ﴾: الله أو الغراب ﴿كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي: جسده، فإنه مما يستقبح أن يرى، وكيف: حال من ضمير يوارى، والجملة ثاني مفعولي ليريه ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى﴾ كلمة جزع والألف بدل من ياء المتكلم أي: احضري يا هلاكي فهذا أوانك ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ﴾ عطف على أكون أو جواب استفهام؛ لأنه للإنكار بمعنى النفي أي: إن لم أعجز واريت ﴿سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله قيل اسود جسده وتبرأ منه أبواه، وقد ذكر أكثر المفسرين إن الله قد شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر فكانت أخت هابيل دميمة[2] وأخت قابيل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك، وأمرهما بأن يقربا قربانا فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل فحسد. هذا ما نقلوه والذي صح عن ابن عباس ما نقلناه أولاً وهو يشعر بل يدل على أن قربانهما لا عن سبب ولا عن بداءة في امرأة، وهو ظاهر القرآن فلذلك اخترناه ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أي: بسبب قتله أخاه ظلمًا ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حكمنا وقضينا[3] عليهم

---

(١) والبحث في الأرض: نبش التراب وإثارته/ ١٢ وجيز. السوءة: العورة وأراد بها الجسد/ ١٢ وجيز.

(٢) وهذه الحكاية حكاية إسرائيلية وعبارة ابن عباس دالة على أن قربانهما لا عن سبب فلهذا تعرضنا بظاهر ما في القرآن/ ١٢ وجيز.[أثر ابن عباس رواه ابن جرير كما سبق وقال ابن كثير في "تفسيره" (٢/٤٤): فهذا الأثر يقتضي أن تقريب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارؤ في امرأة كما تقدم عند جماعة. وهو ظاهر القرآن]

(٣) فإنهم أول أمة نزل فيهم الوعيد للقتل وغلظ عليهم الأمر بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء، ومع ذلك لا يرتدعون حتى قتلوا الأنبياء وهموا بقتل النبي المصطفى صلوات الله عليه وعليهم أجمعين/ ١٢ وجيز.

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى: بغير قتل نفس يوجب القصاص **﴿أَوْ فَسَادٍ[1] فِي الأَرْضِ﴾** أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق **﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾** أى: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس أو لأنه يقتل قصاصا كما لو قتل الجميع أو كما قتل الناس وزرًا أو إثما **﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾** حرم قتلها وكف عنها أو عفا عن قاتل أو أنجاها عن هلكة **﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾** حيى الناس منه جميعًا وحرم قتل جميع الناس أو فى الأجر والثواب والمقصود تعظيم القتل والإحياء فى القلوب **﴿وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ﴾** أى: بنى إسرائيل **﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾** بالمعجزات الظاهرات على صدقهم **﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ﴾**: إرسال الرسل مع البينات **﴿فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ[2]﴾**: فى مثل القتل **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ[3]﴾**

---

(۱) وظاهر النظم القرآنى أنه ما يصدق عليه أنه فساد فى الأرض فالشرك فساد فى الأرض، وقطع الطريق فساد فى الأرض وسفك الدماء، وهتك الحرم ونهب الأموال فساد فى الأرض، والبغى على عباد الله بغير حق فساد فى الأرض وهدم البناء وقطع الأشجار وتغوير الأنهار فساد فى الأرض فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنها فساد فى الأرض وهكذا الفساد الذى يأتى فى قوله "ويسعون فى الأرض فسادًا" يصدق على هذه الأنواع، وسيأتى تمام الكلام على معنى الفساد قريبًا/ ١٢ فتح.

(۲) مجاوزون الحد فى المعاصى وعدم اتباع الرسل ومنهم فى موضع الصفة لكثيرًا و بعد ظرف لمسرفون ولما ذكر تغليظ الإثم فى القتل والفساد فى الأرض أتبعه بيان الفساد فى الأرض الذى يوجب القتل، فإن بعض الفساد لا يوجب فقال "إنما جزاء الذين"/ ١٢ وجيز.

(۳) والحق أن هذه الآية تعم المشرك وغيره ممن ارتكب ما تضمنته ولا اعتبار بخصوص السبب بل الاعتبار بعموم اللفظ، قال القرطبى فى تفسيره ولا خلاف بين أهل العلم فى أن حكم هذه الآية مرتب فى المحاربين من أهل الإسلام وإن كانت نزلت فى المرتدين واليهود انتهى ومعنى قوله: مرتب أى ثابت والأولى أن تفسير محاربة الله سبحانه بمعصيته ومخالفة شرائعه ومحاربة الرسول تحمل على معناها الحقيقى وحكم أمته حكمه وهم أسوته/ ١٢ فتح.

يحاربون أولياءهما من قاطع الطريق وغيره ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً﴾: مفسدين أو كأنه قال: يفسدون فى الأرض فساداً أو يسعون فى الفساد، والفساد يطلق على أنواع الشر قال بعضهم نزلت فى بعض أهل الكتاب بينهم وبين النبى -صلى الله عليه وسلم- ميثاق فنقضوا وأفسدوا فى الأرض أو فى جماعة مرضوا فى المدينة فداواهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ألبان الإبل وأبوالها، فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الإبل فلما أخذوا قطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم ألقوا فى الرمضاء حتى[١] ماتوا فعلى هذا تكون تعليمًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولهذا ما سمر بعد ذلك عينا ﴿أَن يُقَتَّلُوا﴾ أى من غير صلب إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا[٢]﴾ مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ أيدى اليمنى وأرجل اليسرى إن أخذوا المال فقط ﴿أَوْ يُنفَوْا[٣] مِنَ الأَرْضِ﴾ إن اقتصروا على الإخافة والنفى هو أن يطلبهم الإمام فيقام عليهم الحد أو يهربوا من دار الإسلام أو ينفى من بلد إلى بلد وهكذا وقال بعضهم لا يخرجون من أرض الإسلام أو المراد من النفى السجن أو يخرج من بلده إلى آخر ميسجن فيه حتى تظهر توبته وقال كثير من السلف: إن الإمام مخير بين هذه العقوبات الأربعة فى كل قاطع طريق فيكون أو للتخيير

(١) وفى صحيح مسلم أهم سمروا أعين الرعاء ففعل بهم قصاصا/ ١٢.[أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ...﴾ الآية (٤٦١٠) وفي غير موضع من صحيحه.]

(٢) عند أبى حنيفة ومالك يصلب حيا ويطعن حتى يموت إن قتل وأخذ المال، وقال غيرهما يقتل ثم يصلب لعبرة الغير وعليه الشافعى/ ١٢ وجيز.

(٣) وظاهر القرآن أن الإمام مخير بين إيقاع ما شاء منها بالمحارب فى أى رتبة كان/ ١٢ وجيز.

لا للتفصيل **﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾** فضيحة **﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِـرَةِ عَـذَابٌ عَظِيمٌ﴾** هذا يدل على أن الآية نزلت فى جمع من المشركين وإلا فالجمهور على أن من أذنب ذنبا وعوقب فى الدنيا فهو كفارة له **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْـلِ أَن تَقْـدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾** على قول من قال هى فى أهل الشرك فظاهر لأن من آمن ما بقى عليه شيء وأما المحاربون المسلمون إذا تابوا قبل القدرة سقط عنهم حد الله لا حقوق بنى آدم وكثير من السلف يدل على أنه يسقط حقوق بنى آدم، أيضًا إلا إذا أخذ مالاً معينًا فيجب الضمان **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى

ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا[1] الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أى: القربة بطاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ بمحاربة أعداء الله﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكى تفوزوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ[2]﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم، واللام متعلق بثبت الدال عليه "لو" وإفراد ضمير به لإجرائه مجرى اسم الإشارة أو لأنه من قبيل إلى قيار بها لغريب لا أن ومثله مفعول[3] معه ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ جواب لو ولو بما فى حيزه خبر إن ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤ لم ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ[4] مُّقِيمٌ

---

(١) ولما ذكر جزاء المحارب أمر المؤمنين بالتقوى وابتغاء القربات إلى الله فإن ذلك هو المنجى من المحاربة وعذاب المعد للمحارب فقال: "يا أيها الذين آمنوا"/ ١٢ وجيز.

(٢) وإفراد ضمير به لتلازمهما كأنهما واحد كما قالت العرب: رب يوم وليلة مر بى أو لإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة/ ١٢ وجيز.

(٣) لأن العامل معنوى فإذا جاز العطف تعين ولأن التركيب يصير ركيكا للفظة معه/ ١٢ وجيز.

(٤) لا ينفك عنهم أبدًا ولما ذكر أمر المحاربين الذين هم ساعون للفساد عقبه بذكر السوارق الذين هم أيضًا ساعون للفساد إلا أن الأولى على سبيل الشوكة والظهور والسرقة على سبيل الاختفاء والستر، فقال: "السارق والسارقة"/ ١٢ وجيز.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أى: أيمانهما[1] وتقديره عند سيبويه: حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم، فيكون جملتين وجملة عند المبرد والفاء للسببية أى: الذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً﴾ عقوبة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوبان[2] على المفعول له ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فى الإنتقام ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم من القطع ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقبل توبته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلا يعذبه فى الآخرة، وأما القطع فلا يسقط عنه[3] على الأصح ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ[4] أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

---

(١) أى إيمانهما وفى قراءة ابن مسعود "فاقطعوا أيمانهما" وقراءته أيضًا دالة على أن المقطوع يد واحد؛ لأن اليمين لا يكون إلا واحد، فالجمع باعتبار كثرة أفراد النوعين، ومثل هذا التركيب عند سيبويه جملتان تقديره حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم، ودليله فى كتب النحو وعند جماعة من البصريين جملة واحدة وجملة الأمر وخبر المبتدأ، والمعنى على العموم أى: الذى سرق والتى سرقت فالفاء دخل على جملة صالحة لأداة الشرط وأما نصاب السرقة ففيه خلاف كثير وعند الأكثرين ربع دينار للحديث الثابت فى الصحيحين ومذهب الجمهور أن القطع من الرسغ لفعل الشارع/ ١٢ وجيز.

(٢) وهما منصوبان على المفعول له وترك العطف بينهما للإشعار على أن القطع للجزاء على قصد النكال والمنع عن المعاودة والعبرة/ ١٢ وجيز.

(٣) بالتوبة/ ١٢ وجيز.

(٤) والخطاب فى "ألم تعلم" لكل من له علم كأنه قال: إنك عاجز عن الخروج عن ملكى فلم اجترئت على ما منعتك منه اعترض نصرانى على الدين الحنيفى أن فى اليد االمقطوع ظلما خمسين من الإبل وأنتم حكمتم بقطعه فى ربع دينار وما ذلك إلا جهل فأسكته بعض عظام العلماء بقوله: كانت ثمينة فلما خانت هانت. ولما بين أنه مالك العلويات والسفليات بيده التعذيب والغفران وله القدرة التامة العامة فعلى مذعنه تفويض الأمر إليه كما قال الله "ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل =

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾ أى: لا تهتم بمسارعتهم فيه ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ متعلق بقالوا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن[1] قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود عطف على من الذين ﴿سَمَّاعُونَ﴾ أى: هم سماعون أو تقديره: ومن اليهود قوم سماعون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ أى: قابلون له يقبلون من أحبارهم ما يفترونه وقيل: سماعون كلامك لأجل الكذب أى: ليكذبوا ويفترون عليك ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أى: يسمعون من جمع من اليهود لا يأتون مجلسك ويقبلون كلامهم أو معناه سماعون منك لأجله، وقيل: سماعون الثانى للتأكيد، ولقوم متعلق بالكذب أى: سماعون ليكذبوا لقوم لم يأتوا مجلسك تجافيا عنك وتكبرًا ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: من بعد أن وضعه الله مواضعه إما لفظا وإما معنى بحمله على غير مراده، الجملة صفة لقوم أو مستأنفة أو خبر محذوف، وكذلك قوله ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ أى: إن أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل يفتى بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ قبوله. "نزلت فى رجل وامرأة محصنين من اليهود زنيا وهم قد بدلوا الرجم فى التوراة بمائة جلدة والتحميم[2] والإركاب على حمار مقلوبًا فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستفتوا وقالوا: إن حكم بمثل ما قلنا اعملوا أو يكون نبى من أبنبياء الله قد حكم بذلك فيكون حجة بينكم وبين الله، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه فأمر عليه الصلاة والسلام بالرجم

أن نبرأها"(الحديد:٢٢) إلى أن قال "لكيلا تأسوا على ما فاتكم" فقال: "يا أيها الرسول" خاطبه به إشارة إلى أن الرسالة شغلك/ ١٢ وجيز.

(١) واللسان ترجمان القلب/ ١٢.

(٢) أى: تسويد الوجه/ ١٢.

وألزمهم أنه حكم التوراة فرجما[١] " ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: ضلالته ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ فى دفع الفتنة عنه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من خبائث الشرك ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: فضيحة وهتك ستر للمنافقين وجزية وخذلان لليهود ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرره للتأكيد ﴿أَكَّالُونَ[٢] لِلسُّحْتِ﴾: الحرام كالرشى، فإنه مسحوت البركة ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ تخيير فى الحكم والإعراض ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً﴾ فإن الله يعصمك من الناس قال كثير من السلف: الآية منسوخة[٣] بقوله: "وأن احكم بينهم بما أنزل الله" (المائدة: ٤٨) ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أى: العدل وإن كانوا ظلمة مستحقين للتعذيب ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: يرضى عنهم ويعظمهم ﴿وَكَيْفَ﴾ حال من فاعل ﴿يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم فى كتابهم المؤمن به منصوص ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : التحكيم فلا يقبلون حكمك المطابق لما فى كتابهم عطف على يحكمونك ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: لا بك ولا بكتابك.

---

(١) والحكاية فى الصحيحين ومنها يعلم أن كفرهم عناد بالتوراة والقرآن/ ١٢.[أخرجه البخاري في "الحدود" / باب: أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام (٦٨٤١) ومسلم في "الحدود" / باب: من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٩).]

(٢) ولما كان معظم النفع من المال الأكل وصفهم بأكل الحرام الذى يصير جزء البدن وفى الحديث: "كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به"/ ١٢ وجيز.[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٤٥١٩) ولفظة "كل جسد...الحديث"]

(٣) وفى الوجيز والمراد: فإن جاءوك للحكم فأنت مخير فى ذلك وقوله: "وأن احكم بينهم بما أنزل الله"(المائدة:٤٨) يعنى: إن حكمت فلا يكون هذا منسوخًا بذلك/ ١٢.

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ
هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ
فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ
وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ
وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ
مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا
لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ
ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ
ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ
وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ
جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ
فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ
لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ
يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ ﴾

ثم مدح التوراة بقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾: يهدى إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾: به ينكشف المبهم ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾: أنبياء بنى إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ فيه تعريض باليهود وأنهم بمعزل عن دين الأنبياء ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بأنزلنا أو بيحكم أى: لأجل اليهود ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ عطف على "النبيون"، وهم الزهاد والعلماء ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾: بسبب أمر الله إياهم بحفظ كتابه، وإظهاره وضمير ما محذوف ومن للتبيين ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: رقباء لئلا يبدل أو بأنه من عند الله ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ نهى للحكام عن المداهنة خشية الناس ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾: الرشوة والجاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ نزلت فى أهل الكتاب[1] دون من أساء من هذه الأمة

---

(١) صرح الحسن البصرى بأن من لم يحكم منا فهو فاسق ومن لم يحكم من أهل الكتاب فهو كافر؛ لأنهم تركوا الحكم للتحريف والعناد، وقد روى هذا عن جماعة من السلف وعن حذيفة بسند صحيح أن هذه الآيات ذكرت عنده ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون، فقال رجل: إن هذا فى بنى إسرائيل فقال حذيفة: نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل إن كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة، كلا والله لتسلكن طريقهم قدر الشراك [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٠٧/٢) وعزاه لابن جرير ابن أبي حاتم والحاكم في "المستدرك" وصححه]، وعن ابن عباس نحوه وأقول: هذه الآية وإن نزلت فى اليهود لكنها ليست مختصة بهم؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكلمة "من" وقعت فى معرض الشرط فتكون للعموم فهذه الآيات الكريمة متناولة لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو الكتاب والسنة، والمقلد لا يدعى أنه حكم بما أنزل الله بل يقر أنه حكم بقول العالم الفلانى وهو لا يدرى هل ذلك الحكم الذى حكم به هو من محض رأيه أم من المسائل التى استدل عليها بالدليل ثم لا يدرى أهو أصاب فى الاستدلال أم أخطأ وهل أخذ بالدليل القوى أم الضعيف! فانظر يا =

أو من تركه عمدًا وأجاز وهو يعلم فهو من الكافرين، فيكون فى المسلمين أو ليس

= مسكين ماذا صنعت بنفسك، فإنك لم يكن جهلك مقصورًا عليك بل جهلت على عباد الله فأرقت الدماء وأقمت الحدود هتكت الحرم بما لا تدرى، فقبح الله الجهل بما أنزله، ولاسيما إذا جعله صاحبه شرعًا ودينًا له وللمسلمين، فإنه طاغوت عند التحقيق وإن ستر من التلبيس بستر رقيق فيا أيها المقلد أخبرنا أى القضاة أنت من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القضاة ثلاثة: واحد فى الجنة واثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار". أخرجه أبو داود وابن ماجه عن بريدة [وصححه الشيخ الألباني في "الإرواء" (٢٦١٤)]. فيا لله عليك بل قضيت بالحق وأنت تعلم أنه الحق إن قلت نعم فأنت وسائر أهل العلم يشهدون بأنك كاذب، لأنك معترف بأنك لا تعلم ما الحق، وكذلك سائر الناس يحكمون عليك بهذا من غير فرق بين مجتهد ومقلد، وإن قلت بل قضيت بما قاله إمامى ولا تدرى أحق هو أم باطل كما هو شأن كل مقلد على وجه الأرض فأنت بإقرارك هذا أحد رجلين إما قضيت بالحق ولا تعلم أنه الحق أو قضيت بغير الحق لأن ذلك الحكم الذى حكمت به هو لا يخلو عن أحد الأمرين إما أن يكون حقًّا وإما أن يكون غير حق، وعلى كلا التقديرين فأنت من قضاة النار بنص الصادق المختار، وهذا ما أظن يتردد فيه أحد من أهل الفهم لأمرين: أحدهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قد جعل القضاة ثلاثة، وبين صفة كل واحد منهم ببيان يفهمه المقصر والكامل والعالم والجاهل.

الثانى أن المقلد لا يدعى أنه يعلم ما هو حق من كلام إمامه وما هو باطل بل يقر على نفسه أنه يقبل قول الغير ولا يطالبه بحجة، وأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته فأفاد هذا أنه حكم بشيء لا يدرى هو فإن وافق الحق فهو قضى بالحق ولا يدرى أنه الحق وإن لم يوافق الحق فهو قضى بغير الحق وهذان هما القاضيان اللذان فى النار فالقاضى المقلد على كل حال يتقلب فى نار جهنم كما قال قائل:

خذى بطن حرشا أو قفاها فإنه كلا جانبى هرشا لهن طريق/ ١٢ فتح.

بكفر ينقل عن الملة والدين، ولكن كفر دون كفر ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: فرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾: فى التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ مقتولة ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ﴾ مفقوءة ﴿بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ﴾ مجدوع ﴿بِالأَنفِ وَالأُذُنَ﴾ مصلومة ﴿بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ﴾ مقلوعة ﴿بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أى: ذات قصاص فيما يمكن الاقتصاص منه، وأما ما لا يمكن القصاص ككسر عظم وجرح لحم مما لا يمكن الوقوف على نهايته فلا قصاص فيه، ومن قرأ والعين بالعين بالرفع وكذلك الباقى فيكون عطفًا على أن وما فى حيزه أى: كتبنا عليهم فيها العين بالعين ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص بأن عفا عنه ﴿فَهُوَ﴾ أى: التصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾: للمتصدق يكفر الله به ذنوبه أو للجانى لا يؤاخذه الله به كما أن القصاص كفارة له ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم بالعدل نزلت لما[1] اصطلحوا أن لا يقتل شريف بوضيع ورجل بامرأة ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم﴾ أى: وأتبعناهم فحذف المفعول لدلالة الظرف عليه والضمير للنبيين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثان متعدى إليه بالباء ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: حاكما بما فيها ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ يستضاء به فى إزالة الشبهات، والجملة أعنى: "فيه هدى" فى موضع نصب على الحال ﴿وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ لا يخالفه إلا فى قليل ﴿وَهُدًى[2] وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ زاجرًا عن ارتكاب المحارم لمن اتقى الله وخاف عقابه ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ عطف على وآتيناه الإنجيل أى: وآتيناه الإنجيل، وقلنا لهم: ليحكم ومن قرأ ليحكم بكسر اللام وفتح الميم فتقديره وآتيناه ليحكم ﴿وَمَن لَّمْ

---

(١) أى اليهود/ ١٢.

(٢) فقوله: "فيه هدى" مبهم وهدى للمتقين مبينة أو الأول: ذكر أن فيه الهداية والنور والثانى: جعل نفس الإنجيل هاديًا وواعظًا/ ١٢ وجيز.

يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ[1] ﴾: الخارجون عن طاعة ربهم ﴿وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ﴾ أى: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبسا به ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ﴾: من جنس الكتب المترلة ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾: رقيبا على سائر الكتب وشهيدًا. فكل خبر يوافقه فحق وما خالفه منها فمحرف باطل أو حاكما على ما قبله من الكتب ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين أهل الكتاب ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾ بالانحراف ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ﴾ ولتضمن لا تتبع معنى الانحراف تعلق به عن أو حال عن الفاعل أى: مائلاً عما جاءك ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الناس ﴿شِرْعَةً[2] ﴾: سبيلا ﴿وَمِنْهَاجاً﴾: سنة السنن هى مختلفة فى التوراة شريعة وفى الإنجيل

---

(١) وفى الآية دلالة على اشتراط الاجتهاد فى القضية وإشارة إلى ترك الحكم بالتقليد، فإن قلت: إذا كان التخاصم ببلدة لا يوجد فيها مجتهد هل يجوز للخصمين الترافع إلى من بها من القضاة المقلدين؟ قلت: إذا كان يمكن وصولها إلى قاض مجتهد لم يجز للمقلد أن يقضى بينهما بل يرشدهما إلى القاضى المجتهد أو يرفع القضية إليه ليحكم فيها بما أنزل الله أو بما أراه الله، فإن كان الوصول إلى القاضى المجتهد متعذرًا أو متعسرًا فلا بأس بأن يتولى ذلك القاضى المقلد فصل خصوماتهما لكن يجب عليه أن لا يدعى علم ما ليس من شأنه، فلا يقول: صح أو لم يصح شرعًا بل يقول قال إمامه كذا ويعرف الخصمين أنه لم يحكم بينهما إلا بما قاله الإمام الفلانى وفى الحقيقة: هو محكم لا حاكم، وقد ثبت التحكيم فى هذه الشريعة المطهرة كما جاء ذلك فى القرآن الكريم فى شأن الزوجين، وأنه يوكل الأمر إلى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل المرأة، وكما فى قوله تعالى: "يحكم به ذوا عدل منكم"(المائدة:٩٥) وكما وقع فى زمن النبوة والصحابة فى غير قضية ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب، والعور خير من العمى/ ١٢ فتح.

(٢) الشريعة فى الأصل الطريقة الظاهرة إلى الماء والمنهاج الطريق الواضح فالعطف للجمع بين الوصفين، والمراد: الأحكام العلمية، وأما أصول الدين فلا اختلاف بوجه آخر/ ١٢
=

شريعة يحل الله فيها أشياء هى حرام فى غيرها ليتميز المطيع من العاصى **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** جماعة متفقين على دين وطريقة واحدة فى جميع الأعصار ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه **﴿وَلَكِن﴾** أراد **﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾**: ليختبركم **﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾** من الشرائع المختلفة فى كل عصر هل تعملون بها وتعتقدون حكمتها **﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾** ابتدروا وسارعوا إلى الأعمال الصالحة **﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾** أيها الناس **﴿جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** بالجزاء فيجزى الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين **﴿وَأَنِ احْكُم﴾** عطف على الكتاب أو على الحق أى: أنزلنا إليك الحكم أو أنزلنا إليك الكتاب بأن احكم أو تقديره وأمرنا أن احكم **﴿بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرًا بين أن يحكم بينهم وبين أن يعرض عنهم ويردهم إلى حكامهم فأمر أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يردهم إلى حكامهم **﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾** أهل الكتاب **﴿أَن يَفْتِنُوكَ﴾** بدل اشتمال من هم أو مفعول له أى: مخافة أن يفتنوك ويضلوك **﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾** نزلت حين قالت رؤساء اليهود ننطلق إلى محمد لعلنا نفتنه، فقالوا قد تعلم أنا إن ابتعناك اتبعناك الناس ولنا خصومة فاقض لنا على خصمنا إن جئنا نتحاكم إليك فنؤمن بك **﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾** عما حكمت **﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾** لما لهم من الذنوب السالفة التى اقتضت نكالهم **﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾**: خارجون عن طاعة ربهم **﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ[1] يَبْغُونَ﴾** أى: يريدون، وعن حكم الله يعدلون

= وجيز. وفى الفتح وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن وأما بعده فلا شرعة ولا منهاجًا إلا ما جاء به صلى الله عليه وسلم/ ١٢.

(١) استفهام إنكار على اليهود حيث هم أهل الكتاب ومع ذلك يعرضون عن حكم الله تعالى/ ١٢ وجيز.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً﴾ تمييز ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أى: عندهم فاللام للبيان أى: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لمن له اليقين بأنه أعدل العادلين وأرحم الراحمين.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ فلا تعاشروهم معاشرة الأحباب ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فهم متفقون على مخالفتكم ومعاداتكم

(١) ولما بين كمال عداوتهم مع المؤمنين وقلة عقلهم خاطب المؤمنين بالنهى عن موالاة أعدائهم فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا" الآية/ ١٢ وجيز.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ[1] مِنْهُمْ﴾ يحشر معهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ[2]﴾ فاحذر عن موالاة من ظلم نفسه فإنهم الظالمون ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق كابن[3] أبي ابن سلول وأضرابه ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ فى محبتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ[4]﴾ بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار ﴿فَعَسَى[5] اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ للمسلمين على أعدائهم ﴿أَوْ[6] أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ كضرب الجزية عليهم وهتك ستر المنافقين ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ هؤلاء المنافقون ﴿عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من النفاق ودس أخبار المسلمين على أعدائهم ﴿نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرئ بالنصب عطف على يأتى بتقدير الضمير أى: عسى الله أن يقول الذين آمنوا به أو باعتبار أن قولهم لما كان مسببا عن الإتيان بالفتح أقيم مقامه مبالغة فى اتحاده معه وبالرفع كلام مبتدأ وبغير أو على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجبًا من كذبهم وحلفهم بالباطل أهؤلاء الذين

---

(١) فيه تشديد عظيم ومن هذا ورد "من أحب قومًا فهو منهم"/ ١٢ وجيز.

(٢) المراد من سبق فى علم الله تعالى أنه يموت ظالمًا/ ١٢.

(٣) رأس المنافقين/ ١٢ وجيز.

(٤) قال الواحدى: الدائرة من دوائر الدهر كالدولة، وهى التى تدور من قوم إلى قوم، والدائرة هى التى تخشى كالهزيمة والحوادث المخوفة فالدوائر تدور والدوائل تدول/ ١٢ كبير.

(٥) وعسى فى كلام الله سبحانه وعد لا يتخلف والفتح ظهور النبى صلى الله عليه وسلم على الكافرين/ ١٢ فتح.

(٦) قوله: "أو أمر من عنده" يعنى: لا يكون للناس فيه فعل البتة كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير محاربة ولا عسكر/ ١٢ كبير.

أقسموا لكم بأغلظ الأيمان إنهم أولياؤكم ومعاونوكم على الكفار أى: يجتهدون جهد أو مصدر من لفظ أقسموا لأنه بمعناه ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطل كل عمل خير لهم ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ فى الدنيا والآخرة وهو من قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ قد ارتد عن الإسلام قبائل العرب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ[2]﴾ بدلهم ومكانهم ﴿يُحِبُّهُمْ[3]﴾ يهديهم ويثبتهم ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ هم أبو بكر

---

(١) ولما ذكر أقوامًا كافرين ظالمين نادمين خاسرين عقب قومًا أخس منهم وأقبح فقال "يا أيها الذين آمنوا"/ ١٢ وجيز.

(٢) وهم قوم أبى موسى الأشعرى على الأصح كما فى المستدرك لأبى عبد الله الحاكم/ ١٢ وجيز. المراد بالقوم الذين وعد الله بالإتيان بهم هم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين فى جميع الزمن قال بعض الصحابة ما ولد بعد النبيين أفضل من أبى بكر لقد قام مقام نبى من الأنبياء فى قتال أهل الردة/ ١٢.

(٣) اعلم أن حب المحمود وبغض المذموم صفتان من صفات الكمال فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال ولا يحب صفات الكمال.

وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور والجهل والظلم والكذب ونحو ذلك لا يحب هذا ولا يبغض هذا كان الذى يحب تلك الأمور أكمل من هذا فدل على أن هذه من صفات الكمال، والموجود إما أن لا يكون له علم كالجماد فالذى يعلم أكمل منه، والعالم إما أن يحب المحمود ويبغض المذموم وإما أن لا يحبهما، وإما أن يحبهما، ومعلوم أن الذى يحب المحمود ويبغض المذموم أكمل ممن لا يحبهما ويبغضهما. وأصل هذه المسألة هى الفرق بين محبة الله ورضائه وغضبه وسخطه وإرادته كما هو مذهب السلف، ومن ذهب إلى أنه لا =

وأصحابه أو أهل اليمن أو الأشعريون ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: متذللين لهم عاطفين عليهم خافضين لهم أجنحتهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾: شداد متغلبين عليهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة أخرى لقوم ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ لا كالمنافقين يخافون ويراقبون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ﴾ أى: ذلك الأوصاف ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَــاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ[1]﴾ بمن هو أهله ﴿إِنَّمَا[2] وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ بدل من الذين آمنوا أو مرفوع،

= فرق بينها فقوله مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإنه لا يكون شيء إلا بمشيئته، ومجمعون على أنه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين نفوا محبته بنوها على هذا الأصل الفاسد فالمحبة صفة ثابتة له تعالى فهو يحب الصادقين ويحب الصابرين ويحب المقسطين ويحب المحسنين ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًّا، وهو يأتى بقوم يحبهم ويحبونه، والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، فليس لمؤمن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله أن ينفى صفة أثبتها الله لنفسه وشهد رسوله أن يفسرها برأيه ثم يســتحيلها؛ لأن عدم علمنا بكيفية صفة من صفاته لا يوجب نفيها، كما أن عدم علمنا بكنه ذاته لا يستلزم النفى فلا نكذب بما علمناه لعدم علمنا بما لم نعلمه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل/ ١٢.

(١) ولما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بين لهم من وليهم فقال: "إنما وليكم الله"/ ١٢ وجيز.

(٢) لم يقل أولياء إشارة إلى أن المجموع فى حكم واحد وإلى التنبيه على أن الولاية على الأصالة لله تعالى وللباقين تبع، ولأن الولى بزنة فعيل فيستوى فيه التثنية والجمع والواحد كما صرح بمثل ذلك الزمخشرى فى قوله تعالى "وما قوم لوط منكم ببعيد"(هود:٨٩)/ ١٢ وجيز.

أو منصـوب على المـدح[1] ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم، أو حال من الذين بمعنى أنهم دائمون للركوع أى لصلاة التطوع أو حال من فاعل يؤتون؛ فإن عليا رضى الله عنه أعطى خاتمة فى ركوعه لسائل[2] فنزلت ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: من يتخذهم أولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أى: فإنهم الغالبون: كأنه قال فهم حزب الله وجنده وحزب الله هم الغالبون.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا

(١) لا صفة لاشتراك الموصوفين فى كونهما وصفين، والوصف لا يوصف إلا إذا جرى مجرى الاسم كالمؤمن مثلاً بخلاف الذين آمنوا، فإنه فى معنى الحدوث/ ١٢ وجيز.

(٢) كما رواه ابن جرير وابن مردويه بروايات مختلفات [ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٧٢/٢) وقال: "وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها" وذكرها السيوطي في "الدر المنثور" (٥١٩/٢)]، وذكر بلفظ الجمع تحريضًا على المبادرة إلى الصدقة فيدخل فيه كل من يبادر/ ١٢ وجيز.

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ قرئ والكفار بالجر فيكونون داخلين فى المستهزئين، وبالنصب عطف على الذين اتخذوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى اتخاذ هؤلاء أولياء ﴿إِن كُنتُم[1] مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرعه ودينه الذى اتخذه هؤلاء هزوا ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ الناس ﴿إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا[2]﴾ أى: المناداة ﴿هُزُواً وَلَعِباً[3]﴾ تضاحكوا فيما بينهم

---

(١) ولما ذكر اتخاذهم دينكم هزواً أخذ يبين قبيح صنيعهم فقال وإذا ناديتم/ ١٢ وجيز.

(٢) هم المنافقون يظهرون الإسلام عند المسلمين وفى قومهم يضحكون ويستهزءون/ ١٢ وجيز.

(٣) يحكونها ويستهزءونها فليست المناداة عندهم ولا ركوع فى صلاتهم/ ١٢ وجيز. وليس فى كتاب الله تعالى ذكر الأذان إلا فى هذا الموضع، وأما قوله تعالى فى =

يحكونه ويستهزءونه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ فإن العقل يمنع من الاستهزاء بأمر معقول مشروع ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾: تنكرون وتعيبون ﴿مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ قيل: نزلت فى اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال: "نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل" إلى قوله "ونحن له مسلمون" فقالوا لما سمعوا ذكر عيسى والله لا نعلم دينا شرا من دينكم[١] ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على "أن آمنا" وحاصله: أنكم ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون عنه، أو عطف على علة محذوفة تقديره: تنكرون منا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم ويجوز أن يكون حالاً من فاعل تنقمون ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ﴾: المنقوم ﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ تمييز عن شر أى جاء ثابتًا عنده، وهو من باب: تحيتهم بينهم ضرب وجيع. فإن المثوبة مختصة بالخير ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أى: هو دين من لعنه الله فلا بد من حذف مضاف هنا أو فى قوله بشر من ذلك أى: من أهل ذلك ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف على لعنه والطاغوت: العجل أو الكهنة أو الشيطان ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ فيه مبالغة ليست فى قوله أولئك شر[٢] قيل: لأن مكانهم سقر ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: قصد الطريق المتوسط والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالإضافة إلى المؤمنين ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ يعنى

= سورة الجمعة: "إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة"(الجمعة:٩) فهو خاص بنداء الجمعة/ ١٢.

(١) رواه محى السنة والواحدى وغيرهما/ ١٢ وجيز.

(٢) كما تقول فى التعظيم سلام على مجلسه ففيه مبالغة، فإن كان ذلك فى الآخرة يراد بالمكان حقيقة، لأن جهنم مكانهم. وإن كان ذلك فى الدنيا فالمراد المكانة/ ١٢ وجيز.

منافقی الیهود ﴿وَقَد دَّخَلُوا﴾ حال من ضمیر قالوا ﴿بِالْكُفْرِ﴾ حال من فاعل دخلوا ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أی: دخلوا کافرین وخرجوا کافرین لم یؤثر فیهم کلامك[1] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: من الکفر وفیه وعید ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ﴾: من منافقیهم أو من الیهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ﴾: المحارم أو الکذب ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الاعتداء علی الناس أو مجاوزة الحد فی المعاصی ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: الحرام خص بالذکر للمبالغة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: شیئًا عملوه ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾: زهادهم ﴿وَالأَحْبَارُ﴾: علماؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾: کذبهم وافتراءهم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ[2]﴾: من عدم النکیر علیهم التحضیض لهم علی

---

(۱) واللائق بحال العاقل إن فرضنا أنه دخل متلبسًا بالکفر أن لا یخرج إلا مؤمنًا/ ۱۲ وجیز.

(۲) فیه توبیخ العلماء والزهاد علی السکوت، قال السلف: ما نعلم آیة أشد توبیخًا للعلماء والزهاد علی السکوت عن النهی عن المعاصی من هذه الآیة والعمل لا یسمی صناعة إلا إذا تمکن صاحبها فیها وینسب إلیه، ففیه إشارة إلی أن ترك نهی المنکر عادة خواصهم/ ۱۲ وجیز. وبخ سبحانه الخاصة وهم العلماء التارکون للأمر بالمعروف والنهی عن المنکر بما هو أغلظ وأشد من توبیخ فاعلی المعاصی فلیفتح العلماء لهذه الآیة مسامعهم ویفرجوا لها عن قلوبهم فإنها قد جاءت بما فیه البیان الشافی لهم بأن کفهم عن المعاصی مع ترك إنکارهم علی أهلها لا یسمن ولا یغنی من جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالا من العصاة فرحم الله عالما قام بما أوجبه الله علیه من فریضة الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر فهو أعظم ما افترضه الله علیه وأوجب ما أوجب علیه النهوض به، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحین الآمرین بالمعروف الناهین عن المنکر الذین لا یخافون فیك لومة لائم وأعنا علی ذلك وقونا علیه ویسره لنا وانصرنا علی من تعدی حدودك وظلم عبادك، إنه لا ناصر لنا سواك ولا مستعان غیرك یا مالك یوم الدین إیاك نعبد وإیاك نستعین/ ۱۲.

النهى عن ذلك، فإن لولا إذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض **﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾** مجاز عن البخل أى هو مسك كف الله عنهم نعمة الدنيا حين جحدوا القرآن بعد ما كانوا فى خصب ورخاء فقالوا ذلك **﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾** أى: هم البخلاء أو دعا عليهم بالبخل قيل: هى من الغل فى النار **﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ[1] يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾** ليس له بخل أصلاً وله غاية الجود وتثنية اليد تدل عليها، وقيل يداه أى: نعمة الدنيا والآخرة **﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾** تأكيد لذلك أى هو مختار يوسع ويقتر بحسب مشيئته وإرادته **﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ﴾** فاعل يزيدن **﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾**: كلما نزلت آية كفروا وازدادوا طغيانًا وكفرًا **﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾**: بين طوائف اليهود **﴿العَدَاوَةَ[2] وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾** فلا يتفق كلمتهم **﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ﴾**: مع المسلمين **﴿أَطْفَأَهَا[3] اللَّهُ﴾** بأن أوقع

---

(١) أعلم أن اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء، والذى يدل عليه أن الله تعالى أخبر عن آدم أنه خلقه بيديه على سبيل الكرامة، ولو كان معناه بقدرته أو بنعمته أو ملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم وامتنع كون آدم مصطفى بذلك؛ لأن ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلا بد من إثبات صفة أخرى وراء ذلك يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء وبه قال أبو الحسن الأشعرى على ما نقله الرازى عنه وجماعة من أهل الحديث/ ١٢ فتح. فلا نكذب بأصلها لعدم علمنا بوصفها وآمنا بالله كما هو بأسمائه وصفاته/ ١٢.

(٢) لا يقال: إن هذا المعنى حاصل بين المسلمين أيضًا فكيف يكون عيبا عليهم لا على المسلمين لأنا نقول: إن هذه البدع والافتراق لم يكن شيئًا منها حاصلاً بينهم فى الصدر الأول، وإنما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم فجرى جعل ذلك عيبًا عليهم فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم/ ١٢ فتح.

(٣) أى: كلما جمعوا للحرب جمعًا وأعدوا له عدة شتت الله جمعهم وذهب بريحهم، وذلك بأن بعث الله عليهم بخت نصر البابلى ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى، ثم =

بينهم منازعة كف بها شرهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً﴾: للفساد أو يسعون بمعنى يفسدون ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: لا يرضى عنهم ولا يعزّهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ مع هذه الجرائم ﴿آمَنُوا﴾: بالقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾: معاصيهم ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ[1] سَيِّئَاتِهِمْ﴾: الماضية ﴿وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾: بأن يصدقوا ولا يحرفوا ويعملوا بالأحكام ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أى: القرآن أو كتب الأنبياء مطلقًا ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: لأنزل عليهم المطر وأخرج لهم نبات الأرض، أو من الأشجار والزروع أو من غير كد وتعب قيل أراد به التوسعة كقولهم: فلان بالخير من قرنه إلى قدمه ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: جماعة غير غالية ولا مقصرة كمؤمنى أهل الكتاب ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: مقول فى شأنه ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: بئس ما يعملونه، وفيه معنى التعجب أى ما أسوأ عملهم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ

= أفسدوا فسلط عليهم المجوس وهم أهل الفرس، ثم أفسدوا فقالوا يد الله مغلولة، فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة أبدا وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها ثم يبطل الله ذلك/ ١٢ فتح.

(١) قال بعض العلماء: من آمن ولم يراع التقوى لم يكفر جميع ما مضى من سيئاته فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه: "أنؤاخذ عملنا فى الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم: من أحسن منكم فى الإسلام فلا يواخذ بها ومن أساء أخذ بعمله فى الجاهلية والإسلام"، وأما من قال المراد من قوله من أحسن فى الإسلام عدم النفاق والمراد من الإساءة النفاق فقوله تمحل يخالف ظاهر الآية/ ١٢ وجيز. [الحديث أخرجه البخاري في "استتابة المرتدين" (٦٩٢١) ومسلم في "الإيمان" (١/٣٢٢) ط الشعب.]

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا
وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟
وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ
كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ
﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟
وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ
وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ
وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ
وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ
ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى
دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا
وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أى: جميعه غير خائف من شيء ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: و لم تبلغ جميعه وكتمت آية منه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: وما أديت شيئًا منها كمن أضاع ركن صلاة، أو فكأنك ما بلغت شيئًا منها، فإن كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أى: أنا ناصرك وحافظ روحك فلا تخف أحدًا[1] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس من قبل ذلك، فلما نزلت تلك الآية تركت الحراسة(*) ويجاهد الأعداء بعيب دينهم وسب آلهتهم بلا خوف. قيل: المائدة آخر ما نزل من القرآن فلا يشكل بشج رأسه الأشرف صلى الله عليه وسلم، أو المراد حفظ روحه ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أى: بلغ إليهم رسالتك والله الهادى وليس عليك هداهم قيل معناه: لا يمكنهم مما يريدون بك من الهلاك. قيل: الأمر بتبليغ كل ما قصد منه اطلاع الناس فإن من الأسرار ما يحرم إفشاؤه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أى: دين يصح أن يسمى شيئًا ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى: تؤمنوا بجميع الكتب وتصدقوها ولا تكتموا شيئًا منها فمن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ كرره ليتعقب عليه قوله: ﴿فَلاَ تَأْسَ﴾: لا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإنهم الأشقياء وضرر كفرهم لا يلحق بغيرهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: باللسان كالمنافقين أو المراد منه المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ مرفوع بالابتداء وخبره محذوف

---

(١) رواه الترمذى وقال: الحاكم صحيح الإسناد/ ١٢ وجيز.[أخرجه الترمذي (٣٢٥٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها- وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٣٤٤٠)]

(*) أخرجه الترمذي (٣٢٥٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها- وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٣٤٤٠).

أى والصائبون كذلك وهو اعتراض مشعر بأنهم مع كمال ضلالهم إن آمنوا يتاب عليهم فغيرهم من باب الأولى وهم طائفة من النصارى أو من عبدة الملائكة أو قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة، وقيل: غير ذلك ﴿وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: بقلبه أو ثبت على الإيمان مبتدأ خبره "فلا خوف" والجملة خبر إن وضمير اسمها محذوف أى: من آمن منهم أو بدل من اسم إن وخبره فلا خوف ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات عنهم من الدنيا ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً﴾: ليذكروهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى﴾: تشتهى ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ جملة شرطية وقوله: ﴿فَرِيقاً﴾: من الأنبياء ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ دال على جواب الشرط وهو استكبروا، وقوله: "فريقا كذبوا" مستأنفة كأنه قيل: كيف فعلوا برسلهم؟ وجملة الشرط والجزاء صفة "رسلا" أى كلما جاءهم رسول منهم ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أى: حسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم شر بما صنعوا ومن قرأ "ألا تكون" بالرفع يكون أن مخفف من المثقلة ﴿فَعَمُوا﴾: عن الدين والدلائل ﴿وَصَمُّوا﴾: عن إسماع الحق حين عبدوا العجل ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أى: ثم تابوا فقبل الله توبتهم ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ كرة أخرى ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من ضمير الجمع ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أى: إنى مخلوق مثلكم فاعبدوا خالق الكل ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: فى عبادته ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ﴾: منزله ﴿النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: ما لهم أحد ينصرهم لأنهم ظلمة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ[1]﴾ أى: أحد ثلاثة من الآلهة هو والمسيح وأمه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ

---

(١) أنه أحد ثلاثة من الآلهة هو والمسيح وأمه قال الله تعالى: "ءأنت قلت للناس اتخذونى =

وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أى: و لم يوحدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير ليعلم أن ترتب العذاب لكفرهم، ومن للبيان ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ[1] إِلَى اللَّهِ﴾ بالانتهاء عن تلك العقيدة الوخيمة بعد هذا التهديد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر لهم ويرحم عليهم بعد التوبة مع هذا الذنب الجسيم ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: ما هو إلا رسول كالرسل السابقة ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدقت بكلمات ربها وكتبه ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾: يحتاجان إليه، فكيف يكونان إلهين؟!! ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ[2] ﴾ أى: كيف يصرفون عن الحق وتدبر الآيات ﴿قُلْ﴾: يا محمد لمن يعبد غير الله ومنهم النصارى ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً﴾: لا يملك[3] أن يدفع عنكم ضر المصائب ولا أن يوصل إليكم نفع الصحة

= وأمى إلهين من دون الله"(المائدة:١١٦) وقد حكى عنهم أنه جوهر واحد وثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس والثلاثة إله واحد كالشمس يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة اختلطت الكلمة بجسد عيسى كالماء فى الخمر فكل من الثلاثة إله ولا يجوز فى العربية فى ثالث ثلاثة إلا الإضافة فلا يقال ثالث الثلاثة/ ١٢ وجيز.

(١) هذا من لطف الله تعالى استدعاء إلى التوبة من تلك المقالة الباطلة بعد أن كرر عليهم الشهادة بكفرهم/ ١٢ وجيز.

(٢) ودخلت ثم للتراخى ما بين العجبين، فإن الثانى أعجب من الأول فإنه الإعراض عن الآيات أعجب من التوضيح/ ١٢ وجيز.

(٣) والمراد هنا المسيح عليه السلام وإيثار "ما" على "من" لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الألوهية ببيان انتظامه عليه السلام فى سلك الأشياء التى لا قدرة لها على شيىء أصلا، وقدم سبحانه الضر على النفع لأن دفع المفاسد أهم من جلب المصالح =

والسعة ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: بالأقوال ﴿الْعَلِيمُ﴾: بالعقائد فيجازى عنها ﴿قُلْ[1] يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾: لا تتجاوزوا عن الحد فيه ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾: حال كون دينكم غير الحق أى باطلاً وقيل: صفة مصدر أى غلوًّا باطلاً فإن غلو الحق وهو التفحص عن حقائقه محمود ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ أى: أئمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَضَلُّوا﴾: خلقًا ﴿كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أى: استمروا على الضلال أو بعد بعثته أو ضلوا قبل عن مقتضى العقل ثم عن مقتضى الشرع.

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِى ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا

= وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية والإلهية حيث لا يستطيع ضرًّا ولا نفعًا وصفة الرب والإله أن يكون قادرًا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته وهذا فى حق عيسى النبى فما ظنك بولى من الأولياء، فإنه أولى بذلك/ ١٢ فتح.

(١) ولما سبق القول فى أباطيل اليهود وشيء من ترهات النصارى جمع الفريقين فى النهى فقال "قل يا أهل الكتاب" الآية/ ١٢ وجيز.

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة وأصحاب المائدة لما لم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم[١] آية فمسخوا خنازير أو ملعونون فى الزبور والإنجيل[٢] على لسانهما **﴿ذَلِكَ﴾** أى: اللعن **﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾** أى: بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم **﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ[٣] فَعَلُوهُ﴾**: لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه قيل: أى لا ينتهون من تناهى عن الأمر إذا امتنع **﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** تعجيب مؤكد بالقسم **﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ[٤]﴾**: من أهل الكتب **﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾**: يوالون **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** فإن المنافقين يوالون المشركين **﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** ما بعد أن هو المخصوص بالذم كأنه قال: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم أى

---

(١) وقال مجاهد والسدى وغيرهما/ ١٢.

(٢) هذا عن ابن عباس/ ١٢.

(٣) يعنى جمعوا بين فعل المنكر والتجاهر وعدم النهى/ ١٢ وجيز.

(٤) إن كان المراد أهل الكتب الذين فى عهد المسلمين فترى بصرية/ ١٢.

موجب سخطه ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ أی: محمد علیه الصلاة والسلام ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إذ الإيمان يمنع عن ذلك ﴿وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ[1]﴾: خارجون عن طاعة الله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فإنهم[2] متفقون فی الانهماك فی حسدهم وعنادهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى[3]﴾ نزلت فی وفد بعثهم النجاشی إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ عليهم القرآن بكوا وأسلموا ثم رجعوا إلى النجاشی فأخبره وقيل: غير ذلك ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ أی: علماء ﴿وَرُهْبَاناً﴾ أی: عبادًا ﴿وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ[4]﴾ كما يتكبر المشركون واليهود ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾ عطف على يستكبرون بيان لرقة أفئدتهم ﴿مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ جعلت أعينهم من كثرة البكاء كأنها تسيل بأنفسها ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾

---

(۱) وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر، وأصل الكلام: ولكنهم فاسقون، ولما طال الكلام أعيد كثيرًا منهم بلفظه المذكور فلا يلزم أن معناه أن كثيرًا من ذلك الكثير فاسقون/ ۱۲ وجيز.

(۲) فإنهما متفقان فی الحسد، وفی تقديم اليهود إشارة إلى أنهم أصول فی العداوة/ ۱۲ وجيز.

(۳) لم يرد به جميع النصارى؛ لأنهم فی عداوتهم للمسلمين كاليهود فی قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الآية فيمن أسلم منهم كالنجاشی وأصحابه، وقيل فی جميعهم؛ لأن اليهود أقسى قلبًا والنصارى ألين قلبًا منهم، وكانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود/ ۱۲ معالم.

(٤) بل هم متواضعون بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك، والعموم أولى ولا وجه لتخصيص قوم دون قوم والآية الكريمة ساكتة عن قيد الإيمان، وإنما هو مدح فی مقابلة ذم اليهود، وليس بمدح على الإطلاق/ ۱۲ فتح البيان.

من الأولى للابتداء والثانية للتبيين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ من الذين شهدوا بأنه حق أو من أمة محمد عليه[1] الصلاة والسلام فإنهم شاهدون يوم القيامة لنبيهم أنه قد بلغ، وللرسل أنهم قد بلغوا ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ﴾ نقل[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم فأجابوا. أى: أى شيء حصل لنا؟ وقوله: لا نؤمن حال من ضمير "لنا" أى: غير مؤمنين ﴿بِاللَّهِ﴾: بتوحيده ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ونطمع حال وعامله عامل الحال الأولى، لكن مقيدًا بالحال الأولى بتقدير: ونحن نطمع وعطف على لا نؤمن أو حال من فاعل لا نؤمن ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ﴾: أعطاهم ﴿بِمَا قَالُوا﴾: سألوا ربهم وتمنوا ﴿جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾: من تحت غرفها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين أحسنوا القول والعمل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ التكذيب بالآيات وإن كان داخلا فى الكفر لكن كفرهم لأجل تكذيبهم آيات ربهم والكلام فى بيان المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن

(١) رواه الحاكم فى مستدركه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٤٣/٢)، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طرق عن ابن عباس -رضي الله عنه-]

(٢) رواه الطبرانى عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٣٨/٢) وعزاه لابن أبي شيبة وأبي الشيخ.]

يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أى: ما طاب ولذ منه **﴿وَلاَ تَعْتَدُوا﴾**: لا تبالغوا فى التضييق على أنفسكم فى تحريم المباحات عليها، أو لا تجاوزوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم، أو لا تعتدوا فى تناول الحلال بل خذوا منه بقدر الكفاية **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ[١]﴾**: لا يرضى عمن تجاوز الحد فى الأمور

---

(١) ولما مدح النصارى بأن منهم قسيسين ورهبانًا وشيمتهم الزهد عن الطيبات أوهم ذلك رغبة المسلمين فى مثل تقشفهم وتبتلهم فبين أن الإسلام لا رهبانية فيه فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا" قال ابن جرير لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك رد النبى صلى الله عليه وسلم التبتل على عثمان بن مظعون[أخرجه البخاري في "النكاح" (٥٠٧٣)
=

نزلت فى جمع من الصحابة منهم على بن أبي طالب رضى الله عنه تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات الطعام واللباس وهموا بالإخصاء ولذلك قيل الاعتداء: الإخصاء **﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً[1]﴾** من إبتدائية متعلقة بكلوا وحلالا مفعوله أو للتبعيض مفعول كلوا وحلالا حال من الموصول **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾** قيل لما نزلت الآية فى منعهم عما اتفقوا عليه من الإخصاء وغيره قالوا: يا رسول الله: إنا قد حلفنا على ذلك فنزل قوله **﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ[2]﴾**: هو قول الرجل فى الكلام من غير قصد: لا والله، وبلى والله، أو فى الهزل أو فى المعصية أو على

= ومسلم في "النكاح" (٥٤٩١٣) ط الشعب] فثبت أنه لا فضل فى ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو فى فعل ما ندب الله إليه عباده وعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنه لأمته واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون إذ كان خير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإذا كان ذلك كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حلة وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرًا من عارض الحاجة على النساء، قال: فإن ظن ظان أن الفضل فى غير الذى قلنا لما فى لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وهذا ما فضل بينهما من القيامة إلى أهل الحاجة فقد ظن خطأ وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها ولا شيء أضر على الجسم من المطاعم الردية، لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التى جعلها الله سببًا إلى طاعته/ ١٢ فتح.

(١) قال ابن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه، والطيبات ما أغذى وأنمى وأما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه، إلا على وجه التداوى، ثم وصاهم الله تعالى بالتقوى/ ١٢ فتح.

(٢) وقد ذهب الجمهور من الصحابة ومن بعدهم إلى أنها قول الرجل لا والله وبلى والله فى كلامه غير معتمد لليمين وبه فسر الصحابة الآية وهم أعرف بمعانى القرآن قال الشافعى: وذلك عند اللجاج والغضب والعجلة/ ١٢ فتح.

غلبة الظن أو فى الغضب أو فى النسيان أو هو فى ترك المأكل والملبس **﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾**: بما صممتم عليه وقصدتموه إذا حنثتم **﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾** أى: كفارة نكثه التى تذهب إثمه **﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾**: وهو من لا يجد ما يكفيه **﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾** صفة إطعام أو تقديره إطعامًا من أوسط أو طعامًا من أوسط **﴿مَا تُطْعِمُونَ[1] أَهْلِيكُمْ﴾** أى: من أعدله أو من أمثله، قال كثير من السلف: لكل واحد مد من بر ومعه إدامه، وقال بعضهم: نصف صاع من بر أو تمر ونحوهما وعند الشافعى مد بمد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك **أَوْ ﴿كِسْوَتُهُمْ[2]﴾** عطف على إطعام أى: ما يقع عليه اسم الكسوة أو كسوة تجوز صلاته فيها وقيل غير ذلك **﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[3]﴾**: مؤمنة عند الشافعى فالحانث مخير بين هذه الثلاثة **﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾**: واحدًا منها بأن لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله فى يومه وليلته **﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾** أى: فكفارته ذلك، والتتابع ليس بشرط عند الشافعى **﴿ذَلِكَ﴾** أى: المذكور **﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾** يعنى: حنثتم **﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾** لا تتركوها بغير تكفير أو لا تحلفوا أو عن الحنث إذا لم يكن على ترك مندوب أو فعل مكروه فإن الأفضل الحنث والكفارة حينئذ **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل ذلك البيان **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**: نعمه فيزيدنكم **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[4] آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾**: هو القمار بجميع أنواعه **﴿وَالأَنصَابُ﴾**: هى حجارة كانوا يذبحون

---

(١) والظاهر أن المراد قدر الشبع/ ١٢ وجيز.

(٢) والظاهر ما يسمى كسوة/ ١٢ وجيز.

(٣) مؤمنة عند الأكثرين، فالحانث مخير بين هذه الثلاثة، والعتق أفضل ثم الكسوة وبدأ بالأيسر/ ١٢ وجيز.

(٤) ولما نهى عما حرموا على أنفسهم بين ما هو الحرام وهم يتعاطونه يعنى الخمر والباقى ذكر تبعًا له ليعلم أن الخمر من جنسه فقال: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر"/ ١٢.

قرابينهم عندها ﴿وَالأَزْلامُ﴾: هى قداح كانوا يستقسمون بها وقد مر ﴿رِجْسٌ[1]﴾: سخط وإثم خبر للخمر وخبر الباقى محذوف أو تقديره تعاطى الخمر والميسر رجس ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾؛ لأنه مسبب من تسويله ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أى: الرجس ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكى تفلحوا بالاجتناب عنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ[2] وَيَصُدَّكُمْ﴾: يمنعكم ﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

---

(١) فى الصحاح الرجس: القذر والعقاب والغضب وهذا كما قال: "إنما المشركون نجس"(التوبة:٢٨) فلا حاجة على تقدير مضاف فإنه أبلغ/ ١٢ وجيز.

(٢) وكما دلت هذه الآية على تحريم الخمر دلت أيضًا على تحريم الميسر والأنصاب والأزلام قال قتادة: الميسر هو القمار وقال ابن عباس: كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وعن على بن أبى طالب قال: النرد والشطرنج من الميسر وعنه قال الشطرنج ميسر الأعاجم، وقال قاسم بن محمد كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر، وعن ابن الزبير قال: يا أهل مكة بلغنى عن رجال يلعبون بلعبة يقال لها نرد شير، والله يقول فى كتابه "إنما الخمر والميسر" الآية إلى قوله "فهل أنتم منتهون"، وإنى أحلف بالله لا أوتى بأحد يلعب بها إلا عاقبته فى شعره وبشره، وأعطيت سلبه من أتانى به، وعن أنس بن مالك قال: الشطرنج من النرد بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مال يتيم فأحرقها وسئل ابن عمر عن الشطرنج فقال: هى شر من النرد وسئل أبو جعفر عنه فقال: تلك المجوسية فلا تلعبوا بها وأخرج ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لعب بالنرد شير فقد عصى الله ورسوله، وأخرج ابن أبى الدنيا عن يحيى بن كثير قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم يلعبون بالنرد فقال: قلوب لاهية وأيد عليلة وسنة لاغية وقال ابن سيرين: ما كان من لعب فيه قمار أو صياح أو شر فهو من الميسر، وفى الباب روايات كثيرة مشتملة على الوعيد الشديد لا نطول بذكرها، وقد أشار سبحانه إلى ما فى الخمر =

﴿الصَّلاةِ﴾ ذكر الأنصاب والأزلام اللذين هما من الكفر مع الخمر والميسر كأنه للدلالة على أنهما مثلهما فى الحرمة، ولذلك خصهما بإعادة الذكر ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ من أبلغ عبارة فى النهى كأنه قال قد تلوت عليكم من أنواع الصوارف فهل أنتم معها منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه و لم ينفعكم الزجر؟! ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾: مخالفتهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ فلا ضرر له، وإنما ضررتم به أنفسكم، ولما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل التحريم وبعض الذين قتلوا يوم أحد شهداء والخمر فى بطونهم فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾: إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾: مما لم يحرم عليهم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾: الحرام ﴿وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحات ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ما حرم عليهم بعد ﴿وَآمَنُوا﴾ بتحريمه ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ استمروا على اتقاء المعاصى ﴿وَأَحْسَنُوا﴾: العمل ومعناه فى الأول: اتقوا الشرك وآمنوا ثم اتقوا أى: داموا على ذلك وآمنوا وثبتوا عليه وازدادوا إيمانًا ثم اتقوا المعاصى كلها وأحسنوا العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فلا يؤاخذهم بشيء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ

= والميسر من المفاسد الدنيوية بقوله: "إنما يريد الشيطان" الآية/ ١٢ فتح.[ذكر هذه الآثار السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٥٦٤)]

ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ**﴾: يختبرنكم ﴿**بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ**﴾ هذا فى عمرة الحديبية المسلمون محرمون والصيد من الوحش والطير تغشاهم فى رحالهم لم يروا مثلـه قط ﴿**تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ**﴾: تتمكنون من أخذه باليد، لأن فيه صغارًا وفراخًا ﴿**وَرِمَاحُكُمْ**﴾: تحتاجون إلى مزاولة الرمح لأن فيه الكبار ﴿**لِيَعْلَمَ اللَّهُ**﴾: ليرى الله وليتميز ﴿**مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ**﴾: من يخاف الله و لم يره أو من يخاف عقاب الله وهو غائب غير شاهد ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ**﴾: الإعلام والإنذار ﴿**فَلَهُ عَذَابٌ**[1] **أَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ**[2] ﴾ أى: محرمون جمع حرام ﴿**وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً**﴾: ذاكرًا لإحرامه، والأصح عند السلف والخلف أن العمد والخطأ سيان فى لزوم الكفـارة

---

(١) ولله الحمد على أن لم يقعوا فى مثل ما وقع فيه اليهود، ولما علم من ضمن الكلام حرمة الصيد فى الإحرام أمرهم صريحً فقال: "يا أيها الذين"إلخ/ ١٢ وجيز.

(٢) فإن الإحرام تذكرة للموت والميت لا يؤذى بوجه والحرم موطن الرفق أيضًا/ ١٢.

دون الإثم والآية فيهما ولذلك قيده بمتعمد، أو يدل عليها صريحًا قوله "ومن عاد فينتقم الله" ﴿فَجَزَاءٌ﴾: أى فعليه أو فواجبه جزاء ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ صفة جزاء ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ بيان للمثل ومن قرأ فجزاء بالإضافة فمن إضافة المصدر إلى المفعول والمثل غير زائد، لأنه بصدد بيان أن الجزاء ما هو لا بيان أن عليه جزاء ما قتل، وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة على الأصح[1] المنقول عن السلف ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾: الجزاء ﴿ذَوَا[2] عَدْلٍ﴾: رجلان صالحان فإن الأنواع تتشابه، ففى النعامة بدنة، وفى حمار الوحش بقرة، ﴿مِّنكُمْ﴾: من المسلمين فما حكم الصحابة بالمثلية فهو المتبع وإلا فلابد من عدلين يحكمان، هذا هو الأصح، ﴿هَدْياً﴾ حال من ضمير به، ﴿بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾، صفة هديًا، والإضافة لفظية أى: واصلاً إليه بأن يذبح فيه، ويتصدق به، ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ﴾، عطف على جزاء، ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ بدل منه أو تقديره هى طعام وظاهره التخيير وعليه الأكثرون، وقال بعض من السلف: إن لم يجد هديًا يعدل على أن يقوم مثل ما قتل، فيشترى بثمنه طعامًا لكل مسكين مد فإن لم يجد يصوم، ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ[3]

---

(١) وعند الشافعى للمحرم قتل ما لا يؤكل، فإن الصيد لا يطلق عليه عرفًا غالبًا والجمهور على تحريمه إلا ما يؤمر بقتله، وظاهر القرآن على أن فى غير المتعمد لا جزاء وبه قال ابن عباس فى أحد قوليه وابن جبير وطاوس وعطاء وسالم وبه قال أبو داود والطبرى وأحد قولى الحسن البصرى، ومجاهد وأحمد وأما عند مالك وأبى حنيفة والشافعى فلا إثم، ولكن وجب الجزاء ويأباه قوله "متعمدًا" و قوله "ومن عاد"/ ١٢ وجيز.

(٢) فما حكم الصحابة فى المثلية فهو متبع، وإلا فلا بد من عدلين على الأصح/ ١٢.

(٣) الظاهر أن الإشارة إلى أقرب مذكور، وهو الطعام أى: ما ساواه من الصوم، فيصوم عن إطعام كل مسكين يومًا وصيامًا تمييز للعدل قد أجهل قدر الطعام وعدد المساكين والظاهر ما يسمى طعامًا وما يطلق عليه الجمع لكن عند جمع من السلف يُقَوِّم الصيد دراهم، ثم يشترى بها الطعام فيطعم كل مسكين نصف صاع، وعند بعض آخر يُقَوِّم =

﴿صِيَاماً﴾ أى: ما ساواه من الصوم فيصوم عن إطعام كل مسكين يومًا وصيامًا تمييز للعدل، **﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾**: ثقل أمره، وجزاء معصيته أى: أوجبنا عليه ذلك ليذوق، **﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾**: قبل التحريم، **﴿وَمَنْ عَادَ﴾**: إلى مثل ذلك، **﴿فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾**: فى الآخرة أى: فهو ينتقم الله منه ليصح دخول الفاء وعليه مع ذلك الكفارة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا كفارة عليه فإن الأمر أشد، **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾**: على المصر بالمعاصى، **﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ[1] الْبَحْرِ﴾**: مما لا يعيش إلا فى

= الهدى ثم يشترى بقيمته طعامًا والآية كالصريح فى التخيير بين الثلاثة كالحلف وعليه الأكثرون وهو أصح قولى الشافعى/ ١٢ وجيز.

(١) وجملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره أما السمك فميته حلال مع اختلاف أنواعها، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "أحلت لنا ميتتان السمك والجراد) [أخرجه أحمد (٢/٩٧)، وابن ماجه (٣٣١٤)، وانظر "الصحيحة" (١١١٨)]، فلا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب، وعند أبى حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحسار الماء منه ونحو ذلك أما غير السمك فقسمان قسم يعيش فى البر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكله، وقسم يعيش فى الماء ولا يعيش فى البر إلا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها إلا السمك، وهو قول أبى حنيفة، وذهب قوم أن ميت الماء كلها حلال لأن كلها سمك وإن اختلف صورها كالجريث يقال له حية الماء، وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق، وهو قول عمر وأبى بكر وابن عباس، وزيد بن ثابت وأبى هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعى، وذهب قوم على أن ما له نظير فى البر يؤكل فميتته من حيوانات البحر حلال مثل بقر الماء ونحوه، وما لا يؤكل نظيره فى البر لا يحل من حيوانات البحر مثل كلب الماء والخنزير، والحمار ونحوها وقال الأوزاعى: كل شيء عيشه فى الماء فهو حلال قيل فالتمساح قال: نعم قال الشعبى لو أن أهلى =

الماء فى جميع الأحوال ﴿وَطَعَامُهُ﴾ أى: ما يتزود منه يابسًا مالحًا أو ما لفظه ميتًا، ﴿مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: منفعة للمقيم، والمسافر، وهو مفعول ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ[1] البَرِّ﴾ أى: مصيدها، وعن بعضهم المراد بالصيد فى الموضعين فعله ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾ وأما أكل لحم صيد غير المحرم لا لأجله فى حال الإحرام فالأصح الجواز بدليل الحديث، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ[2] تُحْشَرُونَ جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ﴾، عطف بيان للكعبة على جهة المدح، ﴿قِيَاماً لِّلنَّاسِ﴾: فى أمر دينهم ودنياهم به الحج وبه يلوذ الخائف، وهو ثانى مفعولى جعل، ﴿وَالشَّهْرَ الحَرَامَ﴾، عطف على الكعبة جعل الأشهر الحرم قيامًا للناس فيه الحج، والأمن من القتال، ﴿وَالْهَدْيَ﴾: ما أهدى إلى الكعبة، ﴿وَالْقَلائِدَ﴾: ذوات القلائد من الهدى ما قلد به الهدى من نعل، أو لحاء شجر أى: علامة يعلم منها أنه هدى، وكانوا يؤمنون بتقليد الهدى فبه يحصل القيام، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: الجعل وقيل إشارة إلى ما فى السورة من أخبار الغيب، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل الوقوع، وجلب المنافع دليل كمال علمه أو لتعلموا أنا نعلم مصالح دينكم ودنياكم،

= أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال سفيان الثورى: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس، وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر/ ١٢ معالم.

(١) والظاهر أن الصيد فى الموضعين فى الصحيحين أن جماعة من الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الصيد للحرم فقال هل كان فيكم أحد أشار إلى الصيد وأعان فى القتل قالوا لا فأكلوا وأكل منها/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "الذبائح والصيد" (٥٤٩٢)، ومسلم في "الحج" (٢٧٩/٣) ط الشعب واللفظ له]

(٢) ذكر الحشر إذ يظهر فيه جزاء من أطاع وعصى، ولما ذكر تعظيم الإحرام بالنهى عن قتل الوحش فيه وذكر تعظيم الكعبة بقوله: "هديا بالغ الكعبة" بين بعده أن الكعبة جعل قيامًا للناس فقال: "جعل الله الكعبة"/ ١٢ وجيز.

فتستدلوا بهذا على أنه عالم بما فى السماوات والأرض، ﴿وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، تعميم بعد تخصيص.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن انتهك محارمه، ﴿وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن حافظ عليها ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾: فإذا بلغ ليس لكم عذر فى التفريط، ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من تصديق وتكذيب، ﴿قُل[1] لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ[2]﴾: الحرام والحلال، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾: فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ﴾: فى الخبيث ﴿يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾: أرباب العقول السليمة،[3] ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: راجين أن تبلغوا الفلاح.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى

---

(١) ولما حذر عن المعصية، ورغب فى الطاعة وكرر ذلك أتبعه بنوع آخر من الترغيب والترهيب، فقال: "قل لا يستوى الخبيث" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) يمكن إطلاقهما على المؤمن والكافر، والمطيع والعاصى، والجيد والردى، والمعرفة والجهل، والطاعة والمعصية والأولى حملها على العموم/ ١٢ وجيز.

(٣) والفلاح أقصى غاية مراد المرء العاقل، ولما كرر عدم استواء الخبيث والطيب وأشار إلى أن العقل الخالص هو المميز وبعض الأسئلة من قسم الخبيث أمر باجتنابه فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء" الآية/ ١٢ وجيز.

ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا﴾: رسول الله صلى الله عليه وسلم. **﴿عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾**: تظهر لكم، **﴿تَسُؤْكُمْ﴾**: تغمكم وتضركم. الشرطية وما عطف عليها من الشرطية الأخرى صفة أشياء نزلت[1] لما سئل من يطعن فى نسبه من أبى فعينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال آخر أين أبى؟ قال: "فى النار"(**) أو نزلت

---

(١) روى فى الصحيحين/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (٤٦٢١) ومسلم في "الفضائل" (٢٣٥٩)]

(**) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٥/٧/٥٣) من حديث أبي هريرة. وذكره الحافظ في "الفتح" (٨/١٣١).

لما[1] نزل وجوب الحج، فقال: " فى كل عام، فقال: ولو قلت نعم لوجبت فاتركونى ما تركتم" ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أى: وإن تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أى: عما سلف من مسألتكم، فلا تعودوا لمثلها فهى استئناف أو صفة أخرى أى عن أشياء عفا الله عنها و لم يكلف بها، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجلكم بالعقوبة، ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أى: عن الأشياء بالحذف والإيصال، وقيل الضمير إلى المسألة التى دل عليها "لا تسألوا" فيكون فى موقع الصدر وليس من قبيل سألته درهما، لأنهم ما طلبوه، بل سألوا عنه، ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾، متعلق بسألها، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ أى: بالأشياء أو بسببها، ﴿كَافِرِينَ﴾؛ لأنهم تركوها وهجروها وقد[2] ورد "اتركونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم" ﴿مَا[3] جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ أى[4] ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير، فلا يطلب إلا مفعولا واحدًا و من زائدة، وهى ناقة ولدت خمسة أبطن بحروا أى: شقوا أذنها وتركوا الحمل، والركوب عليها، ﴿وَلاَ سَائِبَةٍ﴾: هى ناقة لا تركب، ولا تحبس عن كلاء وماء لنذر صاحبها إن حصل ما أراد من شفاء المريض، أو غيره أنها سائبة، ﴿وَلاَ وَصِيلَةٍ﴾: الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظر إن كان السابع ميتًا فهو

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد/ ١٢ وجيز.[أخرجه مسلم في "الحج"/ باب: فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧)]

(٢) فى الصحيحين/ ١٢ وجيز.[تقدم تخريجه] .

(٣) لما نهى عن بعض الأسئلة وأمر بالاكتفاء بما أمرهم علم منه بطريق الأولى عدم جواز اختراع شرع من عند أنفسهم فقال: "ما جعل الله" الآية/ ١٢ وجيز.

(٤) قال النحاة: إن جعل يجيء بمعنى خلق وألقى وصير وبمعنى أخذ في الفعل وبمعنى سمى، وأما جعل بمعنى شرع وسن فلم يسمع، والحمل على ما سمع أولى وأحرى/ ١٢ وجيز.

للرجال دون النساء، وإن كان ذكرا فهو مذبوح للرجال، وإن كان أنثى تركوها فلم يذبح، وإن كان ذكرًا و أنثى خلوا الذكر أيضًا من أجل أنثى، وقالوا: وصلت أخاها ولبنها للرجال ﴿وَلاَ حَامٍ﴾: هو الفحل إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يحمل عليه، وقد قيل فى تفسير كل واحد غير ما نقلنا، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: فى تحريمهم هذه الأنعام، ﴿وأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾: جهلة كالأنعام، بل هم أضل أو أكثرهم مقلدون لرؤسائهم لا يعرفون ان ذلك افتراء منهم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: فى الفرائض والسنن، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: من سننهم السيئة، ﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾، الواو للحال والهمزة للإنكار أى: أحَسبهم وجدان آبائهم على هذا المثال، ولو كان الحال أن آباءهم جهلة ضلال[1]، ﴿يَا أَيُّهَا[2] الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الجار والمجرور اسم فعل أى: الزموا صلاحها، ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فيه رخصة[3] فى ترك الحسنة إذا علم عدم قبولها أو فيها مفسدة وإضرار له منها اتفقت كلمة السلف على ذلك،

---

(١) فإنها حال لا ينبغى أن يتبع فيها/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما رغب ورهب ونصح و لم يفد لهم، بل بقوا مصرين على فعل آبائهم وحسبوا أن تركهم لما هم عليه عار خاطب المؤمنين فقال: "يا أيها الذين آمنوا عليكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) لما توهم من ظاهر الآية الرخصة فى ترك الأمر بالمعروف والإذن فى ذلك، بل الأمر به أشار إلى الجواب بأن الرخصة إذا علم عدم قبولها أو إذا كان فيها مفسدة فوقها أو المراد من الاهتداء أن ينكر، ويأمر حسب طاقته، فليس عليه بعد ذلك شيء أو للمنع عن هلاك النفس حسرة وأسفا على ما فيه الفسقة/ ١٢ منه.

والأحاديث تدل[١] عليه أو معنى إذا اهتديتم إذا ائتمرتم بالمعروف، وأمرتم به، وانتهيتم عن المنكر، ونهيتم عنه حسب طاقتكم أو المراد المنع عن هلاك النفس أسفًا على ما عليه الكفرة والفسقة كقوله: "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات"(فاطر: ٨)، وهو استئناف أو جواب للأمر أى: إن لزمتم أنفسكم لا يضركم، والقياس الفتح لكن أوثرت ضمة الراء لاتباع الضاد، **﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**، وعد ووعيد للفريقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[٢] آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾، إضافة إلى الظرف على الاتساع، **﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾**، ظرف للشهادة، وحضوره: ظهور أماراته، **﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾**، بدل من الظرف وفيه دليل على أن الوصية مما لا ينبغى التساهل فيها، **﴿اثْنَانِ﴾**، خبر شهادة أى: شهادة بينكم شهادة اثنين أو فاعلها أى: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان، **﴿ذَوَا[٣] عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾**:من المسلمين، وقيل من أقاربكم وهما صفتان لاثنان، **﴿أَوْ**

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم عن تلك الآية: "ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت دينا مؤثرة وشحا مطاعًا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك"/ ١٢ وجيز. أخرجه الترمذى، وصححه ابن ماجه وابن جرير والبغوى والحاكم وغيرهم/ ١٢ فتح.[وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه (٨٦٩)".]

(٢) اعلم أنه تعالى لما أمر بحفظ النفس فى قوله: "عليكم أنفسكم" أمر بحفظ المال فقال: "يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم" الآية/ ١٢ كبير.

(٣) قيل إن الضمير فى منكم للمسلمين، وفى غيركم للكفار وهو الأنسب بسياق الآية، وبه قال أبو موسى الأشعرى، وابن عباس وغيرهما، فيكون فى الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة من المسلمين فى خصوص الوصايا كما يفيده النظم القرآنى، ويشهد له السبب للنزول، وبه قال سعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير وأبو مجلز والنخعى وشريح وعبيدة السلمانى وابن سيرين ومجاهد وقتادة والسدى والثورى وأبو عبيد وأحمد بن حنبل، وقيل ضمير منكم إلى القرابة وغيركم إلى الأجانب، وإليه ذهب الزهرى والحسن وعكرمة،

=

آخَرَانِ﴾، عطف على اثنان، ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير المسلمين أو من غير أقاربكم، ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾: أى: شهادة غير المسلم إذا كنتم فى السفر يعنى: لم تجدوا مسلمًا، ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾، عطف على ضربتم، وجواب الشرط محذوف أى: إن كنتم فى سفر ولم تجدوا مسلمين، فيجوز إشهاد غير المسلمين، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: تقفوهما صفة للآخران، أو استئناف كأنه جواب ما قيل كيف نعمل إن ارتبنا فى الشاهدين؟! ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلاَةِ﴾ أى: صلاة العصر، فإن أهل الكتاب أيضًا يعظموها أو بعد صلاة ما، أو بعد صلاتهم، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أى: إن ارتاب أحد الوارثين فيهما حبسهما للحلف، ﴿لاَ نَشْتَرِي بِهِ﴾: بالقسم، ﴿ثَمَناً﴾، الجملة مقسم عليه أى: لا نستبدل به عرضًا من الدنيا أى: لا نحلف كاذب، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: من نقسم له، ﴿ذَا قُرْبَى﴾: قريبًا منا لا نحلف له كاذبًا أى نحن رجال عادتنا الصدق لنا أو علينا، ﴿وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أى: الشهادة التى أمر الله بإقامتها، ﴿إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾: إن كتمنا، ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: اطلع ﴿عَلَى أَنَّهُمَا﴾ أى: آخرين ﴿اسْتَحَقَّا إِثْماً﴾: استوجبا إثما بيمينهما الكاذبة، ﴿فَآخَرَانِ﴾: فشاهدان آخران، ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾، خبر لقوله فآخران، ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾: من الذين جنى عليهم، وهم الورثة، فضمير استحق للإثم أى ارتكب الذنب بالقياس إليهم، ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ أى: أحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما استئناف كأنه قيل من هما قال:

= وذهب مالك والشافعى عن عكرمة وغيرهم من الفقهاء إلى أن الآية منسوخة واحتجوا بقوله: "ممن ترضون من الشهداء"، وقوله: "وأشهدوا ذوى عدل منكم"(الطلاق:٢) والكفار ليسوا بمرضيين ولا عدول، وخالفهم الجمهور فقالوا: الآية محكمة، وهو الحق لعدم وجود دليل صحيح يدل على النسخ وأما الآيتان المذكورتان فهما عامان فى الأزمان والأشخاص والأحوال وهذه الآية خاصة بحالة الضرب فى الأرض وبالوصية، وبحال عدم شهود المسلمين، ولا تعارض بين خاص وعام/ ١٢ فتح.

هم الأوليان، أو بدل من آخران، ومن قرأ الأولين فهو صفة، أو بدل من الذين، ومن قرأ استحق غير مجهول، فهو فاعل[١] أى: من الورثة الذين استحق[٢] عليهم الأوليان بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾، عطف على يقومان، ﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ﴾: بالاعتبار، ﴿مِن شَهَادَتِهِمَا﴾، أو أصدق، ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾: ما تجاوزنا عن الحق فيها، ﴿إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: إن اعتدينا، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: الحكم الذى تقدم، ﴿أَدْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ اى: أقرب أن يأتى الشهداء بشهادتهم على نحو تلك الحادثة، فلا يغيروها، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ﴾: على المدعين، وهم أولياء الميت، ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: إذا ظهر للأولياء أمارات كذب الشاهدين، فيفتضحوا أى: أقرب إلى أحد الأمرين أداء الشهادة على الصدق أو الامتناع عن أدائها بالكذب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾: بسمع إجابة ما أمرناكم، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ[٣]﴾: أى إن لم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهديهم، ومحصل الآية أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغى أن يشهد على وصيته اثنين من المسلمين أو من قرابته، فإن لم يجدهما بأن كان فى سفر فآخرين من غيرهم، ثم إن وقع

---

(١) والمفعول محذوف، وهو أن يجردوهما للشهادة أى للحلف على أولوية شهادتهما، وهما بالحقيقة الآخران اللذان يقومان مقام الأولين على وجه الظاهر موضع المضمر، لكن لم يمكن أن يجعل فاعل استحق ضمير آخران الإفراد هذا فى المنيهة، وفى الكمالين، ومفعوله محذوف قدره ابن عطية ما لهم وتركتهم، وقدره بعضهم وصيتهما وقدر الزمخشرى أن يجردوهما للقيام بالشهادة/ ١٢.

(٢) استحق بضم التاء على المجهول هذا قرأة العامة، وقرأ حفص بفتح التاء والحاء وهى قراءة على والحسن/ ١٢ منه.

(٣) لما أخبر بشاهدى الوصية بعد ما بين أمر الضالين ذكر بهذا اليوم المخوف يخوف من الشهادة من لم يتق الله فقال: "يوم يجمع".

ارتياب فيهما أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت أيضًا، فإن اطلع بأمارة، ومظنة على كذبهما أقسم آخران من أولياء الميت، هكذا قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآيات غير واحد من أئمة السلف والتابعين، وهو مذهب الإمام أحمد، والقاضى شريح فى خاصة مثل هذه الواقعة، وقال بعضهم حكم الآية منسوخ إن أريد من الغير الكافرون فإن شهادة الكافر كانت فى بدأ الإسلام ثم نسخت، وقال بعضهم المراد من الشهادة الوصاية وكون الوصى اثنين للتأكيد فإنهم قالوا: لا نعلم حكما يحلف فيه الشاهد وهو خلاف الظاهر المتبادر، وسبب نزول الآية أن رجلا من المسلمين خرج مسافرا معه رجلان من أهل الكتاب، ومات بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جاما من فضة مموها بالذهب، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا على أنهما ما اطلعا على الإناء، ثم وجد الإناء عند من اشترى منهما، فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن الإناء لنا وأخذا.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا

وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿**يَوْمَ يَجْمَعُ**[1] **اللَّهُ الرُّسُلَ**﴾ أى: اذكر يوم جمعهم، وقيل ظرف للايهدى، أو بدل اشتمال من مفعول اتقوا، ﴿**فَيَقُولُ**﴾: لهم، ﴿**مَاذَا أُجِبْتُمْ**﴾ أى إجابة أجبتم، إجابة إقرار أو إنكار، ﴿**قَالُوا لاَ**[2] **عِلْمَ لَنَا**﴾: إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم، أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا أو بالنسبة إلى علمك، ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**﴾: فتعلم ما نعلم، وما لا نعلم، وهذا السؤال لتوبيخ الأمم، ﴿**إِذْ قَالَ**[3] **اللَّهُ**﴾، بدل من يوم الجمع

---

(١) اعلم أن عادة الله تعالى جارية فى هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعًا كثيرة من الشرائع والتكاليف والأحكام أتبعها إما بالإلهيات، وإما بشرح أحوال الأنبياء أو بشرح أحوال القيامة ليصير ذلك مؤكدا لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع فلا جرم لما ذكر فيهما تقدم أنواعًا كثيرة من الشرائع أتبعها بوصف أحوال القيامة أولاً ثم ذكر أحوال عيسى أما وصف أحوال القيامة فهو قوله: "يوم يجمع الله"/ ١٢ كبير.

(٢) لا نعلم ما كان لهم بعد وفاتنا أو لا علم لنا البتة بأحوالهم إنما الحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن، والظن كان معتبرًا فى الدنيا لأن الأحكام فى الدنيا كانت مبنية على الظن، وأما الآخرة فلا التفات فيها إلى الظن، لأن الأحكام فى الآخرة مبنية على حقائق الأشياء وبواطن الأمور فلهذا السبب لا علم لنا إلا ما علمتنا، و لم يذكروا البتة ما معهم من الظن؛ لأن الظن لا عبرة به يوم القيامة، وهذا الوجه هو الذى خطر ببالى وقت الكتابة/ ١٢.

(٣) اعلم أن الغرض من قوله تعالى للرسل: "ماذا اجبتم" توبيخ من تمرد من أممهم وأشد الأمم افتقارا إلى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام؛ =

أو بتقدير اذكر، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ[1] إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قويتك ظرف نعمتى، أو حال منهما، ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبريل، وقيل بكلام ونفس يحيى به الدين، والموتى، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾: بدعوهم إلى الله تعالى، ﴿فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾، عطف على محل فى المهد فإنه حال قالوا، وما وصل إلى سن من الكهولة، ففيه إشارة إلى نزوله من السماء، وهو آية من آياته، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾: الخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الفهم، ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: تشكله وتصوره على هيئة طائر، ﴿بِإِذْنِي﴾: لك فى ذلك، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾: فى تلك الصورة، ﴿فَتَكُونُ طَيْراً﴾: تطير، ﴿بِإِذْنِي﴾: وأمرى ﴿وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾: بأن تدعوهم فيقومون من قبورهم بإرادة الله وقدرته، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ أى: عن قتلك، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، ظرف لكففت، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا﴾ أى: ما هذا، ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾: ألهمت أو بلسانك ﴿إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾: أصحابه، وأنصاره، ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ﴾: يا الله أو يا أيها الرسول، ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون، ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾، منصوب باذكر، ﴿يَا عِيسَى

= لأن طعن سائر الأمم كان مقصورًا اللأنبياء، وطعن هؤلاء الملاعين تعدى إلى جلال الله، وكبريائه حيث وصفوه بما لا يليق بعاقل أن يصف الإله به، وهو اتخاذ الزوجة، والولد فلا جرم ذكر تعالى أنه يعدد أنواع نعمه على عيسى بحضرة الرسل واحدة فواحدة، والمقصود منه توبيخ النصارى، وتقريعهم على سوء مقالتهم فإن كل واحدة من تلك النعم المعدودة على عيسى تدل على أنه عبد، وليس بإله، والفائدة فى هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم، وركاكة مذهبهم واعتقادهم/ ١٢ كبير.

(١) ونعمته على أمه ما هى مذكورة فى مواضع من براءتها مما نسب عليها وغير ذلك/ ١٢ وجيز.

﴿ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، وهذا كما تقول: هل تستطيع أن تجيء معى؟ عالمًا باستطاعته أى هل تفعل أم لا؟ أو بمعنى هل يعطيك ربك بإجابة سؤالك فيكون أطاع واستطاع بمعنى كأجاب واستجاب، وقيل: شكوا[1] أى فى قدرة الله، ولذلك أجابهم عيسى عليه السلام بقوله: "اتقوا الله"، ومن قرأ هل تستطيع بالتاء، وربك بالنصب، فمعناه هل تستطيع سؤال ربك؟ ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً[2] مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ﴾: عيسى، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى سؤالها، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أى: لا يليق اقتراح الآيات بعد الإيمان، ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾، فأجابوا بأن طلبها لأجل الحاجة لا أننا نطلب آية، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: بزيادة علمنا، ﴿وَنَعْلَمَ﴾: علم مشاهدة بعد ما علمناه علم إيمان، ﴿أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: فيما وعدتنا أو فى نبوتك، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أى: من الشاهدين على تلك المائدة الدالة على نبوتك أو من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها من بنى إسرائيل، وعليها متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين، ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾، نداء ثان فإن اللهم لا يوصف، ولا يبدل منه، ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ أى: خوان إذا كان فيه الطعام، ﴿مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً﴾، العيد اسم ليوم فيه سرور مخصوص فضمير تكون للمائدة على حذف مضافين أى: تكون يوم نزولها أو اسم سرور يعود فلا حذف، لكن فى الإسناد مجاز، ﴿لأَوَّلِنَا﴾، بدل من لنا، ﴿وَآخِرِنَا﴾: لمتقدمينا ومتأخرينا أو يأكل منها أولنا وآخرنا ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾: على كمال قدرتك، وصحة نبوتى، ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ﴾: مجيبًا له، ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾: بعد نزولها، ﴿مِنكُمْ

---

(١) وهو الظاهر، والشك فى القدرة هل هو كفر أم لا فى أول من أسلم محل بحث/ ١٢ وجيز.

(٢) هى الخوان الذى عليه الطعام/ ١٢ وجيز. لاقتراح آية من الله مع بشاعة اللفظ/ ١٢ وجيز.

﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً﴾: تعذيبًا، **﴿لاَّ أُعَذِّبُهُ﴾**، الضمير للمصدر فيكون فى موقع المفعول المطلق ويقوم مقام العائد فإن لا أعذبه صفة عذابًا أو من باب الحذف والإيصال أى: لا أعذب به، **﴿أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾**: عالمى زمانهم والأصح أن المائدة نزلت[1] وكفروا بها فمسخوا قردة[2] وخنازير قيل ما مسخ أحد قبلهم خنزيرًا، فالعالمين مطلق قال عبد الله بن عمر: أشد الناس عتابًا يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ

---

(١) وأقوال السلف بأجمعهم صريحة فى نزول المائدة وكفرهم بها وكيف لا وقد قال الله: "فإنى منزلها عليكم" الآية/ ١٢ منه.

(٢) كأصحاب السبت لكن روى ابن جرير وابن أبي حاتم تعليقًا وصححه عن الحسن ومجاهد أنهما خالفا الجمهور لم ينزل فإنه لما شرط عليهم الشرط [فى الأصل كلمة مطموسة] وقالوا لا نريد وأما كفرهم المائدة فعلى ما أخرجه الترمذى أنه قال صلى الله عليه وسلم : نزلت المائدة خبزًا ولحمًا وأمروا أن لا يدخروا لغد ولا يخونوا، فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير/ ١٢.

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾: يوم القيامة تقريعا وتوبيخًا للنصارى على رءوس الأشهاد، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ[١] مِن دُونِ اللَّهِ﴾، صفة إلهين أو متعلق باتخذونى، ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾: أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: ما ينبغى أن أقول قولاً لا يحق لى أن أقوله فمتعلق لى بحق المقدر قبله، فإن تقديم صلة الجار على المجرور ممتنع، ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ[٢] تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي[٣] نَفْسِكَ﴾: تعلم ما أخفيه، ولا أعلم ما تخفيه، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾، تصريح بنفى المستفهم عنه، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، بدل من ضمير به، والمبدل ليس فى حكم المطروح بالكلية أو عطف بيان له، ﴿وَكُنتُ[٤] عَلَيْهِمْ

---

(١) ذكر أن عيسى لما سمع هذا الخطاب ارتعدت مفاصله فانفجر من أصل شعره منه عين من دم فعند ذلك قال سبحانك/ ١٢ وجيز. قيل لما قالوا ولدت مريم إلها لزمهم من حيث البعضية القول بإلهية من ولدته فصاروا بمثابة من قال وإلا فلم يقل أحد بإلهية مريم/ ١٢ وجيز.

(٢) علق مستحيلا على مستحيل، وهو نفى العلم بذلك القول فانتفى القول/ ١٢فتح.

(٣) فيه دلالة على إطلاق لفظ النفس عليه سبحانه/ ١٢ فتح.

(٤) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم محشورون وإن ناسا يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول كما قال العبد الصالح "وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم" إلى قوله: "العزيز الحكيم" رواه البخاري.[أخرجه البخاري في "التفسير" (٤٦٢٥)]

﴿شَهِيداً﴾: مشاهدًا لأحوالهم، ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، بالرفع إلى السماء، والتوفى أخذ الشيء وافيًا، ﴿كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأحوالهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلع عليه، ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾: لا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل فى ملكه، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مع كفرهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: القوى القادر على الثواب، والعقاب لا تثيب ولا تعاقب إلا عن حكمة، والمغفرة وإن كانت قطعية الانتفاء فى الكفار بحسب الوعيد، لكن يحتمل الوقوع، واللاوقوع بحسب العقل فجاز استعمال إن فيه، ومسألة الكلام أن غفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة قيل معناه، إن تعذبهم أى: من يكفر منهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم أى: من أسلم منهم، ﴿قَالَ اللَّهُ﴾: مجيبًا لرسوله فيما أنهاه إليه من التبرى من النصارى، ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾: المستمرين، ﴿صِدْقُهُمْ﴾: فى دنياهم إلى آخرتهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ينفع الموحدين توحيدهم، والمشار إليه يوم القيامة، ومن قرأ يوم بالنصب فيكون ظرفا لقال، والمشار إليه قوله " يا عيسى ابن مريم ءأنت" إلخ، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: هذا نفعهم، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ[1] وَمَا فِيهِنَّ﴾: خلقا وملكا فلا شك فى كذب زعم النصارى، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فلا يكون إلا هو وحده إلها لأنه لو كان متعددًا لابد أن يكون كل واحد قادرًا على كل شيء، وهذا محال.

والحمد لله حق حمده..

---

(١) والأصح أن "ما" يختص بغير ذوى العقول، بل يتناول الأجناس كلها من العقلاء، وغيرهم/ ١٢ وجيز.

سورة الأنعام مكية غير ست أو ثلاث آيات:

من قوله "قل تعالوا" وهي مائة وخمس، أو ست وستون آية وعشرون ركوعا(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا

(*) وهي في مصحفنا، الذي برواية حفص عن عاصم مائة وخمس وستون آيـــة، ولكـــن المصنف أوردها مائة وستّا وستين آية.

وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ جمع[1] السموات لظهور تعددها دون الأرض، **﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾** أي: أنشأهما، وجمع الظلمات لكثرة أسباهما، فإن لكل جرم نور، **﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾**، عطف على الحمد لله وثم للاستبعاد ومفعول يعدلون محذوف أي: يسوون الأوثان (بربهم) أو بربهم متعلق بـ"كفروا" و"يعدلون" من العدول لا من العدل وصلته محذوفة أي: يعدلون عنه، وقيل: الباء بمعنى عن فيتعلق بيعدلون، **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾**: ابتدأ خلقكم، **﴿مِن طِينٍ﴾** فإن آدم منه، **﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾** أي: الموت، **﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾** أي: الآخرة، **﴿عِندَهُ﴾** :لا يعلمه إلا هو، أو مدة الدنيا وعمر الإنسان، أو النوم والموت، أو مدة العمر ومدة البرزخ، والواو إما للعطف على (هو الذي) أو للحال، **﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾**: تشكون في أمر الساعة، **﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾**: متعلق بالله باعتبار المعنى[2] الوصفي الذي ضمنه اسم الله وهو مقولية هذا الاسم عليه خاصة

---

(١) لأن تعددها ظاهر بالعقل والنقل بخلاف الأرض، فإن كيفية تعددها مع عدم ثبوت النقل لدى العقل متعسر/١٢وجيز.

(٢) لا خفاء في أنه لا يجوز تعلقه بلفظ الله لكونه اسمًا لا صفة، فالقول أنه متعلق به بهذا التوجيه كأنه قال: وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشترك به في هذا الاسم أو كأنه قال: وهو المعبود فيهما كما في قوله: هو حاتم في حيه، أي: جواد والله أعلم هذا ما في المنيهة وفي الفتح "وهو الله" أي: هو المعبود فيهما كقوله: "هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" (الزخرف:٨٤)، وهو الذي يقال له فيهما، قال ابن عطية: هذا عندي أفضل الأقوال، وأكثرها إحرازًا لفصاحة اللفظ، وجزالة المعنى، وقال ابن جرير: هو الله في السموات ويعلم سركم وجهركم في الأرض، والأول أولى/١٢.

أو متعلق بقوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ ولا يلزم كون ذاته أو علمه فيهما: بل يكفي كون المعلوم فيهما وهو إما خبر ثان أو حال، ﴿سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: من خير وشر، ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ﴾ (من) زائدة للاستغراق، ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ : الدالة على وحدانيته، و(من) تبعيضية لا تبيينية إلا أن تكون النكرة في النفي بمعنى جميع الأفراد، ﴿إِلا كَانُوا عَنْهَا﴾: عن التفكر فيها، ﴿مُعْرِضِينَ﴾ : لا يلتفتون إليها، ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: إن أعرضوا فلا تعجب فإنهم كذبوا بأعظم آية، وهذا أشد من الإعراض، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: أخبار القرآن وأحواله بأنهم بأي شيء استهزءوا، وهذا تهديد ووعيد شديد، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾: قوم، ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ[1]﴾ والقرن أهل كل عصر أو مدة أعمار الناس، ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: أعطيناهم من العمر، والمال، ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾: ما لم نعطه لكم، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: المطر والسحاب، ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾: كثير الدر أي: الصب، ﴿وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بالعذاب من القحط والصواعق وغيرهما، ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾: بدلا منهم فليخافوا أن نفعل بهم كما فعلنا بهؤلاء، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾: مكتوبًا، ﴿فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ واللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة، فإن الأكثر أنه بعد المعاينة، وأكثر السحر والتزوير في المراءى[2]، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: عنادا، ﴿إِنْ هَذَا﴾: ما هذا ، ﴿إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قيل: نزلت حين قالوا لا نؤمن بك حتى تأتينا

---

(١) والقرن: الأمة المقترنة في مدة، ومدة القرن مائة سنة عند الأكثرين، ويدل عليه ما قاله - صلى الله عليه وسلم- في شأن أحد من الصحابة "إنه يعيش قرنًا" فعاش مائة سنة/١٢وجيز.

(٢) وأكثر السحر والشعبذة في المرائي، ولا يقع التزوير في اللمس، فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا/١٢منه.

بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملك يشهدون أنه من عند الله، **﴿وَقَالُوا لَوْلا﴾**: هلا **﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾** : على محمد، **﴿مَلَكٌ﴾**: يخبرنا أنه نبي، **﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾**: بحيث يرونه كما اقترحوا، **﴿لَقُضِيَ[1] الأَمْرُ﴾**: لحق إهلاكهم وعذابهم، فإن سنة الله جرت على أن من اقترح آية و لم يؤمن بها بعد نزولها استؤصلوا بالعذاب، **﴿ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ﴾**: لا يمهلون، **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾** أي: الرسول الذي أنزل على محمد، **﴿مَلَكًا﴾**: يشهد على صدقه، **﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلا﴾**: في صورة رجل فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته، أو معناه؛ ولو جعلنا الرسول إليكم بدل الرسول البشري ملكًا فإنهم قالوا أيضًا: "لو شاء ربنا لأنزل ملائكة" (فصلت:١٤)، **﴿وَلَلَبَسْنَا[2] عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾**، ولو جعلناه رجلاً لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فينفون رسالته، ويقولون هو بشر مثلنا كما يقولون في شأن محمد –عليه الصلاة والسلام، **﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ﴾**، تسلية لمحمد –عليه الصلاة والسلام **﴿فَحَاقَ﴾**: أحاط أو نزل، **﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾**: من الرسل وبال، **﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ[3] قُلْ﴾**: لهم يا محمد.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

---

(١) أو معناه لو أنزلنا ملكًا على صورة ملكية لماتوا من هوله فإن رؤية الملك في صورته من خواص رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فإنه رأى جبريل في صورته مرتين، وقوله: "ولو جعلنه ملكا" يؤيد هذا المعنى/١٢وجيز.

(٢) فإنهم إذا رأوا ملكًا في صورة إنسان يقولون: هذا إنسان ليس بملك، فإن استدل بدليل على أنه ملك كذبوه/١٢.

(٣) ولما ذكر ما حل بالمستهزئين. والمخاطبون أمة أمية لم يدرس الكتب و لم يجالس العلماء فلها أن تكابر في هلاكهم، فقال: "قل سيروا في الأرض"/١٢وجيز.

ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿سيروا[١] في الأرض﴾: بالأقدام، أو بالعقل والفكر، **﴿ثم انظروا كيف كان عاقبة[٢] المكذبين﴾**: فتعتبروا، **﴿قل لمن[٣] ما في السموات والأرض﴾**: خلقا

---

(١) والظاهر أن المراد من السير والنظر بالعين والأرض ما قرب من بلادهم كأرض عاد وثمود ومدائن قوم لوط وثمود/١٢وجيز.

(٢) عاقبة الشيء ما آل إليه/١٢وجيز.

(٣) ولما ذكر تقريعهم بذنوبهم التي هي الشرك بالله أمر نبيه أن يسألهم سؤال تبكيت يلجئهم إلى الإقرار بوحدانيته قال: "قل لمن ما في السموات". الآية/١٢وجيز.

وملكًا ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾، فإن الكفرة متفقون معكم في ذلك، فإن هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن ينكره، ﴿كَتَبَ﴾: التزم، ﴿عَلَى نَفْسِهِ[1] الرَّحْمَةَ﴾: لطفًا وفضلا فمن أقبل إليه مع عظم ذنبه قبله، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: في القبور، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: فيجازيكم بأعمالكم، ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في اليوم، ﴿الَّذِينَ خسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بتضييع الفطرة، والعقل نصب على الذم أو رفع أو مبتدأ ما بعده خبره، ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فإن استعمال العقل باعث على الإيمان، ﴿وَلَهُ﴾ عطف على الله في "قل لله"، ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: وله ما استقر في الأزمنة، وهو من السكنى قيل: تقديره ما سكن فيهما وتحرك واكتفى بأحد الضدين عن الآخر، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لكل مسموع ، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ،إنكار لاتخاذ غير الله تعالى وليًا معبودًا ربا، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: مبدعهما، صفة الله، فإنه بمعنى الماضي فالإضافة معنوية ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ[2] وَلا يُطْعَمُ﴾ يَرْزُقُ ولا يُرْزَقُ لا أحد إلا يحتاج إليه، وهو غير محتاج إلى أحد، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ[3]﴾: من هذه الأمة، ﴿وَلا تَكُونَنَّ﴾ عطف على أمرت أي: قيل لي لا تكونن، أو على قل، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، جواب الشرط دال عليه (أخاف)، والشرط معترض بين الفعل ومفعوله،

---

(١) وثبت في الصحيحين مرفوعًا (لما قضى الله الخلق كتب فوضعه عنده فوق العرش: "إن رحمتي سبقت غضبي")/١٢فتح[البخارى (٧٤٥٣)، ومسلم (٥/٥٩٧) ط الشعب. ولفظه"... كتب عنده فوق عرشه"].

(٢) يعني جميع المنافع منه، وخص الإطعام لمزيد مس الحاجة إليه/١٢وجيز.

(٣) هذا على سبيل التحريض على الإسلام كملك يأمر رعاياه بأمر ثم يتبعه بقوله: أنا أول من يفعل ذلك ليحملهم على فعله/١٢وجيز.

وفيه تعريض بأنهم مستوجبون للعذاب بألطف وجه، ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾: العذاب، ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾: وأنعم عليه، ومن قرأ يصرف مبني للفاعل فالضمير لله، والمفعول وهو العذاب محذوف، ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: الصرف والرحم، ﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: كمرض وبلاء، ﴿فَلا كَاشِفَ لَهُ﴾: لا قادر على رفعه، ﴿إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: كصحة ونعمة، ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : فيقدر على حفظه وإدامته، ولا راد لفضله، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ[1] عِبَادِهِ﴾: قهره استعلى عليهم فهم تحت تسخيره، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾:في أمره، ﴿الْخَبِيرُ﴾: بخفايا العباد.

---

(١) قوله: "فوق" إلخ، ومثله قوله تعالى: "يخافون ربهم من فوقهم" (النحل:٥٠)، وقوله تعالى: "تعرج الملائكة والروح" (المعارج:٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي دلت على فوقية الله تعالى، وعلوه على خلقه قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في العقيدة الحموية: فهذا كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق السماء، وفوق كل شيء، وعلا كل شيء وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" (فاطر:١٠)، وقوله تعالى: "إني متوفيك ورافعك إلي" (آل عمران:٥٥)، وقوله تعالى: "أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا" (الملك:١٦،١٧)، وقوله تعالى: "تعرج الملائكة والروح إليه" (المعارج:٤)، وقوله تعالى: "يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه" (السجدة:٥)، وقوله تعالى: "يخافون ربهم من فوقهم" (النحل:٥٠)، وقوله تعالى: "ثم استوى على العرش" (البقرة:٢٩)، في سبعة مواضع: "الرحمن على العرش استوى" (طه:٥)، "يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا" (غافر:٣٦،٣٧)، تنزيل من حكيم حميد" (فصلت:٤٢)، =

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾، نزلت[1] حين زعم قريش أن أهل الكتاب أنكروا نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- فسألوا عنه من يشهد بنبوتك، ﴿قُلِ[2] اللَّهُ﴾ أعظم شهادة، فإن أعظمية شهادة الله تعالى أمر لا ينكر، ﴿شَهِيدٌ﴾ أي: هو شهيد، ﴿بَيْنِي

= "منـــزل من ربك" (الأنعام:١١٤)، إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بتكلف، وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى مثل قصة معراج الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه، ونزول الملائكة من عند ربهم وصعودها إليه إلى أن قال: وقوله في حديث الأوعال "والعرش فوق ذلك"، والله فوق عرشه وهو تعليم ما أنتم عليه، وذكر رحمه الله الأحاديث، وأقوال الصحابة إلى أن قال: إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله تعالى مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علمًا يقينًا من أبلغ العلم الضروري أن الرسول المبلغ عن الله تعالى ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله تعالى على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية، والإسلام إلا من احتالتهم الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين ألوفا، وليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا عن أحد من سلف الأمة من الصحابة والتابعين ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا و لم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه في كل مكان ولا أن الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها. انتهى قاله شيخ الإسلام ملخصًا/١٢.

(١) كما رواه محي السنة، والواحدي، والكلبي/١٢وجيز.

(٢) قال البخاري في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية بعد ما ذكر هذه الآية في ترجمة الباب: فسمى الله نفسه شيئًا. سمى النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- القرآن شيئًا وهو صفة من صفات الله، وقال: "كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص:٨٨)/١٢.

﴿وَبَيْنَكُمْ﴾ أو الله مبتدأ، وشهيد[1] خبر فإنه إذا كان هو الشهيد فأكبر شيء شهادة شهيد له، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾: الذي ترونه ناطقًا بحجج وبينات، ﴿لأُنْذِرَكُم بِهِ﴾: يا أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾: وسائر من بلغه من الأسود والأحمر قل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ تقرير لهم مع إنكار، ﴿قُلْ لا أَشْهَدُ﴾: بما تشهدون، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ : من الأصنام، ﴿الَّذِينَ[2] آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا -عليه الصلاة والسلام- بنعته المذكور في التوراة والإنجيل، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾: بحيث لا يشكون في رسالته، فعدم شهادتهم برسالته لعنادهم، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: من أهل الكتاب، وهجروا ما في كتابهم، ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾: به.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ

---

(١) وعلى هذا الجواب نوع من الأسلوب الحكيم كأنه قيل: معلوم أن الله أكبر شهادة فالكلام الأنسب بالمقام الإخبار بأن الله شهيد بيني وبينكم لينتج جواب السؤال مع زيادة مهمة/١٢.

(٢) ولما قال قريش سألنا لك عن اليهود فكذبوك قال تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" الآية/١٢وجيز.

يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾: اختلق، **﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾**: ككذب المشركين، وأهل الكتاب، **﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾** : كالقرآن، ومعجزات محمد -عليه الصلاة والسلام- أي: لا أظلم ممن ذهب إلى أحد الأمرين فكيف بمن جمع بينهما؟! **﴿إِنَّهُ﴾** أي: إن الشأن، **﴿لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** : فضلا ممن هو أظلم، **﴿وَيَوْمَ﴾** أي: اذكر، **﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾** : العابد والمعبود، **﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾**: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله، **﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾** أي: تزعمونهم شركاءهم "حينئذ" يشاهدون آلهتهم في غاية الهوان، فيسأل عنهم تقريعًا وتوبيخا، **﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلا أَن قَالُوا﴾** أي: لم تكن غاية فتنتهم، ومقاتلتهم وكفرهم في الدنيا إلا التبرؤ، في الآخرة أو عاقبة افتتانهم ومحبتهم في الأصنام إلا التبرؤ أو معذرتهم أو جوابهم وسماه فتنة لأنه كذب أو لأنهم قصدوا به الخلاص يقال: فتنت الذهب إذا خلصته، ومن قرأ بنصب فتنتهم، فتكون تأنيث الفعل للخبر كقولك: من كانت أمك؟ **﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ[1]﴾** فيحلفون

---

(١) أي: لم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقاتلوا عليه إلا ما وقع منهم الحلف من الجحود على نفيه بقوله: "والله"إلخ/١٢فتح.

بالكذب لحيرتهم "فحينئذ" يختم على أفواههم، ويشهد عليهم جوارحهم، ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾: في الآخرة بنفي شركهم في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا[1] يَفْتَرُونَ ﴾، وغاب عنهم ما كانوا يفترون إلهيته، وشفاعته، ﴿وَمِنهُمْ مَّن يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن كأبي جهل، والوليد، وأضراهم، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أو عن أن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ[2] وَقْرًا﴾ :ثقلا وصمما مثل نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبول القرآن، واعتقاد صحته بالأكنة والوقر، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لقوة عنادهم، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ﴾: بلغ عنادهم إلى أنهم إذا جاؤك، ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ جملة حالية، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب إذا وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها، ﴿إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ[3] الأَوَّلِينَ﴾ والأساطير: الأباطيل أو أحاديث الأمم السالفة التي سطروها في كتبهم ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾: الناس ﴿عَنْهُ﴾ استماع القرآن أو عن الإيمان، ﴿وَيَنْأَوْنَ[4] عَنْهُ﴾: يتباعدون

---

(١) أي: ما يظنونه من أن الشركاء يقربوهم إلى الله ويشفعون لهم/١٢.

(٢) هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في أكنة، فلا يفقه كلام الله، ولا يؤمن/١٢معالم.

(٣) عن ابن عباس أن جماعة من قريش كانوا يستمعون القرآن فقالوا لشخص منهم هو فصيح شاعر سمع أقاصيص رستم، واسفنديار، وأمثالهم ما تقول أنت فيما يقرأ؟ فأجاب ما هو إلا أساطير الأولين مثل ما أحدثكم عن القرون/١٢وجيز.

(٤) وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي -صلى الله عليه وسلم- ويمنعهم وينأى عن الإيمان به أي يبعد حتى روى أنه اجتمع عليه رؤوس المشركين، وقالوا: خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتموني أدفع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم، وروي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاه إلى الإيمان فقال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت به عينك، ولكن أذب عنك ما حييت، وقال فيه أبيات شعر:

=

عنه بأنفسهم[1]وعن بعض[2] السلف أنه في شأن أبي طالب، فمعناه ينهون عن التعرض لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وإيذائه، ويتباعدون عنه، فلا يؤمنون به، ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾: وما يهلكون بذلك ﴿إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا[3] يَشْعُرُونَ﴾: ذلك، ﴿وَلَوْ تَرَى﴾، جوابه محذوف أي: لرأيت أمرًا فظيعًا، وحالا عجيبًا، ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾: وعاينوا ما فيها من أنواع العذاب، ﴿ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا، ﴿وَلا نُكَذِّبَ﴾، عطف على نرد فيكون المعنى على تمني مجموع الأمرين، أو عطف على التمني عطف إخبار على إنشاء، وهو جائز باقتضاء المقام أو حال وأما على قراءة النصب فبإضمار أن بعد الواو كما بعد الفاء، ﴿بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ﴾: إضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني، ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ظهر لهم قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرًا لا محبة للإيمان، ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾: إلى الدنيا، ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: من الكفر لقضاء شقاوتهم في الأزل، ﴿وَإِنَّهُمْ

=

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وأبشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك مبينا/ ١٢

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبي -صلى الله عليه وسلم- وكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر/١٢أسباب نزول السيوطي.

(٢) كما رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس/١٢أسباب نزول للسيوطي.

(٣) ولما بين غاية جهلهم وختم بالتهديد الشديد استشرف النفوس إلى معرفة حالهم في مآلهم فقال: "ولو ترى"/١٢وجيز.

﴿لَكَاذِبُونَ﴾: فيما وعدوا صريحا ضمنا، **﴿وَقَالُوا﴾**، عطف على لعـــادوا أو نهـوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا، **﴿إِنْ هِيَ﴾** أي: الحياة، **﴿إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى﴾**: مسألة، **﴿رَبِّهِمْ﴾**: وتوبيخهم، وقيل أي: بـين يديه، **﴿قَالَ﴾**، استئناف فكأن سائلا قال: ماذا قال ربهم حينئذٍ؟ **﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾**: البعث **﴿بِالْحَقِّ قَالُوا[1] بَلَى وَرَبِّنَا﴾**: إقرار مؤكد باليمين، لكن لا ينفعهم، **﴿قَالَ فَذُوقُـوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**: بسبب كفركم.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ

(١) قال ابن عباس: هذا في موقف وقولهم "والله ربنا ما كنا مشركين" في موقف آخـر وفي القيامة مواقف ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون/١٢معالم.

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ**﴾: بالبعث، وما يتبعه، ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ**﴾: غاية لكذبوا، أو من مات فقد قامت قيامته، ﴿**بَغْتَةً**﴾: فجأة، مفعول مطلق لأنها نوع من المجيء أو حال، ﴿**قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا**[1]﴾: تعالى فهذا أوانك، ﴿**عَلَى مَا فَرَّطْنَا**﴾: قصرنا، ﴿**فِيهَا**﴾: في الدنيا أو في الساعة أي: في شأنها، ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ**﴾: آثامهم، ﴿**عَلَى ظُهُورِهِمْ**﴾: تمثل ذنوبهم بأقبح صورة منتنة فتركب عليهم وتسوقهم[2] إلى النار، ﴿**أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾: بئس شيئًا يزرونه وزرهم، ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ**[3] **الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**﴾، لأنها تنقضي عن قريب، ولا تعقيب منفعة، ﴿**وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**[4]﴾: لدوام لذاتها ومسراتها، ﴿**أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾:

---

(١) والحسرة شدة الندم حتى يحسر الندم النادم كما يحسر الذي يقوم به دابته في السفر البعيد/١٢معا لم.

(٢) رواه أبو داود وغيره/١٢وجيز.

(٣) ولما قالوا: "إن هي إلا حياتنا الدنيا" بين قصار أمرها، ومنتها أمرها فقال "وما الحياة الدنيا"/١٢وجيز.

(٤) أشار إلى أن غير عمل التقوى لعب/١٢وجيز.

إنها كذلك، ﴿قَدْ نَعْلَمُ[1] إِنَّهُ﴾ أي: الشأن، ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾: تسلية لرسوله فيما قال الكفار: إنك كذاب، ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾: في نفس الأمر، أو في السر، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: لكنهم لظلمهم جحدوا الآيات، وكذبوا بها، نزلت[2] حين قال أبو جهل: لا نكذبك لكن نكذب بما جئت به، أو لما سئل أبو جهل عنه قال: والله إنه لصادق وما كذب قط، لكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ[3] رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: بمعونتهم وإهلاك أعدائهم فاصبر أنت أيضًا كما صبروا فسيجيء نصرك، وما مصدرية، ﴿وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لمواعيده وحكمه، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾: بعض أخبارهم كيف صبروا، وكيف دمرنا قومهم، ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عظم وشق، ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: عن الإيمان، ﴿فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾: تطلب منفذا، ﴿فِي الأَرْضِ﴾: تنفذ فيه إلى جوفه، ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾: مصعدا، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: تصعد به إليه، ﴿فَتَأْتِيَهُم﴾: من الأرض أو السماء، ﴿بِآيَةٍ﴾، وجواب الشرط الثاني مقدر أي: فافعل، والجملة جواب الأول يعني لا مغير لحكم الله فاصبر، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي: لو أراد جمعهم على الهدى لجمعهم وهداهم، ولكن

---

(١) ولما كرر في هذه السورة الأمر بمقاولتهم، وأطال في الحث على مجادلتهم وكان من المعلوم أنهم لا يراعون الأدب، وجوابهم ليس إلا السب كما هو دأب المعاند المغلوب فلهذا نفى عنهم الشعور والعقل صار الحال محتاجًا إلى التسلية فقال "قد نعلم إنه" الآية/١٢وجيز.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين/١٢وجيز.

(٣) هذا تسلية بعد تسلية كل منهما بطور آخر/١٢وجيز.

لم يتعلق به مشيئته ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: بالحرص على خلاف مرادنا والجزع فإنه دأب الجهلة، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ أي: يجيب دعوتكم بالإيمان، ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، لا من ختم الله على سمعه فلا يتأمل ولا يفهم، ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: الكفار الذين كالموتى لا يسمعون يبعثهم الله فيعلمون حين لا ينفعهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ[1]﴾: للجزاء، ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كملك يشهد له، وكقولهم: "حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا" (الإسراء:٩٠) ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾: وفق ما طلبوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ[2]﴾ :أنه قادر على ذلك، وأنه لو أنزل ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما هو سنة الله، ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: إتيان الصفة لدابة وطائر لزيادة التعميم، والمبالغة بحيث لا يبقى وهم خروج شيء من الإفراد لكون الوصفين[3] من أوصاف الجنس دون النوع، فيشعر بأن القصد فيها إلى الجنس، ﴿إِلا أُمَمٌ[4] أَمْثَالُكُمْ﴾: مقدرة أرزاقها وآجالها محفوظة أحوالها أصناف تعرف بأسمائها وجمع الأمم للحمل على المعنى، ﴿مَا

---

(١) ولما بين تكذيبهم للرسل، ولجاجهم مع صبر الرسل عليهم، ذكر من لجاجهم مع نبينا -صلى الله عليه وسلم- فرداً آخر للتعجب، فقال: "وقالوا" /١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر أنه قادر أراهم من قدرته ما يكفي العاقل في المستدل فقال: "وما من دابة"/١٢وجيز.

(٣) وبهذا يسقط ما قيل أن الوصف بالتخصيص أولى منه بالتعميم/١٢وجيز.

(٤) قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة كالطير أمة، والهوام أمة، والذباب أمة، والسباع أمة يعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم، وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم) قال عطاء: أمثالكم في التوحيد والمعرفة/١٢.

﴿فَرَّطْنَا﴾: ما أهملنا، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: فإنه مشتمل على ما يجري في العالم ومن شيء أي: شيئا من التفريط، فيكون مصدراً فإن فرط غير متعد بنفسه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ[1] يُحْشَرُونَ﴾ أي: الأمم كلها، فينصف بعضها عن بعض، "وإذا الوحوش حشرت" (التكوير:٥)، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- موت البهائم حشرها، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ﴾: عن سماع آياته سماع قبول وتأثر، ﴿وَبُكْمٌ﴾: لا ينطقون بالحق، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾، خبر ثالث، أو حال عن المستكن في الخبر ظلمة الكفر، والجهل، والعناد، ﴿مَن يَشَأِ اللَّهُ﴾: إضلاله، ﴿يُضْلِلْهُ﴾: فيميته على الكفر، ﴿وَمَن يَشَأْ﴾: هدايته، ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[2]﴾: فيميته على الإيمان، ﴿قُلْ﴾: يا محمد للكفرة، ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أخبروني استفهام وتعجب، والكاف لتأكيد الفاعل لا محل[3] له من الإعراب، وهو من وضع السبب موضع المسبب فإنه وضع الاستفهام عن العلم موضع الاستخبار؛ لأنه لا يخبر عن الشيء إلا العالم به، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾: قبل الموت، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، وأهوالها، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ[4] تَدْعُونَ﴾: في صرف العذاب عنكم، وهو متعلق الاستخبار، ﴿إِن كُنْتُمْ

---

(١) كما قال: "وإذا الوحوش حشرت" (التكوير:٥)، والأحاديث الصحاح دالة على أن الجميع محشورة فينصف بعضها من بعض ثم يجعل الكل ترابا وعنده يقول الكافر "يا ليتني كنت ترابا" (النبأ:٤٠)/١٢وجيز، وفي الحديث: "لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء"/١٢معالم.

(٢) ولما بين عنادهم في التوحيد وأنهم في تمادي لجاجهم لا يهديهم التأمل في الآفاق أخذ يبين ما لأنفسهم في بعض أحوالهم من ظهور الحق، وصدوره عنهم فقال: "قل"/١٢وجيز.

(٣) هذا هو الأصح/١٢وجيز.

(٤) قال صاحب البحر: جواب الشرط محذوف لدلالة "أرأيتكم" عليه تقديره إن أتاكم عذاب الله فأخبروني عنه، أتدعون غير الله لكشفه؟! كما تقول: أخبرني عن =

صَادِقِينَ[1]﴾ في أن الأصنام آلهة فأخبروني لم لا تعبدون أصنامكم في ذلك الحال؟! ﴿**بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ**[2]﴾: تخصونه بالدعاء كما قال تعالى: "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" [لقمان: ٣٢] ﴿**فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ**﴾: الله، ﴿**إِلَيْهِ**﴾: إلى كشفه، ﴿**إِنْ شَاءَ**﴾ لكن لم يشأ كشف عذاب الآخرة عنهم، ﴿**وَتَنْسَوْنَ**[3] **مَا تُشْرِكُونَ**﴾ فلا تذكرونه في ذلك الوقت.

= زيد إن جاءك ما تصنع به؟، ثم قال: هذا الذي قدرناه هو الذي تقتضيه قواعد العربية/ ١٢.

(١) أراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطرار كما أخبر الله عنهم "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" (لقمان:٣٢)/١٢معالم.

(٢) كما حكى عنهم في مواضع، وتقديم المفعول لإفادة التخصيص/١٢بيضاوي.

(٣) لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره/ بيضاوي/ فمن هاهنا تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد سمعت أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ ولم يستغيثوا بهم بل أخلصوا لله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف الكرخي أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء من زيد بن الخطاب، والزبير أجل من هؤلاء مثل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالله المستعان ومنه نسأل العفو والغفران/١٢، وفي الدر النضيد للشوكاني أن هؤلاء القبوريين قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم وهو أن أهل الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور كما حكاه الله عنهم بقوله: "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا" (الإسراء:٦٧)، وبقوله: "قل =

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى

= أرأيتكم" وبقوله: "وإذا مس الإنسان الضر دعا ربه منيا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل" (الزمر:٨)، وبقوله: "وإذا غشيهم موج كالظلل دعو الله مخلصين له الدين" (لقمان:٣٢)، بخلاف المعتقدين في الأموات فإنهم إذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم، ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابًا شديدًا فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الأموات ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون الله قط قال: ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله أعاذنا الله من الشرك والكفران ومنه نسأل العصمة والغفران/١٢.

مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا**[١] **إِلَى أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ**﴾ أي: الرسل فكذبوهم، ﴿**فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ**﴾: بالشدة والجوع، ﴿**وَالضَّرَّاءِ**﴾: الأمراض والنقصان، ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾، : لكي يسألوا ربهم متذللين تائبين، ﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**﴾، حاصله نفي التضرع[٢]، لكن جاء بـ(لولا) ليفيد أنه لم يكن لهم عذر سوى العناد والقساوة، لأن (لولا) يفيد اللوم والتنديم، وذلك إنما يحسن إذا لم يكن في ترك الفعل عذر، وعنه مانع، ﴿**وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾: ما رقت، ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**[٣]﴾: فأصروا عليه، ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾: من البأساء والضراء و لم يتعظوا به، ﴿**فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾: من أنواع النعم استدراجًا ليكون الأخذ والهلاك أشد عليهم وأفظع، ﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا**﴾: وحسبوا أهم على شيء، ﴿**أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾: فجأة، مفعول مطلق لأنها نوع من الأخذ، ﴿**فَإِذَا**[٤] **هُم مُّبْلِسُونَ**﴾: آيسون من كل خير، ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾:

---

(١) ولما أخبر أنه تعالى قد يكشف البلاء بالتضرع إلى الله أنبأهم أن تركه يوجب غضب الله بنوع من الاستدلال للترهيب، فقال: "ولقد أرسلنا"/١٢وجيز.

(٢) فعدم التضرع لقسوة قلوبهم فقلوبهم كالحجارة أو أشد ولفظة لكن واقع بين الضدين بحسب الحقيقة أعني اللين والقسوة/١٢وجيز.

(٣) يعني الحامل على ترك التضرع قسوة القلب، والإعجاب بالأعمال التي كان الشيطان سببها في تحسينهم لهم/١٢وجيز.

(٤) ابتلاهم أولا فلم يتعظوا ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم فلم يشكروا بالإنابة، بل فرحوا وغفلوا فأخذهم بنوع لم يتقدم لهم شعور به ليوطنوا نفوسهم على لقائه/١٢وجيز.

آخرهم لم يترك منهم أحد، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ[1] الْعَالَمِينَ﴾: على إهلاك الظلمة الذين من شؤمهم تقطع الرحمة، وتحزن الطير في وكره، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أيها المشركون، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾: أصمكم وأعماكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: حتى لا تفهموا شيئًا، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: بما أخذ وختم أو بأحد هذه المذكورات، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾: نوضحها ونكررها، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: على غفلة أو ليلا، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: معاينة تعلمون[2] نزوله أو نهارًا، ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ[3]﴾ فإن الموحدين لا يهلكون بالعذاب البتة؛ بل أولئك لهم الأمن كما فعل بالأمم الماضية ما نزل العذاب إلا بعد تمييز المسلمين، ولو نزل على مسلم مصيبة فهي ليست بعذاب[4]، ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ[5] فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾: العمل، ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: بالعذاب، ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات من دنياهم، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: يصيبهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم، ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ[6] اللَّهِ﴾: فأعطيكم ما

---

(١) وفي تلك الحكاية تسلية وتنبيه وترهيب لمن له بصيرة ولما هددهم، أولا بالعذاب المطلق الذي هو بنوع خاص من الأخذ هددهم ثانيًا بعذاب خاص فقال: "قل أرأيتم"/١٢.

(٢) فعلى هذا ناسب مقابلة البغتة بالجهرة/١٢.

(٣) ولما طلبوا من الرسل الآيات التي ليست في قدرتهم، بل هو في قدرة مرسلهم أشار إلى أن الظلم في طلبهم بين حقيقة الرسالة، وقال: "وما نرسل المرسلين" الآية/١٢وجيز.

(٤) بل هي تهذيب له/١٢وجيز.

(٥) وفي مبشرين، ومنذرين مع أنهما حال فيهما معنى العلية أي: أرسلناهم للتبشير والإنذار لا لأن يقترح منهم الآيات بعد وضوح دينهم بالمعجزات/١٢وجيز.

(٦) جواب لما قالوا إن كنت رسولا فاسئل حتى يوسع علينا خيرات الدنيا/١٢وجيز.

تريدون، ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: فأخبركم[1] بكل ما تسألون، عطف على (عندي خزائن الله)، وقيل: على (لا أقول)، ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: فأقدر على ما يقدر، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وحاصله لا أدعي ما تستبعده العقول؛ بل أدعي النبوة كما كان لكثير من البشر، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: مثل للجاهل، والعالم أي: لا يستوي متبع الوحي ومن ضل، ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ[2]﴾ أنه لا تستوي كقوله تعالى: "أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى" [الرعد:١٩].

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

---

(١) حتى أقول لكم من الأخبار المستقبلة من المصالح، والمضار لتستعدوا لتحصيل الملك، ودفع هذه/١٢وجيز.

(٢) فيه عرض وتحضيض على الفكر/١٢.

﴿وأَنذِرْ[1] بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ[2] يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾: يخافون هول يوم الحشر لا من جزم استحالته، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ﴾: يتولى أمرهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ[3]﴾:

---

(١) ولما قال: "وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين" أمر بالإنذار لأنهم أجلاف، فقال: "وأنذر به الذين" الآية/١٢وجيز.

(٢) والخائف المقصر في العمل من المؤمنين وأهل الكتاب وكثير من المشركين بعدما أخبروا بالحشر/١٢.

(٣) قوله: "ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع" الآية قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: لا ينافي هذه الآية مذهبنا في إثبات الشفاعة للمؤمنين، لأن شفاعة الملائكة والرسل للمؤمنين إنما يكون بإذن الله لقوله تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة:٢٥٥)، فلما كانت تلك الشفاعة بإذن الله تعالى كانت في الحقيقة من الله تعالى. انتهى وفي لباب التأويل تحت قوله تعالى: "قل لله الشفاعة جميعا" (الزمر:٤٤)، أي: لا يشفع إلا بإذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى، لأنه هو الشفيع في الحقيقة، وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده. انتهى، وقال الشيخ شمس الدين بن عبدالهادي في كتابه الصارم المنكى: فمن أنكر شفاعة نبينا في أهل الكبائر فهو مبتدع ضال كما ينكرها الخوارج والمعتزلة، ومن قال: إن مخلوقا يشفع عند الله بغير إذنه، فقد خالف جميع المسلمين ونصوص القرآن قال تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة:٢٥٥)، وقال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" (الأنبياء:٢٨)، وقال تعالى: "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى" (النجم:٢٦)، وقال تعالى: "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا" (طه:١٠٨،١٠٩)، وقال تعالى: "ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع" (السجدة:٤)، ومثل هذا في القرآن كثير. انتهى وقال المصنف في موضع آخر من كتابه المذكور: "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" (سبأ:٢٣)، قد فسروها بأنه يؤذن للشافع والمشفوع له جميعًا فإن سيد الشفعاء =

يشفع[1] بغير إذنه إن أراد العذاب بهم، والجملة حال، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: عن كفرهم ومعصيتهم، ﴿وَلَا تَطْرُدِ[2] الَّذِينَ﴾ : لا تبعدهم عنك، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: يصلون المكتوبات في ليلهم ونهارهم، أو صلاة الصبح، والعصر، أو يذكرون ربهم، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: يعبدونه حال كونهم مخلصين فيها، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، (من) زيدت للاستغراق وهو فاعل عليك لاعتماده على النفي، ومن حسابهم حال من شيء، أو من شيء مبتدأ وما عليك خبره، والحال من ضمير في الخبر أي: من شيء من تبعة حسابهم ليست عليك، ولا تكلف أمرهم، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾: وليست تبعة حسابك عليهم، ولا يكلفون أمرك أو

= يوم القيامة محمد -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد الشفاعة قال: "فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا فأحمده بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن، فيقال لي ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعط واشفع تشفع قال: فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة" وكذلك ذكره في المرة الثانية، والمرة الثالثة، ولهذا قال "ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة" (الزخرف:٨٦)، فأخبر أنه لا يملكها أحد دون الله وقوله "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" (الزخرف:٨٦)، استثناء منقطع أي: من شهد بالحق وهم يعلمون أنهم أصحاب الشفاعة منهم الشافع، ومنهم المشفوع له. انتهى أقول: فثبت من هذه الدلائل أن الشفاعة كلها لله، وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا بالتوحيد والشفاعة مقيدة بهذه القيود كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" (الأحزاب:٤)/١٢.

(١) وفيه رد على من زعم من الكفار المعترفين بالحشر أن آباءهم هم يشفعون لهم وهم أهل الكتاب أو أن أصنامهم تشفع لهم، وهم المشركون أو أن المشايخ يشفعون لمريدهم وهم المتصوفون، لأن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة:٢٥٥)/١٢فتح.

(٢) ولما أمر بإنذار المتقين نهاه عن إذلال المتقين فقال: "ولا تطرد الذين"/١٢وجيز.

معناه إنما حساهم على الله ليس عليك كما أنه ليس عليهم من حسابك من شيء كقول نوح -عليه السلام- في جواب: "أنؤمن لك واتبعك الأرذلون"؟! قال: "وما علمي بما كانوا يعملون إن حساهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين"[الشعراء:١١١-١١٣]، ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾، جواب النفي، ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب النهي نزلت في فقراء المؤمنين قال رؤساء قريش: يا محمد نَحِّ هؤلاء الأعبد عن مجلسك حتى نجالسك ونسمع كلامك[1]، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفتن العظيمة ﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا، ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ[2] لِيَقُولُوا﴾: رؤساء قريش قالوا في شأن فقراء المسلمين وضعفائهم: ﴿أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّن بَيْنِنَا﴾ إنكار لأن يخصهم الله بهداية ونعمة كما قالوا: "لو كان خيرا ما سبقونا إليه" (الأحقاف:١١)، واللام للعاقبة للتعليل، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ[3]﴾؛ هذا جواب لقولهم أي: الله أعلم بمن يشكر الإيمان وطبعه مستقيم فيهديه، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم فقراء الصحابة الذين نهى الله طردهم، ﴿فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أكرمهم ببدء السلام عليهم، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾: بشرهم بسعة رحمة الله، ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا﴾: من قرأ (أنه) بفتح الهمزة يكون بدلا من الرحمة، ومن قرأها بكسرها فاستئناف، ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع الحال أي: جاهلا بما يورثه ذلك الذنب أو متلبسًا بفعل الجهالة، لأن ما يؤدي إلى الضرر لا يرتكبه سوى الجاهل قال بعض السلف: كل

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير/١٢وجيز.

(٢) قال العلامة: ليس القصد إلى مشبه ومشبه به، بل هذا كقولك: ضربته كذلك أي: هذا الضرب المخصوص، ومثله كثير في تركيب البلغاء/١٢وجيز.

(٣) والشاكرين وقع في غاية من الحسن إذ تقدم معنى الإنعام في قولهم: "منّ الله عليهم" فناسب لفظ الشكر/١٢وجيز.

من عصى الله فهو جاهل نزلت في عمر حين أشار بإجابة قريش إلى طرد المؤمنين فأنزل الله، "ولا تطرد الذين" إلخ ثم جاء واعتذر من مقالته، ﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ﴾: العمل أو السوء، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله أو أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ من قرأ (فأنه) بفتح الهمزة تقديره فأمره، أو فله غفرانه البتة، ومن قرأ بالكسر فتقديره: فالله يغفره ويرحمه البتة فإنه غفور رحيم، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين الواضح، ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: التي يحتاج الناس إلى بيانها، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾: من قرأ تستبين بالتاء وسبيل بالنصب فمعناه: ولتعرف طريقهم، فتعاملهم بمقتضى عملك، ومن قرأ بالتاء، ورفعها أي: ولتبين سبيلهم ومن قرأ بالياء ورفعها فلأن السبيل يذكر ويؤنث وهو إما عطف على مقدر أي: فصلنا ليظهر الحق ولتستبين وإما تقديره: ولتستبين فصلنا هذا التفصيل.

﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿قُلْ[1] إِنِّي نُهِيتُ﴾ : عن، **﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾**: تعبدون، **﴿مِن دُونِ اللَّهِ قُل لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ﴾** فيه إشارة إلى علة النهي، ومبدأ ضلالهم فإن طريقهم اتباع الهوى لا الهدى، **﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾** أي: إن فعلت ذلك فقد ضللت، **﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** فيه تعريض بأنهم كذلك، **﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾**: حجة واضحة، **﴿مِن رَّبِّي﴾**: غير متبع الهوى، وهو صفة لبينة، **﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾**: بربي، حيث أشركتم أو الضمير للبينة فإنها بمعنى الدليل، **﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾**: من العذاب كما قالوا: "إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة" [الأنفال:٣٢]، **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ﴾**: في تعجيل العذاب وتأخيره، **﴿يَقُصُّ[2] الْحَقَّ﴾**: يتبع الحق والحكمة فيما حكم، ومن قرأ "يقضي الحق" أي: يحكم القضاء الحق فيكون صفة مصدر أو يصنع[3]، الحق فيكون مفعولا به، **﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾**: القاضين، **﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾**: من العذاب، **﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾** أي: لعجلته حتى أتخلص منكم حين سألتم أنتم العذاب، **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾** أي: لكن هو أعلم بوقت العقوبة، **﴿وَعِنْدَهُ[4] مَفَاتِحُ الْغَيْبِ[5]﴾**: خزائنه جمع مفتح بالميم وهو

---

(١) ولما أوضح الحق واستبان طريقهم لتعاملهم بمقتضى العلم ومن مقتضاه ألاّ تكون متبعا لهواهم وتجاهد معهم بالعداوة، فبين هذا بقوله: "قل إني نهيت" الآية/١٢وجيز.

(٢) من قص أثره يعني: تتبع/١٢.

(٣) من قضى الدرع صنعه/١٢.

(٤) ولما قال الله أعلم بهم انتقل من خاص إلى عام، فقال: "وعنده مفاتح الغيب" الآية/١٢وجيز.

(٥) وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من مدعي علم الغيب ما ليس من شأنهم، ولا يدخل تحت قدرتهم، ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة، والأنواع المخذلة =

المخزن أو جمع مفتاح بكسر الميم وهو المفتاح[1]، وقد صح أن مفاتيح الغيب خمس "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث" [لقمان:٣٤]، **﴿لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾** أي: يحيط علمه بالمغيبات والمشاهدات، **﴿وَمَاتَسْقُطُ مِن وَّرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا﴾**، لأنه لا تسقط إلا بعد تعلق إرادته به، **﴿وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ﴾**: فوق الأرض أو تحته عطف على ورقة[2]، **﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ﴾** المراد منه كل شيء، **﴿إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**: في اللوح المحفوظ، وهو صفة للمذكورات كما أن "إلا يعلمها" صفة لورقة، **﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾**: هو التوفي[3] الأصغر استعار التوفي للنوم لما بين الموت والنوم من المشاركات، **﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾**: كسبتم، **﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾** : يوقظكم، **﴿فِيهِ﴾**، الضمير للنهار وقيل: في المنام، **﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾**: أجل الحياة إلى الممات أي: ليستوفى مدة عمره، **﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾**:

= ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: (من أتى كاهنًا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد)/١٢فتح.

(١) كأن الغيب في بيته مقفل مفاتحه لا توجد إلا عنده، ولا يعلم الغيب إلا الله/١٢وجيز.

(٢) والمراد من السقوط الوقوع على مكان لا الوقوع من علو وإلا فلا وجه لعطف الحبة والرطب واليابس على ورقة هي فاعل تسقط، أو من باب صفته [كذا في الأصل والأظهر : علفته] تبنا وماء وقلدته سيفا ورمحا، وفي هذه الآية مثل قوله "لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض" دلالة صريحة على علمه بجميع الجزئيات إحاطة تامة شاملة عامة كاملة، ولما كان من مفاتيح الغيب الموت والبعث ومن عظيم أدلة البعث النوم، والإيقاظ، وفيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة أتبعه بما يجيء، فقال: "وهو الذي يتوفاكم بالليل" الآية/١٢وجيز.

(٣) يقبض النفس كما قال: "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها" الآية (الزمر:٤٢) / ١٢وجيز.

بالموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يجزيكم بعملكم إن خيراً فخير وإن شـــراً فشر.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ[1] عِبَادِهِ﴾: تصوير لقهره وعلوه بالقدرة، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً[2]﴾: من الملائكة تحفظ أبدانكم كما قال تعالى: "له معقبات من بين يديه"[الرعد:١١]. أو تحفظ جميع أعمالكم وهم الكرام الكاتبون، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: حان أجله، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ لملك الموت أعوان يخرجون الروح فيقبض ملك الموت، ﴿وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾: فيما أمروا يفعلون ما يؤمرون ﴿ثُمَّ[3] رُدُّوا﴾ أي: الملائكة أو الخلائق كلها، ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ[4]﴾ : الذي يتولى أمرهم، ﴿الْحَقِّ﴾: العدل الذي لا يظلم فضلا ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ﴾: يومئذ لا حكم بوجه لغيره فيه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾: لا يحتاج في الحساب إلى ضرب وقسمة وفكر وروية وعقد يد لا يشغله حساب عن حساب، ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ[5]﴾: سؤال توبيخ، ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: شدائدها[6] وأحوالها ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: معلنين

---

(١) فوقية تليق بجلاله كما ورد "أنت الظاهر فليس فوقك شيء" هذا ما في الوجيز وفي الفتح هو صفة الله تعالى وهذا هو مذهب سلف الأمة وأئمتها يمرونها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا تعطيل أي: فوقية تليق بحاله وهو الحق وتقدم بيانه في الآية من السورة.

(٢) نظيره (وإن عليكم لحافظين)/ ١٢ معالم.

(٣) الظاهر أن الضمير للعباد المفهوم من أحدكم.

(٤) إلى الله وقد ورد في السنة المطهرة ما يفيد أن الملائكة يصعدون بأرواح الموتى من سماء إلى سماء حتى تنتهي بها إلى السماء السابعة، وفي رواية إلى السماء التي فيها الله ثم ترد إلى عليين، أو سجين، وفي الآية دليل على علوه تعالى من خلقه/ ١٢ فتح .

(٥) ولما بين كمال القدرة ذكر نوعًا من القدرة عن أثرها فقال: "قل من ينجيكم"/١٢وجيز.

(٦) أي: من شدائدهما وأهوالهما كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم/١٢معالم.

ومسرين، أو إعلانا وإسرارا ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾ أي: يقولون لئن أنجيتنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لا من الكافرين، ﴿قُلِ[1] اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾: الظلمة، ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: غم سواها، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ[2]﴾: فلا تشكرون[3]، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا[4] مِّن فَوْقِكُمْ﴾: كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط ونوح، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: كالخسف، والزلزلة نقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عذاب الفوق أمراء السوء والتحت خدم السوء، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى، ﴿وَيُذِيقَ[5] بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يسلط بعضكم على بعض بالعذاب، والقتل وفي الحديث الصحيح (سألت ربي ثلاثا فأعطاني

(١) أمره بالمسابقة إلى الجواب لأنه أمر متفق عليه، فيكون هو -صلى الله عليه وسلم- سبق إلى الخير والاعتراف بالوحدانية/١٢وجيز.

(٢) وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على أن من أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأسا/١٢بيضاوي.

(٣) ولفظ الآية يدل على أنه عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمور أحدها الدعاء، وثانيها التضرع، وثالثها الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله: "وخفيه"، ورابعها التزام الاشتغال بالشكر وهو المراد من قوله "لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين" (يونس:٢٢)، ثم بين تعالى أنه ينجيهم تلك المخاوف، ومن سائر موجبات الخوف والكرب، ثم إن ذلك الإنسان يقدم على الشرك ونظير هذه الآية قوله: "ضل من تدعون إلا إياه" (الإسراء:٦٧)، وقوله: "وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين" (يونس:٢٢)، وبالجملة فعادة أكثر الخلق ذلك إذا شاهدوا الأمر الهائل أخلصوا وإذا انتقلوا إلى الأمن والرفاهية أشركوا به/١٢كبير.

(٤) يعني كما أن المنجي من المهالك هو الله وحده هو الموقع فيها وحده/١٢وجيز.

(٥) ذكر الإذاقة التي للمطعوم مبالغة في أن الشدة تصل إلى باطنهم/١٢.

ثنتين ومنعني واحدة سألت أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألت أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها [1])، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نوضحها ونكررها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: لكي يفهموا ويتدبروا، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾: بالقرآن[2] وقيل: بالعذاب، ﴿قَوْمُكَ﴾: قريش، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصدق أو الواقع، ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: ما وكل إلى أمركم إنما على البلاغ، ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾: لكل خبر من أخبار الله تعالى وقوع، ولو بعد حين، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: بعضه في الدنيا، وبعضه في الآخرة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ[3] الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: بالطعن والاستهزاء، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: اترك مجالستهم، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ[4] غَيْرِهِ﴾: الضمير للآيات

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان/١٢وجيز [أخرجه الترمذى (٢٢٨٠) وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح الترمذى" (١٧٦٧) وأصل الحديث فى مسلم فى "الفتن وأشراط الساعة" (٥/٧٤٠) ط الشعب.

(٢) الدال عليه ذكر الآيات/١٢.

(٣) ولما أمره بما يقول عند تكذيب قومه أمره بما يفعل حين تكذيبهم فقال: "إذا رأيت"/١٢.

(٤) وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وتقليداتهم الفاسدة وبدعهم الكاسدة فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تتزهه عما يتسببون به شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر/١٢فتح.

باعتبار القرآن، ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾: النهي عن مجالستهم بوساوسه[1]، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى[2]﴾ : بعد أن تذكر، ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، معهم فإنهم ظلمة لوضع التكذيب، والسخرية موضع التصديق والتعظيم، ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: ما عليهم شيء مما يحاسبون عليه أي: من آثام الخائضين إن قعدوا معهم، ﴿وَلَكِن ذِكْرَى﴾ أي: لكن عليهم أن يذكروهم، ويمنعوهم، ويعظوهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: يجتنبون الخوض كراهة لمساءتهم نقل أنه لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون: إذا لم نستطع أن نجلس في الحرم ونطوف فإنهم يخوضون أبدا، فنزلت رخصة لهم في القعود بشرط التذكير، قال كثير من السلف: هذا منسوخ بآية النساء المدنية، وهي قوله "إنكم إذا مثلهم" (النساء: ١٤٠)، وفي رواية قال المسلمون: نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم وحينئذ معنى قوله: "ولكن ذكرى" أي: ولكن عليكم التجنب وتذكر النهى لعلهم يتقون حين يروا إعراضكم عنهم، وصح عن سعيد ابن جبير: إن معناه ما عليكم أن يخوضوا في آيات الله شيء من حسابهم إذا تجنبتم، وأعرضتم عنهم أي: عليكم الإعراض، ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي: استهزءوا بالدين الحق الذي يجب أن يعظم غاية التعظيم، أو معناه جعلوا اللعب كعبلدة الأصنام وتحريم[3] البحائر وغيرها دينا واجبًا أي: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم، ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حتى اطمأنوا بها، ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿أَنْ

---

(١) فمفعوله الثاني محذوف/١٢.

(٢) بعد التذكر مصدر وألفه للتأنيث قيل: لم يجئ مصدر على فعلى غير الذكرى/١٢ وجيز.

(٣) وما كانوا يحتاطون في أمر الدين البتة ويكتفون فيه بمجرد التقليد فعبر الله تعالى عنهم بأنهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا/١٢ كبير.

تُبسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: مخافة أن تسلم إلى الهلكة بسوء عملها، أو تفضح، أو تحبس أو تؤاخذ أو تجزى، **﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾**: يدفع العذاب عنها، والجملة إما صفة أو حال، **﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾**: وإن تَفْدِ النفس كل فداء، ونصبه على المصدر، **﴿لا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾**: فاعله منها لا ضمير العدل؛ لأنه مصدر وهو ليس بمأخوذ، **﴿أُولَئِكَ[1] الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾**: سلموا للعذاب، **﴿بِمَا كَسَبُوا[2] لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾**: الماء المغلي، **﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾**[3].

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ

---

(١) إشارة إلى الذين اتخذوا أو إلى الجنس المدلول عليه بأن تبسل نفس/١٢.

(٢) من الخطايا وقبائح الأعمال/١٢.

(٣) إشارة إلى أن كفرهم أسوأ ما كسبوا ولما أقام الحجة البالغة على أن المؤثر ليس إلا الله تعالى عقبه سؤال مرتبط فقال: "قل أندعوا"/١٢.

هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿**قُلْ أَنَدْعُو**﴾: نعبد، ﴿**مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا**﴾: لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، ﴿**وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا**﴾: نرجع إلى الشرك، ﴿**بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ**﴾: كالذي ذهبت به الغيلان مردة الجن، وأضلته، و(كالذي) حال من ضمير (نرد) أي: ننكص مشبهين من أضلته الغيلان ﴿**فِي الأَرْضِ**﴾: في المهمه[1] ﴿**حَيْرَانَ**﴾: متحيرا، ﴿**لَهُ**﴾: لهذا المستهوى، ﴿**أَصْحَابٌ**﴾: رفقاء، والجملة (كحيران)، ﴿**يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى**﴾: إلى الطريق المستقيم، ﴿**ائْتِنَا**﴾ أي: قائلين إيتنا، فلا يلتفت إليهم، ويصير مع الغول حتى يلقيه إلى الهلكة، ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾: فما عداه ضلال وهلكة، ﴿**وَأُمِرْنَا**﴾: عطف على (إن هدى الله)، ﴿**لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ أي: بأن نسلم،

---

(١) أي: البادية/١٢.

ونخلص له العبادة أو اللام للتعليل أي: أمرنا بذلك لنسلم﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ﴾ ، عطف على لنسلم،﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ[1]﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والحكمة، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُون ﴾، عطف على السماوات فذكر بدء الخلق وإعادته أو على مفعول اتقوه أو بتقدير واذكر، والمراد يوم القيامة فإن الأمر فيه غير تدريجي، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: الصدق الواقع لا محالة مبتدأ وخبرا أو(قوله) مبتدأ و(الحق) صفته "ويوم يقول" خبره أي: قضاؤه الحكمة والصواب حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء يعني ما ظهر من مكوناته شيء إلا عن حكمة وصواب، فلا يكون المراد من يوم يقول يوم القيامة، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ[2]﴾ إما ظرف لقوله: "له الملك" كقوله: "لمن

---

(١) فيجازيكم وفيه تنبيه بأن ثمرات هذه الأفعال وحسرات تركها يظهر يوم الحشر/١٢وجيز.

(٢) أي: الملك كائن له في هذا اليوم فإن ظهور توحده في الملك في هذا اليوم الذي لا أمر لأحد سواه كما قال "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار" والصور قرن يوسع السموات والأرض/١٢وجيز، والصور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وهو لغة أهل اليمن، وكذا قال الجوهري: إن الصور القرن أي: المستطيل، وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها، فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبها، ووصلت لجسدها، فتحله الحياة قال مجاهد: الصور قرن كهيئة البوق وقرئ "الصُّوَرِ" جمع صورة والمراد الخلق، وبه قال الحسن ومقاتل قال أبو عبيدة: وهذا وإن كان محتملا يرد بما في الكتاب والسنة قال الله تعالى "ثم نفخ فيه أخرى" (الزمر:٦٨)، وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه النسائي وابن المنذر وابن حبان وابن أبي حاتم والحاكم، وصححه والبيهقي وعبد بن حميد وابن المبارك عن عبدالله بن عمر وقال: سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصور فقال: "قرن ينفخ فيه"، وأجمع عليه أهل السنة والأحاديث الواردة في كيفية النفخ ثابتة في كتب الحديث لا حاجة لنا إلى إيرادها هاهنا/١٢فتح.

الملك اليوم لله الواحد القهار" [غافر: ١٦] وإما بدل من "يقول" والصور القرن الـــذي ينفخ فيه إسرافيل، وقيل: جمع صورة أي ينفخ فيها فتحيا، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ﴾ أي: هو عالم الغيب، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيـــمُ[١] لأَبِيـهِ آزَرَ﴾، عطف بيان لأبيه والأصح[٢] إنه اسم أبيه وله اسمان (آزر) و(تارخ) أو أحدهما لقبـــه، ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾: دون الله، ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ﴾: عـــن الحـق، ﴿مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: مثل هذا التبصير نبصره، وهـــو حكايـــة حـــال ماضية، ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: ملكها والتـــاء زائـــدة للمبالغـــة[٣]، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ أي: ليستدل، وليكون، أو وفعلنا ذلك ليكون، ﴿فَلَمَّا جَـنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: ستره بظلامه، وهذا تفصيل لإراءته، ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾: هو الزهـــرة أو المشترى، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل، ثم يكر عليـه فيبطله بالحجة وهذا النوع أدعى إلى القبول فإن قومه يعبدون الكواكب، وهذا هو الأصـح، أو قال ذلك على وجه النظر والاستدلال في أول بلوغه، بل قبله فقد نقل أنه في الســـرب سبع سنين أو أكثر لخوف والديه من نمرود لأنه يقتل الصبيان، فإنه قد أخبر بمولود ذهـــاب ملكه على يديه، وهو ما رأى في السرب لا سماء ولا أرضًا فلما خرج ورأى كوكبًـــا قال هذا ربي، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: غاب، ﴿قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾: عبادة شيء يتغير عـــن حال إلى حال فعرفهم جهلهم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعًا، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي

---

(١) ولما بين لهم بقوله ما لا ينفعنا ولا يضرنا أنهم في اتخاذ الأصنام بكمال الجـــهل أعقبـــه حكاية إبراهيم في شأن أبيه وقومه لأنه أنسب لرجوع العرب من ضلالتهم إذ هو جـــد لهم معظم عندهم وإنكار نبينا -صلى الله عليه وسلم- على قومـــه إنكـــار إبراهيـــم عليهم/١٢وجيز.

(٢) عن ابن عباس وغيره/١٢.

(٣) كالرهبوت والرحموت/١٧.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا﴾ أي: الشيء الطالع صان ما سماه ربا عن وصمة(*) التأنيث، ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ جرمًا، وإضاءة، فأليق بالربوبية، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾: وظهر حدوثه، وأنه مسخر، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا[١] تُشْرِكُونَ﴾: من الأجرام المفتقرة إلى محدث يحدثها، ثم توجه إلى موجدها الذي دلت هذه الممكنات عليه وقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: أخلصت ديني وأفردت عبادتي، ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾: ابتدعهما على غير مثال سبق، ﴿حَنِيفًا﴾: حال كوني مائلا عن الشرك إلى التوحيد، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لله، ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾: جادلوه في التوحيد، ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾: في وحدانيته، ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾: إلى التوحيد، وأنا على بينة منه، ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: معبوداتكم فإنها لا تملك ضرًّا ولا نفعًا وهم يخوفونه[٢] منها، ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، استثناء منقطع، أي: لكن أخاف مشيئة الله، أو متصل تقديره لا أخاف معبوداتكم في وقت قط إلا وقت مشيئة ربي شيئًا من مكروه يصيبني من جهتها مثل أن يرجمني بكوكب أو يجعلها قادرة على مضرتي، ﴿وَسِعَ[٣] رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ[٤] عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتعتبروا أن ما قلت لكم حق

(*) في حاشية النسخة: عيب/ ١٢.

(١) ولابد أن موضع الاستدلال الواقف هو فيه -عليه الصلاة والسلام- يكون تحت جبل عال أو جدار فإنه لا يمكن غروب كوكب ويكون بعده طلوع القمر وبعد غروبه طلوع الشمس في ليلة واحدة/١٢وجيز.[والأمر لا يحتاج إلى كل هذا التكلف من صاحب الحاشية؛ لأنه لا دليل على أن هذه الرؤى قد وقعت له في ليلة واحدة، فقد يكون ذلك في أوقات متعددة، ويكون قد تأملها ثم أدارها في نفسه، ثم احتج بها على قومه وهم يقرّون بها ابتداء لطول مشاهدتهم إياها]

(٢) كما قال قوم هود: "إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء" (هود:٥٤)/١٢وجيز.

(٣) وفي تكرار ربي استلذاذ، وتعريض بأن الله ربه ومولاه ولا مولى لهم، بل الله عدوهم/١٢وجيز.

(٤) منصوب على التمييز فهذا أبلغ من وسع علم ربي كل شيء/١٢وجيز.

فتركوا عبادها، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ وهو لا يملك ضرا، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾: الذي هو حقيق بأن يخاف منه، لأنكم أشركتم المصنوع بالصانع، وسويتم بين العاجز والقادر، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: شيئًا لم يترل بإشراك ذلك الشيء حجة من كتاب وغيره، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: من الموحدين والمشركين، ﴿أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[1]﴾: إن لم يكن لكم جهل، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: لم يخلطوه بشرك[2]، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: وقد صح أنها لما نزلت قد شق على الصحابة، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "ليس كما تظنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: "يا

---

(١) إن كنتم عقلاء لستم بمجانين فأخبروني أيُّ هذين الفريقين أحق بالأمن، ولما خوفوه في مكان الأمن و لم يخافوا في مكان الخوف أبرز الاستفهام في صورة الاحتمال وقد علم يقنيا، لأنه أقرب من إنصافه وإذعانهم كأنه صيرهم حكاما وطلب منهم الإنصاف والصدق/١٢وجيز.

(٢) بشرك تفسير الظلم بالشرك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد صح عن البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم، وقد صح عن جم غفير من السلف والإنكار منكر من القول هذا ما في الوجيز وفي الفتح، والعجب عن صاحب الكشاف حيث يقول في تفسير هذه الآية: وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وهو لا يدري أن الصادق المصدوق قد فسرها بهذا وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وفي زاده على البيضاوي: وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في الآية المعصية لا الشرك بناء على أن خلط إحدى الشيئين بالآخر يقتضي اجتماعهما ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك لأنهما ضدان لا يجتمعان وهذه الشبهة ترد عليهم بأن يقال: كما أن الإيمان لا يجامع الكفر فكذلك المعصية لا تجامع الإيمان عندكم لكونه اسم لفعل الطاعات واجتناب المعاصي فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم انتهى/١٢

بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان: ١٣٠) "إنما هو الشرك"(*)، وقد فسره السلف بذلك، والمراد من الخلط النفاق، أو المراد من الإيمان مجرد تصديقه وشركه عدم توحيده، أو المراد الثبات على الإيمان وكثير من الناس يزعمون إيمانهم وهم عنه بمراحل لفساد عقيدتهم بصفة من صفات الله.

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما مر من قوله: " فلما جن" إلى قوله: "وهم مهتدون"، ﴿حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ : ألهمناها، ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ متعلق (بحجتنا)، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ

(*) أخرجه البخاري في "التفسير" / باب: "ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" (٤٦٢٩) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "الإيمان" / باب: صدق الإيمان وإخلاصه.

﴿نَشَاءُ﴾ قرئ بالإضافة، وبلا إضافة (فمن نشاء) مفعول (نرفع) و(درجات) إما مصدر أو ظرف أو تمييز إن جوزنا تقديمه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في الرفع والخفض، ﴿عَلِيمٌ﴾، بحال من يرفعه ويخفضه وقابليته، ﴿وَوَهَبْنَا[1] لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا﴾: منهما، ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم وهداية الوالد شرف الولد، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾، الضمير لإبراهيم، واللوط[*] هو ابن أخيه أدخل في ذريته تغليبا أو الضمير لنوح -عليه السلام ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: هدينا من ذريته داود وسليمان، ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾: مثل ما جزينا إبراهيم برفع الدرجة، وكثرة أولاد مهتدين، ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾، فيه دليل على أن ولد البنت من الذرية، ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ الصحيح أنه غير إدريس، ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: بالنبوة، ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ عطف على كلاً أي: فضلناهم وبعض آبائهم، ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وفيهم سيد الكونين -عليه السلام- فهم أفضل جميع المخلوقات بأسرها، ﴿وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: اخترناهم، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ[2] ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما هم عليه، ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا[3]﴾ بحسب الفرض أي: هؤلاء الأنبياء مع علو درجتهم ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بطل عملهم كآحاد الناس، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يريد جنس الكتاب، ﴿وَالْحُكْمَ﴾: العلم والحكمة، ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَّكْفُرْ بِهَا﴾: بالنبوة، أو بهذه الثلاثة،

---

(١) أي: من جملة رفع الدرجات أنا وهبنا له يحتمل عطفه على نرفع وعلى تلك حجتنا.

(*) كذا بالأصل.

(٢) وأما نكتة خصوصية عدد هؤلاء بهذا الترتيب فعلمها عند الله/١٢وجيز.

(٣) فيه دلالة على أن الهدى السابق هو التوحيد ورفض الشرك/١٢وجيز.

﴿هَؤُلاءِ﴾: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: بمراعاتها، ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وهم المهاجرون والأنصار، ومن تبعهم إلى يوم الدين، وعن قتادة هم الأنبياء المذكورون ومن تبعهم، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأنبياء المذكورون، ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ[1] اقْتَدِهْ﴾: في التوحيد، والصفات الحميدة، والهاء للوقف، ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ أو القرآن، ﴿أَجْرًا﴾: جعلا كما لم يسأل الأنبياء، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن، ﴿إِلاَّ ذِكْرَى﴾: تذكرة وعظة، ﴿لِلْعَالَمِينَ[2]﴾.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ

---

(١) عن ابن عباس قال أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدي بهديهم وكان يسجد في "ص" [أي في سجدة سورة "ص"] أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما ففيه دليل على أنه -صلى الله عليه وسلم- مأمور بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نص/١٢فتح [البخارى(٤٦٣٢)].

(٢) ولما عد الأنبياء، ووصفهم بأنهم أصحاب كتاب وحكم ونبوة وأوعد من كفر بهذه الثلاثة عقبه بمن نفى الكتاب عن أسه وأصله فقال: "وما قدروا الله حق قدره"/١٢وجيز.

ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ ﴾

﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾: ما عظموه حق تعظيمه، أو ما عرفوه حق معرفته في اللطف والرحمة على عباده، ﴿**إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾: إذ كذبوا إرسال الرسل الذي هو من عظائم نعمه، ﴿**قُلْ**﴾: لهم، ﴿**مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ**﴾: نزلت[1] في قريش، وهم يسمعون كتاب موسى من اليهود، ويسلمونه، ويقولون: لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم، أو في طائفة[2] من اليهود حين قالوا ذلك مبالغة في إنكار القرآن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فألزموه ما لابد لهم من الإقرار به أو رجل معين من اليهود قال: ما أنزل الله على بشر من شيء حين غضب، ﴿**تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً**﴾ أي: جملتها بجعلها قطعا قطعا، ويجزئونها جزءا جزءا يبدون ما يحبون ويخفون بعضا لا يشتهون، مثل صفة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وآية الرجم، وقراءة الخطاب يؤيد كلام من يقول: أن الآية في اليهود اللهم إلا أن يقال إن قريشًا واليهود النصارى متشاركون في إنكار القرآن، فلم يبعد أن يكون الكلام بعضه خطابا مع قريش، وبقية

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما/١٢وجيز ولقريش صحبة ومحبة مع اليهود/١٢وجيز.

(٢) وهو الظاهر وهو قول بعض السلف/١٢وجيز.

مع اليهود، والنصارى كأهم طائفة واحدة، وأما قراءة الياء أي: الغيبة تكون التفاتا[1] عند من يقول الآية في اليهود، ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾: بسبب القرآن، ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ﴾: من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي، وإذا كان الخطاب مع اليهود فمعناه علمتم بالقرآن زيادة على التوراة وبيانا لما التبس عليكم، وعلى آباءكم كما قال تعالى "إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون"[النمل: ٧٦]، ﴿قُلِ اللَّهُ﴾: أنزله أَجبْ عنهم ذلك، لأنه متعين وفيه إشعار بأهم تحيروا في الجواب ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾: دعهم في أباطيلهم، ﴿يَلْعَبُونَ﴾: يعملون ما لا ينفع، وهو حال من مفعول ذر، ﴿وَهَذَا﴾: القرآن، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع، ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية، ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ أي: أهل مكة فـ(عطف على) صريح لفظ مبارك أي: كتاب مبارك كائن للإنذار، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أهل الشرق والغرب، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، فإن لازم الإيمان بها الخوف، والخوف يجره إلى الإيمان بالقرآن والمداومة بصلاته فإنها عماد الدين، ﴿وَمَنْ[2] أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كمن ادعى أنه أرسله كاذبا، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، نزلت في مسيلمة الكذاب ادعى النبوة والوحي[3]، ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ[4] اللَّهُ﴾:

---

(١) إهانات لهم/١٢.

(٢) ولما كان لمن يدعي الرسالة لنفسه، ولمن ينفيها مضادة كما قالت اليهود وكل منهما كافر بسبب هذا القول عقب أحدهما الآخر فقال: "ومن أظلم" الآية/١٢.

(٣) أتى بأو التنويعية مع أنه القائل والمفترى ليدل على أن كل واحد من فعله وقوله يكفي في أنه ظلم/١٢ وجيز.

(٤) قال السدي: نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي، وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي -صلى الله عليه وسلم- فكان إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما وإذا أملى =

كما قالوا: "لو نشاء لقلنا مثل هذا" (الأنفال:٣١)، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، جوابه محذوف أي: ولو ترى زمان سكراتهم لرأيت أمرًا فظيعًا، ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾: شدائده، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾، بتعذيبهم لقبض أرواحهم، فقد ورد[1] أن أرواح الكفرة تتفرق في أجسادهم وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى[2] تخرج، ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: قائلين ذلك تعنيفًا وتغليظًا وزجرًا وإضرارًا لهم، ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم الموت، ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: الهوان والذل، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: كإثبات الشريك والولد، وإدعاء النبوة، ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فلا تؤمنون بها، فالهوان لاستكبارهم، ﴿وَلَقَدْ[3] جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾:

= عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم فعجب عبدالله من تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين فقال -صلى الله عليه وسلم-: اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقًا فقد أوحي إلي مثل ما يوحى إليه فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك إلى الإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي -صلى الله عليه وسلم- نازل بمر الظهران: هذا ما في لباب التأويل المعروف بالخازن وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض رسائله: وعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد ارتد وكان يكذب على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن ثم تاب وأسلم وبايعه النبي -صلى الله عليه وسلم- على ذلك/١٢.

(١) كما رواه ابن أبي حاتم، وغيره/١٢وجيز.

(٢) وأما أن للكافر اختيار في حبس الروح في البدن وإطلاقه فالعلم عند الله تعالى، وفيه دليل على عدم تجرد الروح/١٢وجيز.

(٣) ولما كان من المعلوم أن ليس استكبارهم إلا لمالهم وخولهم وكان استظهارهم بالشفعاء اللات والعزى عقبه بقوله: "ولقد جئتمونا فرادى" الآية/ ١٢وجيز.

منفردين عن الشفعاء، والأموال، والأهل، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقد كنتم تنكرون ذلك حال ثانية أو صفة مصدر جئتمونا أي: مجيئا مثل خلقناكم أو بدل من فرادى، ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: تفضلنا عليكم من المال، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾: تركتموه كليا وليس معكم شيء منه، ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ[1] الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾: في ربوبيتكم واستعبادكم، ﴿شُرَكَاءُ﴾: لله، ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، على قراءة رفع (بينكم) يكون بمعنى الوصل ليس بظرف، أو ليس بلازم الظرفية، وعلى قراءة النصب أسند لتقطع إلى ضمير الأمر لتقرره في النفوس أي: تقطع الأمر بينكم، ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾: ضاع وبطل، ﴿مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ[2]﴾: تزعمونه شفيعًا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ

(١) الذين قلتم: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر:٣)/١٢فتح.

(٢) أنها شفعاءكم/١٢بيضاوي.

لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ[1] الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يشقهما في الثرى فينبت منهما الزرع[2] والشجر، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: النبات والحيوان من الحب والنطف، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾: الحب والنطف ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾: النبات والحيوان عطف على فالق الحب فإن (يخرج الحي من الميت) كالبيان له ولذا ترك العطف، ومخرج الميت من الحي لا يصلح للبيان؛ لأن فلق الحب ليس إلا لإخراج الحي، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: فاعل هذه الأشياء هو الله، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عنه إلى غيره، ﴿فَالِقُ[3] الْإِصْبَاحِ[4]﴾: شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾، إعمال اسم الفاعل، لأنه بمعنى الدوام التجددي نحو:

"ولقد أمر على اللئيم يسبني"(*)

لا بمعنى الثبوت الدائمي كـ"مالك يوم الدين" (الفاتحة:٤)، ﴿سَكَنًا﴾: يسكن فيه خلقه، ويستريح، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا[5]﴾ أي: تجريان بحساب معين لا

---

(١) ولما تقدم ذكر البعث في قوله: "ولقد جئتمونا" نبه على إمكانه في جنب كمال قدرته بالأمر المشابه للبعث فقال: "إن الله فالق الحب" الآية/١٢وجيز.

(٢) ففيه تنبيه على البعث/١٢.

(٣) ولما ذكر القدرة في الأرضيات توجه إلى قدرة مثلها في السماوات "فالق الإصباح" إلخ/١٢وجيز.

(٤) والإصباح مصدر سمي به الصبح/١٢وجيز.

(*) صدر بيت من الكامل، وهو لرجل من سلول في الدرر ١/٧٨ وعجزه:

"فَمَضَيْتُ ثَمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينِي"

(٥) حسبانًا هو مصدر حسب بفتح السين أي: العد والحصر، والحسبان بكسر الحاء مصدر حسب بكسر السين أي: الظن والتخمين/١٢منه.

تتجاوزان، أو معناه جعلهما علمي حسبان؛ لأن حساب الأوقات يعرف بدورهما، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من فلق الصبح، وجعل الليل، والشمس، والقمر، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾: الذي يفعل ما يريد، ﴿الْعَلِيمِ﴾: بما قدر وأراد، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾: خلقها لكم، ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ[1] الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: في ظلمات[2] الليل فيهما، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾: بيناها مفصلا لا مجملا، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[3]﴾، فإن الجاهل لا ينتفع به، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: آدم، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ أي: فلكم مستقر في الأرحام، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ[4]﴾: في الأصلاب، أو بالعكس أو في الأرحام، وعلى ظهر الأرض أو في القبر وفي الدنيا أو في الرحم والقبر أو في الجنة أو النار وفي القبر وهما اسما مكان أو مصدران، وفي قراءة كسر القاف الأول اسم فاعل، والثاني اسم المفعول أي: فمنكم قار ومنكم مستودع، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

---

(١) وهذا إحدى منافع النجوم ومنها ما ذكره الله في قوله :"وحفظا من كل شيطان مارد" (الصافات:٧) وقوله تعالى: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين" (الملك:٥)، وعن عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا فإنها والله ما خلقت إلا زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدى بها وعن قتادة نحوه وأخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عمر مرفوعًا: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا/١٢فتح.

(٢) فإضافة الظلمات إليهما لملابستهما لهما/١٢منه.

(٣) ولما كان جميع تلك الآيات المتوالية للاستدلال على الوحدانية إذا أتم دليلا رجع إلى غيره من آفاقي وأنفسي، ومن هذا قال: "وهو الذي أنشأكم"/١٢وجيز.

(٤) والحاصل أن المستقر، والمستودع حالان يتواردان على الإنسان من الظهر إلى الرحم إلى الدنيا إلى القبر إلى المحشر إلى الجنة أو النار، ففي كل رتبة استقرار بالإضافة إلى ما قبلها استيداع بالإضافة إلى ما بعدها واستقر لازم فلا يبنى منه اسم مفعول/١٢وجيز.

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ[1]﴾، الفقه: تدقيق النظر، فهو أليق بالاستدلال بالأنفس لدقته بخلاف الاستدلال بالآفاق، ففيه ظهور ولهذا قال في الأول: "لقوم يعلمون".

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من جانبه، ﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: بسبب الماء، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: تنبت، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات أو الماء، ﴿خَضِرًا﴾: زرعا وشجرا أخضر، ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾: من الخضر، ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: بعضه على بعض كسنابل البر وغيره، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾، الطلع: أول ما يخرج من ثمرها والقنو: العرجون، وهو مبتدأ "ومن النخل[2]" خبره، "ومن طلعها" بدل، ﴿دَانِيَةٌ﴾: سهلة المجتنى لقصر النخل اللاصقة عذوقها بالأرض، أو قريب بعضها من بعض على التفسير الأول ذكر الدانية لأن النعمة فيها أظهر أو دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله "سرابيل تقيكم الحر" (النحل:٨١) أي: والبرد، ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ عطف على (نبات)، أو على (خضراً) ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ أي: شجريهما بدليل انظروا إلى ثمره، ﴿مُشْتَبِهًا[3] وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ أي: متشابها ورقهما، فإن ورقهما قريب غير متشابه

---

(١) لما كان الاهتداء بالنجوم، واضحا ختمه بيعملون وكون الإنسان من نفس واحدة وتصريفه في أحوال كثيرة أدق ختمه بيفقهون فإن المفهوم من الفقه دقيق النظر/١٢وجيز.

(٢) والجملة مقطوع عما قبلها في تجريدها من عظم المنة إذ كانت من أعظم قوت العرب، ولها شبه بالحب، وشبه بالعنب في التغذي والتفكر، فناسب أن يكون اعتراضًا بين الحب والعنب/١٢وجيز.

(٣) الافتعال والتفاعل يشتركان كثيرًا يقال: اشتبه الشيئان وتشابها واستويا وتساويا، فهو حال من الزيتون لسبقته، أو من الرمان لقربه، وحذف مشتبها وغير متشابه من أحدهما للقرينة وبأن بعض الرمان حامض وأحمر وكبير، وبعضه حلو وأبيض وصغير ففي الرمان في غاية الظهور/١٢وجيز.

ثمرهما، أو بعضه متشابه ببعض آخر منه في الهيئة، واللون والطعم وبعضه غير متشـــابه، ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾: ثمر كل واحد من ذلك، ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: أخرج ثمره، ﴿وَيَنْعِـهِ﴾: وإلى نضجه نظر استدلال بعد أن كان حطبًا صار عنبًا ورطبًا وبعد أن كان جافا تفـــها صار لذيذا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾ أي: على كمال قدرته، ﴿لِقَـــوْمٍ يُؤْمِنُـــونَ﴾: يصدقون بالله.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: عبادة غير الله تعالى، عبادة الشـــيطان هـــم جعلـــوا الشيطان شريكًا له، أو كما قال الثنوية: الله خالق النور، والشيطان خـــالق الشـــرور، (وشركاء الجن) مفعول (جعلوا) أو (لله) متعلق بـــ(شركاء) أو حـــال منـــه أو (لله شركاء) مفعولاه، و(الجن) منصوب بمقدر، كأنه قيل: من جعلوه شـــركاء؟ فقـــال: "الجن"، ﴿وَخَلَقَهُمْ[1]﴾، حال بتقدير قد والضمير إما إلى الكفار أي: جعلـــوا غـــير خالقهم شريكًا لخالقهم، وإما إلى الجن: أي جعلـــوا المخلوقـــين شـــركاء للخـــالق، ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: اختلفوا وافتروا، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من فاعل خرقوا أي: خرقوا عن عمى وجهالة لا عن فكر وروية، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تعـــالى عطف على أسبح.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ

---

(١) والأولى أن ضمير الجمع للجاعلين إذ هم المحدث عنهم يعني جعلـــوا مخلوقـــا شـــريكًا لخالقهم، وما هو إلا حماقة/١٢وجيز.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞﴾

﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي[1]: هو مبدعهما ومحدثهما على غير مثال سبق قيل: من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي: هو بديع سماواته، وقيل الإضافة حقيقية بمعنى في أي هو عديم النظير فيهما، ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ**﴾، والولد إنما يكون بين متجانسين ولا يناسبه شيء فإنه فالق الأشياء وأين الخالق من المخلوق؟! ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**[2]﴾، لم يقل وهو به عليم لأن علمه أشمل من خلقه، ﴿**ذَلِكُمُ**﴾ أي: الموصوف بما سبق من الصفات، وهو مبتدأ، ﴿**اللَّهُ رَبُّكُمْ لا**

(١) ولما كان التوالد من صفات الأجسام ومن هو مبدع تلك الأجسام ومخترع الأجسام ليس بجسم، فلا يكون له ولد "أنى يكون له ولد"الآية/١٢وجيز.

(٢) يعني من كان موصوفا بالخالقية، والعالمية غني عن العالمين والولد إنما يطالبه المحتاج إليه فنفى الولد بأدلة ثلاثة، ويمكن أن يجعل أربع دلائل/١٢وجيز.

إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أخبار مترادفة[1]، ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾؛ لأن من له هذه الصفات استحق العبودية، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: متولي أموركم فكلوها إليه، ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ أي: في الدنيا أولا يحيط به الإبصار، فإن الإدراك أخص من الرؤية أو لا يراه أحد على ما هو عليه لا بشر ولا ملك، لكن إذا تجلى بوجه يمكن رؤيته تدركه الأبصار، أو لا يراه جميع الأبصار؛ بل الكفار عنه محجوبون، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ[2]﴾: تحيط علمه بها ويراها، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: بأوليائه، ﴿الْخَبِيرُ﴾:

---

(١) يعني المتصف بالصفات المتقدمة هو الله مالِكُكُمْ الناظر في مصالحكم، ثم حصر الإلهية فيه وأنه هو وحده متصف بالخلق ثم أمر بعبادته، فقال: "اعبدوه "لأنه هو الحقيق بالعبادة/١٢وجيز.

(٢) أي: هو لا تدركه حاسة النظر في الدنيا لأن الإرادة الأزلية أنقضت أنها لا تراه في الدنيا وأما أمور الآخرة فعلى خلاف ما في الدنيا تأمل فيما ورد عن أمر الصراط وأحوال الجنة وأهل النار والأحاديث الصريحة في شأن رؤية الله تعالى للمؤمنين في الجنة واردة، وهو يدرك جميع الحواس النظرية، فهو خالقها وصاحب الحاسة لا يرى حاسة نفسه، وكلا الأمرين معًا صفة مدح، والتغير من جانب الرائي لا من جانب الرب سبحانه، ولا عليك أن تجعل تلك الصفة دليلا آخر لنفي الولد والصاحبة فإن التوالد لابد له من خلطة وتماس، والصفات الذاتية لا تتغير/١٢وجيز. وقد ثبت الرؤية في القيامة بالأحاديث المتواترة تواترا لا شك فيه، ولا شبهة ولا يجهله إلا من يجهل السنة المطهرة جهلا عظيمًا وأيضًا قد تقدر في علم البيان والميزان أن رفع الإيجاب الكلي سلب جزئي فالمعنى لا تدركه بعض الأبصار وهي أبصار الكفار هذا على تسليم أن نفي الإدراك يستلزم نفي الرؤية الخاصة والآية من سلب العموم لا من عموم السلب والأول يخلفه الجزئية، والتقدير لا تدركه كل الأبصار، بل بعضها، وهي أبصار المؤمنين، وقد أطال الواحد المتكلم الحافظ ابن قيم في حادي الأرواح في إثبات الرؤية ورد المنكرين لها بما لا مزيد عليه/١٢فتح.

بأعمالهم قيل من باب اللف والنشر أي لا تدركه الأبصار، لأنه لطيف لا كثافة[*] فيه بوجه، وهو يدرك الأبصار؛ لأنه خبير، **﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ[١] مِن رَّبِّكُمْ﴾**: البصيرة للقلب كالبصر للجسد أي: جاءتكم بالوحي الآيات البينات، والحجج القرآنية التي هي للقلوب كالبصائر، **﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾**: يرى تلك الآيات وآمن بها، **﴿فَلِنَفْسِهِ﴾**: أبصر، وله نفعه، **﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾**، فلا يؤمن بها، **﴿فَعَلَيْهَا﴾**: فعلى نفسه عمى، وعليها ضره، **﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾**: أحفظ أعمالكم فأجازيكم إنما أنا منذر والله الحفيظ، وهذا وارد على لسان رسول الله —صلى الله عليه وسلم **﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾**: مثل ذلك التبيين نبينها ونكررها، **﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾**، معلله محذوف أي: وليقولوا درست نصرفها، والدرس القراءة، والتعلم أي: ليقول المشركون درست، وتعلمت من اليهود، ثم تزعم أنه من عند الله عليك يعني لشقاوة بعض كما قال تعالى: "يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا" (البقرة:٢٦)، فيكون اللام على أصله أو اللام لام العاقبة، وقرئ (دارست) أى: دارست أهل الكتاب وقارءهم، وقرئ (درست) أي: قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين، **﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾**، الضمير للقرآن أو الآيات باعتبار أنها قرآن أي: كررناه لنبينه، **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** أي: لهداية المؤمنين، وحاصله تصريف الآيات لشقاوة بعض وسعادة بعض آخر، **﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾**: بالعمل به، **﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾** حال مؤكدة من ربك أي: منفرداً بالألوهية، **﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾**: لا تجادلهم، واحتمل أذاهم حتى ينصرك الله فإن لله حكمة في

(*) بالأصل كثافته، والأصح ما ذكرناه. ص٢٠٤.

(١) وهذا كلام استئناف وارد على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولهذا قال في آخره: "وما أنا عليكم بحفيظ" ووصف البصائر بالمجيء تفخيمًا لشأنها وجعلها بمنزلة الغائب المتوقع مجيئه كما يقال: جاءت العافية، وانصرف المرض، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس/١٢فتح.

إضلالهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: توحيدهم، ﴿مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيبًا تحفظ أعمالهم وتجازيهم أو تحفظ من عذاب الله، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمرهم.

﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أصنامهم، ﴿فَيَسُبُّوا[1] اللَّهَ عَدْوًا﴾: ظلمًا، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله يعني سب آلهتهم وإن كان حقًا لكن فيه مفسدة عظيمة، نزلت حين قالوا: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون ربك أو كان المسلمون يسبون آلهتهم وهم يسبون الله عدوًا، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التزيين، ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من أمم الكفار، ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة.

---

(١) وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل إذا خشي أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرمة ومخالفة حق ووقوع في باطل أشد كان الترك أولى به، بل كان وجبًا عليه، وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله المتصدين لبيانها للناس وإذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عناداً للحق وبغضا لاتباع المحقين، وجرأة على الله سبحانه فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم إلا السيف، وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة، وجعل المخالفة لها والتجري على أهلها وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة غير منسوخة وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "ملعون من سب والديه قالوا: يا رسول الله، وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه"/١٢فتح البيان في مقاصد القرآن المأخوذ من فتح القدير للشوكاني/١٢[البخارى (٥٩٧٣)، ومسلم (٢٧٦/١) ط الشعب ولفظه "إن من أكبر الكبائر..."الحديث].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أوكدها أي: أقسموا قسمًا غليظًا ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: كما لموسى وعيسى، ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا عندي حتى آتيكم بها ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ابتداء كلام وليس في حيز (قل) و(ما) استفهام إنكار ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ﴾: تلك الآية التي طلبوها، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا تدرون أنهم لا يؤمنون والله يعلم ذلك، ولا ينزلها وقيل: لا مزيدة، وقيل: فيه حذف تقديره: ما يدريكم أنهم لا يؤمنون، أو يؤمنون وقيل: أن بمعنى لعل، ومن قرأ إنها بكسر الهمزة على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بما علم منهم فقال ذلك، والخطاب للمؤمنين أو للمشركين، ويؤيده قراءة التاء في "لا تؤمنون" نزلت حين قالوا: والله لئن تجعل لنا الصفا ذهبا لنتبعنك أجمعين، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾: عن الحق لو أنزلنا ما اقترحوا من الآيات فلا يفقهونه عطف على (لا يؤمنون) أو جملة على حيالها، ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾: فلا يبصرونه، ولا يؤمنون بها، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بما أنزل من الآيات، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: من انشقاق القمر وغيره، أو المراد كما لم يؤمنوا بما أنزلنا على موسى، وعيسى لقوله: "أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل" (القصص:٤٨)، وعن بعض السلف نقلبهما فلا يؤمنون لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا، ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: في كفرهم، وضلالهم متحيرين.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا

هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ**﴾: فرأوهم عيانا، ﴿**وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى**﴾: فشهدوا لك، ﴿**وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا**﴾: جمع قبيل بمعنى كفيل، أو بمعنى جماعات، أو هو مصدر بمعنى المقابلة، وهو حال من (كل)، ﴿**مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا**﴾: في حال، ﴿**إِلا أَن يَشَاءَ**[1] **اللَّهُ**﴾ أي: إلا حال مشيئته، فيبدل طبعهم لتمرنهم في الكفر وسبق القضاء

(١) يعني أن الأسباب لا دخل لها في إيمانهم بخلاف بعض الكفرة فإنه لا حاجة إلى تبديل طبائعهم، بل إذا جاءهم سبب، وضم إليه مشيئة الله تعالى لآمنوا فإن هذا العالم عالم الأسباب/١٢ وجيز.

بشقاوهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ[١]﴾: أهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا، فيقسمون جهد أيماهم قيل: أو إن أكثر المسلمين يجهلون أهم لا يؤمنون فيتمنون نزول آية طمعا في إيماهم، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ[٢] عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لك عدواً جعلنا لكل نبي عدواً، ﴿شَيَاطِينَ﴾: مردة، ﴿الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ بدل[٣] من عدواً، أو أحد مفعولي (جعلنا لكل نبي) ظرف (عدواً)، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: يوسوس ويلقي بعضهم بعضا، ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾: أباطيله المزينة يغروهم، ﴿غُرُورًا﴾ أو للغرور، يعني أن مردة الجن يوحون مردة الإنس، ويغروهم بالإضلال، وهذا[٤] هو الأصح، وقال بعضهم: معناه الشيطان الموكل بالجن يوحي، ويعلم الشيطان الموكل بالإنس أباطيل القول في إضلال المسلمين وبالعكس، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾: ألا يكون لهم عدو، ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: إيحاء الزخارف، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: ولا تغتم أنت منهم، ﴿وَلِتَصْغَى﴾ أي: ولتميل، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى زخرف القول، ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، عطف على (غرورا) إن جعلته مفعولا له، وإلا فهو متعلق بمحذوف أي: وجعلنا لكل نبي عدوا لتصغى، أو تقديره: جعلنا ذلك لمصالح لا تحصى ولتصغى، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾: ليحبوه، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: ليكتسبوا، ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ[٥]﴾:

---

(١) ولما علم مما سبق أنهم له -صلى الله عليه وسلم- أعداء لا تزول عداوتهم أعقبه ما يسلي فؤاده، فقال: "وكذلك جعلنا" الآية/١٢وجيز.

(٢) لست منفرداً بذلك/١٢.

(٣) والبدل جمع، والمبدل مفرد دل على أن المراد الجنس وإتيانه بصورة المفرد للإشعار بأنهم كيد واحد على ما سواهم/١٢وجيز.

(٤) وهو قول جميع السلف، ويدل عليه الحديث الصحيح/١٢.

(٥) من الآثام، وهذا الترتيب في غاية الفصاحة أولا ذكر الخداع فالميل فالرضاء فالاقتراف وكل مسبب عما قبله، ولما كان من عادة قريش في المخالفات التحاكم إلى كهانهم، =

من الآثام، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أي: قل أغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم، و(حكما) حال من غير الله، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿مُفَصَّلًا﴾: بين وميز الحق والباطل، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: من اليهود والنصارى، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، لأن وصفه مذكور في كتبهم، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ في أنه من عند الله، وهذا من باب التحريض، والتهييج، قال تعالى: "وإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب" الآية [يونس:٩٤]، وقد جاءت في الحديث أنه عليه السلام قال حين نزوله: (لا أشك ولا أسأل)(*) أو المراد نهي الأمة، وقيل: معناه لا تكن من الشاكين في أنهم يعلمون ذلك، ﴿وَتَمَّتْ(١) كَلِمَةُ رَبِّكَ(٢)﴾:بلغت الغاية، وعداته وأقضيته، ﴿صِدْقًا﴾: فيما وعد،

= وهم شياطين الإنس الذين قال الله تعالى فيهم: "يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا" وطلبوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التحاكم في أمر نبوته نهى الله تعالى عن التحاكم إلى غيره فقال: "أفغير دين الله أبتغي حكما" إلخ/١٢وجيز.

(*) أخرج ابن جرير الطبري في "تفسيره" (١١/١١٦) عن قتادة رضي الله عنه. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٥٧١) ونسبه لعبد الرزاق وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه.

(١) ولما كان من أول السورة إلى هنا في بيان التوحيد والنبوة والطعن على المخالف ومن هنا إلى آخر السورة في بيان الأحكام، والقصص ناسب قوله: "وتمت كلمة ربك"/١٢وجيز

(٢) قوله: "وتمت كلمة ربك" الآية قال شيخ الإسلام: السلف وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام يقولون إن الكلام صفة ذات وفعل وهو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل حي وصف بالكلام فكلامه لابد أن يقوم بنفسه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته قال الإمام أحمد وغيره: لم يزل الله متكلما إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته، وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء كما قال تعالى: "فلما أتاها نودي يا موسى" (طه:١١) فناداه حين أتاها، ولم يناده قبل ذلك وقال تعالى: "فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم =

﴿وَعَدْلاً﴾: فيما حكم وهو إما حال أو تمييز، ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه﴾: لا راد لقضائه، ولا مغير لحكمه، ولا خلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾: لما في صدورهم، ﴿وَإِن[1] تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾: فإن أكثرهم على الضلال، ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾: الموصل إليه، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾: فإن دينهم ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون على الله، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي: بمن يضل، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ[2] بِالْمُهْتَدِينَ﴾: أعلم بالفريقين، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ[3] عَلَيْهِ﴾، أي: على ذبحه لا مما مات حتف أنفه،ولا مما ذكر عليه اسم غيره، ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضي

= أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين" فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم يناداهما قبل ذلك وكذلك قوله تعالى "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" (الأعراف:١١)، بعد أن خلق آدم وصوره ولم يأمرهم قبل ذلك وكذا قوله: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران:٥٩) فأخبر أنه قال له كن بعد أن خلقه من تراب،ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين، وعليه يدل كلام السلف قاطبة، والكتاب والسنة مملوآن منه. انتهى مختصرًا ملتقطًا/١٢.

(١) ولما قال: "وتمت كلمة ربك" علم منه أنه المستمسك وأنه العروة الوثقى فالجدير ألاَّ تدعه في شيء وفي حال ولهذا عطف عليه قوله: "وإن تطع أكثر من في الأرض" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) لما قال: "وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك" أخبر أنه أعلم بالفريقين من الضال والمهتدي، فلا تطع أحدًا إلا ربا وكلمته "فكلوا مما" الآية/١٢وجيز.

(٣) يعني لما نهيناك عن اتباع الغير فلا تأكل مما ذكر عند الذبح اسم غير الله تعالى عليه ولا مما مات حتف أنفه فإن ذلك من شرع المشركين/١٢وجيز.

استباحة ما أحله الله لا ما أحله[1] الظن، والهوى، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ : أيُّ غرضٍ لكم، ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: منه وحده وتأكلوا من غيره، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: في "حرمت عليكم الميتة" الآية (المائدة:٣)، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (ما) موصولة والاستثناء من ضمير حرم، أو (ما) مصدرية في معنى المدة أي: الأشياء التي حرمت عليكم إلا وقت الاضطرار إليها، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾: بتحليل الحرام وتحريم الحلال، ﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾: بتشهيهم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: غير متعلقين بدليل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ[2]﴾: المتجاوزين الحق إلى الباطل، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: معصية العلن والسر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ[3]﴾: يكسبون، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لـ"ما" أو للأكل، وعند بعض السلف إن ذبيحة تركت التسمية عليها عمدًا أو سهوًا حرام، والآية دليلهم وعند بعض التسمية مستحبة، وقالوا: الآية فيما ذبح لغير الله، وقيل: الواو في (وإنه لفسق) حالية، والفسق: ما أهل لغير الله بدليل قوله: "أو فسقا أهل لغير الله به" ، وقال بعض منهم المراد من الآية الميتة، وعند كثير من السلف: إن ترك التسمية نسيانًا لا يضر[4] أما عمدا، فالذبيحة حرام، ﴿وَإِنَّ

---

(١) فإنهم اعترضوا على الدين بأن ما قتله الإنسان والصقر والكلب يحكم بحله، وما قتله الله تعالى من الميتة من ذوات الأربع لا يحلله/١٢وجيز.

(٢) ولما عتب عليهم في التجاوز عما ذكر اسم الله عليه وهذا من أمور قد يظهر وقد لا يظهر عقبه بقوله: "وذروا ظاهر الإثم" الآية/١٢وجيز.

(٣) وكان من عادة المشركين في الزنا أنهم يدخلون بيتا مظلمًا مغلقين أبوابه، مستترين بمثل لحاف قائلين: لا يرانا رب السماء/١٢وجيز.

(٤) وهو المشهور عن مالك، وعليه أبو حنيفة، وأحمد وقيل: عليه الإجماع وعند بعض أن الرجوع هنا إلى الآية التي هي حرمت عليكم الميتة كما مر في قوله: "وقد فصل لكم ما

=

﴿الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يوسوسون، **﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾**: من الكفار، **﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾**: يقولون تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك، والصقر والكلب حلال، وما قتله الله حرام، وهو يؤيد التأويل بالميتة، **﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾**: في استحلال ما حرم، **﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾**: فإن اتباع غير الله في الدين إشراك وكفر.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا ٱلَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ

= حرم عليكم" دال على أن الحرام ما أهل لغير الله لا ما لم يذكر فيه اسم الله وقوله: "أو فسقًا أهل لغير الله به" مشعر عليه/١٢وجيز.

رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾: بالكفر والجهل، ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: بالعلم والإيمان، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: يهتدي كيف يسلك(*) وكيف ينصرف والنور القرآن أو الإسلام، ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾: صفته، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: بقي على الضلالة لا يفارقها مجال حال من المستكن في الظرف وحاصله أنه كمن إذا وصف يقال له "في الظلمات ليس بخارج"، فـ(في الظلمات ليس بخارج) خبر مثله على سبيل الحكاية، والجملة صلة من، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما زين للمؤمنين الإيمان، ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١]﴾ قيل: الآية نزلت في حمزة وأبي جهل، أو في عمر وأبي جهل، أو في عمار بن ياسر وأبي جهل، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ أي: كما صيرنا فساق مكة أكابرها صيرنا مجرمي كل قرية رؤساءها، ومترفيها و(أكابر مجرميها) بالإضافة هي المفعول الأول والثاني (في كل قرية) أو (ليمكروا فيها) مفعولاه قيل: جاز أن يكون (أكابر) مضافًا إلى مجرميها مفعوله الأول، و(ليمكروا) مفعوله الثاني، ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾: بصد الناس عن الهدى، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: فإن وباله يحيط بهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ذلك، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: دالة على صدق محمد -عليه الصلاة والسلام، ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ أي:

(*) في الأصل: يسالك، وما ذكرناه هو المناسب لاسيما أن العبارة في تفسير ابن كثير ١٧٣/٢: (أي يهتدى كيف يسلك وكيف يتصرف به ...).

(١) ولما مر أن لكل نبي عدوًّا وهم شياطين الإنس والجن وقد قر في الأذهان أن عدو عظيم القدر لا يكون إلا عظيمًا مثله ليحكي عنه مكره من فعله، وقوله وعلم أن هذا ليس خاصًّا بنبينا -صلى الله عليه وسلم، بل لكل نبي عدوًّا أراد أن يبين أن لكل قرية حال كحال قرية نبينا أم القرى، فقال (وكذلك جعلنا في كل قرية)/الآية١٢وجيز.

حتى تأتينا الملائكة بتصديقك كما يأتي إلى الرسل، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾: استئناف يرد عليهم أنهم ليسوا بأهل الوحي والرسالة أي: أعلم بالمكان الذي فيه يضعها، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا[1] صَغَارٌ﴾: ذل وحقارة، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: يوم القيامة، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ[2]﴾: بسبب مكرهم، ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾: يوسع قلبه، ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾: للتوحيد وفي الحديث[3] تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآيات قالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: "نور يُقذف به في القلب" قالوا: هل لذلك من أمارة؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله"، ﴿وَمَن يُرِدْ﴾: الله، ﴿أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: فلا يبقى فيه منفذ للخير، ومكان حرج أي: ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾: أي: مثله في امتناع قبول الإيمان مثل صعود السماء، فإنه ممتنع غير مستطاع أو معناه كأنما يتصاعد إلى السماء هربًا من الإيمان، وتباعدًا عنه، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما ضيق الله صدره، ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾: يسلط الشيطان أو العذاب، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عليهم لعدم إيمانهم، ﴿وَهَذَا﴾: الذي أنت عليه يا محمد، ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾: الطريق الذي ارتضاه، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج فيه حال، وعامله معنى الإشارة، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

---

(١) من الأكابر والأصاغر/١٢.

(٢) ولما ذكر أنه لا يصطفى إلا من يصلح للاصطفاء، ولا يطرد إلا من يليق بالطرد بين وعين حال المصطفى، والمطرود، فقال: "فمن يرد الله" الآية/١٢وجيز.

(٣) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢وجيز، وقد روى بطرق يقوي بعضها بعضا، والمتصل يقوي المرسل، فالمصير إلى هذا التفسير النبوي متعين/١٢فتح [أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (٨/٢٠) من حديث ابن مسعود -رضى الله عنه- والحديث ضعفه الشيخ الألبانى فى "الضعيفة" (ح٩٦٥) وقد أطال الكلام عليه فراجعه].

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: لهم فهم ووعي، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ﴾: الجنة؛ لأن فيه سلامة عن الآفات أو السلام من أسماء الله، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه أو يوم القيامة، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: ناصرهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]: بسبب أعمالهم، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: اذكر يوم نحشر الثقلين قائلين: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ أي: الشياطين، ﴿قَدِ

---

(١) اعلم أنه تعالى لما بين عظيم نعمه في الصراط المستقيم وبين تعالى أنه معد مهيئ لمن يكون من المذكورين بين الفائدة الشريفة التي تحصل من التمسك بذلك الصراط المستقيم فقال: "لهم دار السلام عند ربهم"، وفي هذه الآية تشريفات النوع الأول. قوله: "لهم دار السلام"، وهذا يوجب الحصر فمعناه لهم دار السلام لا لغيرهم. النوع الثاني قوله: "عند ربهم" يشعر بأن ذلك الأمر المدخر موصوف بالقرب من الله تعالى. النوع الثالث: من التشريفات المذكورة في هذه الآية قوله: "وهو وليهم" والولي معناه القريب فقوله: "عند ربهم" يدل على قربهم من الله، وقوله (وهو وليهم) يدل على قرب الله منهم، ولا نرى في العقل درجة للعبد أعلى من هذه الدرجة، وأيضًا فقوله: "وهو وليهم" يفيد الحصر" أي: لا ولي لهم إلا هو، وكيف وهذا التشريف إنما حصل على التوحيد المذكور في قوله: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا" فهؤلاء الأقوام قد عرفوا من هذه الآية أن المقدر والمدبر ليس إلا هو وأن المسعد والمشقى ليس إلا هو وأنه لا مبدئ الكائنات والممكنات إلا هو فلما عرفوا هذا انقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم إلا إليه، وما كان توكلهم إلا عليه، وما كان أنسهم إلا به وما كان خضوعهم إلا له، فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال تعالى: "وهو وليهم" وهذا إخبار بأنه تعالى متكفل بجميع مصالحهم في الدين، والدنيا ويدخل فيها الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة وإيصال الخيرات، ودفع الآفات والبليات، ثم قال: "بما كانوا يعملون" وإنما ذكر ذلك لئلا ينقطع المرء من العمل فإن العمل لابد منه/١٢ مفاتيح الغيب المشهور بالكبير للإمام الرازي.

اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ أي: من إغوائهم[1] أي: أضللتم كثيرًا، **﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾**: محبوهم ومطيعوهم، **﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾**: مجيبين لله عن ذلك، **﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾**: بعضهم مطاع وبعضهم مطيع، أو كان في الجاهلية إذا نزلوا مفازة قالوا: أعوذ بكبير هذا الوادي، فيفتخر كبير الجن بتعوذ الإنس بهم، ويقولون: نحن سيد الإنس والجن، وهذا هو الاستمتاع، **﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾** أي: القيامة والبعث، وهذا اعتراف بطاعة الشيطان وتكذيب البعث، وتحسر على حالهم، **﴿قَالَ﴾**: الله، **﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾**: مترلكم، **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾**، حال، والعامل معنى الإضافة، **﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾** أي: هم مخلدون[2] جميع الأوقات إلا مدة حياقم في الدنيا والبرزخ أو المراد الانتقال من النار إلى أنواع أُخر من العذاب كالزمهرير، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه[3] لا يترلهم جنة ولا نارًا، **﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾**: في أفعاله، **﴿عَلِيمٌ﴾**: بأعمال خلقه.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض، **﴿نُوَلِّي[4] بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**: نسلط بعضهم على بعض، كما ورد

---

(١) ففيه حذف مضاف كذا قدره ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن/١٢منه.

(٢) قال ابن عباس، ونعم ما قال: الله أعلم بثنياه وكذا قال قتادة وغيره اعترفوا بالعجز عن الفهم والتعيين وأحالوا العلم إلى الله في الاستثناء وعندي أن القول ما قالت حذام/١٢وجيز.

(٣) وعلى هذا النقل يكون ما بمعنى من/١٢منه.

(٤) أي: نسلط بعضهم على بعض جزاء على ظلمهم، ولهذا دلت الآية على أن الرعية إذا كانت ظالمة فانه يسلط عليهم ظالمًا مثلهم/١٢وجيز.

"من أعان ظالمًا سلطه الله عليه(*)" أو نتبع بعضهم بعضًا في النار أو نكل بعضهم إلى بعض فيغويهم أو نجعل الكافر ولي الكافر أينما كان.

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ

(*) ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" (٢٣٨٠) وقال في "المقاصد": رواه ابن عساكر في "تاريخه" عن ابن مسعود رفعه، وفيه ابن زكريا العدوي متهم بالوضع.

إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ ﴾

﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ**[1] **مِّنكُمْ**﴾ هو الله سبحانه يقرع الكافرين يوم القيامة بهذا السؤال وهو استفهام تقرير، والأصح بل الصحيح أن الرسل من الإنس والجن تبع لهم قالوا نظيره "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان"[الرحمن:٢٢] وهما لا يخرجان من العذب كما سنذكر إن شاء الله تعالى، ﴿**يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾: يوم القيامة، ﴿**قَالُوا**﴾: جوابا، ﴿**شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا**﴾: أنهم قد بلغوا ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم قال تعالى: ﴿**وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾: فأعرضوا عن رسلنا و لم يرفعوا إليهم رأسا، ﴿**وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ**﴾: يوم القيامة، ﴿**أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾: في الدنيا، ﴿**ذَلِكَ**﴾: أي: إرسال الرسل، ﴿**أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ**﴾ خبر ذلك، وأن إما مصدرية أو مخففة، واللام محذوف أي: لأن، أو تقديره الأمر ذلك لأن لم يكن إلخ، ﴿**مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**[2]﴾: أي: لانتفاء كون ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلمهم وأهلها غافلون

(١) قيل لرسل الإنس رسل إلى الجن منهم لإنذارهم فهو المراد/١٢وجيز.

(٢) وحاصله أنه لا يهلككم بدون التنبيه فإنه ظلم، والله تعالى ليس بظلام للعبيد، وليس في هذا اعتزال، فإن الظلم لغة واصطلاحًا: وضع الشيء في غير موضعه/١٢.

لم ينبهوا برسول كما قال تعالى: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"[الإسراء:١٥] أو (بظلم) حال من (ربك)، وحاصله أنه لا يهلكهم دون التنبيه بالرسل والآيات فإنه ظلم والله غير ظلام للعبيد، **﴿وَلِكُلٍّ﴾**: من المكلفين، **﴿دَرَجَاتٌ﴾**: مراتب، **﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾**: من أعمالهم، **﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾**: فيخفى عليه خافية. **﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾**: عن خلقه من جميع الجهات، **﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾**: بهم فلا يعجل بالعقوبة، **﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾**: إذا عصيتم، **﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾**: قومًا آخرين يعملون بطاعته، **﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾** أي: هو قادر على ذلك كما أذهب القرن الأول وأتى بالذي بعده، **﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾**: من أمر المعاد، **﴿لَآتٍ﴾**: كائن البتة، **﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾**: الله في قدرته، **﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى[1] مَكَانَتِكُمْ﴾**: على تمكنكم من أمركم أو على جهتكم، وحالكم التي أنتم عليها، **﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾**: على ما أنا عليه أي: اثبتوا على الكفر فإني ثابت على الإسلام، وهو أمر تهديد شديد، **﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾** أي: سوف تعلمون أينا له العاقبة المحمودة، والجنة أو المراد من عاقبة الدار أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، و(من) استفهامية مبتدأ خبره تكون، وفعل العلم علق عنها أو موصولة فهو مفعول (تعلمون) على أنه متعد إلى مفعول واحد بمعنى يعرفون، **﴿إِنَّهُ﴾**: إن الشأن، **﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ[2]﴾**: لا يسعد من كفر، **﴿وَجَعَلُوا﴾** أي: مشركو العرب، **﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾**: خلق، **﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ**

---

(١) مصدر مكن فالميم أصلية أو من الكون يعني على تمكنكم من الأمر/١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر للمشركين عبادة الأصنام أثبت لهم نوعًا آخر من جهالاتهم ما دل على قلة عقلهم مما يتعجب منه من له أدنى تدبر فقال: "وجعلوا" إلخ/١٢وجيز.

﴿يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾[1]: كانوا يجعلون من أموالهم نصيبًا لله ومصرفه الضيفان، ونصيبًا لآلهتهم ومصرفه خدم أصنامهم فإن سقط شيء من الثمر مثلا من نصيب الوثن فيما سمى للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن وإن هلك أو انتقص منه شيء أخذوا بدله مما جعلوا لله، وإن سقط شيء من نصيب الله في نصيب الأوثان خلوه أو مات شيء منه لم يبالوا به، وقالوا: الله غني، وهذا معنى قوله: "فما كان لشركائهم" الآية، وفي قوله: "مما ذرأ" إشارة إلى جهلهم بأنهم أشركوا الخالق في خلقه جمادًا، ثم جعلوا له النصيب الأوفر، وقوله: "بزعمهم" إشارة إلى أن هذا مخترعهم ليس من أمر الله، ولا يصل إليه، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2]: حكمهم هذا، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل هذا الفعل القبيح، ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾، فإن الشياطين وهم

---

(١) ونظير هذا في زماننا جعل كثير من عابدي القبور قسطا من أموالهم نذرًا للموتى ويحتاطون فيه مالا يحتاطون في حق الله تعالى ويهتمون فيه ما لا يهتمون في قسط الله المفروض كما يجعلون شيئًا من الزرع، ويعينونه بأسمائهم بأن هذا نذر فلان وقسطه، ويقلدون بعض أنعامهم، ويشتهرونه بأسمائهم، ويصرفون على سدنة قبورهم ومجاوريهم وينحرونها على قبورهم فهذا بعينه الذي كان يفعله المشركون الذين حكى الله تعالى عنهم "وجعلوا لله مما ذرأ" الآية "ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون" (النحل:٥٦)، فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين، حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقدوه إلا في الله تعالى هكذا قال السيد الأمير اليماني صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام في كتابه "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"/١٢.

(٢) والمقصود من حكاية أمثال هذه المذاهب الفاسدة أن يعرف الناس قلة عقول القائلين بهذه المذاهب وأن يصير ذلك سببًا لتحقيرهم في أعين العقلاء وألاَّ يلتفت إلى كلامهم أحد البتة/١٢ كبير.

آلهتهم أمروهم وزينوا لهم وأد أولادهم،ومن قرأ زين بالمجهول ورفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء على إضافة القتل إليها، والفصل بينهما يدل على أن هذا الفصل جائز فصيح، والمطعون من طعن فيه، ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: ليدخلوا الشك في دينهم، فكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلبس الشيطان، وقيل: دينهم الذي يجب أن يكونوا عليه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المشركون ما زين لهم، أو الشركاء التزيين، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: ما يختلقون من الكذب على الله، ﴿وَقَالُوا هَذِهِ﴾: إشارة إلى ما جعل للآلهة، ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ[1]﴾: حرام، ﴿لا يَطْعَمُهَا إلا مَن نَّشَاءُ﴾: من رجال خدم الأوثان، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: لا حرمة من الله، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: كالسائبة والبحيرة والحام، ﴿وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله، أو لا يحجون على ظهورها، والمعنى أنهم قسموا أنعامهم، فقالوا: هذه حجر، وهذه محرمة الظهور، وهذه لا يذكر عليها اسم الله ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾، نصبه على أن قالوا بمعنى افتروا أو حال أي: مفترين أو مفعول له، ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: بسبب افترائهم، ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعَامِ﴾ أي: أجنة البحائر والسوائب، ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾: نسائنا خاصة للذكور دون الإناث إن ولد حيًا، ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ﴾: الذكور والإناث، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، وتأنيث خالصة، وتذكير محرم لمعنى ما فإنه الأجنة ولفظه أو التاء للمبالغة، ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾: الله، ﴿وَصْفَهُمْ﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله قيل: تقديره على وصفهم، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في فعله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال خلقه، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ﴾:

---

(١) الحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح أو الطحن/١٢منه. يستوى فيه الواحد والكثير/١٢وجيز.

بناتهم[1] بالوأد، ﴿سَفَهًا﴾: للسفه أو سفهاء، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين، ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: من البحائر ونحوها، ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾: يحتمل المصدر، والحال والمفعول له، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

﴿وَهُوَ[2] الَّذِي أَنْشَأَ﴾: أبدع، ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين من الكروم، ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾:

---

(١) بالوأد فإنهم قالوا: البنات تأكل رزقنا، ولا تنفعنا فإثبات الخسران لهم في غاية الحسن، فإنه ضد ما قصدوه/١٢.

(٢) ولما أخبر عنهم أنهم حرموا من حرثهم وأنعامهم أخذ يمتن عليهم بهذين أي: الثمار والأنعام ويعيرهم بفعلهم، ويبين لهم طريق التصرف، فقال: "وهو الذي أنشأ جنات معروشات" الآية/١٢وجيز.

مرفوعات على ما يحملها، ﴿وغير معروشات[1]﴾ قيل: الأول ما غرسه الناس، والثاني ما نبت في البراري، ﴿والنخل والزرع مختلفا أكله﴾ أي: أكل كل واحد منهما يعني ثمره في الكيفية، والهيئة و(مختلفا) حال مقدرة، لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك، ﴿والزيتون والرمان متشابها﴾: في المنظر، ﴿وغير متشابه﴾: في الطعم قيل: بعض أفرادهما يتشابه في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها، ﴿كلوا من ثمره﴾: ثمر كل واحد، ﴿إذا أثمر﴾: وإن لم ينضج، ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾: هذا شيء كان واجبا قبل وجوب[2] الزكاة، وعن بعض السلف أنه[3] الزكاة قيل فيه دليل على رخصة الأكل قبل أداء الزكاة، ﴿ولا تسرفوا﴾: في التصدق أو في الأكل والتصدق أو في البخل فلا تعطوا حق الله، ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾: لا يرتضي فعلهم، ﴿ومن الأنعام﴾ عطف على جنات أي: أنشأ من الأنعام، ﴿حمولة﴾: ما يحمل الأثقال، ﴿وفرشا﴾: ما يفرش المنسوج من شعره أو الصغار منها ولدنوها من الأرض كأنها فرش أو ما يفرش للذبح، ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾: من الثمار، والزروع، والأنعام، ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾: طرائقه وأوامره كما اتبعها المشركون افتراء على الله، ﴿إنه لكم عدو مبين﴾: ظاهر العداوة، ﴿ثمانية أزواج﴾: بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا أو الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه، ﴿من الضأن﴾: زوجين، ﴿اثنين﴾: الكبش والنعجة، وهو بدل من ثمانية إن جوزنا البدل من البدل، وإلا فمن

---

(١) فيه أن العنب هو رأس الفواكه من شجرة البساتين/١٢وجيز.

(٢) من قال: إن الآية مكية لابد له أن يقول إن الواجب غير الزكاة، ومن قال: إن الآية مدنية، فعنده الواجب الزكاة فإنها فرضت في المدينة/١٢منه.

(٣) وعلى هذا ظاهر القرآن ما عليه مالك: إن في كل حب وثمرة زكاة واشترط أن يكون خمس أوسق، وفيه رخصة الأكل قبل أداء الزكاة والحصاد/١٢وجيز.

الضأن بدل من الأنعام واثنين من حمولة وفرشا، ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: التيس،والعتر، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿آلذَّكَرَيْنِ[1]﴾: من الضأن والمعز، ﴿حَرَّمَ﴾: الله عليكم أيها المشركون، ﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾: منهما، ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ[2]﴾ أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى كما قالوا "ما في بطون هذه الأنعام خالصة" الآية (الأنعام:١٣٩)، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾: دليل على حرمته، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: في دعوى التحريم، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ بل أكنتم حاضرين: ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾: حين وصاكم بتحريم بعض وتحليله وهذا من باب التهكم، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: متلبسا بغير دليل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وأول من دخل في هذه الآية عمرو بن لحي فإنه أول من غير دين إسماعيل.

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا

---

(١) المعنى إنكار أن الله حرم من الأجناس الأربعة ذكرًا أو أنثى أو ما يحمل إناثها ردًّا عليهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها/١٢منه.

(٢) والمقصود إنكار الفعل لكنها ورد في صورة إنكار المفعول ليطابق ما ادعوا من التفصيل والترديد، فيكون إنكار الفعل بطريق برهاني؛ لأن الفعل لابد له من متعلق فإذا انتفى جميع متعلقاته على التفصيل لزم انتفاء الفعل/١٢منه.

حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ ﴾

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: طعامًا، **﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾**: يعني أن التحليل والتحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى، ولا يعلم بالوحي أن شيئًا من الطعام حرام في وقت، **﴿إِلا﴾**: في وقت، **﴿أَنْ يَكُونَ﴾**: الطعام، **﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا[1]﴾**: مصبوبًا سائلا لا كالكبد والطحال، ومن قرأ برفع ميتة فعنده كان تامة

(١) وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فإن ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال، فإنهما حلال؛ لأنهما دمان جامدان وقد ورد الحديث بإباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل قال عمران بن جدير: سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيه حمرة الدم، فقال: لا بأس بذلك إنما نهي عن الدم المسفوح، وقال إبراهيم النخعي: لا بأس بالدم في عرق أو مخ إلا المسفوح، وقال عكرمة: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود، هذا ما في كتاب التأويل المعروف بالخازن وكذا في المعالم/١٢.

و(دمًا) عطف على أن يكون أي: إلا وجود ميتة، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ﴾: لحمه أو الخنزير، ﴿رِجْسٌ﴾: حرام، ﴿أَوْ فِسْقًا[1]﴾ عطف على لحم خنزير ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ صفة له موضحة، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: إلى كل شيء من ذلك، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: على مضطر مثله، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: قدر الضرورة وقد مر معناهما في البقرة، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[2]﴾: لا يؤاخذه، والآية دالة على أن ما أوحي في حرمته إلى تلك الغاية هو ذلك، وهذا لا ينافي التحريم في أشياء أخر بعد هذا، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ

---

(١) سمي فسقًا لتوغله في باب الفسق كما يقال: فلان كرم وجود إذا كان كاملا فيهما فإن أجل العبادات المالية إراقة الدم تقربًا إلى الله، قد جمع الله بينها وبين الصلاة في قوله: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" (الأنعام:١٦٢)، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه وفي قوله: "فصل لربك وانحر" (الكوثر:٢)، فكما أن الصلاة أعظم العبادات البدنية وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية كذلك النحر من أجل العبادات المالية وما يجتمع له في نحره من إيثار لله وحسن الظن به، وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد امتثل النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر ربه، فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر بيده ثلاثا وستين بدنة وكان ينحر في الأعياد وغيرها وفي قوله تعالى: "فصل لربك وانحر" لطيفة دالة على أن ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبده، وتنحر له وفي إن شانئك هو الأبتر، تعريض بحال الأبتر الشانئ الذي صلاته ونسكه لغير الله كما في الحديث "ملعون من ذبح لغير الله" هذا ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره لسورة الكوثر وقد مر هذا البحث في البقرة، والمائدة فتذكر/١٢.

(٢) ولما ذكر أن التحريم ليس إلا من الله تعالى، وبين خطأ قريش كأن قائلا قال: أليس تحريم بعض الأشياء من قبل إسرائيل كما قالت اليهود كذبهم الله تعالى فقال: "وعلى الذين هادوا حرمنا" الآية/١٢وجيز.

﴿ذِي ظُفُرٍ﴾ أي: حرمنا على اليهود ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والبط، أو كل ذي حافر، وقيل: كل ذي مخلب من الطير، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ أي: حرمنا جميع شحومهما، ﴿إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: ما علق بالظهر من الشحوم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: ما اشتمل على الأمعاء، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ أي: ما اختلط من الشحوم بالعظام فإنه حلال و أو هاهنا كأو في قولهم جالس[1] الحسن أو ابن سيرين، وما بقى على الحرمة الثروب[2] وشحوم الكلى، ﴿ذَلِكَ﴾: التحريم والتضييق، ﴿جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم ومخالفتهم أوامرنا، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: فيما أخبرنا من تحريمنا ذلك عليهم كما زعموا أن إسرائيل حرمه، ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: فيمهلكم، ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه إذا نزل، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: فلا تغتروا[3] بالإمهال.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ[4] أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: خلاف ذلك، ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾: فإن ما لم يشأ لم يكن، وما شاء فهو مرضي مأمور به فأرادوا بذلك أن ما هم عليه مرضى عند الله مأمور به، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: بهذه الشبهة الداحضة كذب الأمم السالفة أنبياءهم، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: فعلموا

---

(١) فإنه للإباحة، وهو أبلغ من الواو فإنه يدل على التساوي في الحكم كأنه قال كل من الثلاثة مستقل بحكم الحلية/١٢وجيز.

(٢) الثروب جمع الترب ومعناه الشحم الرقيق الذي على الكرش والأمعاء/١٢.

(٣) فبيت الظالم خراب، ولو بعد حين، والقوم المجرمون عام ومنهم المكذب/١٢وجيز.

(٤) ولما بطل احتجاج المشركين في تحريم ما زعموا حرمته وثبت الرد عليهم عدلوا إلى أمر حق مغالطة، وإلحاد أو علم الله تعالى ذلك قبل وقوعه فأخبر به وردهم وقال: "سيقول الذين" الآية/١٢.

أهم على دين مبغوض غير مرضي أراد الله لهم خزيهم وسوء شكيمتهم[1]، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: يدل على رضى الله عنكم فيما أنتم عليه، ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: تظهروه لنا، ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾: في ذلك لا العلم، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ[2]﴾: تكذبون على الله فإنه منع الشرك، وغضب على المشركين مع أنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء لا يزاحمه أحد تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التي بلغت غاية المتانة وهي الكتاب والرسول والبيان، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لكن شاء هداية قوم، وضلال آخرين، والمعنى وإذ قد ظهر ألاّ حجة لكم فلله الحجة لكن لا يهدي الله الكل إليها لعدم مشيئته، وله في ذلك حكم، ومصالح لا يهتدي إليها إلا من هداه الله، ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾: أحضروهم، اسم فعل متعد ويكون لازمًا، ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: وهم قدوتهم ليلزمهم الحجة، ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾: عنادًا، ﴿فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: لا تصدقهم فيه وبين فسادهم، ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: لا تتبعهم فإنهم يكذبون بآياتنا، ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: كعبدة الأوثان، ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلا سبحانه!

---

(١) والشكيمة الأنفة، ومن اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس يقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان أنفا أبيا، في مَثَل: ذو شكيمة لا ينقاد/١٢صراح.

(٢) فالحاصل أنهم اعتقدوا عدم التفرقة بين المأمور المرضي والمشيئة كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا على حقية الإشراك، وينادي على ذلك قوله: "كذلك كذب" فإنه لو كان المراد أن ذلك بمشيئة الله تعالى لقال: "كذلك كذب"بالتخفيف لا بالتشديد، وهذه الآية عند من له أذن واعية تصيح على المعتزلة بالويل والثبور لكن في آذانهم وقر، ومن لم يهده الله فلا هادي له/١٢وجيز.

﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾: أقرأ، **﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾**: حقا لا ظنًا ولاتخرصًا متعلق بـ(حرم) أو (اتل)، **﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ﴾**: (أن) مفسرة يعني أي: لاتشركوا، ولا للنهي، **﴿شَيْئًا﴾**، مصدر أو مفعول به، **﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** أي: أحسنوا بهم، وضع أحسنوا موضع ألا تسيئوا للدلالة على أن عدم الإساءة في شأنهما غير كاف، **﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ﴾**: من أجل فقر، **﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾**، بدل من الفواحش أي: العلانية والسر فإن المشركين لا يستقبحون الزنا سرًا، **﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾**: بجهة من الجهات، **﴿إِلا بِالْحَقِّ﴾**: القود، والارتداد والرجم، **﴿ذَلِكُمْ﴾** إشارة إلى المذكور، **﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾**: بحفظه، **﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**: عنه أمره ونهيه أو ترشدون، **﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** أي: إلا بطريقة هي أحسن الطرق كحفظه

وتثميره، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: حتى يصير بالغًا فادفعوا إليه جمع شده[1]، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل أي: لا تبخسوهما، ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾: إلا ما يسعها ولا تعجز عنه فإن أخطأ بعد بذل جهده فلا حرج، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾: تكلمتم في شيء، ﴿فَاعْدِلُوا﴾: في القول لا تجوروا فيه، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: المقول له أو عليه، ﴿ذَا قُرْبَى﴾: من قرابتكم، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: وبوصيته أوفوا فاعملوا بكتابه لا تنكثوه، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[2]﴾: تتعظون به، ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ إشارة إلى ما في الآيتين، وقيل إلى ما في السورة، ﴿صِرَاطِي﴾: ديني، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج فيه، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: عطف على لا تشركوا "وأن هذا صراطي"إلخ علة الاتباع أي: لأن (هذا) إلخ، والجمع بين حرفي العطف الواو والفاء عند تقديم المعمول فصلا بينهما شائع، وربك فكبر، وقيل عطف على لعلكم تذكرون أي وصاكم به لأن هذا ديني المستقيم، ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ الباء للتعدية، ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾: الذي هو اتباع الحق، ﴿ذَلِكُمْ﴾: الاتباع، ﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[3]﴾: الضلال، ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى

---

(١) وقيل جمع لا واحد له من لفظه، وقيل مفرد لا جمع له/١٢وجيز.

(٢) لما كانت الخمسة المذكورة أولا من الأمور الظاهرة ختمت بقوله: "لعلكم تعقلون" وهذه الأربعة خفية لابد فيها من الاجتهاد والذكر المكرر ختمت بقوله: "لعلكم تذكرون"/١٢وجيز.

(٣) أخرج أحمد وابن حميد وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود قال: خط رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خطا بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيما" ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: "وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية، وقال ابن مسعود: من سره أن ينظر إلى =

﴿الْكِتَابَ﴾، عطف على ذلكم وصاكم وثم[1] للتراخي للإخبار، **﴿تَمَامًا﴾**: كاملا جامعًا لما يحتاج إليه، **﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾** أي: جزاء على إحسانه في الطاعة وتبليغ الرسالة أو تمامًا بمعنى كرامة، ونعمة أي: حال كون الكتاب نعمة على من أحسن القيام به أي: على المحسنين أو معنى تمامًا زيادة أي: حال كون الكتاب زيادة على ما أحسنه من العلم أي: على علمه، **﴿وَتَفْصِيلًا﴾**: بيانا مفصلا، **﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**: يحتاج إليه عطف على تماما، فهو حال، وقيل نصبهما بالعلية أو بالمصدر، **﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾**: بني إسرائيل، **﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾**: لكي يؤمنوا بالبعث.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

= الصحيفة التي عليها خاتم محمد -صلى الله عليه وسلم- فليقرأ هؤلاء الآيات. أخرجه الترمذي وحسنه/١٢فتح.

(١) لأن الإيتاء قبله بدهر طويل كأنه قال هذه وصية قديمة بلسان الأنبياء جددناها/١٢ وجيز.

كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿**وَهَذَا**﴾ أي: القرآن، ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ**﴾: كثير النفع، ﴿**فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا**﴾: مخالفته، ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾: بواسطة العمل به، ﴿**أَن تَقُولُوا**﴾ : علة لأنزلناه أي: كراهة أن تقولوا، ﴿**إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ**[1]﴾: اليهود، والنصارى، ﴿**مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا**﴾ أي: وإنه كنا، ﴿**عَنْ دِرَاسَتِهِمْ**﴾: قراءهم ﴿**لَغَافِلِينَ**﴾: ما نفهم ما يقولون فإنه ليس بلساننا، ﴿**أَوْ تَقُولُوا**﴾، عطف على ما تقولوا، ﴿**لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ**[2] **مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ أي: إن صدقتم[3] فيما

---

(١) وتخصيص الإنزال بكتابيهما لأنهما اللذان اشتهرا من بين الكتب السماوية بالاشتمال على أحكام، وفيه دليل على أن المجوس ليسوا بأهل الكتاب إذ لو كانوا منهم لكانوا ثلاث طوائف قاله ابن الكمال/١٢فتح.

(٢) فهذا كتابكم بلسانكم/١٢وجيز.

(٣) دلت الفاء الفصيحة على حذف الشرط نحو "فقد جئنا خراسانا"/١٢منه.

قلتم فقد جاءتكم حجة واضحة فيها بيان الحلال والحرام، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: لمن عمل به، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بعد ما تمكن من معرفته، ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أعرض أو صد الناس عنها، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بسبب إعراضهم أو صدهم، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: أهل مكة أي: ما ينتظرون، ﴿إِلا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم، وهم إن كانوا غير منتظرين لذلك لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ[1] رَبُّكَ﴾: المراد يوم القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: كطلوع الشمس من

---

(١) وزاد المصنف في الوجيز لفصل القضاء بين خلقه وإتيانه تعالى نؤمن به ولا نعرف كيفه انتهى.

أقول كيف لا يؤمن بإتيانه ومجيئه تعالى يوم القيامة، وقد جاء في القرآن في عدة مواضع "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام" (البقرة:٢٠٩)، "وجاء ربك والملك صفا صفا" (الفجر:٢٢)، "إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك" (النحل:٣٣)، وأي أمر أصرح منه في القرآن، وروى الطبري في تفسيره على ما نقله عنه الخازن بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيه محفوفا" وذلك قوله: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر" (البقرة:٢١٠)، قال عكرمة: والملائكة حوله انتهى، فهذا من صفات الله تعالى يجب علينا الإيمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت وإن لم نعرف كيفيتها، وعدم علمنا بكيفيتها بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته فلا نكذب بما علمناه لعدم علمنا بما لم نعلمه وهذا هو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة وأنشد بعضهم في المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته	ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها	وأخبارها للظاهر المتقارب
ونركب للتسليم سفنا فإنها	لتسليم دين المرء خير المراكب

المغرب، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَات رِبِّكَ﴾: التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة نفسا، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾: عطف على آمنت أي: لا ينفع الكافر إيمانه في ذلك الحيز ولا الفاسق الذي ما كسب خيرًا في إيمانه توبته، فحاصله أنه من باب اللف التقديري أي: لا ينفع نفسًا إيمانها ولا كسبها في الإيمان إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه أي: لا ينفعهم تلهفهم على ترك الإيمان بالكتاب، ولا على ترك العمل[1] بما فيه، ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾: إتيان أحد هذه الثلاث، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: له، وعيد شديد ﴿إِنَّ[2] الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: اليهود والنصارى أخذوا بعض ما أمروا وتركوا بعضه، أو أهل الشبهات والبدع من هذه الأمة، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فرقًا بعضهم يكفر بعضًا، وقد ورد "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة"، ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: لست من عقابهم في شيء، ومن قال: إنه نهي عن التعرض لهم، فعنده الآية منسوخة وإذا كان المراد هذه الأمة فيحتمل أن يكون معناه أنت بريء منهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ[3]﴾: بالعقاب، ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: عشر

---

(١) وعلى ما قررنا لا يتم استدلال المعتزلة بالآية على أن مجرد الإيمان بدون أن يكون فيه كسب خير ليس بنافع، ويوافق على ما قلنا الآيات والأحاديث الشاهدة بأن مجرد الإيمان ينفع ويورث النجاة من النار، ولو بعد حين ويلائم مقصود الآية/حيث وردت تحسراً لمن أخلف ما وعد من الرسوخ في الهداية عند إنزال الكتب حيث كذبوا به وصدفوا عنه/١٢منه.

(٢) ولما ذكر أن الإيمان يوم ظهور بعض آيات القيامة من غير سبق الإيمان عليه غير نافع توجه القلب إلى أن إيمان أهل الكتاب الذي كانوا عليه هل هو نافع، فقال: "إن الذين فرقوا" إلخ/١٢وجيز.

(٣) ظاهر هذا الكلام مشعر بأنهم من أهل الضلال، وعاقبتهم العقاب بالعدل لا بالظلم/١٢وجيز.

حسنات أمثالها فضلا من الله، وهذا أقل ما وعد لا ينقص منه، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا﴾ أي: إلا جزاء مثلها لا يضاعف، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ[١]﴾: بنقص الثواب، وزيادة العقاب، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي﴾: بالوحي[٢]، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ أعني دينًا أو بدل من محل (صراط) إذ معناه وهداني صراطًا: ﴿قِيَمًا﴾، مصدر بمعنى القيام أي: قائمًا ثابتًا لا زوال له كرجل عدل، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، عطف بيان لدينا لما في الإضافة من زيادة التوضيح، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن غير الصواب حال عن إبراهيم فإنه بمنزلة الحال من المضاف الذي هو معمول الفعل، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: كما يقول المشركون، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾: الذبح[٣] في الحج والعمرة وقيل: عبادة كلها، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: حياتي وموتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ملك له، وهو خالقه فأنا خالص في العبادة لا أشرك أو ما أنا عليه في حياتي ومماتي من الإيمان والطاعة خالص له، ﴿لا شَرِيكَ[٤] لَهُ وَبِذَلِكَ﴾: القول والطريق، ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: من هذه الأمة، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ غير الله حال من ربًّا والهمزة للإنكار، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، حال في موقع العلة،

---

(١) أمره بالمبالغة في إعلان دينه ونبذ ما سواه/١٢.

(٢) لما بين أمر الفرق، وفصل حالهم وأظهر مآلهم ذكر فذلكة السورة ناظرا إلى ما مر من قوله: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه" فقال: "قل إنني هداني ربي" إلخ/١٢.

(٣) قال المصنف في الوجيز: ولا بأس إن قصدت العموم فإن ذبح قريش كانت باسم أصنامهم قال الله تعالى: "فصل لربك وانحر" (الكوثر:٢)/١٢وجيز. وفي التفسير الكبير وأما قوله: "ونسكي" فقيل: المراد بالنسك الذبيحة بعينها يقول "من فعل كذا فعليه نسك أي دم يهريقه" وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله: "فصل لربك وانحر"/١٢.

(٤) واحدٌ أحد فرد ليس لشيء قابلية شركه/١٢وجيز.

﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾، فإثم الجاني عليه لا على غيره، ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: لا تؤخذ نفس آثمة بإثم نفس أخرى، وهذا جواب عن دعائهم لــــه إلى عبادة آلهتهم قائلين: "اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم" (العنكبوت:١٢)، ﴿ثُمَّ إِلَـــى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فتعلموا[1] أننـــا على الحق أو أنتم، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ﴾ : يا أمة محمد، ﴿خَلائِـــفَ الأَرْضِ[2]﴾: خلفاء الأمم السالفة، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، لأنه يخلفـــه في الأرض، وقيل: يخلف بعضكم بعضا أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيـــها فالخطـــاب عـــام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: بالغنى والرزق منصوب على التمييز أو بـــدل من بعضكم أو بترع الخافض أي: بدرجات، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختـــبركم، ﴿فِـــي مَـــا آتَاكُمْ﴾: يمتحن الغني في غناه، ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صـــبره، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: بمن عصاه، وخالف رسله وكل ما هو آت قريب، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن والاه واتبع رسله.

والحمد لله حق حمده..

---

(١) فتعلموا المحق من المبطل ختم السورة بهذه الآية الآتية الدالة على أن هذه الأمة ختم الأمم ختامه مسك لا تقوم القيامة إلا عليهم، ولا نبي بعده ففيها منة وبشارة وإشارة إلى قرب القيامة، ووقت الجزاء، والعلم بالمحق والمبطل فقال: "وهو الذي"/١٢وجيز.

(٢) فإن نبيهم خاتم الأنبياء كأمته خلفت سائر الأمم ولا يجيء بعدها أمة تخلفها/١٢وجيز.

سورة الأعراف مكية إلا ثمان آيات

من قوله "فاسألهم" إلى قوله "وإذ نتقنا" وقيل إلى قوله "وأعرض عن الجاهلين" وآياتها مائتان وست.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝١٠ ﴾

﴿المص كِتَابٌ﴾[١] أي: هو كتاب أو خبر المص إن كان اسم سورة **﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾** صفته، **﴿فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾** أي: شك[١] ونهيه عنه للمبالغة،

(١) قال ابن عباس: معناه أنا الله أفضل وعنه أنه قسم أقسم الله به وهي اسم من أسماء الله، وقيل غير ذلك ولا يخفى عليك أن هذا كله قول بالظن وتفسير بالحدس ولا حجة في شيء من ذلك والحق ما قدمناه في سورة البقرة والله أعلم بمراده وهو سره في كتابه العزيز/١٢ فتح.

أو نهي لأمته أو ضيق قلب من تبليغه مخافة التكذيب[٢] ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ متعلق بأنزل أو بلا يكن فإنه إذا لم يكن ذا حرج كان أجسر على الإنذار ﴿وَذِكْرَى﴾ موعظة، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقديره: لتنذر به الكافرين ولتذكر ذكرى للمؤمنين أو عطف على محل تنذر، أو عطف على كتاب ﴿اتَّبِعُوا[٣] مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ اتبعوا أوامر الله ونواهيه، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ﴾: من دون ربكم[٤]، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من الجن والإنس فيضلوكم ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون اتعاظًا قليلاً وما مزيدة لتأكيد القلة ﴿وَكَم[٥] مِّن قَرْيَةٍ﴾ كثيرًا منها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالعذاب لمخالفة الرسل، أي: أردنا إهلاك أهلها ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ بايتين ليلا ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ عطف على بياتًا فإنه حال من القيلولة، أي: الضحى وكلا الوقتين وقت غفلة واستراحة فالعذاب فيهما أفظع ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ دعاؤهم وقولهم ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: أقروا بحقية العذاب تحسرًا ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن إجابتهم الرسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن إبلاغ[٦] الرسالة وعما أجيبوا به

---

(١) قال مجاهد وقتادة الحرج: الشك/١٢فتح.

(٢) لأن انتفاء الشك في كونه من عند الله يقويه على الإنذار ويشجعه لأن المتيقن يقدم على بصيرة ويباشر بقوة نفس وصاحب اليقين جسور متوكل على ربه/١٢فتح.

(٣) لما أمره بالإنذار والتذكير أمر أمته بالاتباع/١٢وجيز.

(٤) أي: من دون كتاب الله وسنة رسوله أولياء تقلدونهم في دينكم كما كان يفعله أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحلونه لهم ويحرمونه عليهم/١٢فتح.

(٥) ثم بين أن هذه عادة قديمة أنتم أخذتموها وراثة فانظروا عاقبتهما واتركوا متابعتها وكم من قرية/١٢وجيز.

(٦) ولا يعارض هذا قول الله سبحانه "ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون"(القصص:٧٨) لما قدمناه غير مرة أن في الآخرة مواطن ففي موطن يسألون وفي موطن لا يسألون وهكذا

=

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ على الرسل والأمم يخبر عباده بما عملوا من جليل وقليل ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بجملته ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ[1]﴾ عنهم فيخفى علينا ﴿وَالْوَزْنُ﴾ أي: للأعمال ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم السؤال ﴿الْحَقُّ[2]﴾ العدل ووزن الأعمال بتقليبها أجساما أو بوزن

= سائر ما ورد مما ظاهره التعارض بأن أثبت تارة ونفى أخرى بنفسه أنه إلى يوم القيامة فإنه محمول على تعدد المواقف مع طول ذلك اليوم طولا عظيمًا/١٢فتح.

(١) ولما قال: "فلنقصن عليهم بعلم" وهو مؤذن بجزاء الأعمال السيئة بمثلها وزاد في الحسنة تسعة أمثالها للفضل يخطر في الخواطر كيف يعلم المثلية والزيادة فقال: "والوزن"/١٢ وجيز.

(٢) يومئذ الحق مذهب الجمهور أن في القيامة ميزانًا له كفتان ولسان ومثل ذلك ليس بثابت بالنص ولا بالسنة والثقل والخفة من صفات الأجسام فقالوا الموزون الصحف أو بتقليب الأعمال أجساما والكلام الحق أن الموازين يختلف كميزان الشعر وميزان العرض والطول وكيفية ميزان الأعمال علمها عند الله تعالى لا نعلم إلا بعد الرؤية/١٢وجيز. بلفظه. قال القشيري: وقد أحسن الزجاج فيما قال ولا يحمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة. ثم قال: وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصًا انتهى. والحق أن وزن الصحائف وزن حقيقي، وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فلم يأتوا في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية وليس في ذلك حجة لأحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل، وقال كُلٌّ ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ويتحد قبولهم لها، بل كل فريق يدعى على العقل ما يطابق هواه ويوافق ما يذهب إليه هو ومن هو تابع له فتناقض عقولهم على =

صحيفة الأعمال أو صاحب الأعمال، قيل: تارة توزن الأعمال وتارة صحيفتها وتارة صاحبها جمعًا بين الأحاديث، ويومئذ خبر الوزن والحق صفته. ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع موزون أي: أعماله مطلقًا أو ميزان وجمعه على الثاني باعتبار كثرة الموزون.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون الناجون.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتضييع الفطرة السليمة. ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ[1]﴾ فينكرونها. ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ بالتمليك والتصرف والقدرة. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ[2]﴾ أسباب تعيشون بها. ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكرًا قليلا، وما مزيدة.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ

= حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف ومن أنكره فليصف فهمه وعقله من شوائب التعصب والتمذهب فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه، وقد ورد ذكر الوزن والميزان في مواضع من القرآن والأحاديث في الباب كثيرة جدًّا، وما في الكتاب والسنة يغني عن غيرهما فلا يلتفت إلى تأويل أحد أو تحريفه مع قول الله ورسوله الصادق المصدوق والصباح يغني عن المصباح/١٢فتح البيان في مقاصد القرآن.

(١) ولما تقدم الأمر باتباع القرآن وهو العمدة ووقع بعده ما هو في مورد الاعتبار والاتعاظ رجع إلى ما هو العمدة فقال مخاطبًا: "ولقد مكناكم"، والمخاطب المأمورون بقوله: "اتبعوا ما أنزل إليكم"/١٢وجيز.

(٢) معايش جمع معيشة، وهي: ما يعاش به من المطعوم والمشروب وما تكون به الحياة/١٢ فتح.

لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ
وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا
مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ
وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن
سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ
تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ
عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل
لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ
وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ
وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ خلق آدم من طين غير مصور ثم صوره نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره؛ لأنه أبو البشر، أو خلقناكم يا بني آدم ثم صورناكم في أرحام أمهاتكم أو صورناكم في ظهر آدم أو يوم الميثاق حين أخرجهم

كالذر، أو خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام[1] النساء، وعلى هـذا ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: للتراخي في الإخبار.

﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ وقد مر الكلام في أن المأمور به جميع الملك، أو ملائكة الأرضين وأن إبليس منهم، أو من الجن ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ منع بمعنى أحوج واضطر؛ لأن الممنوع عن شيء مضطر إلى خلافه، أي: ما أحوجـك إلى عدم السجدة؟ أو لا زائدة[2] مؤكدة[3] معنى الفعل الداخلة هي عليـه والسـؤال للتوبيخ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ كأنه قال: المانع أني خير منه.

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ والنار ألطف وأنور، فقاس وقصـر النظـر[4] بالعنصر، وما نظر إلى تشريف خلقه بيده ونفخ روحه فيه، وأخطأ في القياس أيضًا؛ فإن من طين الحلم والوقار والرزانة والصبر وهو محل النبات والنمو، ومن النـار الإهـلاك والطيش والسرعة والارتفاع.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء أو من مترلتك ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ مـا يستقيم ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ[5]﴾ ممن أهانه الله لكبره.

---

(١) وهذا المعنى رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين/١٢وجيز.

(٢) وقيل: الأولى إنها غير زائدة؛ لأن زيادها في صدر الكلام معهود نحو "لا أقسم" "فـلا أقسم" ولها مواقع خاصة/١٢وجيز.

(٣) بدليل قوله تعالى في سورة ص "ما منعك أن تسجد"(ص:٥٧) قاله الكسائي والفـراء والزجاج/١٢فتح البيان.

(٤) قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس. قال ابن سيرين: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالقياس/١٢معا لم.

(٥) وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار فكل من تردى برداء الاستكبار عوقب بلبـس رداء الهوان والصغار، ومن لبس لباس التواضع ألبسه الله رداء الترفع/١٢فتح.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أمهلني فلا تمتني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ[1] الْمُنظَرِينَ﴾ إلى ابتداء القيامة وهي النفخة الثانية فتموت حين موت الخلائق.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: بسبب إغوائك إياي أقسم بالله لأقعدن لهم كما يقعد القطاع للسابلة[2] طريق الإسلام والباء متعلق بأقسم المقدر؛ ولأن لام القسم مانع من تعلقه بأقعدن، ونصب صراط على الظرف، أو تقديره على صراطك ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل آخرتهم فأشككهم فيها أو دنياهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ دنياهم أزين لهم أو آخرتهم ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ قبل سيآتهم، أو المراد من أي وجه يمكن، ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مطيعين، وإنما قاله ظنًّا وقياسًا، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ معيبًا، والذأم: أشد العيب ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا، ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ لام توطئة القسم وجوابه ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهو ساد مسد جواب الشرط.

﴿وَيَا آدَمُ﴾ أي: قلنا ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وقد مر الخلاف في الشجرة ﴿فَتَكُونَا﴾ يحتمل النصب على الجواب، والجزم على العطف ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) من الطائفة التي تأخرت آجالهم مثل الملائكة فإنهم ميتون عند النفخة الثانية فلم يبق فيها أحد من ملك وغيره إلا الله هذا ما في الوجيز وفي سورة الحجر "إلى يوم الوقت المعلوم"(الحجر:٣٨) قال المصنف في المنهية هـ. الأولى أن يقال: إن يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد وتغيير الكلام للتفنن؛ لأنه قد مر في سورة الأعراف أنه قال: "أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين"(الأعراف:١٤، ١٥) فإنه يدل على الإجابة والملعون عالم بأن لا يسأل عما لا يجاب عنه/١٢.

(٢) السابلة الطريق المسلوكة والقوم المختلف عليها/١٢.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ فعل الوسوسة لأجلهما ﴿الشَّيْطَانُ﴾ والوسوسة حديث يلقيه في القلب ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما، واللام إما للعاقبة وإما للغرض، فإن اللعين يعلم أن العصيان في الجنة سبب لسلب اللباس والفضيحة ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ ما غطى عنهما وستر ﴿مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ﴾ أكل ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ يحصل لكما ما للملائكة من القوة والاستغناء عن الغذاء وغيره ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ في الجنة ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: أقسم لهما على ذلك، و"لكما" متعلق بالناصحين على حذف المفسر، أو التوسع في الظرف ﴿فَدَلاَّهُمَا﴾ خدعهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ بما غرهما به من القسم ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ وجد طعمها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ بأن تهافت عنهما لباسهما ﴿وَطَفِقَا﴾ أخذا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ﴾ أشجار ﴿الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا﴾[1] ﴿رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين، والأصح أن هذه كلمات تلقاها آدم من ربه[2] فتاب عليه

---

(١) فيه إثبات النداء لله تعالى، وأنه صفة من صفات الله تعالى أثبته لنفسه في عدة مواضع من كتابه فلابد من إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه، فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ولا استوى كان معطلا جامدًا ممثلا له بالمعدومات والجمادات، ومن قال: له علم كعلمي وقوة كقوتي أو حب كحبي أو رضا كرضائي أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي كان مشبهًا ممثلا له بالحيوانات، بل لابد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ولله المثل الأعلى كذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام في رسالته التدمرية/١٢.

(٢) يعني قوله: "فتلقى آدم من ربه كلمات" (البقرة:٣٧)، إشارة إلى هذه الكلمات/١٢.

﴿قَالَ[1]اهْبِطُوا﴾ الخطاب لآدم وحواء وإبليس والحية والعمدة في العداوة آدم وإبليس كما قال تعالى في سورة طه "اهبطا منها جميعا"(طه:١٢٣)، أو الخطاب لآدم وحواء وذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال أي: متعادين لكم ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وتمتع إلى آجال معلومة[2] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ يوم القيامة.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

---

(١) الله تعالى/١٢.

(٢) وهذا حال جميع الآباء والأولاد/١٢.

﴿يَا بَنِي[1] آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ أي: خلقنا لكم ولما كان بقضاء سماوي، وأسباب من السماء[2] قال: "وأنزلنا" وكم مثله في القرآن ﴿لِبَاسًا يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْءَاتِكُمْ[3]﴾ فأغناكم عن خصف الورق ﴿وَرِيشًا[4]﴾ مالا أو ما يتجمل[5] به من الثياب، أو جمالا ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ خشية الله أو الإيمان أو العمل الصالح، أو العفاف، أو هو اللباس الأول يعني لباسًا يواري عوراتكم، أو لباس الحرب وهو مبتدأ ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ خبره ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلق اللباس ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون فيتورعون عن كشف العورة.

﴿يَا بَنِي[6] آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لا يضلنكم ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ فتنهما فأخرجهما ﴿مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حال من أبويكم أو من فاعل أخرج، والشيطان سبب الإخراج والترع ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ فإن كل واحد منهما ما رأى عورة صاحبه قط ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ تعليل للنهي فإن عدوًّا يراك ولا تراه لشديد المؤنة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أحباء ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم متابعوهم، أو سلطناهم عليهم ليزيد غيهم

---

(١) ولما ذكر بيان حال أبويهم من تطاير اللباس عنهما، وأنهما يخصفان عليهما من ورق الجنة امتن على أولادهما وناداهم فقال: "يا بني آدم"/١٢وجيز.

(٢) كالمطر والريح/١٢.

(٣) التي قصد الشيطان إبداءها فاحتاج أبوكم إلى خصف الورق ليسترها/١٢منه.

(٤) تريش الرجل إذا تمول فسر به ابن عباس كما نقل عنه في البخاري ومجاهد وعروة ابن الزبير والسدي والضحاك/١٢منه.

(٥) فإن الزينة غرض صحيح وفي بعض الأوقات سنة مستحبة/١٢.

(٦) ولما قص علينا حكاية إغواء الشيطان أبوينا وبين عداوته القديمة أخذ يحذرنا منه فقال: "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان" الآية/١٢وجيز.

﴿وَإِذَا[1] فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ككشفهم عورهم في الطواف نسائهم ورجالهم ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا﴾ على تلك الفعلة المتناهية في القبح ﴿آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتقدوا أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع[2] ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فإنه لا يأمر إلا بما لا ينفر عنه الطبع السليم، ولا يستعيبه العقل المستقيم ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل لا الإفراط ولا التفريط ﴿وَأَقِيمُوا﴾ عطف على أمر ربي، ومثله شائع[3] ﴿وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ استقيموا في العبادة في محالها وهي متابعة الأنبياء أو وجهوا وجوهكم إلى الكعبة في الصلاة حيث كنتم، أو صلوا في أي مسجد كنتم فيه إذا حضرت الصلاة ولا تؤخروها إلى مساجدكم ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ فلا تقبل عبادة إلا إذا كانت موافقة للشريعة خالصة ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ الطاعة ﴿كَمَا[4] بَدَأَكُمْ﴾ أنشأكم ابتداء ﴿تَعُودُونَ﴾ بإحيائكم وإيجادكم بعد موتكم وفنائكم أو كما خلقكم مؤمنًا وكافرًا تعودون[5] مؤمنًا وكافرًا ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ فوفقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ[6]﴾ وانتصابه بمقدر

---

(١) ولما ذكر أن الكافرين محبون تابعون للشياطين بين متابعتهم في شيء عجيب فقال: "وإذا فعلوا فاحشة" الآية/١٢وجيز.

(٢) لما سمعوا من آبائهم أنهم على دين إسماعيل/١٢وجيز.

(٣) يعني عطف الإنشاء على الإخبار وهو على سبيل الحكاية وبتأويل هذا الكلام ومثله شائع/١٢منه.

(٤) ولما أمر بالطاعة الخالصة لله تعالى توجه النفس إلى فائدتها وظهور إفادتها يوم الدين أشد على هذا اليوم فقال: "كما بدأ لكم" الآية/١٢وجيز.

(٥) قال السدي: معناه كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضلال كذلك تعودون: تخرجون من بطون أمهاتكم/١٢منه.

(٦) فنفوا واستحالوا الحشر كالمشركين والفلاسفة/١٢وجيز.

تفسيره ما بعده، أي: وفريقًا أضل[1] ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيتبعوهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ[2] يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ثيابكم التي تستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ بصلاة وطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ نزلت حين كان بنو عامر لا يأكلون دسمًا في أيام حجهم، ولا يأكلون إلا قوتًا فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك، أي: كلوا ما طاب ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بتحريم الحلال ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ لا يرتضي فعل ﴿الْمُسْرِفِينَ[3]﴾ المعتدين حده في حلال أو حرام، أو معناه لا تسرفوا بإفراط الطعام والشراب.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ

(١) وأما جعل المضمر المفسر خذل دون أضل ليلائم الهدى، ولحقت عليهم الضلالة كما فعله الزمخشري فتبعه القاضي فاعتزل/١٢منه.

(٢) ودلت الآية على أن المخطئ والمعاند سواء في الضلال فتدعو بالويل على الخوارج، وعلى كل مبتدع، ولما أمر ربنا بالقسط وهو الوسط بين الإفراط والتفريط يأمر وينهى بما هو الوسط وعما هو من أحد الشقين فقال: "يا بني آدم" الآية/١٢وجيز.

(٣) وفي البخاري عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة، أي: ما دام تعدم ولا تجد فيك الخصلتان اللتين هما السرف في الأكل والخيلاء في اللبس/١٢منه.[ذكره البخاري معلقاً (١٠/٢٦٤)]

فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ التي حرمتموها على أنفسكم في الطواف **﴿الَّتِي أَخْرَجَ﴾** من النبات والحيوان والمعادن كالقطن والحرير والدروع **﴿لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾** المستلذات من المآكل والمشارب كما حرمتم من عند أنفسكم في أيام الحج **﴿قُلْ هِيَ﴾** أي: الطيبات مخلوقة **﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** بالأصالة والكفرة شريكهم تبعًا **﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** لا يشاركهم الكافرون وقيل: خالصة في الآخرة من التنغيص والغم خلافا للدنيا، ونصبه على الحال من المستكن في الظرف **﴿كَذَلِكَ﴾** كتفصيلنا هذا الحكم **﴿نُفَصِّلُ﴾** جميع **﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** أن الله هو الذي يحرم ويحلل أو لقوم غير جاهلين **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾** ما تزايد قبحه كالكبائر **﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** جهرها وسرها **﴿وَالْإِثْمَ﴾** كل ذنب، أو الصغائر أو

الخمر[1] ﴿وَالْبَغْيَ﴾ الظلم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ متعلق بالبغي مؤكد له معنى ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ برهانًا ومن المحال إنزال البرهان على الاشراك فيكون هذا تهكمًا واستهزاء ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ[2] مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالافتراء عليه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ كذبت رسولها ﴿أَجَلٌ﴾ وقت معين لنزول العذاب والاستئصال ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي: إذا جاء وقت العذاب لا يتأخر ولا يتقدم أقصر وقت، ويصل إليهم في ذلك الوقت المقدر[3]، أو لا يطلبون التأخر والتقدم؛ لشدة الهول ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ إن حرف شرط وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ التي فيها الفرائض والأحكام ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ الشرك منكم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذا الشرط والجزاء إما يأتينكم ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ منكم عطف على من اتقى ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ فتركوا العمل بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ تَقوَّل عليه ما لم يقله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أو كذب ما قاله ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ينالهم

---

(١) وأما تفسيره بالخمر فليس بشيء فإن السورة مكية وتحريم الخمر في المدينة/١٢وجيز.

(٢) لما ذكر أن بني آدم فريقان وأمر بخلاف قوله "وفريقًا حق عليهم الضلالة" ثم بين حال تلك الجماعة الضالة ومآلهم فقال "ولكل أمة أجل"/١٢وجيز.

(٣) فهو بمنزلة المثل يقصد من مجموع الكلام ألاَّ تغيير ولا تبديل لحكم الله تعالى، قالوا: قوله: "لا يستقدمون" لا يمكن عطفه على "لا يستأخرون"؛ لأن إذا شرطية لا يترتب عليها إلا ما يستقبل، ولا يترتب على مجيء الأجل في الاستقبال إلا مستقبل والاستقدام سابق على مجيء الأجل في الاستقبال، فالوجه أن يقال: إن قوله ولا يستقدمون منقطع من الجواب على الاستئناف أي: وهم لا يستقدمون الأجل أي: لا يسبقونه وتحقيق العلامة على هذا المنوال/١٢وجيز.

ما كتب عليهم وهو قوله: "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة"(الزمر:٦٠)، أو ما وعدوا في الكتاب من خير وشر أو ما أثبت لهم في اللوح المحفوظ أو مما كتب لهم من العمل والرزق[1] والعمر ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي: أرواحهم حال من الرسل ﴿قَالُوا﴾ جواب إذا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ما موصولة أي: أين الآلهة التي كنتم ﴿تَدْعُونَ[2]﴾ تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهو سؤال وتقريع ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ غابوا فلا نراهم ولا ننتفع بهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ[3]﴾ ﴿قَالَ﴾ الله لهم يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ أي: ادخلوا في النار كائنين في زمرة أمم تقدم زمانهم أي: كفار الجن والإنس ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ في النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ في الدين التي ضلت بالاقتداء بها ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ تلاحقوا واجتمعوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ دخولا في النار ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ أي: لأجل أولهم دخولا، أي: الأتباع للمتبوعين، فإن المتبوع دخل قبل التابع؛ لأنه أشد جرمًا، أو آخر كل أمة لأولها، أو أهل آخر الزمان لأولهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ أي: سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضاعفًا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ أي: أضعف عليهم العقوبة ﴿قَالَ[4] لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: لكل واحد

---

(١) هذا القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه وإن كان الأول والثاني منقولين عن أكثر السلف/١٢منه.

(٢) تستغيثوها في طلب حوائجكم/ ١٢ وجيز.

(٣) فالمقصود من الآية زجر الكفار عن الكفر؛ لأن التهويل بذكر هذه الأحوال مما يحمل العاقل على المبالغة في النظر والاستدلال والتشدد في الاحتراز عن التقليد/١٢ كبير.

(٤) الله تعالى/١٢.

ضعف من عذاب جهنم في هذا الحين، أو لكل عذاب لا مزيد له، أو عذاب ضعف ما يتصور أحدكم في شأن الآخر ﴿وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب.

﴿وَقَالَتْ أُولاهُمْ﴾ القادة ﴿لأُخْرَاهُمْ﴾ الأتباع ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ رتبوا هذا الكلام على قول الله يعني: أن القادة لما سمعوا قوله تعالى: "لكل ضعف" قالوا للسفلة: ما لكم فضل علينا فإنا متساوون في الضلال والعذاب ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من قول القادة، أو من قول الله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ لأرواحهم ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ بل يهوى بها إلى السجين[1] أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ لحاف جمع غاشية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي[2] الظَّالِمِينَ﴾ سماهم مرة ظالمًا ومرة مجرمًا؛ لتعدد قبائحهم وتكثرها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ "لا نكلف" جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب والإعلام بأن هذه المرتبة الجليلة ممكنة الوصول إليها بسهولة ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حسد وحقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم إلا التواد[3] ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت منازلهم ﴿الأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ لما رأوا تلك النعمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ لعمل هذا ثوابه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ اللام لتوكيد النفي ويدل ما قبل لولا على جوابه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ فحصل لنا هذه النعمة بإرشادهم ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ إذا رأوها من بعيد، أو بعد دخولها، وأن هي المخففة أو مفسرة فإن المناداة من القول ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ حال من الجنة أو خبر والجنة صفة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي/١٢وجيز لمصنف جامع البيان.

(٢) وكفى لكل ظالم ومجرم نقصًا بأن وصف الكفار بتلك الألقاب زجرا/١٢وجيز.

(٣) حتى تصير الجنة دار متمحض السرور قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم "ونزعنا ما في صدورهم"/١٢وجيز.

أعطيتموها بلا تعب كالميراث، أو ميراثكم من أهل الجنة، فقد ورد "ما من أحد إلا وله منزل في الجنة وفي النار، والكافر يرث المؤمن منزله[١] من النار والمؤمن الكافر من الجنة" ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تبجحًا بحالهم وشماتة بالكفرة ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ يحتمل المخففة والتفسير ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ في الدنيا من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب وأهوال الآخرة ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ "أن" كما مر ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة الظالمين أي: يمنعون الناس عن اتباع شرعه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ زيغًا وميلا حتى لا يتبعها أحد ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ بين الجنة والنار حاجز يمنع من وصول أهل النار إلى الجنة، وهو الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو السور المضروب[٢] بينهما ﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها قبل دخول أهل الجنة الجنة والنار النار وَبَعْدَه لارتفاع محلهم وإشرافهم، وبإعلام الله تعالى إياهم فهم يعرفونهم بأشخاصهم، والأصح بل الصحيح أنهم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم ﴿وَنَادَوْا﴾ عطف على يعرفون ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وأن مثل ما مر ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ استئناف[٣] ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها عطف، أو حال من النفي أي: هم عند عدم الدخول

---

(١) رواه ابن ماجه والنسائي وغيرهما/١٢وجيز.[وله أصل في مسلم (٥/٦١٢) ط الشعب. ولفظة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ "إذا كانوا يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا مكانك من النار"]

(٢) وتصور هذا السور بين الجنة التي في الكرسي والنار التي في أسفل السافلين موقوف بالمشاهدة/١٢وجيز.

(٣) كأن سائلا سأل عن حال أهل الأعراف فقيل: لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون دخولها/١٢منه.

كانوا طامعين ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ فيه إشارة إلى أن نظرهم إلى أصحاب النار لا برغبة منهم وميل ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[1]﴾ في النار.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) معنى الآية: أنه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا إلى الله تعالى ألا يجعلهم من زمرتهم، والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف حتى يقدم المرء على النظر والاستدلال، ولا يرضى بالتقليد ليفوز بالدين الحق فيصل بسببه إلى الثواب المذكور في هذه الآيات ويتخلص عن العقاب المذكور فيها/١٢ كبير.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً﴾ من الكفرة ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ من رؤساء الكفرة يقولون: يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل يا فلان يا فلان ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ لم تنفعكم كثرتكم أو جمعكم المال ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحق ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تتمة قول أهل الأعراف لأولئك الكفار، والإشارة إلى ضعفاء الجنة التي كانت الكفرة يحتقروهم في الدنيا ويحلفون أهم لا يدخلون الجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: ثم يقال لأهل الأعراف ذلك، أو لما عير أهل الأعراف أهل النار قال أهل النار: إن دخل هؤلاء الجنة فوالله أنتم لا تدخلوها تعييرًا لهم فقال الملائكة: أهؤلاء أي: أهل الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار أنه لا ينالهم الله برحمته؟!، ثم قالت الملائكة لهم "ادخلو الجنة" الآية ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ﴾ ألقوا[1] علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ أي: مآء الجنة وطعامها ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا[2]﴾ فاستهزءوا به أو جعلوا اللهو واللعب دينهم، وهو ما زين لهم الشيطان كتحريم البحيرة والتصدية وغيرهما ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فتركوا الآخرة ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ نعاملهم معاملة الناسين فنخليهم في جهنم ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فلم يستعدوا له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وكما كانوا منكرين أنه من عند الله.

---

(١) قيل: طلبهم مع اليأس كالغريق يتشبث بالزبد لكن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما مشعر بأهم طامعون في حصول ما التمسوا/١٢وجيز.

(٢) وفي الآية لطيفة عجيبة وذلك لأنه تعالى وصفهم بكوهم كافرين ثم بين من حالهم أهم اتخذوا دينهم لهوًا أولا ثم لعبًا ثانيًا ثم غرتهم الحياة الدنيا ثالثًا ثم صار عاقبة هذه الأحوال والتدرجات أهم جحدوا بآيات الله، وذلك يدل على أن حب الدنيا مبدأ كل آفة، وقد يؤدي حب الدنيا إلى الكفر والضلال/١٢كبير.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بينا مواعظه وأحكامه ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منا بما فصلناه به حال من المفعول ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ نصبهما بالحال من المفعول ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلا تَأْوِيلَهُ﴾ ما يئول إليه أمر الكتاب من صدق وعده ووعيده وكذبهما ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا الإيمان به والعمل له ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل إتيانه أي: في الدنيا ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ونحن كذبناهم ﴿فَهَل لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أي: هل نرد إلى الدنيا؟ ﴿فَنَعْمَلَ﴾ جواب هل نرد ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بصرف العمر في الكفر ﴿وَضَلَّ﴾ غاب وبطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: لم ينفعهم آلهتهم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ[1] اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ستة أيام الدنيا أو أيام الآخرة كل يوم ألف سنة[2] ﴿ثُمَّ اسْتَوَى[3] عَلَى الْعَرْشِ﴾

---

(١) ولما كان مدار القرآن على أصول أربعة التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة وبين كلا من الأربعة وأطال الكلام فيها رجع إلى بيان كل منها مفصلا ومجملا لأجل جدال الخصم وعناده فقال: "إن ربكم" الآية/١٢وجيز.

(٢) وقدرته الشاملة وسعت أن يخلقها في لمحة لكن حكمته الباهرة اقتضت المدة وعلمها عند الله تعالى/١٢وجيز.

(٣) قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد . ذكر القولين البغوي في تفسيره، وفي صحيح البخاري في كتاب الرد على الجهمية قال أبو العالية "استوى على السماء": ارتفع، وقال مجاهد "استوى على العرش": علا على العرش انتهى. وأبو العالية هذا تابع بصري راو عن ابن عباس، وفي كتاب العلو للحافظ الذهبي قال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: "الرحمن على العرش استوى" (طه:٥)، أي: ارتفع، وقال محمد بن جرير الطبري في قوله "ثم استوى على العرش الرحمن" (الفرقان:٥٩)، أي: علا وارتفع وقال الفراء "ثم استوى" أي: قعد قاله ابن عباس، وهو كقولك للرجل: كان قاعدًا ثم استوى قائمًا رواه البيهقي في الصفات له، وروى الدارقطني عن إسحاق الكاذي قال: سمعت أبا العباس ثعلبا يقول في "استوى على =

أجمع السلف على أن استواءه على العرش صفة له بلا كيف نؤمن به ونكل العلم إلى الله تعالى وليس المراد منه خلق العرش بعد السماوات والأرض كما فسر بعض العلماء ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يغطيه به وفيه حذف، أي: ويغشى النهار الليل و لم يذكر للعلم

= العرش" علا واستوى بوجهه أقبل، واستوى القمر امتلأ، واستوى زيد وعمرو تشابها، واستوى إلى السماء أقبل هذا الذي يعرف من كلام العرب، وقال داود بن علي كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: ما معنى قوله "على العرش استوى"؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال: يا أبا عبدالله إنما معناه استولى. فقال: اسكت لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضادًا فإذا أغلب أحدهما قيل: استولى. وقال محمد بن أحمد بن النصر: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها "الرحمن على العرش استوى" بمعنى استولى فقلت: والله ما يكون هذا، ولا أجبته، وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن الربيع بن أنس استوى أي: ارتفع، وقال البغوي في تفسيره: قال ابن عباس وأكثر مفسري القرآن: ارتفع إلى السماء، وقال الخليل بن أحمد في "ثم استوى إلى السماء" (البقرة:٢٩، فصلت:١١)، ارتفع رواه أبو عمرو بن عبدالبر في شرح الموطأ له انتهى. وذكر الذهبي في موضع آخر من الكتاب المذكور بسنده عن محمد بن جرير الطبري: وحسب أمرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز عن ذلك فقد خاب وخسر ومحمد بن جرير هو أحد الأئمة الكبار في وقته في التفسير والحديث والفقه والتاريخ وصاحب المصنفات الكثيرة ذكره أبو إسحاق وذكر ترجمته إلى أن قال: وقال أبو حامد الأسفراني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرًا أو كلاما هذا معناه، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، قلت: فمن أراد الإنصاف فليطالع تفسيره في آيات الصفات والعلو في مواردها، فمن ذلك قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء" نقل فيه عن الربيع بن أنس أنه بمعنى ارتفع وقال في تفسير قوله "ثم استوى على العرش" في كل مواضعه أي: علا وارتفع انتهى/١٢.

به ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ يعقبه سريعًا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء، والجملة حال من النهار وحثيثا صفة مصدر، أي: طلبا سريعًا ﴿وَالشَّمْسَ﴾ عطف على السماوات ﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ نصب على الحال ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقضائه وتصريفه ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ﴾ لا خالق إلا هو ﴿وَالأَمْرُ﴾ لا يجري[1] في ملكه إلا ما يشاء ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى وتعظم ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: ذوي تذلل واستكانة وخفية، فالأصح أنه يكره الصياح والنداء في الدعاء ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين في شيء أمروا به ومنه الإطناب في الدعاء بمثل مسألة الجنة ونعيمها وإستبرقها وقصورها وأمثال ذلك ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ ببعث الأنبياء، وقيل: لا تفسدوا بالمعاصي فإن من شؤمها يمسك المطر فتخرب الأرض بعدما كانت مخضرة ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ من عقابه وثوابه حالان من الفاعل ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين في أمره ونهيه لم يقل قريبة، لأن الرحمة بمعنى الثواب ولاكتساب المرجع التذكير من المضاف إليه كما صرح الزمخشري في "ما إن مفاتحه لتنوء" (القصص:٧٦)، بالياء التحتانية ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ جمع بشير

---

(١) قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر نقل عنه البغوي في التفسير، وفي البخاري قال ابن عيينة: بين الله الخلق من الأمر بقوله "ألا له الخلق والأمر" انتهى. قال الحافظ ابن الحجر في فتح الباري: سئل سفيان بن عيينة عن القرآن أمخلوق هو؟ فقال: يقول الله تعالى: "ألا له الخلق والأمر" ألا ترى كيف فرق بين الخلق والأمر، فالأمر كلامه، فلو كان كلامه مخلوقًا لم يفرق، ووضع البخاري بابًا في صحيحه فقال: باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق، وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون/انتهى١٢.

يبشر بالمطر، أي: باشرات، أو للبشارة، ومن قرأ نشرا بالنون وضمها وشين مضمومة أو ساكنة أو فتح النون وسكون الشين فمن النشر أي: ناشرات للسحاب الثقال ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر قيل: الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا﴾ أي: سحائب ﴿ثِقَالاً﴾ بما فيها من الماء ﴿سُقْنَاهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لأجل أرض لا نبات فيها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد أو بسبب السحاب ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بسبب الماء أو بالبلد فالباء للظرفية ﴿مِن كُلِّ﴾ أنواع ﴿الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ مثل إخراج الثمرات وإحياء البلد ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بعد إحيائهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر على ذلك قدر على هذا ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي: أرض كريمة التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بمشيئته وتيسيره سريعًا حسنًا ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لا يَخْرُجُ﴾ أي: نباته حذف المضاف وأقيم المضاف إليه، أي: الضمير المجرور مقامه فصار مرفوعًا مستترًا ﴿إِلاَّ نَكِدًا﴾ بطيئًا عديم النفع ونصبه على الحال ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نبينها مكررًا ﴿لِقَوْمٍ[1] يَشْكُرُونَ﴾ فيتفكرون في الآية وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جواب قسم محذوف ﴿نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ لما ذكر قصة آدم في أول السورة شرع في قصص الأنبياء ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ صفة إله باعتبار محله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ القيامة

---

(١) ولما قص في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني وقص من أخباره ما قص واستطرد من ذلك إلى المعاد، ومصير أهل السعادة إلى الجنة وأهل الشقاوة إلى النار أتبع ذلك بأحوال الرسل، فبدأ بقصة نوح إذ هو الآدم الثاني وأمته أدوم تكذيبًا وأقل استجابة، وغرقهم وهلاكهم بالمطر الذي هو الرحمة فقال: "لقد أرسلنا نوحًا" الآية/١٢وجيز.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ أي: الأشراف والسادة ﴿مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ بين لأنك تركت دين آبائك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ أي: أقل ما يطلق عليه اسم الضلال ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثابت على الصراط المستقيم[1] ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ صفة لرسول[2] أو استئناف ﴿رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ يقال نصحته ونصحت له ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من جهته بالوحي ﴿مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ من صفات لطفه وقهره ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار، أي: أكذبتم وعجبتم[3] من ﴿أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِن رَّبِّكُمْ عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ من جنسكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ عاقبة المعاصي ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ من المعصية بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالتقوى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ ظرف معه أي: صاحبوه في الفلك، أو حال من ضمير معه، أو من الموصول، والأصح أنهم ثمانون[4] ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ بالطوفان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمى القلوب عن معرفة الله تعالى.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا

(١) فيه إشارة إلى جواب ما يقال: لابد أن يكون لفظ لكن متوسطًا بين كلامين متغايرين نفيًا وإثباتًا فكأنه قال: ليس بي ضلالة لكن ثابت على الطريق السوي؛ لأني رسول من رب العالمين/١٢منه.

(٢) من قبيل أنا الذي سمتني أمي حيدرة فإن الظاهر يبلغكم/١٢منه.

(٣) فيه بيان أن الواو للعطف على محذوف وهو كذبتم/١٢منه رح.

(٤) روى ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس/١٢منه.

لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ أي: إلى قومه عطف على "نوحًا" **﴿أَخَاهُمْ﴾** في النسب، أو واحد منهم كقولك: يا أخا العرب **﴿هُودًا﴾** عطف بيان لأخاهم **﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾** عذاب الله **﴿قَالَ الْمَلأُ﴾** الأشراف **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾** ومن أشرافهم من آمن به[1] **﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾** في خفة عقل **﴿وإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي﴾** كامل[2] العقل لأني

---

(١) صرح به مجاهد وغيره/١٢ فظهر فائدة قوله الذين كفروا حيث لم يقل قال الملأ من قومه كما قال في قصة نوح/١٢منه.

(٢) إشارة إلى جواب سؤال قد كتبنا على حاشية "ولكني رسول من رب العالمين" في قصة نوح/١٢منه. رح.

﴿رَسُولٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ[1] نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ على الرسالة لا أكذب فيها ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ قد مر تفسيره قريبًا فلا نعيده ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ في مساكنهم أو في الأرض بأن أخذ منهم وأعطاكم ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ قامة وقوة ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ تعميم بعد تخصيص ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بسبب ذكر النعم وشكره ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ مجاز من القصد والتعرض أي: أقصدتنا ﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الوعد[2] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب وحق أو جعل متحقق الوقوع كالواقع ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أي: في أشياء ما هي إلا أسماء أحدثتموها فما هي إلا من موضوعاتكم ومخترعاتكم وليس تحتها مسميات، فإن معنى الألهية فيها بالكلية منتف فكيف تتخذونها إلها ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ما جعل الله لكم في عبادتها حجة ولا دليلا ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ أمر الله تعالى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ حتى تروا حالكم وحالنا ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا

---

(١) وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في مواضع الضرورة إلى مدحها وفي إجابة الأنبياء من ينسبهم إلى السفاهة والضلال بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء، وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وتعليم من الله لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيال حلمهم على ما يكون منهم/١٢ فتح.

(٢) والوعيد مختص بالشر والوعد يطلق على الخير والشر/١٢ منه.

دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أهلكناهم[1] عن آخرهم واستأصلناهم **﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ[2]﴾** والناجي في الدارين المؤمنون.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ

---

(١) وفي هذا توبيخ شديد لقريش فإنهم أيضًا كذبوا بآيات الله فحق عليهم رجس وغضب/١٢وجيز.

(٢) والفارق بين الناجي والهالك هو الإيمان هذا إخبار من الله تعالى أنهم ممن علم الله أنهم يموتون على الكفر قال صاحب فتح البيان -ونعم ما قال-: وقد أطال القوم في بيان قصة قوم هود وهلاكهم وإجمال القرآن يغني عن تفصيل لا يسند/١٢.

أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ أي: إلى قبيلته ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ استئناف يبين البينة وإضافة الناقة إلى الله؛ لأنها جاءت من عنده بلا سبب معهود، فإنها خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضرهم حين سألوا تلك المعجزة وعهدوا أن يؤمنوا به بعد ما تظهر، ونصب آية على الحال والعامل معنى الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ من الضرب والطرد والأذى ﴿فَيَأْخُذَكُمْ[1] عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جواب للنهي ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ[2] جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ في مساكنهم ﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾ سكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ[3] تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تبنون القصور من سهولة الأرض بما تصنعون منها من اللبن والآجر ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ كانوا يثقبون في الجبال ويسكنون في الشتاء فيها لتنعمهم، ونصب بيوتًا على الحال المقدرة[4]؛ لأن الجبل ما كان بيتًا في حال النحت، أو تقديره من الجبال

---

(١) وناصب الفعل أن المقدرة بعد الفاء/١٢وجيز.

(٢) أي: نعمه/١٢.

(٣) فيه دلالة على فسحة ديارهم وسعة تصرفهم/١٢وجيز.

(٤) ضد المحققة.

بيوتًا ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا﴾ العثى: أشد الفساد ﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تبالغوا في الفساد في حال فسادكم ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ أي: الرعايا ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من للذين بدل البعض؛ لأن ضمير منهم راجع إلى للذين فإن المستضعفين كثيرون والمؤمنون أربعة آلاف ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قيل قالوه على الطنز[*] والسخرية. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ عدلوا به عن مثل نعم إشارة إلى أن إرساله معلوم مسلم إنما الكلام في الإيمان به ونحن مؤمنون ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ فما سلموا إرساله الذي ادعوا ظهوره ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نحروها وكلهم راضون بنحرها فأسند الفعل إلى جميعهم ﴿وَعَتَوْا﴾ استكبروا ﴿عَنْ﴾ قبول ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ[1] ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة فإنه كان عذابهم صيحة من السماء وزلزلة من الأرض[2] تقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أرضهم ومسكنهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ خامدين ميتين ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب نبينا -عليه الصلاة والسلام- قليب بدر بقوله "هل وجدتم ما

(*) الطنز: الكلام باستهزاء. لسان العرب مادة (طنز) (٢٧٠٩/٤) ط دار المعارف.

(١) حين قال لهم صالح: "ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم"/١٢.

(٢) هكذا ذكره الإمام أبو جعفر بن الجرير وغيره من علماء التفسير فلا منافاة بين هذا وبين ما وقع في موضع آخر "فأخذتهم الصيحة" (المؤمنون:٤١)، لأن في عذابهم رجفة وصيحة فبين في كل موضع شيئًا/١٢منه.

وعد ربكم حقًا" قيل: ويجوز أن يتولى عنهم ويقول ذلك حين مقدمة نزول العذاب وهذا كما قال بعضهم في الآية تقديم[1] وتأخير.

﴿ولُوطًا[2]﴾ أي: أرسلنا، أو واذكر لوطًا ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف على الأول وبدل من لوطًا على الثاني ﴿لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ تلك[3] الفعلة القبيحة ﴿مَا سَبَقَكُمْ﴾ استئناف مقررة للإنكار ﴿بِهَا﴾ الباء للتعدية ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ من زائدة للاستغراق ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من للتبعيض أي: ما فعلها أحد قط قبلكم ﴿إِنَّكُمْ﴾ الهمزة للإنكار ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ من أتى المرأة إذا غشيها ﴿شَهْوَةً﴾ للاشتهاء أنكر أن يكون الحامل على هذه القباحة مجرد الشهوة، أو حال أي: مشتهين غير ملتفتين إلى سماجتها ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ المخلوق لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ إضراب على الإنكار إلى الإخبار عن طريقتهم وعادتهم كأنه قال: بل أنتم قوم لكم الإسراف في الأمور كلها وهو الباعث لكم إلى تلك القبيحة ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: أخرجوهم في مقابلة النصح والإرشاد ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من دبر الرجال[4] والنساء قيل قالوا سخرية ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ فإنه ما من

---

(١) وترتيبه إن كنت من المرسلين فتولى عنهم إلى قوله: "لا تحبون الناصحين" ثم "فأخذتهم الرجفة"/١٢منه.

(٢) ولوطًا هو ابن هاران بن تارخ فهو ابن أخي إبراهيم وليس من أنبياء بني إسرائيل وكانا ببابل بالعراق فهاجرا إلى الشام، فنزل إبراهيم أرض فلسطين ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، وبعثه الله إلى أمة يقال لها سذوم بالذال المعجمة وهي بلد بحمص/١٢فتح. قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة فلذلك صرفت/١٢.

(٣) طهر فمه عن أن يمسه باسم النجس/١٢وجيز.

(٤) هكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة، وأما قول من يقول قولهم سخرية فمعناه أنهم أناس يتطهرون عن الفواحش/١٢منه، كما يقول الشياطين من الفسقة =

أحد سوى أهل بيته ﴿إلا امْرَأَتَهُ﴾ فإنها تستر الكفر ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ[1]﴾ الباقين في ديارهم فهلكت ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ نوعًا من المطر وهو حجارة ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا

= لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد/١٢ كبير.

(١) ولم يقل من الغابرات كأنها من الرجال في فعلها/١٢وجيز.

لَّخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ**﴾ قبيلة، أو المراد بلد مدين ﴿**أَخَاهُمْ**﴾ في النسب ﴿**شُعَيْبًا**[1] **قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ**﴾ معجزة ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ وليس في القرآن أنها ما هي ﴿**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ**﴾ أراد بالكيل الذي هو المصدر ما يكال به كالعيش على المعاش ﴿**وَالْمِيزَانَ**[2] **وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**[3]﴾ لا تنقصوهم حقوقهم قيل كانوا مكاسين(*) ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ**[4]﴾ بالكفر ﴿**بَعْدَ إِصْلاحِهَا**﴾ ببعث

---

(١) عن عكرمة والسدي قال ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا مـرة إلى مدين فـأخذتهم الصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيال والميزان/١٢فتح.

(٢) وجاز أن يكون المراد المصدر كالميعاد فحينئذ المراد من الكيل المصدر فتطابقا/١٢ وجيز.

(٣) أمرهم أولا بشيء خاص ثم نهاهم عن شيء عام فقال أشياءهم/١٢وجيز.

(*) المكس: النقص. أي ينقصون في المكيال.

(٤) وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع إلى أصلين التعظيم لأمر الله ويدخل فيه الإقرار بالتوحيد والنبوة، والشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك النجس والإفساد وحاصلها يرجع إلى ترك الإيذاء كأنه تعالى يقول إيصال النفع إلى الكل متعذر وأما كف الشر عن الكل فممكن/١٢كبير.

النبي وأمره بالعدل ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى العمل بما أمرهم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[1]﴾ مصدقين بمقالي ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ فإنهم يقعدون طرق الناس يوعدون الآتين إلى شعيب للإيمان بالقتل[2] وغيره، أو معناه النهي عن وعيد الناس لإعطاء أموالهم فإنهم مكاسين ويوعدون في موضع الحال ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ عطف على توعدون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بشعيب أو بالله وتوعدون وتصدون تنازعا في من آمن والعمل للثاني ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ وتطلبون لسبيل الله ﴿عِوَجًا﴾ بإلقاء الشبه ووصفها للناس بالاعوجاج ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلا﴾ في العدد والعُدد ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ بالأموال والبنين ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم فاعتبروا منهم ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بتعذيب المكذبين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ[3]﴾ لا حيف في حكمه ولا معقب له ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا[4]﴾ أي: ليكونن أحد الأمرين إما الإخراج أو العود، وشعيب -عليه السلام- قط لم يكن على ملتهم لكن غلّبوا قومه عليه فإنهم كانوا على ملتهم ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: أنعود في ملتكم وإن كنا

---

(١) وأما الكافر فلا خير له لا في الآخرة ولا في الدنيا/١٢وجيز.

(٢) قاله السدي وكثير من المفسرين/١٢وجيز.

(٣) هذا من أحسن المحاورة إذا أبرز المتحقق في صورة المشكوك ومتعلق لم يؤمنوا محذوف أي: به،والخطاب في منكم لقومه، فاصبروا خطاب للطائفتين وبيننا أي: بين الجميع وفيه وعد للمؤمنين بالنصر ووعيد للكافرين بالخسار/١٢وجيز.

(٤) ويمكن أن يكون العود بمعنى الصيرورة فلا يستدعي الرجوع إلى حالة سابقة فإن شعيبًا لم يكن قط على ملتهم/١٢وجيز.

كارهين لها؟ ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ يدل على جواب الشرط قد افترينا، أي: قد افترينا الآن إن هممنا[1] بالعود بعد الخلاص منها فإن المرتد مفترى في إثبات الند، وفي ظهور الحقية عنده للدين الباطل فهو أقبح من الكافر ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ لا يمكن ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ[2] رَبُّنَا﴾ ارتدادنا فإنه مصرف القلوب كيف يشاء، ولو أراد الله بأحد سوء فلا مرد له ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علمه بما كان وما يكون وعلمًا تمييز ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في تثبيتنا على الإيمان وتخليصنا منكم ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ اقض واحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ فأنزل على كل منا ما يستحقه[3] لا أن تهلكهم بدعائي وهم غير مستحقين للعذاب ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ وَقَالَ الْمَلأ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ والله ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ لاستبدالكم دينه الباطل بدين آبائكم الحق، وجملة إنكم إذًا لخاسرون ساد مسد جواب القسم والشرط ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ مدينتهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ ميتين قد اجتمع عليهم أنواع من العذاب بسحابة فيها شرر من النار ولهيب وهو قوله تعالى "عذاب يوم

---

(١) جواب عما يقال ظاهره إخبار مقيد بالشرط وما تقدم بمنزلة الجزاء وظاهر أن الافتراء الماضي لا يتعلق بالعود وحاصل الجواب أن قد افترينا بمعنى المستقبل؛ لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال كأنه قيل: قد افترينا الآن إن هممنا العود قاله أبو البقاء رحمه الله/١٢منه.

(٢) يعني لا يمكن الارتداد ونحن على هذا الطبع المستقيم نعم لو أراد ارتدادنا فهو قادر على تغيير طبعنا وتبدله كمرآة أكله الصداء فإنها لا تقبل الجلاء نعم للحداد أن يذيبها ويجعلها مرآة تقبل الجلاء/١٢وجيز.

(٣) هذا المعنى يستفاد عن قوله: "بالحق" وإلا فجميع حكم الله بالحق ولا يصدر عن الله شيء إلا وهو حق/١٢منه.

الظلة"(الشعراء:١٨٩) في سورة الشعراء ثم جاءهم صيحة من السماء وهو قوله تعالى "فأخذهم الصيحة"(الحجر:٨٣) في سورة الحجر ورجفة من الأرض فزهقت أرواحهم وخمدت أجسادهم﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ خبره أي: كأن لم يقيموا فيها قط ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ لا الذين صدقوه كما زعموا ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الظاهر أنه بعد عذابهم وموتهم ﴿وَقَالَ﴾ تأسفًا بهم ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ وقد كفرتم ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ مستحقين للعذاب.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ فكذبه أهلها ﴿إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ كي يتضرعوا ويتركوا الاستكبار عن الإيمان ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أعطينا السلامة والسعة مكان البلاء والشدة ابتلاء واستدراجًا ﴿حَتَّى[1] عَفَوْا﴾ كثروا عددًا ومالا ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ

---

(١) عفا النبات والشجر والوبر إذا كثرت/١٢وجيز.

﴿وَالسَّرَّاءُ﴾ فأصابنا مثل ما أصابهم وهذا عادة الدهر و لم ينتبهوا وغفلوا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة مصدر أي: هذا النوع من الأخذ ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بترول العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ أي: تلك القرى التي أرسلنا فيها رسلا ﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ المعاصي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ﴾ يسرنا الخير لهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ من كل جانب أو قطر السماء ونبات الأرض ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ رسلنا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1]﴾ بسبب كفرهم وعصياهم ﴿أَفَأَمِنَ﴾ الهمزة للإنكار وهو عطف على فأخذناهم بغتة، أو فأخذناهم بما كانوا، وحاصله فعلوا كيت وكيت فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن ﴿أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ أي: وقت بيات، أي: بيتوتة فنصبه على الظرف بحذف المضاف ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ جملة حالية ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ ضحوة النهار ظرف ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ[2]﴾ من فرط غفلتهم ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر[3] واستدراجه ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فطرهم.

---

(١) لما حكى عن بعض الأمم السالفة أخذ يحذر قريشًا ويخوفهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم فقال: "أفأمن" الهمزة للتوبيخ دخلت على أمن والفاء لعطف هذه الجملة على ما قبلها. قال صاحب البحر: ما قاله الزمخشري في هذه الآية من أن الفاء بعد الهمزة عاطف على ما بعدها على ما قبل الهمزة من الجملة رجوع إلى مذهب النحاة ويخرج لهذه الآية على خلاف ما قدر من مذهبه في غير آية من أن يقدر محذوفًا بين الهمزة وحرف العطف كما يصرح بذلك/١٢وجيز.

(٢) وهذا وقت لعبهم واشتغالهم بدنياهم قيد كل ظرف بما يناسبه من الحال، وجاء نائمون باسم الفاعل؛ لأنها حالة ثبوت واستقرار وجاء يلعبون بالمضارع؛ لأنهم يشتغلون بأفعال متجددة شيئًا فشيئًا، وكلا الحالين حال ترفه وطمأنينة ففجأة المصائب فيها أشد/١٢وجيز.

(٣) وفي الحديث: "اللهم أمني مكر الشيطان ولا تأمني مكرك يا الله"/١٢وجيز.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بعْدِ أَهْلِهَا﴾ أي: يرثون ديار من قبلهم ﴿أَنْ﴾ أي: أن الشأن ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ بالبلاء ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسببها كما عذبنا من قبلهم وجملة أن لو نشاء فاعل يهد ومن قرأ بالنون فهو مفعول وفي الهداية حينئذ تضمين التبيين ولهذا عدى باللام ﴿وَنَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ هو استئناف ولهذا غير الأسلوب أي: نحن نطبع، أو عطف على مدلول أو لم يهد يعني يغفلون ونطبع وليس بعطف على أصبناهم؛ لاستلزام انتفاء كونهم مطبوعين مع بطلانه لقوله: "فهم لا يسمعون" وقوله: "كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين" وقوله: "فما كانوا ليؤمنوا"؛ لدلالته على أن حالهم منافية للإيمان ﴿فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة أبدًا سماع قبول.

﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ إشارة إلى قرى الأمم التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ حالٌ، أو خبرٌ إن جعلت القرى صفة تلك ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ أي: بعض أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي: ما صلحوا للإيمان بعد رؤية المعجزات ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل رؤيتهم تلك المعجزات يعني بعدما طبعناهم لا يمكن لهم الإيمان بما جاءهم الرسول أو الباء للسببية أي: كفرهم السابق سبب كفرهم اللاحق وعن بعض السلف المراد من قبل يوم أخذ الميثاق فإنهم حينئذ أقروا باللسان وأضمروا التكذيب ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع الشديد ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الوارثين والموروثون ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي: الأمم الماضية ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق، أو عهدهم مع أنبيائهم ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا﴾ أي: إن الشأن علمنا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعتنا وعند الكوفيين أن نافية واللام بمعنى إلا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا[1] مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الرسل الذين مر ذكرهم ﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: بالآيات بأن وضعوا الكفر بها مكان الإيمان ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ﴾ على بمعنى الباء أي: بألاّ أقول، كما تقول: رميت على القوس أو أصله حقيق على ألاّ أقول كما هو قراءة نافع فقلب لأمن الإلباس، أو أراد موسى أن يغرق في وصف نفسه بالصدق فيقول: أنا حقيق على قول الحق، أي: واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله، ولا

---

(١) ولما قص أخبار الأمم وما آل إليه أمرهم أتبع بقصص موسى عليه السلام وفرعون وبني إسرائيل فإن معجزاته أظهر وأمته أكثر الأمم عنادًا وبين موسى وشعيب قرابة ونسب فقال "ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا" الآية/١٢وجيز.

يرضى إلا بمثلي ناطقًا به أو معناه أني حريص على ألاّ أقول ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ وهي العصا ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة فإن فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ من عند من أرسلك ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ أحضرها عندي ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة لا يشك في أنها حية ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه بعدما أدخلها فيه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ لها شعاع غلب[1] نور الشمس ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول وللناظرين متعلق ببيضاء، أي: بيضاء للنضارة.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ

(١) هكذا قاله مجاهد وغيره/١٢.

لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿**قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**﴾ في صنعته أي: قالوا ذلك موافقين لقول فرعون كما حكاه تعالى: "قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم" (الشعراء:٣٤)، فوافقوه وقالوا كمقالته أو قال الملأ بطريق التبليغ من لسان فرعون إلى القوم يعني قبط ﴿**يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ**﴾ يا معشر القبط ﴿**مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**[1]﴾ تشيرون في أمره ﴿**قَالُوا**﴾ بعدما اتفقوا رأيهم ﴿**أَرْجِهْ وَأَخَاهُ**﴾ الإرجاء التأخير أي: أخر أمره وأمر أخيه أو احبسه وأصله أرجئه ﴿**وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾ أي رجالا يحشرون إليك من في مدائن صعيد مصر من نواحي مصر من السحرة ﴿**يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ**[2] **قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**﴾ على موسى ﴿**قَالَ**﴾ فرعون ﴿**نَعَمْ**﴾ إن لكم أجرًا ﴿**وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**[3]﴾ فهو معطوف على محذوف سد مسد نعم ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ**﴾ عصاك ﴿**وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**﴾ ما معنا من الحبال ورغبتهم في أن

---

(١) من المؤامرة في إعرابه وجهان أحدهما ماذا مفعول ثان محذوف حرف الجر والمفعول الأول محذوف أي: بأي شيء تأمروني، والثاني أن ما مبتدأ وذا بمعنى الذي خبر عنه ومفعول تأمرون محذوف أي: أي شيء الذي تأمرونني، أي: تأمروني به/١٢ وجيز.

(٢) يعني بعدما بعث فأتوه/١٢وجيز.

(٣) يعني لا أقتصر لكم في الأجر بل أزيدكم في الرفعة والمنزلة/١٢وجيز.

يلقوا قبله، ولهذا غيروا نظم الكلام إلى آكد وجه[1] ﴿قَالَ﴾ موسى كرمًا ووثوقًا على الله ﴿أَلْقُوا[2] فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ خيلوا إليها ما لا حقيقة له[3] ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفوهم[4] ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ قيل خمسة عشر ألف ساحر وقيل أكثر[5]، ومع كل عصى وحبال غلاظ طوال، وألقوا فإذا حيات قد امتلأت الوادي تركب بعضها بعضا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يزورونه من الإفك، فلما أكلت حبالهم وعصيهم بأسرها، قالت السحرة: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ صاروا أذلاء، وأرجعوا إلى مدينتهم أذلاء مغلوبين، والضمير لفرعون وقومه ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ[6]﴾ ألقاهم الله تعالى، أو ألهمهم أن يسجدوا، أو من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا[7] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لا رب

---

(١) من تأكيد ضمير المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر/١٢.

(٢) وليس أمرهم بالإلقاء قبله من قبيل إباحة السحر بل لإبطاله/١٢.

(٣) فيه دلالة على أن سحرهم من باب التخييل لا يقلب عينا/١٢وجيز.

(٤) وأرهبوهم، فاستفعل بمعنى أفعل/١٢.

(٥) قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ونقل ابن جرير: انهم سبعون ألف ساحر/١٢منه.

(٦) وقد سجدوا شكرًا على المعرفة وظهور الحق وقد نفعهم علمهم وإن كان حرامًا، وقالوا رب موسى بالبدل من رب العالمين لتدفع توهم غير الله تعالى لقول فرعون "أنا ربكم الأعلى" (النازعات:٢٤)/١٢وجيز.

(٧) يعني أنه تمثيل شبه حالهم في سرعة الخرور بحال من ألقى/١٢وجيز.

القبط فإنه فرعون ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ[١] لَكُمْ﴾ في الإيمان ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: حيلة صنعتموها أنتم وموسى في مصر قبل الخروج إلى هنا ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أي: القبط فتبقى المصر لكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة صنيعكم، ثم فصل ما أجمل وقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ[٢]﴾ من كل شق طرفا ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ[٣] قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ بالموت ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ فلا نخاف من وعيدك، أو مصيرنا ومصيرك إلى الله فيحكم بيننا ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا[٤]﴾ ثم أعرضوا عنه وفزعوا إلى الله تعالى، وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أفض ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ حتى لا نرجع من الدين ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: كانوا أول النهار سحرة وفي آخره شهداء.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ

---

(١) من غير رخصتي في الإيمان، ولما خاف أن يصير إيمان السحرة حجة قومه ألقى في الحال نوعين من الشبهة: أحدهما أن هذا مما تواطئوا بينهم لا أن هذا غلبة حقيقة، وأن ذلك طلب منهم للملك فقال: "إن هذا لمكر مكرتموه" الآية/١٢وجيز.

(٢) لما ظهرت الحجة عاد إلى عادة ملوك السوء بالتهديد إذا غلبوا بحجة، قوله: "من خلاف"، أي من مختلفات من اليد اليمنى والرجل اليسرى وقد يجيء بسطه إن شاء الله تعالى في سورة طه/١٢وجيز.

(٣) وما أوعدهم لا يعلم من القرآن أنه عمل به أو لم يعمل/١٢وجيز.

(٤) وما هو إلا أصل المفاخر/١٢.

عِبَادِهِۦ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ[1]﴾ بني إسرائيل ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بدعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ عطف على يفسدوا، أو جواب للاستفهام بالواو، كما يجاب بالفاء قيل: لفرعون بقرة يعبدها ويأمر أن يعبدوا بقرة حسناء، وقيل علق على عنقه صليبًا يعبده، وقيل: اتخذ لقومه أصنامًا وأمر بعبادتها،وقال لهم: هذه آلهتكم وأنا ربكم الأعلى ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ كما كنا نفعل من قبل حين حكمت الكهنة بوجود مولود على يده زوال ملكنا ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ نتركهن أحياء للخدمة ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ هم تحت أيدينا مقهورون ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ حين شكوا إليه ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ[2]﴾ فلربما يأخذ منهم ويعطيكم بسهولة كالميراث ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: عاقبة الأمر بالنصر والظفر للمتقين فثقوا بالله تعالى وقال بعضهم معناه الآخرة للمتقين خاصة ﴿قَالُوا﴾ بنوا إسرائيل ﴿أُوذِينَا﴾ بقتل[3] الأبناء ﴿مِنْ قَبْلِ[4] أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بالرسالة ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادة القتل ﴿قَالَ﴾

---

(١) قالوا:ذلك إغراء لفرعون بموسى وقومه وتحريضه بقتلهم للخوف على الملك والجاه/١٢وجيز.

(٢) وعدهم النصر بالصبر وذكرهم ما وعد الله تعالى به بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريث أرضهم وديارهم/١٢وجيز.

(٣) وإخدام النساء/١٢.

(٤) مخافة ما كان يتوقع من هلاك ملكه على يد مولود منا/١٢وجيز.

موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أرضهم وملكهم ﴿فَيَنْظُرَ﴾ يرى ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكر وكفران وطاعة وعصيان.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ

ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ ﴾

﴿**وَلَقَدْ**[١] **أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ**﴾ بالجدوب لقلة الأمطار ﴿**وَنَقْصٍ**[٢] **مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ لكي ينتبهوا ويتعظوا ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ**﴾ السعة والمال ﴿**قَالُوا لَنَا هَذِهِ**﴾ لأجلنا ونحن[٣] مستحقوها و لم يشكروا منعمها ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾ بلاء وجدب ﴿**يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ**﴾ يتشاءموا بهم وقالوا ما هذا إلا بشؤمهم ﴿**أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ**﴾ أي: شؤمهم[٤] من قبل الله ومن عنده، أو سبب شؤمهم وهو أعمالهم القبيحة عنده مكتوب ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ ما أصابهم[٥] من الله تعالى ﴿**وَقَالُوا**﴾ لموسى ﴿**مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ**﴾ أي: أيما شيء تأتنا به فمحل مهما الرفع وجاز النصب بفعل يفسره تأتنا أي: أيما[٦] شيء تحضرنا تأتنا به ﴿**مِنْ آيَةٍ**﴾ بيان لمهما وسموها آية على زعم موسى ﴿**لِتَسْحَرَنَا بِهَا**﴾ الضمير لما في

---

(١) ولما وعد موسى قومه بهلاك عدوهم من جانب وحي الله تعالى شرع سبحانه بيان مقدمات افتتاهم فقال: "ولقد أخذنا"/١٢وجيز.

(٢) أي: لم يبارك في طعامهم وفواكههم/١٢وجيز.

(٣) ووجدوا خلاف ذلك ظلمًا/١٢.

(٤) أي: شؤمهم من عند الله وقبله هم يتفاءلون بالطير بطيرانه من جانب إلى جانب وصوته فهذا اللفظ مستعار/١٢وجيز.

(٥) والحاصل إنما أصبناهم يتضرعوا ويندرجوا تحت أمرنا ونهينا فلم يتضرعوا و لم يسلموا بل تنفروا عن رسولنا إليهم وشتموه وتطيروا به/١٢وجيز.

(٦) يريد أنه من باب شريطة التفسير والمضمر تحضرنا الذي هو في معنى تأتنا فيكون من قبيل زيدًا مررت به/١٢.

مهما باعتبار المعنى فإن[1] من آية فضلة جيء للتبيين ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعـا عليهم موسى عليه السلام ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ أرسل الله تعالى مطرًا[2] سـبعة أيام امتلئت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم و لم يدخل بيوت بني إسرائيل مع أن بيوتهم مشتبكة[3] أو المراد من الطوفان الوباء أو الجدري[4] ثم فزعوا إلى موسـى وعهدوا بالإيمان إن كشف عنهم العذاب، فلما كشف نقضوا عهودهم ﴿وَالْجَـرَادَ﴾ فأرسل الله إليهم الجراد فأكل زروعهم وثيابهم حتى[5] مسـامير أبوابهم ثم عـهدوا وكشف فنقضوا ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ فأرسل الله إليهم السوس[6] أو أولاد الجراد قبل أجنحتـها أو الحمنان[7] صغار القردان أو دواب سود صغار أو القمل بفتح القاف حتى أكلـت أبدانهم ومصت[8] دماءهم فعهدوا فلما كشف نقضوا ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فأرسل الله تعـالى إليهم الضفادع حتى لا يستطيعوا الطبخ والأكل فإنه يمتلئ قدورهم وظروفهم وأفواههم فعهدوا ونقضوا ﴿وَالدَّمَ﴾ صارت مياههم دمًا وسالت النيل عليهم بالدم أو المراد بالدم

---

(١) قوله فإن من آية إلخ جواب لسؤال وهو أن الظاهر أن يكون الضمير لآية لا لمـا فمـا الموجب إلى العدول/١٢منه.

(٢) مع ظلمة شديدة/١٢.

(٣) يعني مع بيوت القبط وزرعهم ينمو وزرع القبط يموت من الماء/١٢وجيز.

(٤) الأول رواية عن ابن عباس وهو قول الضحاك والثاني لعطاء ومجاهد ورواية عـن ابـن عباس أيضًا وروى ابن جرير وابن مردويـه عـن عائشـة مرفوعًـا والثـالث لأبي قلابة/١٢منه.

(٥) كما قال مجاهد/١٢منه.

(٦) الذي يخرج من الحنطة كذا قال ابن عباس/١٢منه.

(٧) قاله أبو عبيدة/١٢.

(٨) كذا قاله مجاهد وعكرمة وقتادة/١٢.

الرعاف فعطشوا فعهدوا ونقضوا ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾ مبينات لا يشتبه على أحد أنها نقمة من الله ونصبها على الحال ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ الآيات المفصلات أو الطاعون فهو عذاب سادس ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي: بحق عهده عندك وهو النبوة أو بما أنت تعلمه من أسمائه التي تدعو بها فيستجيب الدعاء ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون أو مهلكون فيه وهو الغرق ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ عهدهم أي: فلما كشفنا العذاب فجاءوا النقض بلا مهل وتأمل ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾ أردنا الانتقام[1] ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر العميق ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتفكرون في آياتنا ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بقتل أبنائهم واستخدام نسائهم ﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ﴾ أرض الشام ﴿وَمَغَارِبَهَا[2] الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالسعة والرخاء ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ هي وعده إياهم بالنصر والظفر ﴿الْحُسْنَى﴾ صفة الكلمة ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على الشدائد ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ استأصلنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من البيوت والقصور أو من البساتين.

---

(١) فسرنا بذلك، لأن الإغراق هو الانتقام وجاز أن يكون فأغرقنا لمجرد التفسير فحينئذ فانتقمنا على ظاهر معناه ولا حاجة إلى تأويل/١٢منه.

(٢) هو مفعول ثان لأورثنا والمفعول الأول هو القوم بحذف مضاف أي: ذرية القوم فإنهم لم يعودوا إلى أرض مصر بأعيانهم بل أقاموا بالأرض المقدسة وذريتهم كسليمان عليه السلام دخل مصر التي باركنا/١٢وجيز.

﴿وَجَاوَزْنَا[1] بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ عبرنا بهم ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾ مروا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ﴾ يقيمون ﴿عَلَى﴾ عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى[2] اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ مثالا نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ[3] آلِهَةٌ﴾ ما كافة ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لأن العاقل لا

---

(١) ولما ذكر إنعامه على بني إسرائيل وانتقامه على القبط أخذ يبين كفران بني إسرائيل نعمهم وصنيعهم في مقابلة ما أنعم عليهم فقال: "وجاوزنا"/١٢وجيز.

(٢) قوله تعالى "اجعل لنا إلها" قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب المعروف بالكبير: واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقا ومدبرًا لأن الذي يجعل بجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبرًا له ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصنامًا وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"(الزمر:٣) إذا عرفت هذا فلقائل أن يقول: لم كان هذا القول كفرًا فنقول أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلها للعالم أو اعتقد فيه أن عبادته تقربه إلى الله تعالى؛ لأن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام/١٢كبير.

(٣) يعني كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا إلهًا نعبده ونعظمه قال البغوي: ولم يكن ذلك شكا من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئًا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لايضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم، فرد عليهم موسى عليه السلام بقوله "إنكم قوم تجهلون" يعني تجهلون عظمة الله وأنه لا يستحق أن يعبد سواه، لأنه هو الذي أنجاكم من فرعون وقومه فأغرقهم في البحر وأنجاكم منه. عن أبي واقد الليثي رضي عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة
=

يطلب معبودًا مخلوقًا لا يضر ولا ينفع ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى القوم ﴿مُتَبَّرٌ﴾ مكسر مدمر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي: دينهم فاعل متبرأ أو مبتدأ ومتبر خبره ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ألبتة لا محالة ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أطلب لكم ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بأن أعطاكم نعمًا وخصكم بها ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: واذكروا هذا اللطف العظيم ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ استئناف أو حال أي: يبغونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بدل من يسومون مبين له ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب ﴿بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قيل الإشارة إلى الإنجاء فالبلاء بمعنى المنحة[1] لا المحنة.

﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ

= والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم" أخرجه الترمذي وصححه النسائي وأحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه/١٢لباب التأويل المعروف بخازن.[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٧٧١) وفي "ظلال الجنة"].

(١) يعني أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة/١٢لباب.

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى**[(١)] **ثَلاثِينَ لَيْلَةً**﴾ ذا القعدة للمناجاة وإرسال كتاب من عنده ﴿**وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾ من ذي الحجة نقل أنه بعد صوم الشهر استاك فزال خلوفه فلذلك أمر بصوم عشر ليكون لفمه خلوف[(٢)] ﴿**فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**[(٣)] **وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي**﴾ كن خليفتي ﴿**فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ**﴾ ارفق بهم واحملهم على طاعة الله تعالى ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ لا تطع من دعاك إلى الفساد[(٤)].

---

(١) وعد موسى قومه وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من الله فيه بيان ويأتون ويذرون فلما هلك فرعون سأل ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة/١٢وجيز.

(٢) وفي الحديث: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"/١٢.[أخرجه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (٢٠٦/٣) ط الشعب.

(٣) نصب أربعين بالخبر من تم؛ لأن تم من الأفعال الناقصة بمعنى التصيير فإن لم تجعله من الناقصة فنصبه على التمييز/١٢وجيز.

(٤) وهو صلوات الله وسلامه عليه يعرف حيلة قومه/١٢وجيز.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: لوقتنا الذي وقتنا له ﴿وَكَلَّمَهُ[1] رَبُّهُ﴾ فلما سمع كلامه اشتاق لقاءه ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك بأن تتجلى إلي ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أراك ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي[2]﴾ في الدنيا وقد وردت أحاديث صحاح صريحة على رؤية الله تعالى في الآخرة وأجمعت الأمة على ذلك سوى المعتزلة وحسبهم من الخسران والحسرة أن عاملهم الله تعالى في الآخرة بعقيدتهم وحرمهم من نعمة لقائه كما قال جدي قدس سره ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ[3] اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ ويطيق الرؤية مع أنه أعظم

---

(١) قال الزمخشري تكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه محفوظًا في الألواح انتهى. وإليه ذهب المعتزلة وهو مذهب فاسد يرده الكتاب والسنة وأين للشجر وذلك الجرم أن يقول: "إنني أنا الله" (طه:١٠٤)، وذهب الحنابلة ومن وافقهم من أهل الحديث أن كلامه تعالى حروف وأصوات مقطعة وأنه قديم وهو الحق وقد نطق به السنة المطهرة وقال جمهور المتكلمين: إن كلامه صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وأراد به الكلام النفسي ولا توجد له رائحة في السنة المطهرة وكذا ما ذكره الشيخ في التأويلات أن موسى سمع صوتًا دالا على كلام الله وهو ظاهر البطلان لمخالفة نص القرآن، وقد سكت جمع من السلف والخلف عن الخوض في تأويل صفة كلام الله تعالى وقالو: إنه متكلم بكلام قديم يليق بذاته بحرف وصوت لا يشبه كلام المخلوق ليس كمثله شيء وله المثل الأعلى/١٢فتح البيان.

(٢) فإن الأعين الدنيوية لا تطيق النظر إلى وجهه الكريم والأحاديث الصحاح في رؤية الله تبارك وتعالى لا ينكرها إلا مخانيث الحكماء أي: المعتزلة وحسبهم من الخسران أن عاملهم بعقيدتهم في الرؤية وفي الخلود في النار من مات غير تائب من الكبيرة/١٢وجيز.

(٣) فإن استقر مكانه عند تجليه سبحانه نبه على أن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بألاّ يستقر وفيه تسكين لفؤاد موسى؛ بأن المانع من الانكشاف إشفاقي عليك وأما أن المانع محالية الرؤية لتجرد الرب فليس في القرآن إشارة إليه، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته مرتين وهذا من =

وأثقل جسمًا ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر نور ربه وقد ورد ما تجلى إلا قدر الخنصر[1] ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مدكوكًا كالتراب ومن قرأ دكاء فمعناه أرضًا مستوية ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ سقط مغشيًا عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك مما لا يليق بك أو قال سبحانك لعظمة ما رأى ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ[2]﴾ من مسألة الرؤية بغير إذن ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنه لا يراك أحد إلى يوم القيامة أو أول قومي إيمانًا.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي﴾ بوحيي ﴿وَبِكَلامِي﴾ من غير واسطة ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من الرسالة ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ولا تطلب ما لا طاقة لك به.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ﴾ ألواح التوراة وقيل الألواح قبل نزول التوراة وهي من خشب أو من جوهرة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هم إليه محتاجون في أمر دينهم ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ تبيينًا لكل أمر ونهي حلال وحرام فنصبهما على المفعول له أي: للموعظة ولتبيين الحلال والحرام وقيل من كل شيء مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه ﴿فَخُذْهَا﴾ أي: فقلنا له خذ الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: التكليف عليك يا موسى أشد من التكليف على قومك قيل في الألواح ما هو أحسن كالصبر بالإضافة إلى الانتصار مثلا فأمرهم على طريقة الندب

= خواصه وما أطاق أحد من الأنبياء غير نبينا صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين رؤيته وهو على صورته/١٢وجيز.

(١) كما نقله الترمذي مرفوعًا عن ابن عباس/١٢منه.[أخرجه الترمذي (٣٢٨٢) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه]

(٢) ما هو خلاف الأدب كمسألة الرؤية بغير إذن كالشفاعة من غير إذن فيها/١٢وجيز.

أن يتبعوا أفضل ما فيها وهو الصبر والعفو ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: ستـــرون عاقبة من خالف أمري كيف تصير إلى الهلاك أو هي جهنم فاحذروا أن تكونوا منـــهم أو منازلهم كيف تكون خاوية على عروشها قيل هذا بشـــارة بأنـــه ســيرزقهم أرض أعدائهم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: أمنعهم عن فـــهم الحجج والأدلة الدالة على وحدانيتي وعظمتي وأنزع عنهم فهم كلامي ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ صلة يتكبرون أو حال فإن تكبر المحق على المبطل حق والتكبر على المتكبر صدقة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ معجزة ﴿لا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم[1] ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَـــبِيلَ الرُّشْـــدِ﴾ طريق الهدى والسداد ﴿لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ طريـــق الضـــلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا ذَلِكَ﴾ إشارة إلى مصيرهم إلى هذه الحالة ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَـــا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرون فيها ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْـآخِرَةِ﴾ أي: لقائهم الدار الآخرة ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت فليس لها نفع ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَـــا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء أعمالهم.

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى

(١) أو اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد/١٢ بيضاوي.

فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ أي: اتخذ السامري[1] لهم بإعانتهم ورضاهم فكأنهم هم الذين اتخذوا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى الجبل ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروا من القبط ﴿عِجْلاً جَسَدًا﴾ بدنا ذا لحم ودم بدل من عجلا ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ صوت البقر قال بعضهم: استمر على كونه من الذهب إلا أنه يدخل في فيه الهواء فيصوت كالبقر[2] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا﴾ أي: ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه حيوان لا يقدر على كلام ولا على إرشاد فكيف اعتقدوا على أنه خالق القوى والقدر؟![3] ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فلوضعهم الأشياء في غير موضعها اتخذوه إلها ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن الندامة فإن النادم يعض يده ﴿وَرَأَوْا﴾ أُعلموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بقبول توبتنا ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ هذا الذنب العظيم ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

---

(١) روي أنه لما وعد موسى قومه ثلاثين ليلة فأبطأ عليهم في العشر المزيدة قال السامري لبني إسرائيل وكان مطاعًا فيهم: إن معكم حليًّا من حلي آل فرعون الذي استعرتموه منهم لتتزينوا به في العيد وخرجتم وهو معكم وقد أغرق الله أهله من القبط فهاتوه فدفعوه إليه فاتخذ منه العجل المذكور/١٢فتح.

(٢) وفي الوجيز وأما أنه صنع من حليهم شكل ولد البقر مجسدا من ذهب لا روح فيه إلا أنه عمله مجوفا بطور إن دخل فيه الهواء خرج منه صوت كصوت البقر فليس بوجه سديد لقوله تعالى في سورة طه "ما خطبك يا سامري قال بصرت" الآية (طه:٩٥،٩٦) وإذا كان هو على صورة العجل لا حياة فيه فليس بقبض التراب من أثر جبريل دَخْلٌ/ ١٢.

(٣) جمع القدرة/١٢.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا[1]﴾ شديد الغضب أو حزينًا فإنه قد أعلمه الله بذلك وهو على الطور[2] كما قال تعالى: "فإنا قد فتنا قومك من بعدك" (طه:٨٥)، ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي: فعلتم بعد ذهابي وفاعل بئس ضمير يفسره ما والمخصوص بالذم محذوف أي: بئس فعلا فعلتموه من بعدي فعلكم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وهذا كما يقال لمن ولى أحدا غير مستحق للولاية: عجلت أمر السلطنة أي: في حالها وأمرها أو ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته أي: سبقتم أمر ربكم أو ميعاد ربكم أو سخط ربكم ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ[3]﴾ طرحها غضبًا ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بشعره ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ خوفًا عن أن يكون قد قصر في نهيهم وهارون أكبر من موسى[4] ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ كانا أخوين من أب وأم وذكر الأم ليرققه[5] ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي: بذلت وسعي في النهي حتى قهروني وقاربوا قتلي ﴿فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾ لا تفعل بي شيئًا يشمتون[*]

---

(١) قال ابن جرير الطبري: أخبره الله قبل رجوعه بأنهم قد فتنوا وأن السامري قد أضلهم فلذلك رجع موسى وهو غضبان أسفا/١٢.

(٢) كما في سورة طه/١٢منه.

(٣) من شدة الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل قال ابن عباس: لما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع إلا سدسها رفع الله منها ستة أسباعها وبقي سبع وقال مجاهد: لما ألقاها موسى ذهب التفصيل يعني أخبار الغيب وبقي الهدى أي: ما فيه المواعظ والأحكام وعن ابن جريج قال: كانت تسعة رفع منها لوحان وبقي سبعة/١٢فتح.

(٤) بثلاث سنين هكذا قال محيي السنة/١٢منه.

(٥) ويستعطفه عادة العرب التحنن بذكر الأم/١٢وجيز.

(*) في الأصل: يشتمون.

لأجله ﴿وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معدودًا في عـــداد عـــابدي العجـــل في عقوبتك.

﴿قَالَ﴾ لما علم براءة ساحته ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ أن قصـــر في نهيهم ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعـــام أو في جنتـــك ﴿وَأَنْـــتَ أَرْحَـــمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو أمرهم بقتل أنفسهم للتوبة كما مر فهو حكاية عما أخبر الله تعالى به موسى حين أخبره أو غضب في الآخرة ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخراجهم من ديارهم وهواهم إلى الأبد وقيل المراد من الذين اتخذوا العجل: أبناؤهم وهم يهود زمن النبي –صلى الله عليه وسلم– وصف الأبناء بقبائح فعل الآباء ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الشرك ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد السيئات ﴿وَآمَنُوا﴾ أخلصوا الإيمان واشتغلوا بما هو مقتضى الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَمَّا سَكَتَ[1]﴾ أي: سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ[2]﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: في الألواح فإنها نسخت من اللوح المحفوظ أو لما ألقى الألواح تكسرت ثم رد عليه لوحان أو لما تكسرت نسخ منها نسخة أخرى ﴿هُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ للخائفين ودخول اللام في المفعول لضعف الفعل بالتأخير[3] وقيل في يرهبون تضمين معنى الخضوع[4] ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ منصوب بنزع الخافض أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا﴾ أمر موسى أن يختار[5] من بني إسرائيل سبعين ليدعوا ربهم فلما دعوا قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا من قبلنا ولا من بعدنا فكره الله تعالى ذلك

---

(١) كأنه جعل الغضب شخصًا آمرًا ناهيًا يهيجه لما فعل ويأمره بشتم قومه فسكت عن الإغراء/١٢وجيز.

(٢) هو جواب لما/١٢.

(٣) يعني دخول اللام في المفعول مقربة لوصول الفعل إلى المفعول المتقدم نحو إن كنتم للرؤيا تعبرون/١٢وجيز.

(٤) وهومستعمل باللام/١٢منه.

(٥) هذا قول ابن عباس وهذا يدل على أن ذلك قبل عبادتهم العجل/١٢منه.

فأخذهم الرجفة أو اختار[١] سبعين ليعتذروا من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذهم الصاعقة فماتوا أو أخذهم[٢] الرجفة فإنهم علماء وما نهوا بني إسرائيل عن عبادة العجل، وقال بعضهم: ما ماتوا ثم بعد تضرع موسى كشف عنهم الرجفة فاطمأنوا أو ماتوا لكن أحياهم الله تعالى بدعاء موسى ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ﴾ لو للتمني ﴿أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما يرى، أو المراد أهلكتهم أي: عبدة العجل من قبل عبادتهم ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ من التجاسر على طلب الرؤية فإن بعضًا من السبعين طلبوا الرؤية، أو من عبادة العجل، ولذلك قيل: علماؤهم ما عبدوا العجل ﴿إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ﴾ اختبارك وامتحانك حين أسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية، أو حين خلقت في العجل خوارًا فضلوا ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ ضلاله ﴿وَتَهْدِي﴾ بها ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ هداه ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ القائم بأمرنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا[٣] الماضية ﴿وَارْحَمْنَا﴾ بأن لا توقعنا بعد في مثله ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ لأنك تغفر الذنوب جميعًا بلا عرض ولا عوض ﴿وَاكْتُبْ﴾ أي: أثبت ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ عافية وطاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ جنة وقربة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ رجعنا وتبنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ الله مجيبًا له في قوله: "إن هي إلا فتنتك" ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ

---

(١) وهو قول السدي ومحمد بن إسحاق/١٢منه.

(٢) هو قول مجاهد وقتادة وابن جريج/١٢منه.

(٣) اعلم أن كونه تعالى وليًّا للعبد يناسب أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه وفضله وإلهيته وأيضًا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع والخشوع يناسب طلب هذه الأشياء لذكر السبب الأول أولا وهو كونه تعالى وليا له وفرع عليه طلب هذه الأشياء ثم ذكر بعده السبب الثاني وهو اشتغال العبد بالتوبة والخضوع فقال: "إنا هدنا إليك"/١٢كبير.

﴿أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا حتى الشجر والحجر ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فسأوجب رحمتي في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكبائر ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما أنزل على جميع الأنبياء لا يكفرون بشيء منها قيل لما اختار موسى سبعين[1] قال لهم: أجعل لكم الأرض مسجدًا و طهورًا وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهور قلوبكم؟ فقالوا: لا نريد إلا أن نصلي في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في القلوب، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظرًا قال تعالى: "فسأكتبها للذين يتقون" الآية ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ أي: هم الذين أو بدل من الذين يتقون، والمراد اليهود الذين في آخر الزمان وآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام أو عامة أمته الصالحين ﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾ اسمه وصفته ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ[2] يَأْمُرُهُمْ﴾ النبي

---

(١) هذا وإن كان كلام بعض السلف لكن فيه بعد لأنه يلزم رجع الضمير إلى ما لا شعور عليه بوجه فلذلك ذكرناه بصيغة التمريض/١٢منه.

(٢) أخرج ابن سعد والبخاري وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذير وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينًا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وروى نحو هذا مع اختلاف في الألفاظ وزيادة ونقص في بعض عن جماعة وذكر الخميسى في تاريخه أن لفظ محمد مذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ "لمنحمنا" ومعنى هذا اللفظ في تلك اللغة هو معنى لفظ محمد وهو الذي يحمده الناس =

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ والخير ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ والشر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة ومما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل والشحوم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا ﴿وَيَضَعُ﴾ يخفف ويسقط ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ أي: ثقلهم العهد الثقيل الذي أخذ عليهم بالعمل بالتوراة ﴿وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ التكاليف الشاقة التي كانت في دينهم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ بهذا الرسول ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ عظموه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ على عدوه ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾ أي: القرآن ﴿الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ[1]﴾ أي: مع نبوته وقيل: متعلق باتبعوا القرآن مع اتباع النبي أي: اتبعوا الكتاب والسنة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون[2] في الدارين.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ

= كثيرًا وذكر أن لفظ أحمد مذكور في الإنجيل بهذا اللفظ العربي الذي هو أحمد/١٢ فتح.[الحديث أخرجه البخاري (٤٨٣٨)]

(١) إشارة إلى أن الظرف إن تعلق بأنزل فلابد من تقدير مضاف كنبوته أو إرساله وإن تعلق باتبعوا على معنى اتبعوا القرآن والنبي لم يحتج إلى تقدير/١٢منه.

(٢) الفائزون في الدارين لا غيرهم ولما ذكر صفة النبي الأمي وأخبر أن من أدركه فآمن به أفلح أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- باشتهار دعوته إلى الناس كافة فقال: "قل يا أيها الناس"/١٢وجيز.

فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ**[1]﴾ خطاب عام لا يشذ عنها أحد ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**[2] **الَّذِي**﴾ صفة الله والفصل غير أجنبي أو منصوب بتقدير أعني ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ**﴾ بدل اشتمال من له ملك السماوات ﴿**يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ**﴾ جميع كتبه ﴿**وَاتَّبِعُوهُ**﴾ في الإيمان بالله وجميع الكتب ، بما أمر ونهى ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ لكي تهتدوا ﴿**وَمِنْ قَوْمِ**[3] **مُوسَى**﴾ بني إسرائيل ﴿**أُمَّةٌ يَهْدُونَ**﴾ الناس ﴿**بِالْحَقِّ**[4]﴾ محقين ﴿**وَبِهِ**﴾ بالحق ﴿**يَعْدِلُونَ**﴾ في الحكم وهم الثابتون على الحق من اليهود قرنا بعد قرن أو من

---

(١) يا من أطلق عليه ناس/١٢.

(٢) بحيث لا يشذ عنكم فرد/١٢وجيز.

(٣) ولما ذكر أن الرحمة الخاصة الثابتة لمتبعي نبينا الذي هو ثابت صفته في كتابين سماويين، وهو مسقط عن المسلمين الإصر والأغلال التي كانت عليهم أخذ يبين أنه بقى من أهل الكتاب من استمر على الطريقة الحسنى والدين القيم فقال: "ومن قوم موسى"الآية/١٢وجيز.

(٤) بالحق فيه خلاف كثير أن المراد من هذه الجماعة من هم؟ وأن الظاهر أنهم قوم في أطراف الأرض ليس لهم همة إلا اتباع الحق حيث كان/١٢وجيز.

آمن منهم كعبد الله بن سلام وأتباعه أو قوم وراء الصين[1] هم على الحق[2] آمنوا بمحمد لا يصل أحد منهم إلينا ولا منا إليهم.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ صيرنا بني إسرائيل قطعًا وفرقناهم **﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾** مفعول ثان لقطع لأنه متضمن معنى صير أو حال وتأنيثه للحمل على الأمة أو القطعة **﴿أَسْبَاطًا[3]﴾** تمييز له وهو من الجمع الذي وقع موقع المفرد فإن معناها القبيلة؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط أو بدل منه **﴿أُمَمًا[4]﴾** بدل أو نعت لأسباطا **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾** في التيه[5] **﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾** جنس الحجر أو حجرا خاصًا كان

---

(١) هذا قول الكلبي والضحاك والربيع وابن جريج ونقل عن ابن عباس السدي أيضًا/١٢منه.

(٢) وفي لباب التأويل وهذه الحكاية ضعيفة ولم يرو بها نقل صحيح ولا رواها أحد من أئمة الحديث، ولا يلتفت إلى قول الإخباريين والقصاص في ذلك انتهى ملخصًا، وفي الفتح قال الكلبي والضحاك والربيع: هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على نهر يسمى نهر الأردن ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون في النهار ويزرعون ولا يصل إليهم أحد منا وهم على الحق إلى آخر القصة وما أبعدها عن الصحة وأقربها إلى الوضع وقد ابتلى بذكرها جمع من المفسرين الذين ليس لهم معرفة بعلم الحديث انتهى/١٢.

(٣) والأسباط أولاد الولد يعني اثنا عشر قبيلة من اثنى عشر ولدا من أولاد يعقوب ولما ذكر أنهم جماعة كثيرة بين نعمته عليهم في مشربهم ومأكلهم فقال وأوحينا/١٢وجيز.

(٤) التي وقعوا فيه لذنبهم كما مر / ١٢ وجيز.

(٥) أمما؛ لأن كل سبط كان جماعة كثيرة العدد وكانوا مختلفي الآراء يؤم بعضهم غير ما يؤمه الآخر، وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن علي بن أبي طالب قال: افترقت بنو إسرائيل بعد موسى إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة، وافترقت النصارى بعد عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة ولتفترقن هذه الأمة على ثلاث =

معه كما مر ذكره في سورة البقرة ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل قبيلة ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ لدفع حر الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ﴾ شيء كالترنجبين ﴿وَالسَّلْوَى﴾ طير كالسماني وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ مستلذات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ما رجع ضر كفران نعمه إلينا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يضرون أنفسهم ووبال فعلهم راجع إليهم ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: واذكر هذا الزمان ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ[1]﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: مغفرة يعني استغفروا أو أقروا بالذنب أو احطط عنا الخطايا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب البلد ﴿سُجَّدًا﴾ شكرًا لله تعالى على الفتح والإنقاذ من التيه ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثوابًا وهو استئناف[2] ولم يأت بالعطف إشعارًا على أنه تفضل محض ﴿فَبَدَّلَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ بدلوا بحطة حنطة استهزاء ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذابًا مقدرًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بسبب ظلمهم.

= وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة فأما اليهود فإن الله يقول: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" فهذه التي تنجوا وأما النصارى فإن الله يقول: "منهم أمة مقتصدة" (المائدة:٦٦)، فهذه التي تنجو وأما نحن فيقول: "وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (الأعراف:١٨١)، فهذه التي تنجو من هذه الأمة وقد قدمنا أن زيادة كلها في النار لم تصح لا مرفوعة ولا موقوفة/١٢فتح.

(١) بيت المقدس وقد مر في سورة البقرة بتغييرات في الألفاظ من غير تناقض/١٢ وجيز.

(٢) كأن سأل سائلا ماذا بعد الغفران لهم؟ فقال: ستزيد المحسنين، ولو أتى بالواو لدل على أن زيادة الثواب جزاء لدخولهم الباب سجدًا ومقابل له/١٢منه.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ أي: سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين بحضرتك سؤال توبيخ وتقريع **﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾** أي: خبر أهلها **﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾** قريبة منه، وهي أيلة بين مدين والطور **﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾** بدل من اشتمال القرية أو ظرف كانت أو حاضرة،

ومعناه يتجاوزون حدود الله يوم السبت ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ أي: يوم تعظيمهم أمر السبت من سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة ﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء حال من الحيتان ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظمون سبتهم وهو غير يوم السبت ﴿لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الامتحان التام ﴿نَبْلُوهُمْ﴾ نختبرهم بإظهار السمك في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائها في اليوم المحلل لهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ عطف على إذ يعدون ﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ أي: فرقة من أهل القرية فإنهم ثلاث فرق: فرقة ارتكبوا الخطيئة، وفرقة ناهية، وفرقة سكتوا فما ارتكبوا وما نهوهم، فقالت الفرقة الساكتة للناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فإنهم علموا لكثرة عدم نفع الموعظة أنها لا تنفع لا محالة استحقوا سخط الله تعالى ﴿قَالُوا﴾ أي: الفرقة الناهية مبينًا لهم شذه ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر، ومن قرأ بالنصب فتقديره وعظناهم معذرة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ عن الاصطياد في السبت فلا نيأس من أن تدركهم الرحمة ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تركوا ترك الناسي ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ خالفوا أمرنا ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد[1] ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم والأصح أن

---

(١) والأصح لدلالة بعض الأحاديث واتفاق السلف أن المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلاث ولم يبق منهم نسل والفرقة الساكتة الذين قالوا: لم تعظون ناجية أو مهلكة فيه خلاف، وكان ابن عباس متوقفًا ثم صرح بأنهم من الناجين وفي القرآن إشارة إلى أنهم كانوا وعظوهم أولا ثم سكتوا حين علموا ألاّ نفع للوعظ ولما ذكر تعالى قبح أفعالهم واستعصائهم أخبر أنه حكم عليهم بالذل والصغار إلى يوم القيامة فقال: "وإذ تأذن"/١٢ وجيز.

الفرقة المرتكبة دون غيرهم صاروا قردة والفرقتين الأخريين نجوا وعند بعضهم أن الفرقة الساكتة أيضًا مسخوا ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ﴾ عن بعض السلف أنهم سمعوا مناديًا قال: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ذليلين أو المراد من أمرهم سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك لا حقيقة الأمر والأصح أن المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلاثة أيام و لم يبق منهم نسل، والعذاب البئيس هو المسخ فهذه الآية تقرير وتفصيل[١] للأولى.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أعلم أو قال أو أمر وحكم ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود وأجرى تأذن كعلم الله وشهد الله مجرى القسم ولذلك أجيب بقوله ليبعثن ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ يعذبهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أوجب الله على نفسه ليسلطن عليهم من يعذبهم بضرب الجزية والإهانة وسبي النساء إلى آخر الدهر ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن أصر على المعصية ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على من تاب وأناب ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقناهم في البلاد فلا تجتمع كلمتهم مفعول ثان؛ لأن القطع بمعنى التصيير ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ صفة أمم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ[٢]﴾ منحطون عن الصلاح ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ﴾ امتحناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما كانوا فيه ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد ذلك الجيل الذي فيهم الصالح والطالح ﴿خَلْفٌ﴾ والخلف بسكون العين البدل السوء ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة من أسلافهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ أي: حطام هذه الدنيا الحقير كالرشوة في تبديل حكم الله والجملة حال من فاعل ورثوا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ

---

(١) يعني لقوله: "وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس" وقيل المسخ معنوي لا صوري والعذاب البئيس غير المسخ وهو قد كان أولا ثم كان المسخ آخرًا/١منه.

(٢) فدون مرفوع بأنه صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ ومنهم خبره/١٢منه.

لَنَا﴾ الفعل مسند إلى الجار والمجرور ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ أي: يرجون المغفرة والحال أهم مصرون على الذنب عائدون على مثله. عن السدي كان بعضهم يطعن في حكامهم بأخذ الرشوة فإذا جعل مكان حاكمهم من يطعن بأخذ الرشوة هو أيضًا يأخذ فحاصله وإن يأت الآخرين عرض مثله يأخذوه ﴿أَلَمْ[1] يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي: في التوراة ﴿أَنْ لا يَقُولُوا﴾ أي: بأن لا يقولوا أو عطف بيان لميثاق ﴿عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ[2] وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ فهم ذاكرون لهذا الميثاق عطف على ألم يؤخذ ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي لا للذين يخالفون أمر الله تعالى فإن مصيرهم إلى النار ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ فيعلموا ذلك ويرتدعوا عما هم فيه ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ اعتصموا بكتابهم فآمنوا بمحمد -صلى الله عليه وسلم﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ﴾ خبر الذين يمسكون ﴿أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ[3]﴾ أي: أجرهم لإصلاحهم ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ رفعنا ﴿الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ الظلة: كل ما أظلك ﴿وَظَنُّوا﴾ تيقنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم إن خالفوا وقلنا لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد في العمل به ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ فاعملوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كي تتقوا عن القبائح وذلك أهم أبوا قبول أحكام التوراة فرفع الطور فوقهم وقيل لهم: إن قبلتم وإلا ليقعن عليهم فسجدوا وقبلوا.

---

(١) أي: أخذ عليهم الميثاق ودرسوا وليس من عطف الإخبار على الإنشاء؛ لأن الهمزة للإنكار لا لمحض الاستفهام/١٢منه.

(٢) استثناء منقطع البتة/١٢منه.

(٣) إشارة إلى أنه من باب وضع المظهر موضع المضمر، ولذلك لا يحتاج إلى ضمير المبتدأ فإن المصلحين هم الذين تمسكوا بالكتاب وجاز أن يكون والذين عطفًا على للذين يتقون وقوله إنا لا نضيع اعتراض/١٢منه.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من بني آدم **﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** أي: أن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء[1] في

---

(١) والمعنى أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، وأخذ عليهم العهد وهؤلاء هم عالم الذر وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعًا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وموقوفًا على غير واحد من =

الترتيب ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أشهد بعضهم على بعض ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا[(١)]﴾ قال بعضهم: شهدنا قول الملائكة لا قول بني آدم وهو أنه قال الله تعالى للملائكة اشهدوا على إقرارهم قالوا شهدنا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: كراهة أن تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ أي: عن إنك ربنا ﴿غَافِلِينَ﴾ لم ننبه عليه ولذلك نصبنا الأدلة على الربوبية وأرسلنا الرسل بذكرهم العهد فلا يكون لهم عذر ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ عطف على أن تقولوا ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل زماننا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الآباء المبطلون بتأسيس الشرك. اعلم أن الأحاديث الصحاح الدالة على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة والنار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم ففي حديثين موقوفين على ابن عباس[(*)] وابن عمر[(**)] -رضي الله عنهم- كما حققه الثقات من المحدثين

= الصحابة ولا ملجئ للمصير إلى المجاز وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل/١٢ف، واختلف الناس في كيفية الاستخراج على أقوال لا مستند لها والحق وجوب اعتقاد إخراجها من ظهر آدم كما شاء الله تعالى كما ورد في الصحيح قال المقبلي في الأبحاث ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات الواردة في ذلك/١٢فتح.

(١) أي: على أنفسنا بأنك ربنا واختلفوا في الإجابة هذه كيف كانت أجابوا بلسان المقال أم أجابوه بلسان الحال والظاهر الأول، ونكل علم كيفيتها إلى الله سبحانه/١٢فتح، والظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره قبض أرواحهم، وأما أن الأرواح أين رجعت بعد رد الذريات إلى ظهره فهذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر بأكثر من أن يقال: رجعت كما كانت عليه قبل حلولها في الذرات والحق أن كل ما لم يرد فيه نص من كتاب والسنة فإطوائه على غرة أولى وترك الخوض فيه أحرى/١٢فتح.

(*) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٢٥٩) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير واللالكائي في "السنة"]

(**) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٢٦١) وعزاه إلى ابن جرير وابن منده في "كتاب الرد على الجهمية".

ووافقهما أكثر السلف والخلف كأبي بن كعب ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم وقال بعض السلف والخلف[1]: المراد بهذا الإشهاد أنه خلقهم على فطرة الإسلام ونصب لهم دلائل التوحيد ولظهورها صارت بمترلة أنه قيل لهم: "ألست بربكم قالوا بلى" وأنت تعلم أن ابن عباس حبر الأمة وأعلم الناس بمعاني القرآن[2] **﴿وَكَذَلِكَ﴾** مثل ذلك التبيين **﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾** لفوائد جمة **﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** لكي يرجعوا عن اتباع الأصل.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ[3]﴾ على اليهود أو على قومك **﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾** من الآيات بأن أعرض وكفر **﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾** لحقه وأدركه **﴿فَكَانَ مِنَ**

---

(١) اعلم أن المتأخرين عدلوا عن تفسير الصحابة وعن ما يدل عليه الأحاديث الذي لا يمكن رده وعن ظاهر القرآن لشيئين: الأول أن لو كان المراد ما قالوا لكان المناسب أن يقال: وإذ أخذ ربك من آدم من ظهره الثاني: أنه تعالى جعل علة أخذ العهد هي أن لا يقولوا في القيامة إنا غافلون عن ربوبيتك وإذا كان كذلك فالواجب أن لا ينسيهم الله هذا العهد حتى يكون له فائدة، وإلا فهو كأن لم يكن وقد أشرنا إلى دفع الإشكال الثاني بقولنا ولذلك نصبنا الأدلة على الربوبية.إلخ فلا تغفل وأما الجواب عن الأول فهو أن الله أخرج من نفس آدم أولاده الذين من صلبه ثم من أولاده أولادهم وهكذا إلى أن أخرج جميع بني آدم فأخذ منهم الميثاق ثم ردهم إلى أصلاب آبائهم وهل لمؤمن أن يعتقد تضييقًا في قدرة الله تعالى ففي الصحيحين أنه يقال لرجل من أهل النار: أرأيت لو كان لك جميع الدنيا أكنت مفتديًا به يقول: نعم فيقال: قد أردت منك أهون من ذلك أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت أن لا تشرك بي/١٢منه.

(٢) مع أن التمثيل بمثل تلك العبارة والحكاية لم يقع في كلام الله ولا في كلام البلغاء/١٢وجيز.

(٣) ولما ذكر لأهل الكتاب الميثاق الخاص الذي في كتابهم واتبعه الميثاق العام لهم ولغيرهم أمر نبيه أن يتلو عليهم حال من انسلخ من الميثاقين كيف أسقطه من ديوان =

﴿الْغَاوِينَ﴾ صار من الضالين[1] هو رجل من بني إسرائيل والأكثرون على أنه[2] بلعم بن باعوراء[*] عالم باسم الله الأعظم سألوا عنه أن يدعو على موسى وجنوده فأبى[3] ثم ألحوا فألحوا وجاءوه بالرشوة فقبل فدعا عليهم فقبل الله ثم دعا موسى عليه فنزع عنه الإيمان والاسم الأعظم، وقال بعضهم: ما يسر الله له الدعاء على موسى لكن قال لهم: أخرجوا النساء تستقبلهم فعسى أن يزنوا ففعلوا فوقع واحد من بني إسرائيل في الزنا فنزل عليهم الطاعون فقتل أحد علمائهم الزاني فكشف عنهم العذاب قيل فحسب من هلك في الطاعون في ساعة من النهار فوجدوا سبعين ألفًا ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى الدرجات العلى ﴿بِهَا﴾ بسبب تلك الآيات ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا وزخارفها فإن جميع زخارفها من الأرض ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في أخذ الرشوة والإعراض عن أمر الله تعالى ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ في أخس أحواله وهو ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ إن شد عليه فطرد ﴿يَلْهَثْ[4]﴾: هو إخراج الكلب اللسان ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ غير متعرض له بالزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ قد نقل: إن بلعم لما دعا عليهم اندلع لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب أو مثله في أنه إن وعظته أو تركته فهو على

= السعداء بعد أن كان معدودًا في زمرة الأبرار الأخيار فقال: "واتل عليهم" الآية/١٢ وجيز.

(١) بعد أن كان من الهادين المهديين/١٢وجيز.

(٢) صرح بذلك ابن مسعود وابن عباس وقد صح عن عبدالله بن عمر أن المراد منه أمية بن أبي الصلت فقيل مراد ابن عمر أنه يشبهه في كثرة علمه وتلقيه كتب الأوائل ومع ذلك إلى موالاة المشركين ومناصرتهم/١٢منه.

(*) وفي حاشية النسخة: رجل كنعاني/ ١٢ وجيز.

(٣) كذا رواه ابن جرير وابن عساكر ومحمد بن إسحاق وغيرهم/١٢منه.

(٤) اللهث التنفس بسرعة وتحرك أطراف الفم مع امتداد اللسان/١٢وجيز.

الضلال كالكلب في لهثته في الحالتين أو إن قلب الكافر ضعيف كالكلب فإن لهث الكلب من ضعف قلبه ولا يلهث سائر الحيوان إلا في حال إعياء أو عطش ﴿**ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ**[١]﴾ المذكور على اليهود أو على كفار مكة ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ فيعلموا أنها شابهت قصتهم وحالهم فيتعظوا[٢] ﴿**سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ**﴾ أي: مثل القوم على حذف المضاف ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾ أي: وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فتقديم المفعول للتخصيص ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي**﴾ والاهتداء من أعظم الصفات ﴿**وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ والإفراد في الأول والجمع في الثاني إشارة إلى أن طريق الهدى واحد فهم كرجل واحد وأنواع الضلال مختلفة متكثرة ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا**[٣]﴾ خلقنا ﴿**لِجَهَنَّمَ**﴾ اللام للعاقبة ﴿**كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**﴾ وهم الذين حقت عليهم كلمة الشقاوة ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ أي: لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي خلقها الله للاهتداء ﴿**أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ**﴾ في عدم فقه معرفة الحق والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر بل صرفوا مشاعرهم وقصروها في أسباب التعيش ﴿**بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾ فإن الدواب تفعل ما خلقت له إما بالطبع وإما بالتسخير وترتدع عن مضارها بخلاف الكافر فإنه خلق ليعبد الله وهو يعبد الشيطان ويعلم بعضهم أنه يضره ويرتكبه عنادًا ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ أشد غفلة لا

---

(١) أي: القصة المذكورة عليهم/١٢.

(٢) فإن الله تعالى أعطاهم النعم ما لم يعط أحدًا ميزهم بالعلم وأنزل عليهم الكتب وجعل فيهم الأنبياء فيعرفون محمدًا كما يعرفون أبناءهم فلو مالوا إلى الأرض لأحل الله عليهم ذل الدنيا والآخرة/١٢منه.

(٣) ولما علم من القصص أن أكثر الخلق هالك صرح بذلك مقسمًا؛ لأنه لا يكاد يصدق أن الإنسان أضل من البهائم قال "ولقد ذرأنا" الآية/١٢وجيز.

غفلة بعد ﴿وَلِلَّهِ[1] الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[2]﴾ هي أحسن الأسماء دالة على أحسن المعاني وليست منحصرة في التسعة والتسعين[3] ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ سموه بتلك الأسماء ﴿وَذَرُوا[4]

---

(١) ولما ذكر حكاية بلعم وهو كان عالمًا بالاسم الأعظم ثم بين لنا علامة من هو مخلوق لجهنم وختم بكمال غفلتهم نبهنا أن لا نكون من الغافلين فقال: "ولله الأسماء الحسنى"/١٢.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء مدرج في هذا الحديث يعني حديث الترمذي الذي سرد فيه الأسماء وأنهم جمعوها من القرآن/١٢فتح.

(٣) كما ورد: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك"/١٢وجيز، ومنه الحديث رواه أحمد في مسنده وأخرج أبو حاتم وابن حبان في صحيحه بمثله/١٢فتح.[وقال الشيخ أحمد شاكر في "تعليقه على المسند" (٣٤١٢): إسناده صحيح].

(٤) قوله تعالى: "وذروا الذين يلحدون في أسمائه" من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما يفعله كثير من الفلاسفة والمتكلمين المتفلسفين الذين يجعلون الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني تخالف لغة العرب وتناقض ثبوت الصفات فهؤلاء عمدوا إلى لفظ الغني والقديم والواجب بنفسه فصاروا يجعلونها تدل على معاني وتستلزم معاني تناقض شيء من الصفات وتوسع في التعبير ثم ظنوا أن هذا الذي فعلوه موجب الأدلة غلط منهم فموجب الأدلة العقلية لا تتلقى عن مجرد التعبير وموجب الأدلة السمعية تتلقى من عرف التكلم بالخطاب لا من الوضع للأحداث فليس لأحد أن يجعل الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني بل هذا من فعل أهل الإلحاد المفترين، فإن هؤلاء عمدوا إلى معاني ظنوها ثابتة فجعلوها هي معنى الوحدة والوجوب والغنى والقدم ونفي المثل، ثم عمدوا إلى ما جاء في القرآن والسنة من تسمية الله بأنه أحد واحد وغني ونحو ذلك من نفي المثل والكفو عنه فقالوا: هذا يدل على المعاني التي سميناها بهذه الأسماء، وهذا من أعظم الافتراء على الله وكذلك فعل من فعل =

....

= بلفظ المتكلم وغير ذلك من الأسماء ولو فعل هذا بكلام سيبويه وبقراط؛ لفسد ما ذكروه من النحو والطب ولو فعل هذا بكلام آحاد العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، لفسد العلم بذلك ولكان ملبوسًا عليهم فكيف إذا فعل هذا بكلام رب العالمين وهذه طريقة الملاحدة الذين ألحدوا في أسماء الله وآياته ومن شركهم في بعض ذلك مثل قول من يقول: الواحد هو الذي لا ينقسم ومعنى قوله لا ينقسم أي: لا يتميز منه شيء عن شيء ويقول: لا تقوم به صفة ثم زعموا أن الأحد والواحد في القرآن يراد به هذا ومعلوم أن كل ما في القرآن من اسم الواحد والأحد كقوله تعالى: "وإن كانت واحدة فلها النصف" (النساء: ١١)، وقوله: "قالت إحداهما يا أبت استأجره" (القصص: ٢٦)، وقوله: "ولم يكن كفوا أحد" (الإخلاص:٤)، وقوله: "وإن أحد من المشركين استجارك" (التوبة:٦)، وقوله: "ذرني ومن خلقت وحيدا" (المدثر:١١)، وأمثال ذلك يناقض ما ذكروه فإن هذه الأسماء أطلقت على قائم بنفسه مشار إليه يتميز منه شيء عن شيء وهو الذي يسمونه في اصطلاحهم جسمًا، وكذلك إذا قالوا الموصوفات تتماثل أو الأجسام تتماثل أو الجواهر تتماثل وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى: "ليس كمثله شيء" (الشورى:١١)، على نفي مسمى هذه الأمور التي سموها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث كان هذا افتراء على القرآن فإن هذا ليس هو المثل في لغة العرب لا لغة القرآن ولا غيرها، قال تعالى: "وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" (محمد:٣٨)، فنفى مماثلة هؤلاء لهؤلاء مع اتفاقهم في الإنسانية فكيف يقال: إن لغة العرب توجب أن كل ما يشار إليه مثل لكل ما يشار إليه وقال تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد" (الفجر:٧،٨)، فأخبر أنه لم يخلق مثلها في البلاد وكلاهما بلد فكيف يقال، إن كل جسم فهو مثل لكل جسم في لغة العرب حتى يحمل على ذلك قوله "ليس كمثله شيء" وقد قال شاعر العرب:

ليس كمثل الفتى زهير.

وقال الآخر: ما إن كمثلهم في الناس من بشر

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على آلهتهم بزيادة ونقصان كاللات من الله والمنات من المنان والعزى من العزيز وقيل الإلحاد فيها تسميته بما لم يرد في الكتاب ولا في السنة كيا سخي ويا مكار، ويا عاقل **﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** من الإلحاد **﴿وَمِمَّنْ[1] خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾** يقولونه ويدعون إليه **﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾** يعملون ويقضون وهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان إلى يوم الدين وهذه صفة من ذرأ للجنة كما وصف من ذرأ لجهنم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى

= ولم يقصد هذا أن ينفي وجود جسم من الأجسام، وكذلك لفظ التشابه ليس هو التماثل في اللغة قال تعالى: "وأتوا به متشابهًا" (البقرة:٢٥)، وقال تعالى: "متشابها وغير متشابه" (الأنعام:١٤١)، ولم يرد به شيئًا هو مماثل في اللغة، وليس المراد هنا كون الجواهر متماثلا في العقل أو ليست متماثلة فإن هذا مبسوط في موضعه، بل المراد أن أهل اللغة التي بها نزل القرآن لا يجعلون مجرد هذا موجبًا لإطلاق اسم المثل ولا يجعلون نفي المثل نفيًا لهذا فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن/١٢، هذا ما قاله شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام قدس الله روحه في بعض رسائله.

(١) ولما قال: "ولقد ذرأنا لجهنم" قال في مقابله: "وممن خلقنا أمة يهدون" الآية/١٢ وجيز.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنقربهم إلى الهلاك والعذاب قليلا قليلا ﴿مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ كلما جددوا معصية جددنا لهم وأسبغنا عليهم النعم وننسيهم الشكر والاستدراج[1] الاستصعاد أو الاستنزال درجة درجة ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم ليزدادوا ضلالا بعد ضلال ﴿إِنَّ كَيْدِي[2] مَتِينٌ﴾ مكري شديد ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا[3]﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿مِنْ جِنَّةٍ[4]﴾ جنون نزلت[5] حين علا عليه الصلاة والسلام الصفا فدعاهم يحذر فقال قائل منهم: إن صاحبكم مجنون بات يهوت إلى الصباح ﴿إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إنذاره ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ نظر استدلال ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ربوبيتها وملكها وقيل

---

(١) من الدرجة وذلك؛ لأن الراقي والنازل يرقى ويترل مرقاة مرقاة/١٢منه.

(٢) ولذلك لما قيل لحكيم فلان عدوك قال: اللهم طول عمره وزد ماله، ولما أمر في هذه السورة بالتوحيد، وعن مُرَّة: عندهم الآمر بترك الطريقة القديمة مجنون سيما إذا قال كثرة النعمة وطول العمر مصيبة أمر بتفكرهم في أن يعلموا أنه ليس بمجنون فقال: "أو لم يتفكروا"/١٢وجيز.

(٣) في الاستفهام معنى التحريض مع شيء من التوبيخ/١٢وجيز.

(٤) حاصله أو لم يعملوا الفكر ليعلموا ما بصاحبهم من جنة وعدم إعمال الفكر في الأمور علامة الجنون سيما إذا انضم إليه التكلم بقضية ظاهر نقيضها على كل عاقل/١٢وجيز.

(٥) قاله قتادة/١٢.

عجائبها والتاء فيه للمبالغة ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيما يقع عليه اسما لشيء ففي كل شيء له آية ﴿وَأَنْ﴾ أي: أنه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم ليسارعوا إلى ما ينجيهم من العذاب واسم كان ضمير الشأن ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إن لم يؤمنوا به وليس بعد هذا البيان حديث آخر ينتظر وروده ليؤمنوا به ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ حال من هم ومن قرأ ويذرهم بالياء والجزم فعطل على محل فلا هادي.

﴿يَسْأَلُونَكَ[1] عَنِ السَّاعَةِ﴾ أي: القيامة ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا[2]﴾ متى يكون، وأي وقت إثباتها؟ نزلت في قريش يسألون وقتها استبعاداً لوقوعها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ﴾ أي: لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو أي: الخفاء به مستمر إلى وقت الوقوع واللام للتأنيث كقولهم كتب لثلاث من رجب ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عظمت وشقت[3] على أهل السماوات والأرض لهولها أو ثقلت[4] عليهما عند الوقوع حتى انشقت وانهدمت، أو ثقل[5] علمها وخفاؤها على أهلهما وعلى الوجوه كلمة في استعارة منبهة على تمكن الثقل، أو معناه خفيت في السماوات والأرض لا يعلمها شيء وكل خفي ثقيل ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً﴾ فجأة على غفلة ونصبه على المصدر فإنها نوع من الإتيان ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: عالم بها

---

(١) ولما قال قد اقترب أجلهم وما هذا إلا تخويفهم من الساعة فقد سألوا منها فقال: "يسألونك" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) رُسُوُّ الشيء ثباته واستقراره/١٢منه.

(٣) نقله ابن جرير عن ابن عباس واختاره من بين الأقوال/١٢منه.

(٤) قول ابن عباس وابن جريج/١٢.

(٥) قاله ابن نجيح والضحاك وقد روى عن ابن عباس/١٢منه.

من حفى[1] عن الشيء بالغ في السؤال عنه، والمبالغة في السؤال مستلزم للعلم أطلق الحفي وأريد العالم، أو كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمت، أو عنها متعلق بيسألونك أي: يسألونك عنها كأنك شفيق بهم من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشًا[2] قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة، وكأنك في موقع الحال أي: مشبها حالك بحال الحفي ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾ لا يطلع عليه أحد كرره تأكيدًا ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ أن علمها[3] مختص بالله ﴿**قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا**﴾ أي: جلب نفع ولا دفع ضر ﴿**إِلا مَا شَاءَ**[4] **اللَّهُ**﴾ أي: لكن ما شاء يصل فمنقطع أو إلا نفعًا وضرًا يملكني الله ويوفقني به فمتصل ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ أي: لكانت حالي من استكثار الخير واستفراز[5] المنافع واجتناب السوء على خلاف ما هي عليه، فلم أكن غالبًا مرة ومغلوبًا أخرى، ورابحًا وخاسرًا في التجارة ﴿**إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ أي: إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة لهم فإنهم المنتفعون بهما، أو ما أنا إلا نذير

---

(١) الأول أن حفى مجاز عن العلم والوجه الثاني أنه مستعمل في معناه الحقيقي فلا تغفل/١٢منه.

(٢) رواه قتادة وغيره/١٢.

(٣) لما اختص علم الساعة بأنه لا يعلمها إلا هو ربما ظن ظان أنه -صلى الله عليه وسلم- عالم بها لما يلقى إليه من الغيب فرفع الظن وقال: "قل لا أملك" الآية/ ١٢وجيز.

(٤) هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي: أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي احتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك إلا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني/١٢مدارك، وهو إظهار للعبودية والتبرء عن ادعاء العلم بالغيوب/١٢بيضاوي.

(٥) الاستكثار/١٢منه.

للكافرين وبشير للمؤمنين فمتعلق النذير محذوف، ونزلت حين قالت قريش: ألا تعلم الرخص قبل الغلاء فتشتري وتربح والأرض التي تريد أن تجدب فترتحل[1] إلى المخصبة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) ولما ذكر من أول السورة إلى هذه الآية التي هي قريب من آخرها القصص والأمثال والأحكام في المهتدين والضالين وكل من القسمين أصناف مختلف بعضهم في ثبوت ورسوخ من حالهم وبعضهم في تزلزل وتقلب أخذ يبين أن هذا تقدير خالقكم من ابتداء خلقكم ولذلك يكون إلى الانتهاء فقال: "هو الذي"/١٢ وجيز.

ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلق من ضلع آدم حواء ﴿لِيَسْكُنَ﴾ ليطمئن ﴿إِلَيْهَا﴾ ويأنس بها فإنها جزءه ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ عليها يعني النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ استمرت به أو قامت وقعدت بالحمل لخفته ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ صارت ذات ثقل لكبر الولد ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ بشرا سويًا فإنهما أشفقا أن يكون بهيمة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ[1] فِيمَا آتَاهُمَا﴾ لما حملت حواء جاءها إبليس في غير صورته وقال: هذا الذي في بطنك ربما يكون بهيمة، وهل تدري من أين يخرج فخوفها مرارًا كثيرة ثم قال: لي عند الله منزلة وإن دعوت أن يخرج سالمًا سويًا أتسميه عبدالحارث وهذا اسم إبليس في الملائكة، فلم يزل بها حتى غرها فسمته عبدالحارث بإذن من آدم و لم تعرف حواء أنه إبليس وقد صح هذا النقل عن ابن

---

(١) قال قتادة أشركا في الاسم و لم يشركا في العبادة/١٢الباب.

عباس -رضي الله عنهما- وكثير من السلف[1] والخلف، وهذا ليس بشرك حقيقـــي لأنهما ما اعتقدا أن الحارث ربه بل قصدا إلى أنه سبب صلاحه فسماه الله تعالى شـركًا للتغليظ ويكون لفظ شركاء من إطلاق الجمع على الواحد **﴿فَتَعَـــالَى اللَّـــهُ عَمَّـــا يُشْرِكُونَ[2]﴾** فإن الأولى بهما أن لا يفعلا ما أتيا به من الإشراك في الاســـم، وعـــن الحسن البصري رحمه الله يقول: هم اليهود والنصـــارى رزقـــهم الله أولادًا فـــهودوا ونصروا، وعلى هذا تقدير الآية جعل أولادهما له شركاء فيما أتى أولادهمـــا فســـموه عبدشمس وعبدمناف وغيرهما، فحذف المضاف وهو الأولاد وأقيم المضاف إليه مقامـه، وقوله: "شركاء" و"تعالى الله عما يشركون" بلفظ الجمع[3] يدل عليه قيل معناه هـــو

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والسدي وذكر الترمذي والنسائي والإمام أحمد والحـاكم في مستدركه وابن مردويه وابن أبي حاتم حديثًا مرفوعًا يدل على ما نقلناه عـــن ابـــن عباس لكن في رواة الكل نوع ضعف هكذا قال المحدثون/١٢منه وفي الفتـــح حســـنه الترمذي وصححه الحاكم/١٢.[وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن الترمذي"]

(٢) أيّ: شرك كان/١٢.

(٣) قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي وهذه الأقوال كلها متقاربة في المعنى متخالفـــة في المبنى ولا يخلو كل واحد منها من بعد وضعف وتكلف بوجـــوه: الأول أن الحديـــث المرفوع المتقدم يدفعه وليس في واحد من تلكم الأقوال قول مرفوع حتى يعتمد عليـــه ويصير إليه بل هي تفاسير بالآراء المنهي عنها المتوعد عليها. الثاني: أن فيه انخرام نظـــم الكلام سياقًا وسباقا.الثالث: أن الحديث صرح بأن صاحبة القصة هي حواء وقولـــه: "جعل منها زوجها" إنما هو لحواء دون غيرها، والقصة ثابتة ولا وجه لإنكارها بـالرأي لمحض. الرابع: إن الحديث ليس فيه إلا ذكر حواء وكان هذا شركًا منها في التسمية، ولم يكن شركا في العبادة، قيل: والشرك في التسمية أهون قلت: وفيه بعد ظـــاهر؛ لأن الله تعالى ساق آيات التشنيع عليها وهو شرك وإن لم يكن في العبادة، وما قيل إنهـــا إنمـــا قصدت أن الحارث كان سبب نجاة الولد كما يسمى الرجل نفسه عبد ضيفـــه فـــهو =

الذي خلق آل قصي وهم قريش من نفس واحدة وهو قصي فجعل من جنسها زوجها عربية قرشية فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد المناف وعبد العزي وعبد القصي وعبد الدار وقيل تم الكلام عند قوله آتاهما ثم ذكر كفار مكة فقال: "تعالى الله عما يشركون" ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ ابتداء كلام وإنكار على المشركين ﴿مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ كالأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ مخلوقون لله جيء بضمير العاقلين بناء على اعتقادهم وتسميتهم إلها ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ لِعُبَّادهم ﴿نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ لا يقدرون على دفع مكروه كمن أراد كسرهم ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام أو المشركين ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ إلى أن يهدوكم أو إلى الإسلام ﴿لا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ إلى مرادكم ولا يجيبوكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ أي: سواء إحداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمت عن دعائهم فإن الكفار إذا نزل عليهم أمر دعوا[1] الله تعالى دون الأصنام.

= خطأ؛ لأن الأعلام كما يقصد بها المعاني العلمية كذلك قد يلاحظ معها المعاني الأصلية بالتبعية كما صرح به أهل المعاني، وكان اسم أبي بكر الصديق في الجاهلية عبد الكعبة واسم أبي هريرة عبد الشمس فغيرهما النبي -صلى الله عليه وسلم- سماهما صديقًا وعبد الرحمن وما قيل: إنها سمته بعبدالحارث بإذن من آدم فهذا يحتاج إلى دليل يدل عليه ويصح وأنى له الدليل ولعلها سمته بغير إذن منه ثم تابت من ذلك والحاصل أن ما وقع إنما وقع من حواء لا من آدم عليه السلام، ولم يشرك آدم قط وعلى هذا في الآية إشكال والذهاب إلى ما ذكرناه متعين تبعًا للكتاب والحديث وصونا لجانب النبوة عن الشرك بالله تعالى والذي ذكروه في تأويل هذه الآية الكريمة يرده كله ظاهرُ الكتاب والسنة كما تقدم وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والله أعلم/١٢فتح.

(١) فعادتهم المستمرة وطبيعتهم أنهم صامتون عن دعوة أصنامهم وليست دعوة الأصنام إلا بحسب هواهم المحدث لأجل بيان هذه الفائدة عدل إلى الجملة الاسمية فقال: "أم أنتم =

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ مملوكون مسخرون ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على إنجاح سؤال سائل ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إنهم آلهة ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ هذا بيان لقصور معبودهم عن عبادهم كأنه قال: عباد أمثالكم بل أنتم أكمل ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ﴾ يا محمد ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ ثم بالغوا أنتم وشركاؤكم في مكروهي ﴿فَلا تُنْظِرُونِ﴾ لا تمهلوني فإني لا أعبأ بكم ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ يلي أمرهم وينصرهم ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أخاف ذاك العابد وذاك المعبود ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ أي: ما هو صلاحهم أو إلى أن يهدوكم ﴿لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: كأنهم ينظرون فإنهم نحتوها مصورين بالعين والأنف والأذن ﴿وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ لأنهم لا يقدرون إيجاد النور في أعين أصنامهم أو ضمير تدعوهم وتراهم إلى المشركين لقوله تعالى: "صم بكم عمي"(البقرة:١٨) ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ من أخلاق الناس من غير تجسس كقبول أعذارهم والمساهلة معهم وقد ورد[1] أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا يا جبريل قال: إن الله تعالى أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من

= صامتون" ولم يقل أم صمتم كأنه قيل لم يفرق الحال بين إحداثكم دعائهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم عند الحاجة والشدائد/١٢منه ووجيز.

(١) رواه ابن مردويه عن سعد بن عبادة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وروى ابن جرير وابن أبي حاتم مرسلا/١٢منه.[وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٢٨٠) وعزاه لابن أبي الدنيا وابن جرير ولبن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي].

قطعك" أو خذ الفضل وما تسهّل به من أموالهم وذلك قبل وجوب[1] الزكاة ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف وهو كل ما يعرفه الشرع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ لا تقابل السفه بالسفه ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ نزغه إذا طعنه وكأن الشيطان يطعن حين يغري الناس إلى المعاصي وحاصله إذا عرض لك منه أدنى وسوسة تصدك عن الإعراض عن الجهال ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فإنه الملجأ أو المنجى ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ بالدعاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمصالح وبأحوال الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكبائر ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ لمة ووسوسة من طاف به الخيال يطيف أو من طاف يطوف ومن قرأ طيف فهو مصدر، أو تخفيف طيف كلين من لان يلين أو كهين من هان يهون ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ وعيد الله ووعده ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فأنابوا لا كالكفار العمي ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي: الكفرة فإنهم إخوان[2] الشياطين وأتى بضمير الجمع للشيطان؛ لأن المراد منه الجنس ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للشياطين أي: يكون الشياطين مددًا لهم ﴿فِي الْغَيِّ﴾ أو المراد من الإخوان الشياطين وضمير إخوانهم للجاهلين أي: شياطينهم يكونون مددًا لهم ﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ لا يمسكون على إغوائهم، أو الضمير للكفرة أي: لا يكفون عن الغي أو الضمير للكفرة[3] والشياطين جميعًا أي لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ من القرآن أو معجزة اقترحوها ﴿قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾ اختلقتها من قبل نفسك قيل: كانوا يسألون الآيات تعنتًا فإذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها وأنشأتها من نفسك، أو معناها لم لا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله

---

(١) فإنه لما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعًا وكرها/١٢منه.

(٢) قال الله تعالى: "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين"/١٢منه.

(٣) هو قول ابن عباس والسدي /١٢.

تعالى حتى نراها ونؤمن بها ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمختلق أو إن منعها لا أسألها إلا بإذنه ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ للقلوب بها تبصر الحق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فلو كان لكم بصيرة لكفاكم القرآن آية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا[1] لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأصح أنها نزلت في ترك التكلم في الصلاة[2] أو ترك القراءة مع الإمام إذا جهر فيها ولاشك أنه يستحب

---

(١) أي عما سواه فلا حجة فيه لمن منع القراءة مع الإمام في الجهرية للإجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر في غير الصلاة مع أن الإمام مأمور بالسكوت وقت قراءة المأموم/١٢تبصير الرحمن.

(٢) كذا قاله ابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة وجماعة لا تحصى من السلف قال مجاهد: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وجماهير السلف أن المراد بذلك في الصلاة/١٢منه، واختلف العلماء في القراءة خلف الإمام فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الأوزاعي وإليه ذهب الشافعي وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه القراءة، ولا يقرأ فيما جهر الإمام فيه يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر الإمام يروى ذلك عن جابر وإليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الإمام هذه الآية، وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية أن الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الإمام، فحملنا مدلول الآية على الصلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على الصلاة السرية جمعًا بين دلائل الكتاب والسنة، وحجة من أوجب القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية والجهرية قال: الآية واردة في غير الفاتحة؛ لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، و لم يفرق بين السرية والجهرية، قالوا: وإذا قرأ الفاتحة خلف الإمام فيتتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة، ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل =

الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن مطلقًا ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أمر بذكره أول النهار وآخره ﴿تَضَرُّعًا﴾ متضرعًا ﴿وَخِيفَةً﴾ خائفًا ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾

= عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال: صلى رسول الله صلى عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: "أراكم تقرءون وراء إمامكم قال قلت: يا رسول الله أي والله. قال: لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها" أخرجه الترمذي بطوله وفي الصحيحين أقصر منه: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، وروي مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج" يقولها ثلاثا غير تمام. فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام قال: اقرأ بها في نفسك/ لباب التأويل المعروف بالخازن. وقال الرازي لا حجة لمانعي القراءة في الآية لأن الخطاب فيها مع الكفار؛ لأنهم طلبوا معجزة فبين تعالى أن القرآن بصائر وهدى لو استمعوا له وأنصتوا حتى يفقهوا فصاحته وعلومه الكثيرة الدالة على صدق محمد -صلى الله عليه وسلم- ولو قلنا إن المراد منه قراءة المأموم خلف الإمام لم يحصل بين هذه الآية وبين ما قبلها تعلق بوجه من الوجوه، وانقطع النظم وحصل فساد الترتيب، وذلك لا يليق بكلام الله تعالى فوجب أن يكون المراد منه شيئًا آخر سوى هذا الوجه، وعند هذا يسقط استدلال الخصوم بهذه الآية من كل الوجوه ومما يقوى أن حمل الآية على ما ذكرناه أولى وجوه: الأول: أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم قالوا: "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون"(فصلت:٢٦) فلما حكى عنهم ذلك ناسب أن يأمرهم بالاستماع والسكوت حتى يمكنهم الوقوف على ما في القرآن إلى آخر ما بين الوجوه وللقوم في المسألة كلام مشبع ورسائل متفرقة ردًا وإثباتًا من شاء تفاصيل المسألة فليرجع إليها وذكر دلائل المسألة في هذا المقام أزيد مما بينا يوجب السآمة ويشغل عن أصل المراد منه:

فدع عنك نهبا صيح في حجراته! وهات حديثًا ما حديث الرواحل/١٢.

وهو كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- أن تسمع نفسك دون غيرك ﴿بِالْغُدُوِّ[1] وَالْآصَالِ﴾ بهذين[2] الوقتين لفضلهما ﴿وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكره وهذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء والآية مكية وأما حمل الآية على غير هذا المعنى فبعيد، ولا يساعده نقل سديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة المقربين ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه ﴿وَلَهُ﴾ لا لغيره ﴿يَسْجُدُونَ﴾ لا يشركون بالعبادة غير الله تعالى أي: هم مع كونهم آمنين من سوء العاقبة وعذابه متوجهون إلى الله تعالى دائمًا فأنتم مع خوفكم تتمادون في الغفلة وتعبدون غيره وهذه أول سجدة في القرآن لتاليها ومستمعها بالإجماع.

والحمد لله حق حمده..

---

(١) الغدوة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والأصيل الوقت من بعد العصر إلى المغرب/١٢فتح.

(٢) والغدو جمع الغدوة والآصال جمع أصيل العشاء/١٢.

فهرس سور المجلد الأول